مطبوعات المجمع العلمي العراقي

مؤرخ العراق ابن الفوطي

بحث في أدوار التاريخ العراقي من منتصف العصر العباسي إلى أواخر العصر المغولي

تأليف

محمد رضا الشبيبي

الجزء الثاني

مطبعة التفيض بغداد

١٣٧٠ - ١٩٥٠

مطبوعات المجمع العلمي العراقي

مؤرخ العراق ابن الفوطي

بحث في أدوار التاريخ العراقي من مستهل العصر العباسي إلى أواخر العصر المغولي

تأليف

محمد رضا الشبيبي

الجزء الثاني

مطبعة المجمع العلمي العراقي

١٣٧٨ — ١٩٥٨

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة الجزء الثاني

نشر القسم الأول من الجزء الأول من كتابنا هذا قبل مدة ، وقد اشتمل ذلك القسم على مقدمه الكتاب وعلى طرف من تاريخ الدولة العباسية لم يتجاوز عصورها الأولى ، وبقي القسم الثاني من الجزء الأول المذكور الذي يتضمن البحث في بقية عصور الدولة المذكورة الى حين انقراضها باستيلاء المغول على العراق وما جاوره من الاقطار ، وكل ذلك توطئة للبحث في تاريخ العراق خلال المدة التي سيطر فيها القوم على هذه البلاد ، والواقع أن البحث في أدوار التاريخ العراقي هو الغرض من تصنيف كتابنا هذا على الاكثر ، ويتخلل البحث اشارات الى سنن الله في الكون وعلل قيام الدول وانقراضها وما الى ذلك ، وعلى كل سيتم نشر القسم المشار اليه في حينه بحوله تعالى . لذلك لم نجد باساً من تقديم هذا الجزء وهو الجزء الثاني على ذلك القسم من الكتاب لتيسر اصوله أكثر من بقيه الأجزاء .

يتضمن هذا الجزء التعريف باصول البحث أو المراجع النادرة التي اعتمدنا عليها في تأليف هذا التاريخ وفي ضمنه بحث عن سيرة مؤرخ العراق ابن الفوطي وقد استطردنا في هذا الجزء الى فصول أو بحوث منوعة تاريخية واجتماعية وادبية لاتخلو من فائدة ان شاء الله وهو ولي التوفيق .

١ ربيع الأول ١٣٧٨
١٤ ايلول ١٩٥٨

محمد رضا الشبيبي

أصول البحث

الجزء الرابع · الجزء الخامس · رسالة اللباب · كتاب الحوادث الجامعة · مؤرخ العراق ابن الفوطي · بحث عنه للمؤلف · قصة فتح بغداد واسرارها السياسية والعسكرية مقالة للمؤلف أيضاً · مؤرخون عراقيون .

أفردنا الباب الثاني من أبواب هذا الكتاب كما تجده في مقدمته للبحث في الاصول التي استندنا اليها في تأليفه أصلا أصلا وكتاباً كتاباً ويحسن بنا توضيح ما نعني بهذه الاصول فنحن نقصد في الغالب أصولا مخطوطة معينة ظفرنا بها بعد التنقيب عنها كثيراً وهي أصول عربية خاصة كما سترى ، ولا يعنينا تعريف كافة الأصول التي وضعت في تاريخ الدولة المغولية من عربية وفارسية وتركية فان موضوع هـــذا الكتاب لا يتناول تاريخ المغول والدولة المغولية الا بمقدار ، وبعبارة أخرى لا يعنينا من تاريخ هذه الدولة الا ما وقع في بلادنا هذه أي في العراق أو بعض الاقطار الشرقية المجاورة له . أما تاريخ المغول وحروبهم وفتوحهم المعروفة في الشرق من الصين الى تركستان فخراسان وفارس واذربيجان حتى العراق وبلاد الروم والجزيرة الى غير ذلك فقد أكثر المؤرخون من التأليف فيه في امهات اللغات الشرقية عربية وفارسية وتركية ، وقد تم نشر كثير من تلك المؤلفات فأصبحت في متناول أيدي الباحثين .

والخلاصة : عني غير واحد من مؤرخي الفرس والترك وبعض المتأخرين من مؤرخي مصر والشام وغيرهم بالبحث عن تاريخ الدولة المغولية وأنجز بعضهم تصانيف ضخمة في

هذا الشأن [1] . وقد رجعنا الى بعضها بمقدار ما اقتضاه البحث في تاريخ العراق بعد انقراض الدولة العباسية واستيلاء المغول على هذه البلاد ، ومعنى ذلك أن تاريخ العراق في عصر المغول هو ما يعنينا أولا وبالذات من هذا الكتاب ومرجعنا فيه كما تقدم عدد من الاصول العربية، وليس كل تلك الاصول بل المخطوط النادر منها على الاكثر كالاجزاء التي ظفرنا بها من معجم ابن الفوطي وبعض الدراسات التاريخية المستندة الى تلك الاصول المخطوطة ، ولم نجد بدأ من التعريف بجهود بعض المؤرخين العراقيين الذين تناولوا فيها البحث عن بدء حركة المغول في الشرق أو عنوا بتاريخ العراق في عصور الدولة كابن الاثير في الكامل وابن الطقطقى في الآداب السلطانية ، وهذا هو موضع البحث في تلك الاصول .

١ — الجزء الرابع من معجم ابن الفوطي المسمى « تلخيص مجمع الآداب في معجم الأسماء على معجم الالقاب » وهو نسخة المؤلف بخط يده .

٢ — الجزء الخامس من المعجم المذكور وهو نسخة المؤلف أيضاً المحفوظة في مكتبة جامعة لاهور .

٣ — اللباب أو مختارات من تلخيص مجمع الآداب لمؤلف هذا الكتاب .

٤ — كتاب الحوادث الجامعة وهو جزء مغفل في التاريخ نشر منسوباً لابن الفوطي .

---

(١) من أشهر تواريخ المغول باللغة الفارسية كتاب (جهان كشا) للجويني وجامع التواريخ لرشيد الدين الطبيب ، وتاريخ وصاف للمؤرخ عبد الله بن فضل الله المعروف بوصاف الحضرة ، وتقويم الوقائع التركية، لصاحب كشف الظنون وقد طبعت هذه التواريخ . وممن عني من مؤرخي العرب بتاريخ دولة المغول ابن كثير (في البداية والنهاية) وأبو الفداء في تاريخه ، ومؤلف الحوادث الجامعة والسبكي في طبقاته ، وابن خلدون ، وابن حجر في (الدرر الكامنة) ، والعيني في (عقد الجمان) و (السخاوي في الضوء اللامع) الى غير ذلك ووضع في التركية أو ترجم اليها اسفار غير قليلة في هذا الموضوع مثل كتاب (شجرة الترك) لأمير خيوة (وكلشن خلفا) وكتاب (ترك تاريخي) وكتاب التاريخ العام لسائر بطون التتر والمغول والترك منقول من الفرنسية الى التركية .

٥ — مؤرخ العراق ابن الفوطي بحث لمؤلف هذا الكتاب .

٦ — قصة فتح بغداد واسرارها السياسية والعسكرية للمؤلف أيضاً .

٧ — مؤرخون عراقيون عنوا بحركة المغول واحداثهم وفي تاريخ الدولة المغولية في العراق أو في بعض اقطار الشرق المجاورة لهذه البلاد .

هذه — على الاكثر — هي الأصول العربية النادرة التي استندنا اليها في البحث عن تاريخ العراق في عصر المغول وعن سيرة مؤرخ العراق ابن الفوطي وذلك حسب السياق أو الطريقة الآتية :

أولا - الجزء الرابع من معجم ابن الفوطي

تاريخ الظفر بالمخطوطة . خصائص النسخة . مثال من الدقة والتحقيق . اسلوب المؤلف في التحري عن الالقاب . التشويش الطارىء على النسخة .

في سنة ١٣٣٧ « ١٩١٩ ـ ١٩٢٠ » كنت نزيل الشام حيث أمضيت في تلك البلاد متردداً بين الداخل والساحل سنة كاملة وكنت امضي بعض الوقت في دار الكتب الظاهرية معنياً بالبحث في مخطوطاتها وكانت المخطوطات أكثر من المطبوعات في المكتبة المذكورة ، ومن التحف التي ظفرت بها بين تلك المخطوطات الجزء الرابع من معجم تاريخي نفيس لابن الفوطي سماه « تلخيص مجمع الآداب المرتب على معجم الاسماء في معجم الالقاب » وقد يسمى « مجمع الآداب في معجم الالقاب[1] » ، ومما زاد في قيمة هذه النسخة انها نسخة الاصل ومسودة المؤلف بخط يده . والمؤلف أي ابن الفوطي من الائمة الذين يشار اليهم بالبنان في فن الخط والكتابة ، ويلوح لنا من تسمية هذا الكتاب انه ملخص من كتاب مطول للمؤلف في التاريخ سماه « مجمع الآداب » وهذا التاريخ المطول ورد ذكره في قائمة مؤلفاته كما جاء في كتب المؤرخين

---

(١) جاء ذلك في عنوان الصفحة (١٤١) من مخطوطة الخزانة الظاهرية وهي نسخة المصنف .

والباحثين [1] . وقالوا انه يقع في خمسين مجلداً . ويعد هذا المطول من الكتب المفقودة كأكثر تصانيف المؤلف المذكور .

خصائص النسخة

لاتوجد من هذا الجزء الرابع نسخة اخرى غير نسخة الخزانة الظاهرية مع كثرة الطلب والتنقيب في فهارس الكتب العامة والخاصة ، ولا ننسى اننا سألنا قيم المكتبة الظاهرية أيام كوننا في دمشق عن مصدر هذه النسخة وتاريخ اقتنائهم لها فقال لنا : إن بعض المهاجرين من المدينة المنورة الى دمشق في الحرب الكونية الماضية ـ أي الحرب العالمية الاولى ـ وكانت الحرب قائمة في الحجاز وقد اخليت المدينة من سكانها ـ حملوا فيما حملوه من متاعهم بعض المخطوطات النادرة وكان من بينها هذا الجزء من معجم ابن الفوطي فاقتنيناه بثمن بخس دراهم معدودة ، ولم يكن مع أولئك المهاجرين غير هذا الجزء من اجزاء الكتاب ، فلهذه النسخة خصائصها ومن ذلك انها نسخة الاصل ومسودة هذا الجزء بخط مؤلفه وما ابدعه من خط !. وابلغ ما يقال فيه انه خط ابن الفوطي نفسه فهو من الخطوط المنسوبة كما وصفه غير واحد من المؤرخين ، وهو على الاجمال خط نسخي واضح جلي في عناوين الاسماء والالقاب دقيق في التراجم لا يخلو من اوهام طفيفة في في بعض قواعد الرسم والاملاء ، وتقع النسخة في مائتين وخمسين ورقة ، عدد التراجم فيها يربو على الفين وخمسمائة ترجمة أولها ترجمة عز الدين الحسن بن يوسف البغدادي الفقيه وآخرها ترجمة « القيل » وائل بن حجر الحضرمي . وعلى هذا يتراوح عدد الاجزاء التي يتألف منها الكتاب بين الستة الى الثمانية على أقل تقدير أكثرها مفقود ولا يقل عدد التراجم في هذا المعجم بمجموع اجزائه عن عشرين الف ترجمة ، وفي

---

(١) راجع مادة مجمع الآداب في كشف الظنون للحاج خليفة .

أضاعيف هـــذه النسخة وعلى حواشيها تعاليق وتخاريج بخط المؤلف الحقت بمواضعها من الـكتاب بعد تمامه بأعوام غير قليلة وقد جاء في ختام هذه النسخة ما هـــذا نصه « علقه جامعه ومصنفه وواضعه ومؤلفه عبد الرزاق بن احمد الفوطي الشيباني حرره في أواخر شعبان سنة اثنتي عشر وسبعمائة وصلاته على سيدنا محمد وآله وصحبه » .

هذه صورة نسب ابن الفوطي كما كتبه بخطه في آخر هـــذا الجزء ويلاحظ انه لا يضيف كلمة (ابن) الى (الفوطي) فلا يقول (ابن الفوطي) كما نقوله نحن اليوم والأمر في ذلك سهل فانه ابن الفوطي بالاضافة الى ابيه أو جده ، وتوجد صورة أخرى لنسب ابن الفوطي على نســـخة من تاريخ ابن الاثير نسخها ابن الفوطي بنفسه في بغداد ســـنة ٦٩١ تشتمل على حوادث سنة ٣٤٩ ـ ٣٦٢ وهي من أنفس مخطوطات المـكتبة الاهلية بباريس [1] . هـــذا وحسبنا أن نجاري قدماء المؤرخين والمصنفين مثل ابن معيـــــة الديباجي الحلي في اجازته ، وابن شاكر الـكتبي في فوات الوفيات، وابن عنبة في عمدة الطالب ، والحاج خليفة في كشف الظنون في رسمهم لهذه النسبة على الصورة المذكورة .

---

(١) جاء في آخر هذه النسخة من الـكامل ما نصه: « آخر الـكتاب الموسوم بالـكامل لابن الأثير في التاريخ والحمد لله حق حمده وصلاته على رسوله . كتبه المحتاج الى رحمة ربه عبد الرزاق بن محمد — لا أحمد كما جاء في المعجم — بن أحمـد بن محمد بن أحمد بن عمر ابن أبي المعالي الشيباني المعروف بالفوطي عفا الله عنه لسنة احدى وتسعين وستمائة بمحروسة مدينة السلام حماها الله مع سائر بلاد الاسلام وحسبنا الله ونعم الوكيل » ، ووصف مؤلف فهرست المخطوطات العربية الموجودة في المـكتبة الأهلية بباريس نسخة من الـكامل لابن الأثير تبتديء من سنة ٣٣٩ وتنتهي في سنة ٦٢٠ فقال : « كتابتها دقيقة ولـكنها بديعة للغاية متصل بعضها ببعض بقلم ابن الفوطي محمد بن أحمد الشيباني وكان خطاطاً شهيراً أنجزه ســـنة ٦٩٤ » . هـــذا ما جاء في الفهرست المذكور ، ولدينا نموذج من نسخة كتاب الاحكام بخط ابن الفوطي خطها دقيق متصل بعضه ببعض ينطبق عليه الوصف المذكور كما ستراه في موقعه من هذا الـكتاب .

ومن خصائص هذه النسخة بعد ذلك طائفة من المستدركات والتحقيقات والتخريجات ادخلت عليها فقد فرغ المؤلف من تحريرها سنة ٧١٢ كما رأيته ولكنه عاش بعد ذلك احدى عشرة سنة عني خلالها بتنقيح نسخته والتعليق على هوامشها وتصحيحها واضافة كثير من التراجم عليها منها ما وضعه في الهامش ومنها ما اقحمه في المتن بين السطور ، والتراجم الاصلية بخط دقيق كما يظهر جلياً من مطالعة النسخة ، وبعض هذه التراجم اضافها سنة ٧٢١ يدل ذلك على ما قاله عن (عين الدين) الذي صنع الصنعة وارسل بها الى السلطان سنة ٧٢١، ويستفاد من ذلك انه ثابر على العناية بمعجمه زيادة واستدراكا الى السنة المذكورة أي الى ما قبل وفاته بسنتين فقط وكان عمره اذ ذاك ثمانين سنة وهو من اندر ضروب نشاط الانسان [1] . الى هذا ونحوه مما يدل ابلغ دلالة على عناية تامة بتنقيح كتابه وتحقيقه وضبطه حتى نهاية شيخوخته، ومما هو جدير بالذكر أن خطه لم يتغير وبقي كما كان خطاً جميلا نفيساً الى النهاية كما تشهد بذلك آخر تعليقاته على الكتاب ، واذا ما قارنا بين ما وصل الينا من المخطوطات التي ورقها ابن الفوطي في مصنفاته وغيرها ولدينا منها جزء من تاريخ الكامل لابن الاثير وكتاب الاحكام لابي سعيد والجزءان الرابع والخامس من تلخيص

---

(١) أنظر (٤/١٣٠) ، وانظر ماقاله عن قاضي سمنان الذي رآه فى سوق الكتب سنة ٧٢٢ أي قبل وفاته بسنة واحدة (٤/١٣٦) ، وانظر ما قاله عن قطب الدين يحيى بن محمود الجامي ثم النيسابوري شيخ خراسان وهو صوفي قدم الى العراق سنة ٧٢٠ أي قبل وفاة المؤلف بثلاث سنوات وبعد الفراغ من تسويد المعجم بثماني سنوات (٤/٢٣٥) ومثل ذلك ما قاله عن ابن تغلب البغدادي من الكتاب المعاصرين له وهذا نصه « رأيته سنة ٧٢٠ وهو من الكتاب المتصرفين » (٥/٦٧٧) وقال فى ترجمة فخر الدين السندسي الحلي ما نصه « قدم بغداد سنة ٧١٦ واجتمعت بخدمته وسألته عن مولده فذكر لي انه ولد سنة ٦٩٢ وجده لامه شيخنا نجم الدين جعفر بن محمد بن نما » فهذه الترجمة من التراجم التي ألحقها بمعجمه بعد الفراغ من تسويده بأربع سنوات وهو اذ ذاك يحبو الى الثمانين ومثل هذا النشاط فى البحث والتأليف نادر في المؤلفين والمؤرخين .

مجمع الآداب ظهر لنا فرق واضح في خطه على عهد شبابه فانه خط غير بالغ الجودة كما نراه في كتاب الاحكام فإن ابن الفوطي فرغ من نسخ هذا الكتاب سنة ٦٦٨ في محلة (الخاتونية الخارجة) من محال بغداد وقد عاش بعد ذلك أكثر من خمسين سنة اكتسب فيها خطه جودة عظيمة كما نراه في نسخ الاصل الباقية من معجمه في التاريخ .

مثال من الدقة والتحقيق

تبدو لنا عناية المؤلف بالدقة والتحقيق والضبط والتصحيح على كل صفحة من صفحات هذه النسخة ، ومعنى ذلك ان ابن الفوطي افرغ وسعه في اداء واجبه العلمي كما تقتضيه طريقة المحققين من أهل العلم فاذا شك بعد الفراغ من تحرير نسخة الكتاب في صحة بعض الاسماء أو الالقاب أو ظهر له ما يدل على نقص بعض التراجم أو الابواب أو لاحظ شيئاً من الخروج عن الصدد في البحث بادر الى التحقيق وعلق على هامش النسخة تعاليق تدل على ذلك [1] الشك أو النقص أو الوهم أو الخروج عن الصدد معززاً ذلك بالاشارة الى الوجه الصحيح جرياً على طريقة المحققين من العلماء ، ومن الامثلة على ذلك :

ـ كتب المؤلف على هامش صفحة ترجم فيها الملقب عماد الدين هذه العبارة « يحقق الاسم وهو الحسن » .

٢ ـ كتب بخطه على هامش ترجمة ما هذا نصه « هو ابن عزيز الدين قدمنا ذكره قبل عماد الدين تكرر ذكره [2] » .

---

(١) (٥/٧٨ ، ٨١ ، ٢٠٢ ، ٢٣٩ ، ٣١٣ ، ٣١٦ ، ٣٢٣ ، ٣٦٥ ، ٣٧٦ ، ٣٩٤ ، ٤٠٣ ، ٤٣٧) .

(٢) (٤/٩٦) من رقم نسخة المؤلف .

٣ ـ كتب على هامش بعض التراجم هذه العبارة (يحقق الاسم [١]) ،

٤ ـ جاء بخطه على حاشية الكتاب في باب الفاء ما هذا نصه « ويلحق بالباب فوارس الاربع عمر بن الحصين ومالك بن الحصين وعمير بن الحصين بن يزيد بن شداد. وفوارس الاعراب جفنة وقطن وسلمة ودريد أولاد ربيعة بن مالك » .

٥ ـ خرج بخطه تعليقه على ترجمة أبي القاسم علي بن محمد بن يحيى العلوي الخراساني النقيب هذه العبارة « تذكر ترجمته في تاريخ خراسان » ، ومن ذلك يستفاد انه ألف تاريخاً للاقليم المذكور ولم نجده في قائمة كتبه المعروفة .

٦ ـ خرج مقابل ترجمة عماد الدين أبي الحسن علي المعروف بالكيا الهراسي المدرس ما هذا نصه « هذا الكيا الهراسي قدّم قبل الكاتب القمي وقد علّمت عليه وهو يقابل النقيب الخراساني ، ومن حقه أن يكتب في مراعاة الجد فاني لم أعلم أن اسم جده علي [٢] » .

٧ ـ علق بخطه على ترجمة عميد الدين عبد المطلب بن علي بن المختار النقيب وهو من صدور العراق الذين اتصل بهم ما هذا نصه : « وقد ذكرته في التاريخ وتوفي وانا يومئذ في اذربيجان سنة ٧٠٧ [٣] » ولم يسم ابن الفوطي كتاب التاريخ الذي ذكره فيه ونرجح انه معجمه الكبير الذي اختصر منه هذا الكتاب .

---

(١) (٤/١٢٠) .

(٢) للكيا الهراسي هذه ترجمة مفصلة في وفيات الأعيان (١/٣٢٧ — ٣٢٩) يستفاد منها صحة ما لاحظه ابن الفوطي عن نسب الهراسي ، وفي الترجمة شرح معنى كلمة (كيا) بالاعجمية ، وفي هذه الترجمة عدا ذلك فوائد عن مختلف الآراء في يزيد بن معاوية .

(٣) وقد ترجم له ابن الفوطي ترجمة مبسوطة وهو من أجَلّ معارفه وأصدقائه بعد إيابه الى العراق وتجد الاشارة الى ذلك في محلها من هذا الكتاب وراجع عمدة الطالب (٣٠٨) وروضات الجنات عن ابن المختار النقيب .

٨ ـ ورد في المتن نسب (مكلم الذئب [١]) أبو عقبة أهبان بن الاكوع فصححه بما نصه « أهباط بن اوس الاسلمي [٢] » .

٩ ـ خرج على عنوان (معين الدين علي بن محمد بن علوان بن مهاجر الوزير بسنجار) ترجمة ضافيه لا أثر لها في المتن ، والظاهر انه عثر على الترجمة المذكورة بعد الفراغ من الكتاب [٣] .

١٠ ـ جاء في باب العين لقب (عصفور الشوك) وهو محمد بن داود الاصفهاني المحدث صاحب كتاب الزهرة علق على الترجمة بخطه هذه العبارة « ليس من شرط هذا الكتاب » ، هذا كل ما علق به على هذه الترجمة ولم يزد على ذلك ولا نعرف لماذا يخرج مصنف كتاب الزهرة عن شرط كتابه مع انه من مشاهير الأدباء المصنفين في الشعر والأدب وهو مصنف كتاب الزهرة [٤] ، والمرجح أن محمد بن داود الاصفهاني لم يكن معروفاً باللقب المذكور .

١١ ـ أعجم المؤلف حرف السين من كلمة (أبي الاسد) بثلاث نقط فوق السين وتحتها كذلك وكتب عليها بعد ذلك بخطه هذه الكلمة (معا) وهو يقصد انها رويت بالاهمال والاعجام [٥] .

١٢ ـ زاد في هامش ترجمة محب الدين بن عبد الله بن محمد ابن أبي بكر الطبري

---

(١) (٥/٧٤٣) .

(٢) وهو كذلك في كتاب الاستيعاب لابن عبد البر (١/٣١) .

(٣) جاء في الترجمة المستدركة ان معين الدين من أهل تكريت ثم من الموصل وزر بسنجار . بني بالموصل في (سكة بني أنجح) داراً للحديث وقف عليها الوقوف الحسنة . انظر ايضاً (٥/٦٧٩) وفي هامش هذه الصفحة من الجزء الخامس ملاحظة عن والد معين الدين المذكور وهو على الأرجح الملقب كمال الدين ابن مهاجر المترجم في حرف الكاف من هذا الجزء (٢٦٤) .

(٤) فى خزانة كتب المؤلف جزء مخطوط من كتاب الزهرة .

(٥) (٥/٧٦٥) .

ما هذا نصه « يشك في نسبته الى الطبري »[1] .

١٣ ـ وقال وهو يذكر لقباً لقب به طلحة بن عبدالله : (قد تقـــدم ذكره في القابه المتقدمة .

الى هذا وامثاله من التعليقات التي يستفاد منها مبلغ عناية ابن الفوطي بالتحقيق وأخذ نفسه بالضبط والدقة .

ابن الفوطي المؤرخ

لابن الفوطي في سرد الاحداث ووصف الاشخاص اســلوب شائق أخاذ تنكب فيه طريقة المقلدين من المؤرخين في التصنع والمبالغات وأعرض عن منهجهم في التزيد والتهويل . ولا عجب . فانه شهد حركة من أعظم الحركات الانقلابية في التاريخ ووصف جيلا حديثاً اندمج اندماجاً كلياً فيه وأرخ حضارة أو دولة كان أحد العاملين في إنشائها . فما كان ابن الفوطي ناقلا عن كتب أو مستنداً الى روايات فحسب أعني أنه ما كان يؤرخ اقوالا محكية بل أعمالا واقعية واحــــداثاً عيانية سياسية وحربية واجتماعية بلغت شأواً بعيداً من الخطر ، ولنا أن نقول ان ابن الفوطي كان حركة دائبة في مـــدة طويلة تناهز الـ سبعين سنة أو في دولة ظافرة تتجدد شؤونها واحداثها في كل يوم فما كان يفوته وصف مشهد أو تدوين حادثة أو ترجمة شخص اجتمع به وذلك بأوضح عبارة وأبسط اسلوب ، الى هذا ونحوه مما لم يتيسر لابن خلدون أو لغيره من المؤرخين الا نادراً ، ولم يكن ابن خلدون دون ابن الفوطي ذكاء واجتهاداً ولـكن عاش كل منهما في أحوال تختلف عن الأحوال التي عاش فيها صاحبه . وبين هذين المؤرخين

---

(١) ج ٥ : تراجم هذه المادة .

فروق بعيــدة وهي في الواقع فروق بين بلدين ومزاجين وفلسفتين الى غير ذلك .
والخلاصة : كان ابن الفوطي بمثابة لوحة حساسة من هــذه الالواح الناقلة ترتسم على صفحاتها شتى صور الحوادث والاشخاص .

ابن الفوطي وابن خلدون

ومن الاقدار المشتركة بين هذين المؤرخين أن كلا منهما نشأ في عصر عصيب انحلت فيه دول اسلامية عدة واضمحلت فيه سيادة الاسلام في جملة من الاقطار ففي الغرب تم للافرنج اخراج المسلمين من الأندلس وانحلت غير دولة من دول الاسلام في تلك البلاد واجتاز عدد لا يحصى من الاندلسيين مضيق جبل طارق الى المغرب الاقصى والاوسط والى افريقية وكانت هذه الكلمة تطلق على البلاد التونسية ومنيت الثقافة الاسلامية أو العربية بما منيت به في الديار الاندلسية .

نشأ ابن خلدون في اعقاب هذا العصر العصيب ونشأ ابن الفوطي في عصر عصيب مثله في الشرق وهو عصر سابق على عصر ابن خلدون باكثر من مائة سنة فابن الفوطي نشأ في عصر الطاغية هولاكو وابن خلدون نشأ في عصر تيمورلنك والخلاصة : أدرك ابن الفوطي في حداثته انحلال الخلافة العباسية واجتياح المغول للمشرق وفي جملته العراق حتى اصبحت هذه البلاد جزءاً صغيراً من مملكة المغول وخلت غالباً من العلماء والأدباء وفقد المؤلفون والمصنفون والباحثون وجرى على حملة الفنون والعلوم ما جرى من التقتيل والتشريد ، هذا ومن الاقدار المشتركة بين هذين المؤرخين بعد ذلك عناية الباحثين المحدثين أو المعاصرين بسيرة كل منهما ، وما اكثر من عني من هؤلاء بالكتابة عن ابن خلدون حتى ظهرت دراسات ومؤلفات متعددة عنه في الغرب والشرق على حد سواء ، وقــد ظفر ابن الفوطي بعناية عدد غير قليل من الباحثين المعاصرين ، ولعل أول من طرق باب البحث عنه بشيء من التبسيط والتفصيل مؤلف هذا الكتاب .

كانت الناحية التاريخية الفلسفية في تفكير ابن خلدون أول ما عني به الباحثون الغربيون ، أما الناحية الاجتماعية فقد لفتت انظار طائفة من العلماء بعد ذلك وظفرت بعناية منهم تفوق عنايتهم بنواحي تفكيره الأخرى ؛ ويلاحظ منذ أواخر القرن التاسع عشر أن آراء ابن خلدون شغلت بال الباحثين المعاصرين واشتهر شغف الأدباء والمؤرخين بهذا الموضوع في الفترة الأخيرة .

طرائف ابن خلدون

١ — ملاحظاته من تفاعل الجماعات ، ففي هذا الموضوع يرتفع ابن خلدون الى ذروة الفلاسفة الاجتماعيين ، وآراؤه في هذا الباب عن الاقوام الغالبة والمغلوبة أو الضعيفة والقوية على جانب من الحظ والطرافة .

٢ — ثانياً ملاحظاته عن أثر البيئة والمحيط تدل على أنه أدرك مغزى قانون التكيف حسب البيئة ومقتضياتها وذلك قبل أن يفطن اليه « دارون » بخمسة قرون .

٣ — ملاحظاته المقارنة بين الانسان والحيوان في بعض سنن الكون أو القوانين الطبيعية والاجتماعية العامة مما يدل على أنه عرف مبدأ وحدة المادة قبل أن يعرفه بعض الفلاسفة المتأخرين ، والخلاصة : يعتبر ابن خلدون أول باحث مسلم عني بدراسة الظواهر الاجتماعية باتزان ملحوظ وابتكر في هذا الموضوع آراء دقيقة ؛ ومقدمته على ما يقول غير واحد من الباحثين خلاصة ما قيل عن السنن الكونية ، ويحتوي على فصول شتى وبحوث طريفة في فلسفة الاجتماع والتاريخ والعمران .

٤ — طريقته في تمحيص الروايات ومناقشة الاخبار وعرضها على الموازين الصحيحة وعلى ما جرت به العادات وأقرته العقول [1]

---

(١) واجع فصلا عن طريقة ابن خلدون المذكورة وورد في الجزء الأول من هذا الكتاب ١٩٨ — ٢٠٠ .

انفرد ابن خلدون بين المؤرخين القدماء كافة بنظرته الخاصة الى التاريخ فانها نظرة تختلف عن نظرة جمهرة أولئك المؤرخين ، فالتاريخ في نظرهم عبارة عن سرد الأخبار والاحداث ، ويعتبر ابن خلدون واضع فلسفة التاريخ كما اعترف بذلك كثير من علماء الاجتماع الذين عنوا بتحرير نظرياته الاجتماعية وقارنوها بنظريات اقطاب علم الاجتماع المحدثين، وكان المعتقد أن الباحثين الغربيين هم أول من فطن الى فلسفة التاريخ ومبادىء علم الاجتماع والعمران واصول الاقتصاد السياسي فظهر ان ابن خلدون سبقهم بعصور الى اثارة كثير من هذه الموضوعات بحذق وبراعة ، هذا ولم نجد فيما وصل الينا من تراث ابن الفوطي مثل تلك الطرف المأثورة عن ابن خلدون في فلسفة الاجتماع والعمران وان لم تخل من لمحات قليلة الى ذلك ، وليس معنى هذا أن مصنفات ابن الفوطي الضائعة خالية بتاتاً من الآراء الطريفة في فلسفة التاريخ .

التصوف وخيال المتصوفة

ومع كون ابن الفوطي معدوداً من الفلاسفة ومن طبقة المحدثين والحفاظ أيضاًفانه صوفي المشرب بل كان خياله صوفياً بحتاً ولا يقل عدد مريديه ومشايخ اجازته في التصوف [1] عن عدد اساتذته ومشايخ اجازاته في الفقه والحديث ، وله طريقته الخاصة في التصوف وكان يتذوق الاشياء كما يتذوقها الفنانون ويجاهر في كتبه بانه ممن يتذوق الجمال والموسيقى والشعر وغيرهما من الفنون [2] ، وقد عني بترجمة عدد من الاعلام في فنون الموسيقى الآلية والصوتية وكانت له خبرة عملية في الموسيقى ، ومن الأدلة على ذلك اشارته الى قصيدة معاصره الأديب المراغي المدعو معين الدين الطنطراني التي مطلعها :

---

(١) يراجع عن بعض هؤلاء المشايخ (٢٠٤/٤ و ٢٠٩ — ٢١٠ و ٢٢٦) .

(٢) انظر ما كتبه عن أحفاد المستعصم الذين كان يراهم في مكتبه بتبريز (١٨٨/٤) وانظر عن الأمير الذي تحدث الناس عنه وعن جماله لما ركب (٢١٠/٤) وعن إشادته بجمال الغلمان والمماليك (٢٢٩/٤) وانظر اشارته إلى المماليك الملاح (٥٩٩/٥) وفي ترجمة قوام الدين نصر بن يوسف القزويني القاضي نراه يقول « كان نادرة وقته في لعبة الشطرنج » رآه بمراغة سنة ٧٠٠ ثم لما ورد بغداد رآه فيها ثم روى له بعض الأبيات (٤/ق ١٣٩/٣) .

يا خلي البال فد أقرحت بالبلبال بال   بالنوى زلزلتني والفعل [1] في الزلزال زال
يا رشيق القد قد قوست قدي فأستقم   في الهوى وافرغ فقلبي شاغل الاشغال غال

وقد سماها « القصيدة المرجعة المصنوعة » أو كما يقال في مصطلحات الموسيقى هذا اليوم : « القصيدة الملحنة » فهو خبير بالفن المذكور وقـد ختم المؤلف ترجمة الأديب المذكور قائلا : ذكرته في كتاب نظم الدرر الناصعة في شعراء المائة السابعة ، وكانت وفاته في صفر سنة ثلاث عشر وستمائة [2] .

الى ذلك فيما نرى مرد شيء من العبث فيما وصل الينا من نسخ مؤلفاته المخطوطة وربما كان هذا الضرب من العناية بتاريخ الفن من اسباب تحامل بعض المؤرخين والمؤلفين عليه كماستراه هذا وقد يبلغ شغفه بالتصوف والمتصوفة حد التهوس فهو يلهج بذكر الصوفية الفقراء [3] وهي نزعة من نزعاته القوية التي نشأت عن وجوده في ديار العجم على الاكثر في ذلك العصر ، وتكثر في معجمه أسماء الاعلام الاعجمية للاشخاص والبلدان وانك لتشعر أحياناً بأن المؤلف ينقلك الى بيئة أعجمية أو تركية أو مغولية ، ونلاحظ من خبرته الواسعة بتبريز واذربيجان واران وأهلها وحكامها انه أنجز عدة من تصانيفه ومنها بعض أجزاء معجمه هذا في تلك البلاد [4] ، وكانت بعض أساليبه الاعجمية في الترسل تتعدى المفردات الى العبارات والاساليب [5] . وذلك لكثرة من اجتمع بهم أو عاشرهم أو أخذ عنهم من علماء العجم والاتراك ومع ذلك لم تتأثر لغته وأساليبه الكتابية ولم تتغير تغيراً يذكر بهذا الاختلاط الطويل .

والواقع أن ابن الفوطي كان صوفياً [6] من الزهاد نقل الينا صوراً من أوضاع الصوفية وعاداتهم وغرائبهم في عصره . ومن بحثه عن الصوفية علمنا أن من وظائفهم حفظ أقوال مشايخهم وعهودهم ووصاياهم واعادتها على اتباعهم تكراراً في المجالس والحفلات ، وكتابه حاو

---

(١) الكلمة محرفة والغالب ان أصلها العقل .

(٢) (٥/٦٥١ — ٦٥٢) وانظر عنه ترجمة محي الدين الحسن بن صدر الدين المراغي في الجزء (٥/٣٦٦) .

(٣) (٥/٥٦٠) .   (٤) (٤/٩٦) .

(٥) (٤/ق ٣/٢ ل) .   (٦) (٥/٥٨٥) .

لاذكارهم واورادهم جامع لرقائقهم ومواعظهم وحكاياتهم وفكاهاتهم وما الى ذلك ، ومن مناقب الرجال عنده محبتهم للصوفية وتكثر في كتبه هذه العبارة « كان محباً للصوفية[1] ، وقـد ترجم في معجمه لصوفي يسمى « قطب العالم الرازي أبو الفقراء » ترجم له عن شيخه البيهقي ترجمة لا تخلو من الغرائب وفيها نبذة عن فنون صوفية الاتراك الذين شاهدهم يستعملون آلات الحديد والسلاسل والعصا والدبوس .

هذا ما ذكره ابن الفوطي في ترجمة هذا المتصوف وهو من أقدم ما وصل الينا عن تأريخ عادات بعض المنتسبين الى الصوفية وهي عادات باقية الى اليوم في بعض البلاد الشرقية[2] ولكنها عادات لا تمت الى التصوف الاسلامي في أول عصوره بصلة . ويبدو لنا أن من خصائصه وخصائص عصره والعصور الاخيرة للدولة العباسية الهيام بالصور الجميلة الى حد التهوس والافراط ولم يحجم بعض المؤرخين المعاصرين له أو القريبين من عصره كابن الساعي[3] وابن النجار وطبقتهما من المؤرخين عن الاشارة الى ذلك ، ولا يخلو كتاب الحوادث الجامعة من التنويه بالجمال وأهله في ذلك العصر ، وفي معجم ابن الفوطي ترجمة لصوفي يموت ملقياً نفسه بالنهر تهوساً بالجمال[4] والصور الجميلة ، ولا يخلو هذا المعجم من تراجم لبعض معاصريه من العشاق ، ويلاحظ أن ابن الفوطي نشأ وعاش في الاقاليم الواقعة الى الشمال من هذه البلاد وفي مناخ بارد خالط فيه أجناساً وشعوباً وصفت بجمالها البارع الاخاذ ومن جملتها الكرج والارمن وبعض اجناس الترك والاكراد وقد انعكس ذلك على صفحات تآليفه التاريخية ، والى هذا فيما نرى مرد عنايته بالاشارة الى الصور الجميلة صور المماليك والامراء

(١) (٥/٥٩٨ — ٥٩٩) .

(٢) انظر الجزء (٤/٢٢١) من النسخة الاصلية عن بعض هؤلاء الصوفية .

(٣) (الجامع المختصر لابن الساعي (٩/٤٠) .

(٤) (٥/٥٧٤ /٦٦٢) .

وغيرهم ممن شاهدهم ووصف جمالهم أو أشار اليه في معاجمه ومؤلفاته [1] ، وكان كثير من هؤلاء المماليك يجلبون من بلادهم بالشراء والسباء أو الاسترقاق والأسر في الحروب وهي أمور معروفة في العصور العباسية وما بعدها . ولا شك ان ابن الفوطي لم يؤخذ بجمال الشعوب المغولية التي عاش بين ظهرانيها ، وهل عرف الجمال في المغول ؟ فان ملامح المغول وملامح قبائلهم الزاحفة على الشرق في عصر ابن الفوطي ملامح تغلب عليها البشاعة وهل وهب الجندي المغولي الفظ شيئاً من لطف المنظر وهو الجندي الذي يثير مرآه ما يثيره من الرعب والفزع ؟ والخلاصة : من السهل تعليل ما ورد في تاريخ ابن الفوطي وتواريخ بعض المعاصرين له من المؤرخين أو القريبين من عصره أو من هم في طبقة شيوخه وشيوخ شيوخه ، كابن النجار وابن الساعي وسبط ابن الجوزي صاحب مرآة الزمان [2] الى غير ذلك من اكبارهم للصور الجميلة ونعتهم لها ووصفها على هذه الصورة .

ابن الفوطي الوراق ـ ا ـ الموهبة الخاص

كان ابن الفوطي وراقاً بل كان إماماً في فن الكتابة والوراقة ولا يكون إماماً

---

(١) قال في ترجمة أحد معارفه من الاتراك ما يأتي « كان شاباً كيساً عاقلا مليح الصورة » المعجم (٥/١٦٦) وراجع الصفحة الآتيـة من الجزء المذكور (٥/١٦٥) وفيها يقول « كان (سوسيان) في غاية الحسن والجمال » وفي الجزء (٥/١٥٦) عن بهرام شاه « أمير جميل الشكل حسن الصورة » وراجع ٥٨٥ و ٥٩٤ و ٦٣٥ حيث تجد فيها عبارات تنم عن تقدير الجمال والصور الجميلة .

(٢) قال سبط ابن الجوزي في حوادث سنة ٦١٧ ما يأتي « فيها قتل آقباش بن عبد الله الناصري اشتراه الخليفة وهو ابن خمس عشرة سنة بخمسة آلاف دينار ولم يكن بالعراق اجمل صورة منه ولم يكن يفارقه ولما ترعرع ولاه امارة الحج والحرمين » ، هذا ما قاله سبط ابن الجوزي ويلي ذلك فصل يتضمن ذكر الحادثة التي قتل فيها هذا المملوك الناصري وكيفية قتله في مكة وحزن الخليفة البالغ عليه ، ومن الطريف أن سبط ابن الجوزي غمز الخليفة ودار الخلافة على الاكتفاء بالحزن المجرد في هذه الحادثة التي قتل فيها أمير الركب العراقي والحجاج العراقيون فقال (لم يخرج الموكب للقاء الحاج وادخل الكوس والعلم في الليل ولم تنتطح فيـه عنزان وقد كان أولى أن تتناطح الكباش » انظر مرآة الزمان ط حيدر اباد (٨/٦١٠ — ٦١١) .

فيها إلا من اشتهر بجودة الخط والضبط ، ومما يدل على خبرته في هذا الفن ما قاله عن ابن الصاغاني اللغوي المشهور وهذا نصه : « ان خطه يشبه خط والده » ، فابن الفوطي متولع بفن المقارنة بين الخطوط خبير بهذا الشأن (1) ، والوراقة هي المهنة التي كان ابن الفوطي يرتزق من مزاولتها على الاكثر ، والادلة أو الامثلة على ذلك كثيرة في معجمه من ذلك اولا . قال في ترجمة عماد الدولة (2) أبي الخير ابن موفق الدولة غالي ابن أبي شجاع الهمداني الحكيم الطبيب « رأيته في مراغة عند اخيه امين الدولة التمس مني ان اكتب له (كتاب الزبدة الطبية (3) المجدولة) سنة ٦٦٦ فكتبتها له » ، ومعنى هذا انه كان يزاول مهنة الوراقة وهو ابن ثلاث وعشرين سنة ثانياً . قال في ترجمة ابن الجمل النسطوري الكاتب ما نصه: « له تذكرة كتبت منها بعض وريقات (4) » ثالثاً . ورد في بعض تراجم المعجم : « ابن أبي زيادة من سادات خراسان استوطن تبريز وجاء ابن طاووس لتصحيح نسبه وقدم بغداد سنة ٧٠٧ وكتبت له نسبه (5) » فالمؤلف يحترف كتابة الوثائق والكتب والمؤلفات في شتى الموضوعات .

أفادت ابن الفوطي مزاولته هذه المهنة وكثرة ما ورقه من الكتب ونسخه بخطه لنفسه أو توريقاً للناس فائدة كبرى جعلت تصانيفه غزيرة المادة جمة الفائدة (6) . فانه اعتبر عدداً ضخماً من المخطوطات قراءة ومطالعة ودرسها أحياناً دراسة جيدة مكنته

(١) راجع عن مقارنته بين الخطوط (٤/١٢٤ ، ١٨٦) .

(٢) (٤/ مادة عماد الدولة) .

(٣) في كشف الظنون ط . الاستانة الحديثة (٢/ العمود ٩٥٢) ما يأتي : « زبدة الطب : للخوارزمشاهي هو لزين الدين اسماعيل بن الحسن الحسني الجرجاني الطبيب المتوفى سنة ٥٣١ وهو مجلد يشتمل على حقائق الابدان الظاهرة ودقائقها الباطنة » .

(٤) (٤/١٧٤) .

(٥) يراجع فصل الانساب .

(٦) انظر عن بعض الفوائد التي ينقلها عن خطوط الأدباء (٥/٥٦٦ ، ٥٦٨) .

غالباً من ترجمـــة الناسخ و المؤلف معاً وترجمة من له قراءة أو سماع . أو رواية على ظهر الـكتاب في دفعة واحدة .

من ذلك نعلم ان تصفح الـكتب التي تسنى له تصفحها بحكم مهنته أو بحكم اعماله في دور الـكتب الـكبرى كمـكتبة المستنصرية في بغداد أو مكتبة دار الرصد في مراغة الى مكتبات أخرى عامة وخاصة من أهم مصادر تصانيفه فان تلك الـكتب والمجاميع لا عدد لها ، ولذلك رأينا مادة معجمه هـــذه غزيرة لا تنضب كما أن معين نشاطه ليس له نهاية .

مهنة التعليم

كانت حرفة الوراقة في عصر ابن الفوطي والعصور المتأخرة التي تليه تقترن أحياناً بحرفة أخرى هي حرفة التعليم والتأديب تأديب الاحداث وتعليمهم الخط والقراءة والتلاوة وما الى ذلك ، وما نشك ان ابن الفوطي اتخذ مكتباً أو مدرسة خاصة به ، ومن هذه الناحية نراه يعنى كثيراً في تصانيفه بسيرة المعلمين والمؤدبين من هذا القبيل [1] . كما يعنى بسيرة الوراقين والناسخين وقد ترجم لاحد فقهاء المستنصرية بأنه كاتب ناسخ قائلا : « كتب لنفسه ولغيره جملة من الـكتب الدينية والادبية من المطولات والمتوسطات والمختصرات وجمع اشعار تقي الدين ابن المغربي » ثم اثنى على خطه وضبطه وما الى ذلك [2] ، وكان لابن الفوطي مساعدوه في الوراقة ينسخون معه مدة مقامه في بغداد.

وقد لاحظنا أن ابن الفوطي دقيق النظر في معرفة نسخ المخطوطات وما تمتاز به بعض هذه النسخ عن بعض ، وربما اقتنى نسخاً عدة من كتاب واحد مع اشارته الى مميزات

(١) انظر (٤/١٩٥ ، ٢٢٣) .
(٢) (٤/٣٢) .

كل نسخة من النسخ المذكورة[1] . والخلاصة : كان يعنى جداً بالاشارة الى النسخ الممتازة من الكتب التي يطلع عليها أو يقتنيها والمظان التي توجد فيها من المكتبات العامة والخاصة ، فهو الناسخ الوراق الذي يعنى بالنسخ المختارة من المخطوطات وبانسابها وتواريخها ومظان وجودها وما الى ذلك ، والامثلة في كتبه من هذا القبيل كثيرة[2] ، ومجمل القول : لابن الفوطي مصادر خاصة يستمد منها مادته في التاريخ لا نعرف احداً شاركه فيها ، ومن مصادر مؤلفاته — عدا الكتب والمجاميع — خطوط العلماء والادباء وتعاليقهم عليها أو على بعض صفحاتها فأذا قرأ قطعة بخط أديب أو فصلا بخط عالم عرف بها قائلا : « قرأت بخطه أو نقلت عنه » ثم نقل لك تلك القطعة أو الفصل ولكنه لا ينقل كل شيء بل يقتصر على النافع المفيد وعلى المنتخب المختار من الشعر أو النثر أو من جوامع الكلم والآداب .

فابن الفوطي أديب ذواقة وهب حسن الاختيار وتذوق الفصول والقطع الادبية الجيدة

---

(١) من الامثلة على ذلك ما جاء في ترجمة مثبتة في معجمه هذا نصها : « قوام الدين محمد بن عزيز بن علي القاضي الرئيس صنف له افضل الدين الكاشي الحكيم كتاب مدارج الكمال الى معارج الجلال » وقد قرأ ابن الفوطي على نسخة من الكتاب بيتين في مدح المؤلف المذكور من انشاء نصير الدين الطوسي (انظر / ٤ ال) من نسخة المصنف .

(٢) من هذه الامثلة ما جاء في كلامه عن أحد المحدثين وهذا نصه : « قوام الدين نصر بن موسى الواسطي المحدث عنده ديوان عز الدين عبد الحميد ابن أبي الحديد بخطه حدث عنه شيخنا بهاء الدين علي بن عيسى الاربلي » (٤/١٣٩) وقال في ترجمة قوام الدين يحيى ابن أبي الفضل المفسر ما نصه : « له التفسير الجامع للفقه والمعاني في عشرين مجلدة رأيته في خزانة مولانا نصير الدين وله تصانيف » (٤/١٦١) ، وقال في ترجمة لاحد معارفه الذين رآهم في ارجان من بلاد اذربيجان ما هذا نصه : « كتبت له نسخة من مشيخة شيخنا كمال الدين عبدالعزيز المراغي قاضي مراو » (٥/٥٩٢) وقال في آخر ترجمة أحد أمراء البطائح : « رأيت للبطائح تاريخاً حسناً صنفه القاضي المذاري » (٤/١١٩) وهي جملة معترضة تدل على ولعه بالتاريخ وشدة طلبه للكتب المصنفه فيه والخلاصة : أكثر ابن الفوطي من غشيان دور الكتب للمطالعة والنسخ والبحث عن الكتب النفيسة النادرة والنقل عنها واذا نقل عن كتاب عني بالاشارة الى دار الكتب التي يوجد فيها في كثير من الاحيان .

نظماً، ونثراً، وعلى من يترجم له أن يترجمه على أنه أديب فضلا عن أنه من عظماء المؤرخين ومع ذلك لا يخلو كتابه من احماض وفكاهات تبلغ حد السخف في بعض الاحيان[1]. ولنا أن نعتبر هذا المعجم من مؤلفاته تاريخ دولة المغول وتاريخ البقية الباقية من العباسيين بعد زوال الدولة العباسية. هذا من ناحية التاريخ ولنا أن نعتبره من ناحية أخرى معجما من معاجم الأدباء أو أصلا مهما من الاصول والاسفار الأدبية لكثرة ما يتضمن من المختارات الادبية الرائعة، ويبدو لنا من تصفح المصادر والمراجع في كتابه أنه اقتنى جل تصانيف فريق من ائمة الأدب قدمائهم ومتأخريهم، ولا يبعد حسب ما يبدو لنا من كتابه أنه اقتنى جميع تصانيف الصولي الأديب المشهور صاحب كتاب الأوراق وكافة كتب العماد، الكاتب الاصبهاني صاحب الخريدة والبرق الشامي وغير ذلك، وهكذا جميع مؤلفات الصابي صاحب التاريخ، ومثل ذلك مؤلفات ياقوت الحموي ومؤلفات كثير غير هؤلاء، وهو مؤرخ الثقافة والحضارة في العالم الاسلامي من أقدم عصورها الى نهاية عصره[2]، ولنا أن نعتبر معجمه أصلا من أجل أصول الأدب لكثرة ما تضمن من المختارات الأدبية الرائعة. هذا ويعنى مضافاً الى ذلك بتراجم اصحاب الاعمال من تجار وبناء وصناع على شكل مليء بالفوائد الاقتصادية والتاريخية والاجتماعية ومن جملة ما عني به المؤلف في معجمه هذا أنه أراد تدوين سيرته خاصة والاشارة الى الصلات والعلاقات التي تربطه بكثير من الاعلام الذين ترجم لهم فكانه في كثير من الابواب يقصد الترجمة لنفسه أولا وبالذات ثم لغيره ثانياً وبالعرض ولم يكن ذلك من قبيل الاعتداد بنفسه أو التحدث عن شخصه فان اخلاقه أسمى من ذلك ولكنه كثير الاخذ والدرس عمن أخذ عنهم من الناس مدى عمره كما كان كثير التنقل والاسفار في ممالك

---

(١) (٥/٦٠٧).

(٢) (٥/٥٨٠).

المغول وخصوصاً بين العراق واذربيجان وسائر بلاد العجم اضف الى ذلك انصرافه الى الوراقة ونسخ الكتب وتنظيم دورها والعناية بخزائنها وتدوين المذكرات ، وكتابه تلخيص مجمع الآداب من هذا القبيل، ومجمل القول : يعنى ابن الفوطي مضافاً الى عنايته بالتاريخ وسير الناس على الطريقة المألوفة في كتب المؤرخين واصحاب الاخبار والسير والطبقات نقول يعنى مضافاً الى ذلك بتراجم طبقات من الناس عناية خاصة هي :

١ — طبقة رجال الديوان والعمال والمستخدمين .

٢ — طبقة الصوفية .

٣ — طبقة الوراقين والناسخين

٤ — طبقة المعلمين والمؤدبين .

٥ — طبقة المحدثين والفقهاء .

٦ — طبقه ذوي الفنون والصنائع الجميلة .

يعنى بذلك كله على وجه امتاز به عن بقية المؤرخين غالباً ، ولسائل أن يسأل : لماذا خص ابن الفوطي هذه الطبقات بعناية فائقة على غيرها فنقول في الجواب : لأنه اندمج في كل طبقة منها وانتسب بكليته اليها واخلص في العمل لها وذلك على هذا المنوال .

١ — فالى كونه أحد العاملين في مصالح الدولة مع الرؤساء والزعماء من رجال الادارة العامة والى قيامه باعباء المهام والمناصب التي اسندت اليه في مصالح الاوقاف وتنظيم دور الكتب وغير ذلك من المصالح الحكومية مرد عنايته بأخبار رجال الديوان والاعمال والحكام والقضاة وكبار المتصرفين في الشؤون العامة من اقتصادية وادارية وعمرانية في دولة المغول مثل رجال المال والتجارة والزراعة والصناعة .

٢ — الى خبرة ابن الفوطي العملية بشؤون الوراقة واحترافه حرفة النسخ ومزاولته التجارة ببيع الكتب وشرائها وهي من أروج انواع التجارات في عصره مرد اهتمامه

باخبار الناسخين المحترفين والوراقين في معجمه وكان له اصدقاؤه ومعارفه الكثيرون من أهل هذه الحرفة ، والامثلة في كتابه كثيرة في هذا الباب فابن الفوطي وراق بل امام في الوراقة لا يجارى عرف بذلك واشتهر بجودة خطه وضبطه فقصده الراغبون في اقتناء الكتب النفيسة والنسخ المختارة وعشاق الآثار النادرة ، وكانت له مكتبة معروفة لاتخلو من الذخائر والنفائس ، وفي وسعنا أن نقول : إن له أكثر من مكتبة واحدة من ذلك مكتبة في اذربيجان وأخرى في بغداد وهو يتحدث في معجمه عن المصنفات والرسائل التي طلب اليه نسخها ويتحدث عن شتى النسخ المختارة التي ظفر بها ويسمى في معجمه أيضاً جملة من الاعيان والصدور والأدباء الذين نسخ ما نسخ لهم من المصنفات أو ورق ما ورق لهم من الرسائل والوثائق ، ولا شك أن حرفة الوراقة أدرت على ابن الفوطي رزقاً استعان به على تحمل أعباء العيش والانفاق على عياله وذويه فانه كان كثير الاولاد والعيال .

٣ — من المهن التي زاولها ابن الفوطي مهنة التعليم والتأديب ونرجح انه اتخذ له مكتباً يزاول فيه المهنة المذكورة وكان ذلك على الاكثر في مراغة وبعض بلدان اذربيجان، والى هذه الناحية مردعنايته بتراجم المعلمين والمؤدبين واصحاب الكتاتيب التي يتلم الاحداث فيها فن الكتابة ويشدون طرفاً من الادب ، ويبدو لنا من تصفح معجمه انه اتصل بجماعةمن أهل هذه الحرفة في بلاد المغول وترجم لهم ترجمات غيرقليلة .

٤ — الى انخراطه في سلك المتصوفة حتى اصبح علماً من اعلام الصوفية في عصره ومرشداً له اتباع ومريدون وله مشايخ كبار من اقطاب الصوفية مرد عنايته باخبار هذه الطائفة عناية خاصة ، ولا نظنه عني باخبار طائفةمن هذه الطبقات مثلما عني بشؤون التصوف والصوفية ثم اخبار المحدثين ،ومن اكثر الكلمات دوراناً على لسانه كلمة (الفقر ، الطريقة ، الحقيقة ، الحال ، الاحوال) ، وقد اقام في جملة من الربط والتكايا التي يغشاها

الصوفية وله ولع بشهود الحفلات والاجتماعات وسماع الاذكار والعهود والوصايا في الربط المذكورة ، وهو يعرف من هذه الربط ما لا يعرفه غيره سواء أكان ذلك في العراق أم في الشرق في بلاد فارس واذربيجان وما الى ذلك من الاقطار الملحقة بدولة المغول ، ولا تقل معرفته بهذه الربط عن معرفته بشيوخها واقطابها ، وكانت مشيخة الربط الكبرى من المناصب التي يسندها الديوان الى اهلها بكثير من العناية ، ويتحدث في معجمه عن ذلك كله ويتحدث عن حياته الخاصة في بعض الرباطات التي أقام بها هنا وهناك وعن الكتب والمكتبات الملحقة بالربط المذكورة ، وعن ألوان من ثقافة الصوفية والكتب والاحاديث التي تقرأ وتسمع في المعاهد المذكورة ويوجد في معجم ابن الفوطي من العجائب والغرائب الصوفية ما لا يوجد في غيره وبالخاصة فيما يتعلق بعادات المتصوفة واخلاقهم في المائة السابعة والثامنة ، والامثلة على ذلك غير قليلة في المعجم المذكور .

تاريخ أدب وثقافة

يعنى المؤلف عناية بالغة كما بترجمة الوراقين خصوصاً اذا كانوا من العلماء أو الأدباء ، وما أكثر ترجماتهم التي صدرها بقوله: « كتب الكثير بخطه من كتب الأدب » أو « رأيت بخطه مجاميع في الفقه والأدب [١] » ويعنى كذلك بتاريخ المدارس والمعاهد العلمية والمكتبات [٢] كمكتبة المستنصرية ومكتبة دار الرصد بمراغة ، وتاريخ الربط والخوانق ومشيختها في العراق وفي الاقطار المجاورة له مثل رباط الابري [٣] وزاوية الارموي [٤] بأروميه ورباط الارجوانية أو الرباط الارجواني ـ منسوب الى ارجوان

(١) (٤/١٢٣) .
(٢) (٤/١٧٦) .
(٣) (٤/١٣٩) .
(٤) (٤/١٤١) .

والدة المقتدي ـ . رباط البسطامي . رباط الحريم . رباط الحلبة . الرباط الزيني . رباط الشونيزية . رباط كافي الدين . رباط الشهرزوري كمال الدين . خانقاه همدان ومدرسة همدان ودار الشفاء فيها ، وكلها موقوفة على المتصوفة . رباط المستجد [1] . رباط سعاد بسوق العميد [2] . رباط تبريز وشيخه ومنشيء الرباط وهو حاكم الروم [3] ، ويعنى كذلك بذكر الجوامع واسماء محلات بغداد واحيائها كمحلة الجعفرية [4] ودرب

(١) (١٨٩/٤) وقال صاحب الحوادث الجامعة في أخبار سنة ٦٤٦ (فيها توفيت « هاجر » أم المستعصم ودفنت في تربة بنتها لنفسها بجانب رباطها المعروف بالمستجد بغربي بغداد فى شارع ابن رزق الله) ومن الكتاب نفسه في أخبار سنة ٦٥٠ « فتح الرباط المستجد الذي أمرت أم الخليفة المستعصم بعمارته الى جنب تربتها في شارع ابن رزق الله وحضر الوزير وكافة أرباب الدولة وكان الخليفة في سطحه وعملت فيه دعوة عظيمة وخلع على كل من تولى عمارته » ، هذا ما جاء في أخبار السنتين المشار اليهما من الحوادث الجامعة والغالب أن هذا الرباط بوشر بعمارته وكانت صاحبته أم المستعصم على قيد الحياة ولكنه لم يفرغ منه إلا في سنة ٦٥٠ أي بعد أربع سنوات حيث احتفل بفتحه كما رأيت .

(٢) (١٩١/٤) .

(٣) (٣١/٤) .

(٤) قال في مراصد الاطلاع : « الجعفرية منسوبة محلة كبيرة مشهورة فى الجانب الشرقي من بغداد ، ولمحلة الجعفرية المذكورة ذكر في الجامع المختصر لابن الساعي (٤٦/٩ ، ٤٨ ، ٤٩) وهي متصلة بمحلة سوق السلطان ومن رأي بعض الباحثين أنه هو السوق الذي يسمى اليوم عند البغداديين « سوق الميدان » وهذا مشكل لانه بعيد عن نهر المعلى والجعفرية ومن رأينا أن سوق السلطان الوارد ذكره في الجامع المختصر كان من أسواق محلة نهر المعلى أو ما اليها . قال ابن الفوطي فى ترجمة قطب الدين أبي الوفا عبد القادر بن محي الدين محمد ابن نصر بن عبد الرزاق الجيلي ـ من أحفاد الشيخ عبد القادر الجيلي ـ واثنى عليه كثيراً الى أن قال : « ولما دخلت بغداد وسكنت بمشهد البرمة وتقرأ أيضاً البرية من محلة الجعفرية تردد الي » فالجعفرية على هذا غير بعيدة عن محلة سوق السلطان ، ويكثر ذكر هذا السوق فى تاريخ بغداد ، وفي تعيين موقعه أقوال والغالب أنه سوق لايبعد كثيراً عن محلة دار الخلافة ، وورد ذكر سوق السلطان أيضاً في أخبار سنة ٦٣٧ من الحوادث الجامعة إذ انشأ الجند محلة مما يلي هذه السوق وقد خربت هذه المحلة المجاورة لسوق السلطان فى حادثة طغيان دجلة وغرق بغداد سنة ٦٤١ ، قال في الحوادث :=

الجوبة[1] وهي محلة معروفة الى هذا اليوم . المخرم . المحول . شارع السلطان . السيل . الشماسية نهر الملك . نهر عيسى . قراح القاضي . قصر عيسى . كلواذى . البيمارستان العضدي . الحربية . الخاتونية . محلة المراوزة . المحلة . خان الخليفة. الرصافة . خان علاء الدين الجويني بباب الغربة وكيف بناه . السوق الكبير .

من ذلك أيضاً مدارس بغداد [2] ففيه نبذة تاريخية عن المستنصرية ـ قبل الواقعة وبعدها ـ وفيه ذكر لبعض مدرسيها الذين قرأ عليهم ، ومن المدارس التي عنى بها أو بتاريخها — عدا المستنصرية . النظامية . الثقتية . الشاطئية الراكبة على كرسي الجسر العتيق المحاذي لمدرسة السهروردي . التتشية . مدرسة ابن الجوزي .

= « وجرف — يعني الماء — محلة استجدها الغرباء من الجند بظاهر سوق السلطان وراء جامع المدينة وانتقل أهلها الى وراء السد وصليت الجمعة على جرف الخندق مما يلي دار المسناة » هذا ما ورد في الحوادث ويقول بعض الباحثين : ان دار المسناة داخلة الآن في قلعة الميدان وعلى هذا يكون موقع سوق السلطان الوارد في هذه الفقرة قريباً من محلة الميدان وباب المعظم والسور . هـذا ويمكن التوفيق بين هذه الآراء بأن اسم « سوق السلطان » اطلق على أكثر من سوق واحد في بغـداد . وفي مراصد الاطلاع في مادة (آجر) ما يأتي « آجر بأسم الذي يبنى فيه اسم جنس للاجرة ينسب اليه درب الاجر محلة من محال نهر طابق ببغـداد في الجانب الغربي ينسب اليها أبو بكر الاجرى ونهر المعلى ودرب الآجر بالجعفرية عامر آهل ، هذا ما جاء في مراصد الاطلاع ، ويستفاد من الفقرة الاخيرة أن محلة الجعفرية كانت غير بعيدة من محلة « السنك » « والمربعة » في الوقت الحاضر ، ولم تكن هذه المحلة مجاورة لمحلة الميدان كما ظن بعض الباحثين لأن نهر المعلى من أنهار بغداد الذي يخترق دار الخلافة. قال في مراصد الاطلاع أيضاً : نهر المعلى هو اليوم « صدر المائة الثامنة » أعظم وأشهر محلة ببغداد وفيها دار الخلافة وهو « يعني نهر المعلى » نهر يدخل من باب مرو باق الى الآن يستمد من الخالص فيسير تحت الارض حتى يدخل دار الخلافة وهو المسمى بالفردوس منسوب الى المعلى ابن طريف ، قلت (والقول لصاحب المراصد) ولا أثر له الآن والمحلة المذكورة هي من عقد الحديد الى عقد المصطنع في الشارع الاعظم من الريحانيين وباب النوبي الى جامع القصر الى العقدين وفيه السوق والدكاكين .

(١) (٤/ق٣/٣٧) .

(٢) (٤/٨٨) وراجع عن المدرسة الشاطئية (٤/١٠٠) .

البشيرية مع الاشارة الى فهرس كتبها (١) . مدرسة باب الازج لمنشئها قاضي دقوقا (٢) . مدرسة شاد بخت . المدرسة المجاهدية . مدرسة كمال الدين ابن بقشلان . المدرسة العلائية. مدرسة الخليفة . مدرسة الاصحاب بالجانب الغربي (٢). المدرسة الخاتونية (٣) . والمرجح انه اسم ثان للمدرسة الغازانية (٤) ، وليست عنايته مقصورة على مدارس بغداد وما اليها فانه يعنى كذلك بمدارس الموصل (٥) وأربل والشام وبلاد المغول واذربيجان وفارس ، مثل المدرسة العزية (٦) بمراغة . ومدرسة بروجرد أسسها فخر الدين الحاجب . المدرسة السيارة بالحضرة (٧) أو بالمعسكر السلطاني لها ذكر

---

(١) (٤/١٤٧) وقد أشار المؤلف الى اسم خازن الكتب في المدرسة البشيرية وهو الذي تولى فهرسة كتب المدرسة المذكورة ، وهذه المدرسة من اشهر مدارس بغداد بعد المستنصرية في ذلك العصر . امرت ببنائها حظية الخليفة المستعصم المعروفة بباب بشير وجعلتها وقفاً على قاعدة المدرسة المستنصرية وقفت عليها وقوفاً كبيرة ، وكان فتحها يوم الخميس ١٣ جمادى الآخرة سنة ٦٥٣ وحضر الخليفة واولاده فجلسوا في وسطها وحضر الوزير وارباب المناصب ومشايخ الربط والمدرسون . وكان من المدرسين بها سراج الدين الهرقلي وشرف الدين عبد الله ابن استاذ الدار محي الدين ابن الجوزي وعلم الدين الشرساحي . وعملت وظيفة عظيمة . وخلع على المدرسين المذكورين وعلى الناظر بها ونواب العمارة وانشدت الاشعار وكان يوماً مشهوداً في السنة الماضية . هذا ما جاء في حوادث سنة ٦٥٣ من كتاب الحوادث الجامعة . ومعنى ذلك ان الاحتفال بفتح المدرسة البشيرية اتفق قبل سقوط بغداد وزوال الدولة العباسية بثلاث سنوات .

(٢) في (٤/١٧٣) تجد ترجمة منشيء هذه المدرسة في باب الازج واخيه بهاء الدين الذي اكملها ، وانظر عن دار القرآن التي انشأها مقابل المدرسة .

(٣) (٤/١٨٩) .

(٤) (٤/٢٣٢) ويراجع عن عنايته بتأريخ المعاهد العلمية والمدارس الدينية (٤/١٨١) ويراجع عن ايوان الطب على عهد المؤلف (٤/١٢١) .

(٥) من ذلك خمس مدارس في الموصل أشار اليها في (٤/٢٥ ، ٩٣) من رقم المؤلف في النسخة الاصلية .

(٦) (٤/٦٠) من رقم النسخة الاصلية و « ١٠٤ » من الرقم الحديث .

(٧) (٤/١٣٢) وهي مدرسة أنشأها السلطان المغولي خدابندة وكان قوامها عدداً من المضارب والخيام تأوي اليها الطلبة والمدرسون ، وقد عينت لهم الجرايات وكانوا يرحلون برحيل السلطان خدابندة وينزلون بنزوله ، ولها أيضاً ذكر في بعض كتب العلامة الحلي جمال الدين ، وقد وجد في بعض كتبه أنها نجزت في هذه المدرسة السيارة .

كثير في معجمه فكان ابن الفوطي يعيش في محيط جامعي على ما رأيت .

نسخة مشوشة

طرأ على هذه النسخة ـ التي وقعت الينا من الجزء الرابع من تلخيص مجمع الآداب ـ وهي مسودة المؤلف ـ فساد بل عيب فظيع كثيراً ماساورنا الألم لوقوعه ، ولا يبعد أنه فساد متعمد مقصود وقد ارتكب فاعله جريمة لا تغتفر ، والى آفة الجهل المركب مرد هذه الجرائم فاننا نرى أحد أدعياء العلم ممن ضاقت صدورهم واظلمت عقولهم اذا وقع اليه كتاب ولمح فيه ما يخالف مألوفه أو رأيه بادر الى تمزيقه أو افساده ، وما نشك أن بعض كتب ابن الفوطي — وفي بعض كتبه ما يخالف مألوف الجمهور — قد وقع الى بعض هؤلاء الحمقى الادعياء فأفسدوها على هذه الصورة ، وهذه هي آفة الجهل المركب وهو كما لا يخفى شر من الجهل البسيط ، ومجمل القول : نشأ هذا العيب أو الفساد عن العبث ببعض العبارات وتغيير معناها بتغيير أحرفها . هذا من جهة ، ولنا أن نقول من جهة أخرى : انه عيب أو فساد نشأ عن تفكيك نسختنا تفكيكا قلبها رأساً على عقب فجاءت نسخة ملفقة الصفحات لا تنطبق التراجم في كثير من صفحاتها على الالقاب الموضوعة ازاء التراجم المذكورة .

أوقعنا هذا العبث أو التلفيق كما أوقع غيرنا في أوهام لم نفطن اليها إلا بعد مضي زمن غير قليل ، ومن تلك الاوهام ما وقع في « اللباب » وهي رسالة لخصناها عن هذا المعجم وسيأتي وصفها عن قريب ، ومنها ما وقع في رسالة أخرى لنا عن ابن الفوطي ، ومنها ما وقع في كلمة تجدها في مقدمة كتاب (الحوادث الجامعة) أو الكتاب المغفل الذي أطلق عليه الاسم المذكور (١) .

---

(١) راجع ذيل الصفحة السادسة من الجزء الأول لهذا الكتاب ، وراجع مقدمة الحوادث الجامعة فقد وقع لنا فيها اشتباه في سرد نسب علاء الدين الجويني صاحب ديوان الممالك في دولة المغول بسبب تشويش هذه النسخة ، وقد نبه عليه الباحث المدقق السيد محمد القزويني نزيل باريس سنة ١٣٥٤ (١٩٣٥ م) وقد انتقل الى جوار ربه في السنوات الاخيرة .

دعاني هذا الفساد الطارىء على النسخة الى مراجعة مالي من تعاليق وملاحظات عليها وهي مما لاحظته أو علقته بخطي سنة ١٣٥٩هـ — ١٩٤٠م أي قبل ثمان عشرة سنة، وقد جاء فيها ما نصه نقلا عن القسمين الاول والثاني من النسخة المصورة : « في هذه النسخة باقسامها الثلاثة تشويش من شأنه تضليل المطالعين ولم توضع كثير من التراجم في مكانها ولا بازاء ألقاب أصحابها ولا بد من امعان النظر في اصلاح النسخة واعادة ترتيبها اذا أريد الاستفادة منها » . هذه ملاحظة عامة لنا عن النسخة وهاك التفصيل .

الملاحظات

نثبت فيما يلي خلاصة جهد سبق لنا بذله في اصلاح ما طرأ على هذه النسخة من تشويش أو فساد وهي ملاحظات كشفنا بها عن الخطأ ونبهنا على الصواب . وقد كلفنا ذلك عرق القربة وكابدنا فيه ما كابدنا من نصب ومشقة ، والغرض من ايراد هذه الملاحظات لايعدو الاشارة الى التشويش والتلفيق الذي لحق الاصل المخطوط وضرورة الاصلاح ، وهذه هي الملاحظات نقلا عن ظهر النسخة المخطوطة المصورة :

١ — وجدنا في الصفحة (٣٠٢) تراجم بدون اسماء أو ألقاب وقد كتبنا مقابل ذلك « ابحث عن اسمائهم في الصفحة (١٦٦) » ، ووجدنا في الصفحة المذكورة ألقاباً بدون تراجم كتبنا مقابلها « مضت تراجمهم في الصفحة ٢٠٢ » .

٢ — يوجد عكس ذلك في الصفحة عينها أي يوجد ألقاب وأسماء بدون تراجم كتبنا مقابلها هذه العبارة « مضت تراجمهم في الصفحة ١٩٤ فراجعها » .

٣ — كتبنا مقابل الصفحة (٣٥٠) ـ وقد خصصها المؤلف للملقبين (فخر الدين) ـ هذه العبارة « توجد تراجمهم في الصفحة ١٩٤ » .

٤ — وضع قسم من ألقاب الملقبين (فخر الدين) أيضاً في الصفحة « ٣٥٢ »

ولكن تراجمهم وضعت عبثاً في الصفحة (٩٤) .

٥ — لاحظت في الورقة (١١١) ملاحظة هذا نصها نقلا عن ظهر النسخة المذكورة . « التراجم في الصفحة لمن لقبه عز الدولة وعز الشرف لا عز الدين فلاحظ هذا الخطأ والتشويش » .

٦ — لا حظنا في الصفحة (١٤٣) ما يأتي « التراجم في هذه الصفحة لمن لقبه عز الدولة لا عز الدين وقد وضعت تراجم الملقبين عز الدين في الصفحة (٨٣) فلاحظ ذلك » .

٧ — لاحظنا في الصفحة (٧٩) تراجم وضعت لمن لقبهم عز الدين مع أنها لجماعة لقبوا عز الدولة ، وقد وضعت تراجم هؤلاء الملقبين بعز الدين في الصفحة (٨٣) .

٨ — يلاحظ أن تراجم من لقبهم غرس الدين وضعت خطأ امام من لقبهم عفيف الدين [١] مرة وعضد الدين أخرى [٢] ، ويلاحظ في بعض الصفحات أن تراجم من لقبه عز الدولة وضعت تجاه عز الدين وبالعكس [٣] .

٩ — في عنوان هذه الصفحة (١٤١) كتب ما يأتي بخط المؤلف « كتاب الفاء من كتاب مجمع الآداب » والمعروف ان اسم هذا الكتاب « تلخيص مجمع الآداب » .

١٠ — ورد رقم الصفحة (٢٢٠) من النسخة الاصلية بعد صفحة (١١٩) فهل

---

(١) (٤/١٠٤) .

(٢) (٤/٦٦) .

(٣) (٤/٨٣ ، ٩٩) ومن الصفحات التي وقع فيها مثل هذا التلفيق الصفحات الآتية ٨٨ ، ٨٩ ، ٩٠ ، ٩٢ ، ١٠٢ ، ١٠٤ اذ تجد فيها ترجمة لشيخ اجازته عز الدين ولكن الترجمة مسطورة امام عفيف الدين فليلاحظ هذا التشويش ، ولاحظ ١١٥ ، ١١٧ ، ١٢٠ ، ١٢٢ ، ١٢٥ من رقم المؤلف وفيها تراجم وضعت خطأ .

كان هذا سهواً فليلاحظ ذلك .

١١ — قارن بين نصوص التراجم الواردة في صفحتي (١٢٦ ، ١٨١) في النسخة الاصلية للوقوف على حقيقة المترجم لهم فيها [١] .

١٢ — يلاحظ سقوط عشر أوراق من النسخة وهي الاوراق الكائنة ما بين السابعة والخمسين والسادسة والستين .

١٣ — يلاحظ شيء من السهو في ترتيب ارقام النسخة من بعد الصفحة (١٢٠) اذ ينتقل منها الى الرقم (٢٢) .

١٤ — يلاحظ أن النسخة لا تخلو من سهو وتحريف قد يكون بعضه من سهو المؤلف نفسه [٢] .

١٥ — قد ترد بعض التراجم مكررة فقد يترجم لشخص واحد بلقب ثم يكرر بلقب آخر [٣] وفي النسخة مخالفة لبعض القواعد النحوية فيما يتعلق باحكام العدد المعروفة عند النحويين [٤] .

هذا ما لاحظته وأنا معنى بدراسة هذه النسخة قبل حوالي اربعين سنة وبعضه منقول عن ظهر النسخة التي قامت بتصويرها وزارة المعارف وهي محفوظة الآن بمكتبة دار الآثار ، وتقع النسخة المصورة في ثلاثة أجزاء ، وهذه الملاحظات علقتها على أجزائها الثلاثة بعد أن ظهر لي هذا التلفيق .

(١) والترجمة هناك لمن لقبه فخر الدين . وبعض التراجم في باب عز الدين فيها تلفيق كثير .

(٢) انظر (١١٨/٤) .

(٣) من ذلك ان المؤلف ترجم للامام علي بن أبي طالب غير مرة لان له غير لقب مثل حيدرة وقائد الغر المحجلين وغير ذلك .

(٤) (٦١٨/٥) .

مثال آخر من الفساد والتحريف

هاك مثالا آخر من التشويه والتحريف وهو فيما نرى تشويه أو تحريف مقصود تناول جملا وكلمات للمؤلف ، ومن هذا القبيل ما وجدناه في ترجمة رشيد الدين بن غالي الطبيب أو الوزير الهمـــداني المؤلف المشهور ، وهو من أشهر المؤلفين والباحثين في عصر المغول الايلخانيين ، كان ابن الفوطي خصيصاً به قيما على دار كتبه في تبريز على النحو الذي كان فيه على عهد نصير الدين الطوسي قبل ذلك ، ولا يخفى أن رشيد الدين الطبيب - مؤلف جامع التواريخ هـذا اتهم بالالحاد وبدس السم للسلطان خربندة والد السلطان أبي سعيد .

وكان لرشيد الدين خصوم كبار في عصره أثاروا عليـــه خواطر الجمهور في بلاد المغول . فأمر السلطان أبو سعيد بقتله فقتل واحرقت كتبه ودمرت ممتلـكاته ، غير أن مؤلفات ابن الفوطي التاريخيـــة حافلة بالثناء على شيخه رشيد الدين الطبيب الهمداني والاشادة بذكره وذكر أسرته وأهل بيته وأمرهم وذلك في هـــذا المعجم ولا شك أن بعض المناوئين لابن الفوطي ولرشيد الدين الطبيب الوزير المبغضين أو الحاقدين لهما والقائلين بمروقهما اطلعوا على هـــذه النسخة من معجم ابن الفوطي وما تضمنته من الثناء البالغ على آل الهمداني في تراجمهم ، ولا يخفى أن اصلهم من اليهود ففي هـــذه التراجم كلمات وجمل جردها المؤلف في الثناء على شيخه ومخـــدومه المذكور ولـكنها محيت في النسخة وشوهت ووضع مكانها كلمات مؤداها الطعن والتجريح [1] .

(١) راجع ترجمة رشيد الدين الطبيب في نسخة الاصل من الجزء الرابع من المعجم . تراجع عن ذلك أيضاً ترجمة عضد الدين الايجي (٤/ مادة عضد الدين) .

ترتيب المعجم

تميز ابن الفوطي بميل ظاهر الى التفنن في تنسيق مؤلفاته وترتيبها وهو في طليعة المؤرخين أو المؤلفين الذين استعملوا الاشكال والجداول الهندسية في تصانيفه حتى التاريخية منها مما لم يسبق له مثيل ، والى دراسة الفنون الرياضية أو الهندسية في دار الرصد بمراغة . والى الاعمال التي نيطت به في ذلك المعهد مرد ظهور هذا الميل فيه ، وقد جاءت بعض مؤلفاته مجدولة منها كتابه المسمى (تنقيح الافهام في المؤتلف والمختلف) ذكروا بأنه من مؤلفاته المجدولة [1] . وكتاب (درر الاصداف في غرر الاوصاف) مرتب على وضع الوجود من المبدأ الى المعاد ، ومن أشهر كتبه المجدولة هذا المعجم التاريخي الذي نحن بصدده ولا نبالغ اذا قلنا انه لا يقل عن أحسن مؤلفات المؤلفين في العصور الحديثة سهولة في المأخذ ولطفاً في التنسيق الى غير ذلك من الخصائص التي امتازت بها تصانيف العلماء المعاصرين .

راعى المؤلف في ايراد الالقاب حروف المعجم ووضع الالقاب والاسماء والانساب والكنى والحرف والمهن أو ما الى ذلك في جداول ومربعات يبدأ بوضع اللقب في مربع ثم الكنية والاسم في مربع آخر ثم يضع اسم الاب في المربع الثالث فاسم الجد في الرابع ثم يضع بالنسبة الى البلاد والعشيرة في الخامس فالحرفة أو الصناعة أو المهنة أو المنصب في المربع السادس . أما الترجمة فقد خصص لها عموداً مستطيلا في الصفحة المقابلة وذلك على الصورة الآتية :

---

(١) فوات الوفيات لابن شاكر (٢/٢٧٢ — ٢٧٣) .

قوام الدين	أبو نصر يونس	بن محمد بن	عبد العزيز	الاردبيلي	الفقيه	... الترجمة ...
قوام الدين	أبو نصر يونس	بن منصور بن	ابراهيم	الشيراوني	المقرىء	... الترجمة ...
قوام الدين	أبو محمد يونس	بن يحيي بن	اسماعيل	المقدسي	الصوفي	... الترجمة ...
قوت القلوب	ابو عبد الله محمد	بن ابي الوفا محمد بن	القاسم	السمرقندي	المحدث	... الترجمة ...

ولا حاجة بنا الى القول ان هـــذه الطريقة الفنية من حسنات ابن الفوطي في هذا الـكتاب .

فن التحري عن الالقاب

لابن الفوطي طريقة جميلة في التحري عن الالقاب واختيارها بعد تنقيب ودرس دقيق لاسفار الأدب والتاريخ من هـــذه الناحية وبعد التأمل في سير الاعلام الذين يترجم لهم ، ولاي علة اطلقت عليهم تلك الالقاب ومتى اطلقت . فكان على قسط كبير من البراعة في الاهتداء الى ألقاب العلماء والامراء والملوك والخلفاء والأدباء والمتصوفة الى طبقات أخرى ، كما كان معنياً بهذا الفن متقناً له اتقاناً اشار اليه غير واحد من المؤلفين والمؤرخين[1] فلـكل أمير أو كاتب أو قائد أو محدث أو عالم يترجم في معجم ابن الفوطي لقب ، ولاملاحظة لنا بشأن كثير من تلك الالقاب المعروفة في أقدم كتب الأدب والتاريخ فانها ألقاب لها سندها القوي من الروايات والاحاديث التاريخية أي انها لم تكن ألقاباً مصطنعة . ولـكننا نلاحظ كثرة الالقاب ورخصها في عصر ابن الفوطي والعصور القريبة منه خصوصاً الالقاب المضافة الى الدين أو الدولة فان كثيراً منها اطلق على جماعة ليسوا اهلا لذلك فيما نراه ، وقد يكون المؤلف غير مسؤول عن هذا الاسفاف في خلع

(١) فوات الوفيات لابن شاكر (٢/٢٧٢ — ٢٧٣) .

هذه الالقاب الضافية ، ولكنه يسأل عن نقل كل ما هب ودب في هذا الباب وعن درجه في الكتاب وهو المؤرخ الذي كنا نحمد له قلة التزيد والفضول وندرة المبالغة فكم من ملقب (فخر الدين) أو (فخر الدولة) أو (فخر الملك) أو (عز الدين) أو (عز الدولة) أو (عز الملك) و (كمال الدين) و (كمال الدولة) و (كمال الملك) وغير ذلك لم نجد في سيرتهم طائلا للدين والدولة والملك ولكنه حب المظاهر والجاه الزائف ، والغالب أن الالقاب كانت تباع وتشترى رخيصة في بعض تلك العصور [1] وما أكثر الامثلة على ذلك فيها

---

(١) يتضمن الجزء الرابع من تلخيص مجمع الآداب الالقاب التالية :

عز الدين . عز الدولة . عز الملك . عفيف الدين . علم الدين . عماد الدين . عماد الدولة . عضد الدين . عضد الملك . عضد الدولة . عميد الدين . فخر الدين . فخر الملك . فخر الدولة . قوام الدين . قوام الملك . عميد الرؤساء . قوام الدولة . وهذه ألقاب شاعت في أواخر عصور العباسيين غالباً في الفترة التي تغلبت فيها دول الاعاجم كالديالمة والسلاجقة على الدولة العباسية ، ويلاحظ ان ملوك الديلم أو البويهيين بعد غلبتهم على الخلفاء العباسيين عظمت دالتهم وكثرت مقترحاتهم بشأن الالقاب فكم من مرة سأل عضد الدولة الطائع العباسي القاباً يخلعها عليه ، وأول ألقابه كما لا يخفى (عضد الدولة) ثم سأل الخليفة ان يزيد في لقبه (تاج الملة) ويجدد الخلع عليه ويلبسه التاج المرصع بالجواهر فاجابه الى ذلك في احتفال عظيم ، فصار يلقب : (عضد الدولة تاج الملة) ، والى هذا اللقب الثاني نسب الكتاب الموسوم بالتاجي الذي ألفه أبو اسحاق الصابي له ، ولقب أيضاً (شاهنشاه) ، وكان أبو اسحاق الصابي يعتذر الى عضد الدولة عن عدم خلع هذا اللقب عليه لما سبق في تلقب عز الدولة به ، وقد أوقع عضد الدولة بأبي الفتح ابن العميد لدخوله مع بختيار فيما دخل فيه مع اللقب السلطاني الذي حصل عليه وهو (ذو الكفايتين) ، انظر تجارب الامم (٦/٣٥٣ — ٣٥٤) وذكر أبو الحسين ابن الصابي في تاريخه قائلا : « وفي رجب سنة ٤٣٦ غيرت ألقاب ملك الملوك . قسم خليفة الله وعوض مؤيد أمير المؤمنين سلطان أمير المؤمنين » وخطب على منابر الجوامع بالحضرة ، انظر (٥/٤٢٣) « تلخيص مجمع الآداب » . هذا ومن محتويات المعجم ألقاب قديمة معروفة في الجاهلية وصدر الاسلام ومن ذلك (الفاتح) لقب من ألقاب النبي ، ومن أكثر الالقاب عدداً في الجزء الخامس لقب (كمال الدين) فقد بلغ عدد الملقبين به (٨١٨) (وكمال الشرف) (٨٧) و (الكامل) (٦٦) ومثله (كريم الدين) و (مجد الدين) (٤٢١) و (محيد الدين) (٤٨) و (محب الدين) (٥٩) و(محيي الدين) (١٧٤) و (مظفر الدين) (٨٥) و (معين الدين) (١٤٧) و(المنصور)(٢٥) و(المؤتمن) (٣٩) و (موفق الدين) (١٢٨)و (الموفق) (٣٣) . =

خـذ مثلا ما قاله ابن الفوطي في ترجمة محب الدين عبد الجبار بن عبد الخالق بن أكبر البغدادي المدرس وهذا نصه : « تقدم ذكره في كتاب الجيم في ذكر من يلقب بجلال الدين . وكان لقبه قديماً محب الدين ، وسمعت انه التزم لجماعة من الأئمة والعلماء ضيافة لينقل لقبه الى (جلال الدين) وان بعض الاصحاب حضر عنده وصار يخاطبه (محب الدن) فقال له لقبني (جلال الدين) فقال : لم احظر الوظيفة التي التزمت بها للاصحاب وما انت عندي الا محب الدين فالتزم له بالضيافة واعطاه ما طاب به قلبه » .

هذا ما جاء في هذا الجزء من تلخيص معجم الآداب[1] وهو مثل من امثلة التهوس بحب المظاهر الفارغة في العصر المذكور . وهناك مثلا آخر ننقله لك عن ترجمة ابن الفوطي لابن سنينه السامري الفقيه[2] صاحب كتاب الفروض في الفقه كان يلقب (نصير الدين) فلما ولي نصير الدين ناصر بن مهدي الوزارة أمر أن يغير لقبه — إذ لا ينبغي ان يشارك الوزير في لقبه — فقال ابن سنينة أنا أغير لقبي فاختار لنفسه لقب (معظم الدين) وهكذا ترجم له ابن الفوطي في باب الملقبين بمعظم الدين ، . وقد لمح البيروني صاحب (الآثار الباقية) في بحث له ستطلع عليه الى تفاهة الالقاب ورخصها والاسفاف في خلعها على عهده ، وقال :

= ومن الالقاب الطريفة (المرضي) عـدة ألقاب . (المرهف) عـدة ألقاب . مرهف الدولة المزكي . المستغفر . المستقيم . المعقل . معلم الكرم . معلم الخيل . معوذ الحكماء . معوذ الفتيان . مغزل الذهب . مفتي الحرمين . مفتي المساكين . مفتي الأئمة . مفتي العراقيين . مفتي الملوك . المفدى . المفيد عدة ألقاب ، مقطع النجد . ملك الشرف . المميز . منجد الدولة . منهب الورق . كسر الذهب . الكظيم . كلب الجنة . كلمة الله . كليم الله . كوكب الدين . كوكب الصبح . لسان العرب . ماء السماء . الماجد . الماحي . مأوى الصعاليك . مبيد المشركين . الملقن . المجاب . المجيب . مجد العراق . مجد الخطباء . المجلي . مجير الطير . مجير الجراد . المحب . المحرق . المخالص . المختص . المرصع . المزمل . المزين . المستهام . معدن الذهب . المعلم . المعين . مغيث المسلمين . المقدام . مقطع الجذم . مقلد الذهب . مكلم الذئب . المنتظر مؤتم الاشبال . عكة العسل . الكظيم . كلب الجنة . كلمة الله . نجي الله . كمال العراقيين .

(١) (٥/٣٢٨) .

(٢) (٥/٦٤٤) وتجد لمعظم الدين ترجمة مفصلة في شذرات الذهب لابن العماد (٥/٧٧) .

أن سلطان وقته في (غزنة) رد ألقاباً خلعها عليه الخليفة وأرسلها من بغداد .

سبق ابن الفوطي عدد من المؤرخين العراقيين - منهم الخطيب البغدادي والدبيثي وابن النجار وابن الساعي وغيرهم من اصحاب المعاجم والمؤلفين في التاريخ والطبقات مثل ياقوت الحموي والعماد الاصفهاني- الى ترجمة جمهرة الاعلام المترجمين في معجم ابن الفوطي ولكننا نلاحظ ان المؤرخين المذكورين قلما عنوا بذكر الالقاب في تراجم من ترجموا لهم ، ولا ندري لماذا انفرد ابن الفوطي بذلك وكيف اشتهر القوم بالقابهم هذه في عصر ابن الفوطي على ما نراه في المعجم المذكور ، ولعل مرد ذلك فيما نرى الى تهوس بعض الخلفاء العباسيين المتأخرين وصدور دولتهم واعيانها بحب الالقاب فلا بد لكل خليفة من لقب يختارونه بالقرعة عند بيعته ، ولما مات المستنصر وتقررت بيعة المستعصم ابنه كتبت عدة ألقاب فاختير منها باذن الخليفة لقب (المستعصم بالله) وبويع بعد ذلك [1] ، ومن عاداتهم تلقيب صاحب رتبة جديدة بلقب جديد كما لقب رجل بلقب عضد الدين لاسناد منصب استاذية الدار له ، وكان له لقب سابق يعرف به وهو بهاء الدين [2] ، والحق ان فن تحري الالقاب على كل حال يتطلب الحصول على ذخيرة كافية من المراجع والمآخذ على اختلاف انواعها ، وقد حصل ابن الفوطي والحق يقال على تلك المآخذ والمراجع واعتمد على امهات الكتب في تأليف معجمه كما يبدو جلياً لمن يتصفح المعجم المذكور ، وقد عقدنا فصلا خاصاً باسماء المراجع التي وردت في هذا الكتاب ، هذا من جهة ، ولنا ان نقول من جهة ثانية : ان فن ابن الفوطي عبارة عن تاريخ الكتب وخزائنها ووصفها وتعريفها وبيان موضوعاتها وفوائدها والتنبيه على ما تضمنت من اوابد وشوارد وما الى ذلك .

---

(١) الحوادث الجامعة (١٥٩) .

(٢) راجع الجامع المختصر لابن الساعي (٩/٢٨٥) .

ابتذال الالقاب

اصطنع ديوان الخلافة في بغداد عادات الاعاجم واوضاعهم في منح الالقاب الفخمة على القاعدة المتبعة عندهم [1] بل اسرف الخلفاء المتأخرون في منح الالقاب للامراء والقادة والسلاطين المتغلبين حتى اصبحت ألقاباً كاذبة مبتذلة . وقد استهجنها من استهجنها من ثقاة المؤرخين بعد هذا العصر وترفع عن قبولها بعض السلاطين ، وقد عقد البيروني فصلا في استهجان الالقاب الصادرة عن ديوان الخلافة في عصره وندد بالاسراف في منحها ونظم جدولا لطيفاً بهذه الالقاب وباسماء الملقبين بها وقال : « إنها ألقاب كاذبة » وصرح بأن بعض سلاطين الدولة الغزنوية الذين منحوا هذه الالقاب من قبل ديوان الخلافة رفضوا التلقيب بها [2] . وقد فرق البيروني أيضاً بين الخلافة العباسية قبل انتقال الملك الى الديالمة وبين الخلافة المذكورة بعد ذلك وميز بين حالتيها تمييزاً جوهرياً لا يفطن اليه الا من أوتي حظاً من فلسفة التاريخ وعلم الاجتماع ، ولم يكن البيروني ضئيل الحظ من ذلك. على أن هذا المؤرخ الرياضي ربما كان مدفوعاً الى بحثه أو نقده للخلافة العباسية من هـــذه الناحية بشيء من الحقد على الديالمة الذين غلبوا بني العباس على الملك فقال ما هذا نصه : « والذي بقي في أيدي العباسيين في آخر ايام المتقي وأول ايام المستكفي أمر ديني اعتقادي لا ملـكي دنياوي مثل ما لرأس الجالوت عند اليهود من أمر الرياسة الدينية من غير ملك ولا دولة ، فالقائم من ولد العباس الآن انما هو (رئيس الاسلام) يريد البيروني أن يقول : ان الخليفة العباسي في عصره انما هو رئيس الاسلام روحياً أي أنه رئيس مجرد عن معنى الوازع والسلطان سياسـياً ، وعلى

(١) شاع ذلك في خلافة المستكفي (٣٣٣ ـ ٣٣٤) وفي ايامه استولى معز الدولة ابن بويه ملك الديلم على العراق .

(٢) الآثار الباقية للبيروني (١٣٢ — ١٣٥) .

كل حال لا تقدح ملاحظاتنا هذه بشأن الالقاب وابتذالها كثيراً بفائدة هذا المعجم ونفاسته ولا يمنعنا أن نعتبره أصلا من أصول فن الأدب فضلا عن كونه أصلا من أصول التاريخ ، وبجمل القول أفرغ ابن الفوطي معجمه هـــذا في قالب فني المنيف من ناحيتين :

الأولى :ـ وقـــد أشير اليها في الفصل السابق ناحية الشكل واخراج صفحاته مجدولة كما رأيت .

الثانية : ناحية المادة ، فان أثر الذوق الفني ظاهر في طريقة جمع المادة المذكورة واختيارها اذ عمــد المؤلف الى التنقيب في أسفار الأدب والتاريخ عن الالقاب وعن منشئها او مصدرها ، فهو يعنى كما قلنا بالاشارة الى عللها كما يعنى بنقل الحكايات التاريخية والاحاديث الادبية المتصلة بها في كثير من الاحيان ، واذا كان لبعض الاعلام أكثر من لقب واحد أعاد ذكره في مواضعه مراعياً في ذلك ترتيب الـكتاب كما فعل في ترجمة كل من الامام علي بن أبي طالب وطلحة بن عبد الله مثلا فانه عقد لهما فصولا عدة بحسب ألقابهما في هذا الـكتاب .

ان فن الاهتداء الى ألقاب الناس على اختلاف طبقاتهم مع ذكر عللها وبواعثها أحياناً هو الفن الذي عني به ابن الفوطي عناية تامة على ما نراه مشروحاً في معجمه ، والامثلة كثيرة على لطف ذوقه وحسن اختياره في هذا الباب (١) .

---

(١) من الالقاب المختارة في باب الفارس فارس النعامــة (١٤٢/٤ من رقم المؤلف) فارس المســلمين (١٤٢/٤) فارس بني مروان (١٤٢/٤) فارس البطحاء (١٤٣/٤) الى غير ذلك . وفي باب (الفتى) . فتى قريش (١٤٦/٤) فتى العشيرة (١٤٦/٤) . فتى العرب (١٤٦/٤) . الفتى من ألقاب الامام علي (٢١٠/٤) . قاتل الجوع لقب امرىء القيس الشاعر ظفر به في شعره (١١١/٤) . قاتل الملوك امرؤ القيس الملك والحوفزان بن عمر بن شربك الشيباني (١١١/٤) . ومن الالقاب الطريفة في باب القاضي (١١٢/٤ ـ ١١٣) . قاضي المحلة . قاضي الجماعة . قاضي الشط . =

ومن مميزات هـذا الجزء والجزء الذي يليه عناية ابن الفوطي بترجمة رجال المال والاعمال والادارة ، وما الى ذلك ، مشيراً الى خبرتهم واختصاصهم في الاعمال واستثمار الاموال وتطبيق قوانين الملك والادارة كما سترى ذلك في بعض الفصول الآتية ؛ وفي الكتاب تلميح الى بعض النظم الاقتصادية والزراعية وذلك على سبيل الاستطراد فقد كانت للمؤلف خبرة واسعة ببلاد المغول ورجالها وحكامها وشتى طبقاتها وخصوصاً بلاد فارس واذربيجان وتبريز ومراغة عاصمة الدولة الايلخانية واران ، وهي خبرة استمدادها من طول اقامته فيها وكثرة مخالطته لاهلها . ويبدو لنا أن المؤرخ المذكور الف أو شرع في تأليف بعض أجزاء هـذا المعجم ومنها الجزء الرابع والجزء الخامس - الذي سيأتي تعريفه - بين العقد الاخير من المائة السابعة والعقدين الاولين من المائة الثامنة أي بين سنة ٦٩٠ — سنة ٧٢٠ ، ويلوح لنا كذلك أنه كتب بعض فصول هذا الجزء من المعجم أو نقحها على أقل تقدير في مدينة تبريز من حواضر اذربيجان المشهورة (١) .

= قاضي الفتيان . قاضي الحرمين . قاضي العسكر . قاضي المجلس . قاضي الجامعين . قاضي القضاة. ومن جملة الالقاب المستطرفة . قبلة الأدب . قسيم الجنة والنار . قضيب البان . قفل الفتنة . قمر الصوفية . قلم الله في أرضه ، وهو لقب أبي الحسن علي بن هلال الكاتب البغدادي المشهور عن ابن الجوزي في المنتظم، وفي حرف العين . عقال الحرب ، عصفور الجنة . عصفور الشوك . عصمة الترك . عميد الحضرتين ، عميد خراسان . عمود الاسلام . عضد الندى سعيد بن خالد (٤/ ٥٤) ، ومن حرف الميم ، مجد الامة . مجد القضاة . مجد العراق . مجتبى المروة . المجمع قصي بن كلاب . المجيد عدة ألقاب لبعض الكتاب والشعراء . مجير الطير . مجير الظعن عدة ألقاب . مجير الجراد . المحافظ . المحبوب . محدث خراسان . المحرق . المحض عدة ألقاب . المخالص . المختص . مختار الدولة . مختار الدين . مختار البلد . الى غير ذلك ، ويحسن مراجعة نسخة الاصل من الكتاب (٣٩/ ٢١٠) من ارقام المؤلف للاطلاع على بعض الالقاب الطريفة مثل : شرج العلم . كنز الدولة . كوكب الصبح . كهف الدين . كهف الامة . كهف الاسلام .

(١) تراجع صفحة (٩٦) من رقم المؤلف في هذه المخطوطة .

ثانياً ـ الجزء الخامس من تلخيص مجمع الآداب

يتراوح عدد اجزاء هذا المعجم بين الستة والسبعة جلها ضائع أو مفقود ، ولم تظفر بعد بذل الجهد في البحث عن هذه المخطوطة الا بجزئين هما الجزء الرابع ظفرنا به في المكتبة الظاهرية بالشام وقدمضى التعريف به . ثم اطلعنا على الجزء الخامس «قسم الكاف واللام والميم» منه ، وقد نشر تباعاً في مجلة علمية باكستانية عن أصل مخطوط وجد في مكتبة جامعة لاهور ، والغالب انه كالجزء الرابع بخط المؤلف ، فان هذه المجلة[1] نظمت فهارس لبحوثها خلال ستة عشر سنة . ومن جملتها فهرس لنماذج مصورة من خطوط المتقدمين ، في مقدمتها نموذج لخط ابن الفوطي[2] نقلا عن النسخة المخطوطة من الجزء الخامس من تلخيص مجمع الآداب وهي من مخطوطات مكتبة الجامعة المذكورة . ويصح

---

(١) نشر الجزء الخامس « قسم الكاف واللام والميم » تباعاً في مجلة تسمى (اورينتل كولج مكازين) تصدر في لاهور ثم جمع في مجلدين ، قوام المجلد الاول (٣١٦) صفحة عدا الفهارس ، وقوام المجلد الثاني (٨٨٨) صفحة ، ويشتمل المجلد الاول على (٦٣٧) ترجمة ، ويشتمل المجلد الثاني على (٢٠٥٦) ترجمة ، وهاك ما جاء على ظهر الصفحة الاولى من النسخة وهـذا نصه : « تلخيص مجمع الآداب في معجم الالقاب كتاب الكاف واللام والميم تصنيف العلامة كمال الدين عبد الرزاق بن احمد الشيباني المعروف بابن الفوطي » ، والحق ان للناشر ملاحظات علمية وتاريخية لا يستهان بها ، وتراجع هذه التحقيقات والتعليقات في هوامش الصفحات الآتية : « ٧٨ ، ٨١ ، ١٧٢ ، ١٨٠ ، ١٨٣ ، ١٨٤ ، ٢٠٧ ، ٢١٢ ، ٢١٤ ، ٢٢١ ، ٢٣٧ ، ٢٤٦ ، ٢٥٩ ، ٢٨٤ ، ٢٨٩ ، ٢٩٤ ، ٣٠٥ ، ٣١٦ ، ٣٢٥ ، ٣٣٨ ، ٣٤٢ ، ٣٤٧ ، ٤٢٥ ، ٤٢٩ ، ٤٣٣ ، ٤٣٤ ، ٤٤٣ ، ٤٤٤ ، ٤٤٧ ، ٤٦١ ، ٤٦٤ ، ٤٩٤ ، ٥٠٧ ، ٥١٨ ، ٥٢١ ، ٥٦٥ ، ٦٣٥ ، ٦٥٨ ، . القسم الثاني ١٨٠ ، ١٨٦ ١٨٩ ، ٢٠٣ ٢١٩ ، ٢٤٠ ، ٢٤٢ ، ٢٤٩ ؛ ٢٥٦ ، ٢٦٤ ، ٢٦٥ ، ٢٦٦ ، ٢٧١ ، ٢٧٧ ، ٢٨١ ، ٢٨٢ ، ٢٩٣ ، ٢٩٨ ، ٣٠٨ ، وقد اعتنى بنشره وتحقيقه والتعليق عليه سنة ١٣٥٩ هـ — ١٩٤٠ ، هذا وقد بدأت المجلة بنشر الكتاب بعد اعلان الحرب الكونية الاخيرة ، وكانت تطبع على الحجر ثم جردت من الكتاب مجلدين .

(٢) الصفحة التاسعة من العدد الثالث من المجلد الثامن عشر من المجلة المذكورة .

اتخاذ هذا الجزء كسابقه مثالا للدقة والتحقيق الذي يعنى به ابن الفوطي في مؤلفاته فانه بقي الى آخر ايامه يصلح هفواته ويحقق أو يشرح ما يحتاج الى الشرح والتحقيق فيه ويضيف اليه مستدركات من التراجم (١) ومع ذلك بقيت في الكتاب هفوات عاقت مؤلفه بعض العوائق عن اصلاحها ، ومردها الى السهو أو الى الغلط .

لم يخل هذا الجزء الخامس من ملاحظات تاريخية دقيقة لمحقق الكتاب وناشره (٢) ، ولا يشك من يتصفح هذا الجزء ان ابن الفوطي أنجز تأليف معجمه بجميع اقسامه على ترتيب الحروف فانه احالنا على تراجم وردت في مختلف حروف المعجم المذكور (٣)

---

(١) تجد امثلة من تحقيق المصنف وحواشيه على نسخة الجزء (٥/ ق ٢/ ٧٨ ، ٨١) .

(٢) تجد بعض ملاحظات الناشر على ما اورده المصنف في الصفحات الآتية من الجزء الخامس (٥/ق٢/٥٥ ، ٦٤ ، ٧٦ ، ٧٧ ، ٩١ ، ٩٨ ، ٩٩ ، ١٠١ ، ١٠٤ ، ١٠٩ ، ١١٠ ، ١١٣ ، ١١٦ ، ١٢١ ، ١٢٤ ، ١٢٥ ، ١٣٠ ، ١٣٤ ، ١٤٣ ، ١٤٧ ، ١٤٩ ، ١٥١ — ١٥٢ ، ١٦٤ ، ١٧٠ ، ١٩١ ، ٢٢١ — ٢٢٢ ، ٢٣٢ ، ٢٣٧ ، ٢٦٥ ، ٢٦٩ ، ٢٧١ ، ٢٧٣ ، ٢٧٧ ، ٥٨٧ ، ٦٦٠ ، ٦٧٩ ، ٦٨٢ ، ٦٨٨ ، ٦٨٩ ، ٦٩٧ ، ٧٠٣ ، ٧٢٤ — ٧٢٥ ، ٧٣١ ، ٧٣٣ ، ٧٥٢ ، ٧٦٠ ، ٧٧٢ ، ٧٧٦ ، ٧٧٨ ، ٧٨٧ ، ٧٩٠ ، ٧٩٨ ، ٨١٣ ، ٨٣٣ ، ٨٣٨ ، ٨٤٠ .

(٣) انظر صفحة (٥٨٥) حيث قال المؤلف في ترجمة المظفر غازي الايوبي ما نصه : (قد تقدم في كتاب الشين) ، وقد احالنا في ترجمة الملك الظافر على حرف الظاء بهذه العبارة : « قدمنا ذكره في باب الظاء » (٥/ ٥٧٠) ، وقال في ترجمة مظفر الدين علجة من ابناء البيوتات في عصره : (قد تقدم ذكر ابيه وجده واعمامه) وجاء في ترجمة الملك المظفر قره ارسلان بن ارتق ما نصه : (قـــد تقدم ذكره في حرف الفاء ٥٨٧) وفي ترجمة الملك الاشرف (٥/ ٦٠٠) (تقـــدم ذكره في كتاب الهمزة) وفي ترجمة معز الدين افلح (تقدم ذكره في حرف الراء) وفي ترجمة معز الدين ايبك التركماني من سلاطين المماليك ما نصه : « تقدم ذكره في حرف العين » وقال في ترجمة معز الدين ركن الاسلام (تقدم ذكره في حرف الراء) ، ورقم الترجمة (١٣٣٥) ، وفي هذا القسم احالات على حروف الجيم والباء والتاء والدين وغيرها من الحروف ، وفي ترجمة المخلص ولي الدولة قال (سيأتي ذكره في حرف الواو) ، وهكذا يتضح لنا من تصفح هذا الجزء من المعجم أن ابن الفوطي اكمل معجمه على ترتيب الحروف من أولها الى آخرها غير أن اكثر تلك الاجزاء تعتبر مفقودة الى الآن .

وقد خصص هذا الجزء من المعجم بباب الكاف واللام والميم .

جرى ابن الفوطي على عادة السلف بالنص على اسم المكان والزمان في الرواية فيقول مثلا : (حدثني فلان ببغداد في المنزل الفلاني في يوم كذا من سنة كذا ... الخ) ، وللمؤلف على هامش نسخة الاصل من هذا الجزء تعاليق تدل على ان هذه النسخة من الجزء الخامس شبيهة بالنسخة الظاهرية من الرابع من شتى الوجوه ، أي انها مسودة المؤلف ونسخة الاصل وعليها كثير من التخريجات بخطه كذلك [1] ، والغالب أن هذا الجزء الخامس من نسخة المؤلف كالجزء الرابع في ترتيبه وجداوله الا اننا لم نطلع على نسخة الاصل منه ، وقد طرأ على النسخة ما طرأ على نسخة الجزء الرابع من الفساد والتلفيق والنقص أحياناً [2] على وجه يدل على ان ذلك التلفيق كان مقصوداً ، ففي بعض صفحاته تراجم بلا اسماء ، وفي أخرى اسماء بلا تراجم على ما رأيت في الجزء الرابع ، وعلى هذا يكون الجزء الخامس من هذا المعجم مع الجزء الرابع الذي مر ذكره جزءين من نسخة واحدة هي نسخة المؤلف ومسودته بخط يده ، وخلاصة القول : نلاحظ وحدة الاسلوب والطريقة في التأليف والتحقيق والاصلاح والاستدراك واعادة ذكر

---

(١) راجع هامش الصفحات (٤٩ ، ٥٥ ، ٥٨ وفيها تحقيقات اضافها المصنف على النسخة كما فعل في نسخة الاصل من الجزء الرابع ، وراجع أيضاً الصفحات ٨١ ، ١٢١ ، ١٥٠ ، ٢٠٢ ، ٦١٣) وفي صفحة (٢٠٢ تخريج للمؤلف على عنوان مجد الدين عمر بن العزيز العاني الصوفي جاء فيه (كأنه من الموصل) وفي صفحة ٣١٣ زيادة كتبها المصنف على ترجمة شيخه محب الدين الطبري وفى صفحة ٣١٦ ترجمة لمحب الدين اللبلي (عرف بهذا البلد من بلاد المغرب) ، وفي صفحة ٣٢٣ كتب على هامش ترجمة مجد الدين ابن كارو القورجي ما يأتي (يقدم على محي الدين بن عبد العزيز) .

(٢) راجع مادة معز الدين ومعز الدولة من الجزء الخامس فهناك تراجم بدون اسماء واسماء بدون تراجم وقد نشرت على علاتها في طبعة مجلة جامعة لاهور .

اصحاب الألقـاب بحسب ترتيب القابهم على الحروف فنراه اذا شك في اسماء بعض المترجمين بادر الى اصلاحها او اشار الى ذلك [١] .

طرائف الالقاب

ومن الالقاب الطريفة فيه : « المناصح » « مناصح الدولة » « مناصح الخاصة » اقبال بن عبد الله الحبشي اسـتاذ الدار من مماليك المستظهر العباسي « المنبسط » من الصوفية « عز الامة » .

ومن الالقاب الطريفة ايضاً « معلم الـكرم » وهو عبد الله بن جعفر الطيار [٢] .
« المعقل » كمحدث ، ربيعة بن كعب بن ربيعة الطائي الامير . « معلم الخيل [٣] » « المعلم » لقب أبي عبـد الله محمد بن أحمد العكبري المحدث [٤] . « معوذ الحـكماء » معاوية بن مالك بن جعفر بن كلاب الـكلابي الفارس الشاعر من شعراء الحماسـة لقوله [٥] :

اعوذ مثلها الحـكماء بعدي　　　اذا ما نائب الحـدثان نابا

« المليح » عدة ألقاب منها لقب لطلحة بن عبد الله قال : « قد تقدم ذكره في ألقابه المتقدمة » ، وقد اعتاد المؤلف أن يورد عدة ألقاب لشخص واحد من المترجمين في الـكتاب .

---

(١) (٥/٦٥٠) .
(٢) (٥/٦٤٥) قال (ذكره الـكلبي في كتاب الجمهرة ويراجع الاغاني ١٥ : ٧٣ .
(٣) (٥/٦٤٦) .
(٤) (٥/٦٤٦) .
(٥) (٥/٦٤٧) .

« معوذ الفتيان » ناجية الجرمي ، لقب بذلك لقصة أوردها في الكتاب [1] .

« مهد الدولة » ذكر في هذا الباب عدة ألقاب لجماعة من الامراء .

« المميز » لقبان لبعض الامراء ، والى بعضهم ينسب درب المميز في محلة ابن جردة .

« ملك العرب » سيف الدولة صدقة بن منصور بن دبيس الاسدي صاحب الحلة قال : (تقدم ذكر نسبه وشيء من احواله في كتاب السين) « شيخ الشرف » .

« ملك الملوك » الديلمي . البويهي المتوفى سنة ٤٤٠ ، ومن الفوائد في هذه الترجمة الاشارة الى اختلاف الفقهاء سنة ٤٣٦ في جواز استعمال مثل هذه الالقاب .

معجم ابن الفوطي في كتب المؤرخين

الصفدي. الذهبي . السيوطي . ابن أبي رافع . السلامي . ابن عنبة . ابن شاكر الكتبي . شمس الدين الجزري . النجفي النسابة . ابن رجب صاحب الطبقات . مؤلف غاية الاختصار . هندوشاه . الخونساري .

عرفناك فيما مر بما ظفرنا به من اجزاء معجم ابن الفوطي النادرة التي كانت تعتبر ضائعة أو مفقودة الى هذه الأيام ، ولكنها لم تكن كذلك في بعض العصور التي تلت عصر ابن الفوطي ، فانهم اجتهدوا في طلبها واقتنائها وعوّلوا على درسها والاستفادة منها والنقل عنها فاصبحت من مآخذ التاريخ ومصادره كما ستراه .

تعتبر نهاية عصر ابن الفوطي بداية عصر من عصور التخلف والخمول المستحوذ على العالم الاسلامي ، وهو عصر بخست فيه كثير من الحقوق وندر التمييز بين الغث والسمين من المصنفات والدراسات ، ومن هذه الناحية نسجت عناكب النسيان على جملة من آثار ابن الفوطي وضاع ذكرها وذكره في العصور التي تلت عصره غالباً اذا استثنينا عدداً قليلا من الباحثين أو المؤرخين وقعت اليهم آثاره فقدروها حق قدرها

(١) (٦٤٧/٥) .

واستفادوا منها ونهلوا من معينها ، وجلهم من المؤلفين في التاريخ أو في الحديث .

من رأينا ان المؤرخين المتأخرين عن عصر مؤرخنا ابن الفوطي انتفعوا بكتبه كثيراً، واكثروا من الاقتباس منها وخاصة معجمه المسمى « مجمع الآداب » ، ولو تسنى لنا تصفح آثار اولئك المؤرخين والمؤلفين لاتضح لنا ان عدد من انتفع منهم بكتبه غير قليل ، بيد أن ذلك لايعنينا الآن ، على ان هذا لايمنعنا من الاشارة الى فريق من المؤرخين وصلت اليهم كتب ابن الفوطي فاستفادوا منها وعنوا بالنقل عنها ، وورد ذكر تلك الكتب فيما لهم من مؤلفات ، واليك فيما يلي جمهرة من هؤلاء المؤرخين الناقلين :

اولا « الصفدي » لا شك ان الصفدي عول في مصنفاته التاريخية على مصنفات مؤرخنا ابن الفوطي كما يظهر فيما وصل الينا من اجزاء كتابه « الوافي بالوفيات »، ولاتزال جل اجزاء هذا الكتاب مخطوطة ، وقد طبع منه جزآن في مطبعة الدولة في الاستانة ، طبع أولهما سنة ١٩٣١، وقد نقل الصفدي في هذا الجزء من الوافي بالوفيات ترجمة أنشأها ابن الفوطي لشيخه البرهان النسفي المتوفى سنة ٦٨٧[١] ، ونقل الصفدي في الجزء السابع عشر من نسخة المكتبة الأهلية بباريس فصلا أنشأه ابن الفوطي في ترجمة شيخه فخر الدين الخلاطي وهو من مشايخ اجازات ابن الفوطي ، وممن أجاز لهم رواية مصنفاته وقد تكرر ذكره في معجمه المذكور[٢] .

ثانياً « الذهبي » (في تاريخ الاسلام) على الاكثر، نقل فصلا عن اسلام « بركه خان » ابن جوجي التتري ، وان اسلامه تم على يد الشيخ سيف الدين الباخرزي كما جاء في ترجمة

(١) الوافي بالوفيات (ج ٢٨٢/١ — ٢٨٣) ط الاستانة .

(٢) انظر مادة فخر الدين من الجزء الرابع وقد عده ابن الفوطي من الأئمة الذين يشار اليهم بالبنان في علم الرياضيات ، وهو ممن استدعاهم نصير الدين الطوسي للاشتغال باشرافه في دار الرصد المشهورة بمراغة، ويقول ابن الفوطي ان مصنفات الخلاطي نيفت على المائة .

للشيخ المذكور أنشأها ابن الفوطي ونقلها الذهبي عنه، ويلاحظ هنا أن الذهبي وقف على الجزء المشتمل على مادة « سـ‍ـــيف الدين » من المعجم، وهو من جملة الاجزاء الضائعة [١] .

ثالثاً « السيوطي » في بغية الوعاة في ترجمة اسمعيل بن جمعة بن عبد الرزاق [٢] .

رابعاً « ابن أبي رافع السلامي [٣] » المتوفى سنة ٧٧٤ في كتابه المختار المذيل به على تاريخ ابن النجار، والكتاب في تراجم علماء العراق ومحدثيها من أهل ذلك العصر، اختصره التقي أحمد بن محمد الفاسي [٤] المكي في مجموع سماه « منتخب المختار »، وقد توفي المختصر الفاسي سنة ٨٣٢، وكان الفراغ من اختصاره بمكة سنة ٨٣٠، وابن الفوطي فيما يراه مؤلف المختار [٥] « امام مؤرخ »، وقد اكثر من النقل عنه في الذيل المذكور [٦]، والغالب انه ظفر بمعجم شيوخ ابن الفوطي الذي ذكر فيـــه مشايخ اجازاته، وهو من كتبه المعروفة أوصل فيه عدد شيوخه الى خمسمائة شيخ [٧]، ولا شك أن المؤلف ظفر بمعاجم أخرى لمشيخة العراق من معاصري ابن الفوطي وزملائه في الدراســـة، وفي مقدمتهم أبو العلاء محمود المعروف بابن الفرضي صاحب ابن الفوطي

(١) راجع (١/٥٤) من كتاب تلفيق الاخبار وتلقيح الآثار تأليف م . م الرفري .

(٢) (ص ١٩٤) .

(٣) للسلامي صاحب الذيل المذكور ترجمة في الدرر الكامنة (٣/٤٣٩) .

(٤) للفاسي صاحب المنتخب ترجمة في الضوء اللامع (٧/١٨٠) وقـــد طبع كتاب المنتخب في بغداد سنة (١٣٥٥ — ١٩٣٨) .

(٥) المنتخب (٢٠٩) .

(٦) انظر الصفحات الأتية من كتاب منتخب المختار وقد ورد فيها ذكر ابن الفوطي : (٢٧، ٢٨، ٣٧، ٤٣، ٦٩، ٧٦، ٨٠، ٨٨، ١١٧، ١٢٨، ١٣٩، ١٥٠، ١٥٢، ١٦٢، ١٧٩، ١٨٣، ٢٠٣، ٢٠٦، ٢٠٩، ٢١٩، ٢٢١، ٢٢٤ — ٢٢٥ .

(٧) كشف الظنون ط الاستانة الحديثة (٢/ العمود ١٧٣٦) .

وزميله في الدراسة ، ورد ذكره كثيراً في معجمه، وقال جماعة من المؤرخين : ان ابا العلاء ابن الفرضي من جملة تلامذة ابن الفوطي اكثر من الاخـذ عنه، وان مات قبله بزمان (١) .

خامساً « ابن عنبة » في عمدة الطالب ، نقل عنه مراراً ، وله ملاحظات على ما ينقله عن ابن الفوطي، ومن ملاحظات ابن عنبة في عمدة الطالب قوله : « ذكر الشيخ الفاضل قوام الدين « كذا » ـ والمشهور كمال الدين ـ عبد الرزاق ابن الفوطي المؤرخ البغدادي في كتابه تلخيص مجمع الآداب ، زين الدين حبيب بن المؤمن بن سبه سالار بن سفيان بن أنس بن يحيي بن أحمـد ذنيب ، وذكر أنه رآه ببغداد وهو كيلاني حنبلي المذهب ، والاكابر يطايبونه كيف أنه حنبلي » هذا ما جاء في العمدة ويلاحظ مؤلفها أن أحمد ذنيب لم يكن له ولد اسمه يحيي ولا ذكره أحد من النساب (٢) .

سادساً « ابن شاكر الكتبي » في فوات الوفيات (٣) ، ولا شك أنه اطلع على بعض مصنفات ابن الفوطي في التاريخ وعول عليها في كتابه المذكور .

سابعاً « شمس الدين الجزري » المتوفى سنة ٨٣٣ في كتابه المسمى « غاية النهاية في طبقات القراء » ، وقد دعاه : الحافظ عبد الرزاق ابن الفوطي (٤) .

ثامناً « النسابة النجفي » وهو السيد محمد بن احمد بن عميد الدين » في كتابه « بحر

---

(١) ورد ذكر المحدث الفرضي كثيراً في كتاب منتخب المختار من علماء بغداد .

(٢) انظر العمدة ص ٢٣٤ ط بومبي وصفحة ٢٥٣ ط . النجف .

(٣) لابن الفوطي ترجمة حسنة جامعة في فوات الوفيات (ج/١/٣٤٨) من طبعة بولاق .

(٤) (١/٢٤٨ ، ٥٥٠) طبع غاية النهاية في مصر سـنة ١٣٥٢ وقد ترجم الجزري لنفسه ولاثنين من ولده في كتابه المذكور .

الانســاب » أو « المشجر الـكشاف لأصول السادة الأشراف » والنقل عن تلخيص مجمع الآداب [1] .

تاسعاً « ابن رجب » في طبقاته . لا شك أن ابن رجب اعتمد على تصانيف ابن الفوطي ، واكثر من النقل عنه إلا أنه أحجم عن التصريح بذلك إلا قليلا [2] . وقد ترجم ابن رجب في طبقاته ترجمة واسعة لابن الفوطي وذكره غير مرة وعني بتعداد شيوخه وأصحابه المتحملين عنه ، ولاشك أن معجم ابن الفوطي من مآخذ طبقات ابن رجب ، والامثلة على ذلك كثيرة في الطبقات ، من ذلك قوله : « قال عبد الرزاق ابن الفوطي سمعت شيخنا الامام أبا حامد بن المطرزي لما قدم من بغداد الى مراغة وقد سئل عمن بقي ببغـــداد من الأئمة فقال : لم اعرف بها فاضلا فقيهاً عالماً بالأصول والفروع غير تقي الدين الجوسقي ، قال : وكفاك شهادة مثل هـذا الـكامل لهذا الفاضل [3] » .

عاشراً «صاحب كتاب غاية الاختصار في اخبار البيوتات العلوية المحفوظة من الغبار [4] »

(١) (١٠٤) وطبع بحر الانساب في القاهرة على الحجر سنة ١٣٥٦ والنسخة سقيمة ولا تخلو من عبث واغلاط .

(٢) انظر الطبقات (٢/٢٧٦) في ترجمة المحدث عز الدين الرسعني .

(٣) الطبقات (٢/٣١١ — ٣١٢) .

(٤) طبع هذا الـكتاب سنة ١٣١٠ ببولاق وقد نسب الى تاج الدين الحسيني نقيب حلب من بني زهرة المتوفى سنة ٩١٥ ، وهذا مستحيل لأن المؤلف عاصر ابن الفوطي المتوفى سنة ٧٢٣ ، ويروي عن مشايخه أيضاً كنصير الدين الطوسي وأولاده والشيخ نجيب الدين الهذلي الفقيه الحلي المعروف وغيرهم ممن يروي عنهم ابن الفوطي ، ولا يزال اسم مؤلف غاية الاختصار مجهولا ، وقـــد صرح المؤلف بالباعث الذي دعاه الى تأليف هذا الـكتاب في مقدمته وذكر أنه ورد الى مدينة السلام صحبة الحضرة السلطانية وفيها رأى اصيل الدين ابا محمد الحسن بن نصير الدين الطوسي وبالغ جداً في الثناء عليه وفي انهاضه همم العلماء والباحثين ومدحه بقوله : =

تحدث عنه في كتابه المذكور ، وقد دعاه الفاصل المؤرخ العلامة ابا الفضل عبد الرزاق ابن أحمد الشيباني ، والحديث المنقول عن ابن الفوطي في الكتاب من الاحاديث الطريفة في موضوع الأنساب ، وابن الفوطي يروي هذا الحديث عن أحمد بن مهنا العبيدلي وهو من شيوخه الذين اكثر من النقل والرواية عنهم في معجمه ، وسمى له جملة من التآليف ، ومن رأينا أن مؤلف كتاب غاية الاختصار وقف على تصانيف ابن الفوطي وعول عليها ، واسلوب ابن الفوطي في التراجم ظاهر في بعض فقرات كتابه المذكور(١).

الحادي عشر « ابن كثير صاحب التاريخ » يتراءى لمن يتصفح تاريخ ابن كثير انه من

= يا ابن النصير وما الزمان مسالمي ... إلا وأنت على الزمان نصيري
سألوك في علم النجوم لو أنهم ... قد وفقوا سألوك في التدبير

وكان الحديث يدور بينهما على الاخبار والأنساب ، فقال له « أريد أن تضع لي كتاباً في النسب العلوي يشتمل على أنساب بيوت العلويين لأقف منه على بيوتهم ، وقد ابتدأت به ببيت « النفس الزكية » لأنه البيت المقدم من بيوت الحسنيين ، وانتهيت فيه الى علي بن أبي طالب عليه السلام » ، هذا ما جاء في مقدمة غاية الاختصار ، والمؤلف ينوه بالدولة المغولية الايلخانيه وبنصير الدين الطوسي وباولاده كثيراً ويطلق لقب الوزير على نصير الدين ، ذكره اكثر من مرة في كتابه ويذكر افضاله على بعض العلويين في الحلة ، واشارته على السلطان بذلك ، والغالب أن هولاكو منحهم بعض ضياع الحلة ، فأثروا منها ثراء عظيما ويفهم أن المؤلف يعني آل طاووس ، وفي كتاب غاية الاختصار اخبار غير قليلة عن نصير الدين الطوسي ومنها خبر طريف مفاده اتصال احد اخوان المؤلف جلال الدين باحدى بنات نصير الدين الطوسي في زيارته الأولى للحلة ، وهو الذي زوجه بها وأوقع العقد بمراغة ثم طالب أبوها بطلاقها فطلقت لسبب أورده المؤلف (ص ٥٤) ، وقال في آخر هذا الفصل ما يأتي : « وما زال مولانا يراعينا لهذا السبب الى أن انتقل الى جوار ربه » انظر الصفحات الآتية من الكتاب المذكور (٢٢ ، ٥٣، ٥٤ ، ٧٧) .

(١) لاحظ ذلك في ص (٧٧) ، ومنه ومن مواضع أخرى في « غاية الاختصار » يتضح ان ابن الفوطي كان من جملة شيوخ مؤلف الكتاب المذكور .

المؤرخين الذين اطلعوا على تصانيف ابن الفوطي ونقلوا عنها في كتابه المعروف بالبداية والنهاية [٢] ، وقد نقل ابن كثير أيضاً فصلا بنصه من الحوادث الجامعة ولكن بدون اشارة الى ذلك [١] ، ويبدو لنا ان ابن كثير من المؤرخين الذين عنوا بتاريخ المغول في كتابه المذكور عناية خاصة ، وسرد عدداً من التراجم لملوكهم وصدور دولتهم ، وكان عنده مجلد من تأليف علاء الدين الجويني في تاريخ المغول نقل لنا عنه [٢] .

وجاء في اخبار سنة ٦٦٦ من كتاب الحوادث الجامعة ما يأتي : « وفيها توفي الشيخ عفيف الدين يوسف ابن البقال شيخ رباط المرزبانية » ، هذا ما جاء في الكتاب ، ويلي ذلك ترجمة لطيفة لهذا الشيخ ، والترجمة منقولة في كتاب حسن المحاضرة [٣] للسيوطي ولكن عن تاريخ ابن كثير لا عن هذا الكتاب ، ويمكن أن يتخذ هذا الاقتباس شاهداً على اطلاع ابن كثير على كتاب الحوادث وتعويله عليه بالاضافة الى ما مر ، ومثل ابن كثير السيوطي في النقل عن الكتب المذكورة ، هذا وقد ترجم ابن الفوطي للشيخ المذكور في معجمه بعنوان : « عفيف الدين أبو عبد الله يوسف بن علي بن احمد يعرف بابن البقال البغدادي المقري » ولكن الترجمة سقطت من النسخة ولم يبق منها الا العنوان المذكور ، والغالب ان ابن فضل الله العمرى والذهبي والدلجي وابن حجر والمقريزي وابن تغري بردي وابن العماد المقدسي صاحب الشذرات [٥] في جملة المؤرخين المتأخرين الذين

(١) راجع البداية والنهاية (١٣/٢٦٦ ، ٣٢٤) .

(٢) البداية والنهاية (١٣/٢٣٥) .

(٣) البداية والنهاية (١٣/١٨ — ٢١) .

(٤) حسن المحاضرة (٢/٤٣) .

(٥) انظر ترجمة الخياط الواسطي الملقب « شير باريك » في شذرات الذهب (٥/٦٥) فانها منقولة بنصها عن الحوادث الجامعة .

عولوا على كتب ابن الفوطي او على من عول عليها من المؤرخين .

الثاني عشر «هندوشاه بن سنجر القاضي» المتوفى سنة ٧٢٤ في كتابه: «تجارب السلف» وهو معاصر لابن الفوطي ، وقد الف كتابه المذكور بالفارسية ، وهو عبارة عن ترجمة لأحد مؤلفات ابن الطقطقي صاحب الآداب السلطانية ، ومن رأي بعض الباحثين أن كتاب «تجارب السلف» ترجمة لكتاب «الآداب السلطانية» نفسه مع شيء من التصرف بالحذف والاضافة ، وقد حذفت مقدمة كتاب «الآداب السلطانية» النفيسة المعروفة في علم السياسة ، وقد اعتمد هندوشاه على كتاب سماه «معجم أهل الأدب» ، ومن رأى بعض الباحثين انه «معجم الألقاب» لابن الفوطي ، ومن رأي ناشر الكتاب [1] كذلك أن المؤلف هندوشاه اعتمد على كتاب «الحوادث الجامعة» وأن الفصل المعقود لتولي ابن الناقد نيابة الوزارة منقول عن الحوادث الجامعة [2] .

الثالث عشر «الخونساري في الروضات» أورد الخونساري في روضات الجنات ترجمة لابن أبي الحديد [3] وهـذا نص ما قاله : «وقد ذكره الشيخ أبو الفضل عبد الرزاق بن أحمد بن محمد ابن ابي المعالي الشيباني الفوطي الأديب المؤرخ المشهور» ، ولم يقل لنا الخونساري من أين نقل هذه الترجمة ، ونستبعد ظفره بالجزء الرابع من معجم ابن الفوطي وفيه ترجمة عز الدين ابن أبي الحديد شارح نهج

---

(١) انظر مقدمة الناشر وقد نشر الكتاب في طهران سنة ١٣١٣ .

(٢) ص ١٦ من كتاب تجارب السلف ، وقارن بين ما جاء فيه (ص ٣٤٨) وما جاء في الحوادث الجامعة (٣٤، ٣٥) .

(٣) الروضات ، باب العين (٤٢٢) .

البلاغة ، وما نقله الخونساري في روضاته هو بعض الترجمة لا كلها ، والترجمة بكاملها مثبتة في آخر الجزء الرابع من شرح نهج البلاغـــة لابن أبي الحديد [1] ، ولعل الخونساري وجد هذه الترجمة على ظهر نسخة من شرح النهج المذكور .

ثالثاً ـ الحوادث الجامعة

بحث عن المؤلف . حجة من يرى انه ابن الفوطي . أصل النسخة . التلفيق وتشويه الاصل . مميزات الـكتاب . تاريخ المأتين السابعة والثامنة في العراق . سجل الثقافة العراقية . سجل العادات والاخلاق . دلالة البحث المقارن .

عرفناك فيما مر باصلين من اصول هـذا البحث التاريخي ، اولهما الجزء الرابع من المعجم ، وثانيهما الجزء الخامس ، يليهما فصل في مآخذ المؤرخين منه ، أما الآن فهذا فصل خاص نعقده للتعريف بثالث هذه الاصول الا وهو كتاب (الحوادث الجامعة) .

نشر كتاب الحوادث الجامعة في بغداد سنة ١٣٥١ هـ — ١٩٣٢ م عن نسخة قـــديمة مغفلة تضاربت بشأنها آراء المعنيين بفن المخطوطات وتواريخها وانسابها ، وللمخطوطات ـ كما لا يخفى ـ تواريخ وانساب لا يعرفها الا المعنيون بها من الأدباء والباحثين فمنهم من ينسب هذا الـكتاب الى ابن الفوطي ، ومنهم من يتردد في هذه النسبة ، وحجة المتوقفين في نسبة الـكتاب الى ابن الفوطي ان نسخة الاصل التي وقعت الينا مخرومة مغفلة ليس فيها بينة أو اشارة الى اسم المؤلف ولا الى تاريخ نسخها ، وقد عرض المؤلف في كتابه الى طبقـــة من اعلام العصر الذي عاش فيه ابن الفوطي ومنهم طائفة من اصدقائه واخصائه ومشايخه ، فلو كان مؤلف هذا الـكتاب صاحبنا ابن الفوطي لاشار الى صلته ببعض هؤلاء ولو مرة واحدة كما فعل كثيراً في تلخيص مجمع الآداب .

---

(١) ط . القاهرة ١٣٢٩ .

الى هذه الحجج يستند المترددون في نسبة كتاب « الحوادث الجامعة » الى هذا المؤرخ ، وهي حجج يسهل دحضها ؛ فان المؤلف في كتاب « الحوادث الجامعة » جامع اخبار ومدون حوادث فوض اليه جمعها وتدوينها بأمر علاء الدين الجويني صاحب ديوان الممالك ، فهو مؤرخ الدولة المغولية[1] ، واسلوب الكتاب يشهد بذلك ، ولم يؤلف كتاب الحوادث الجامعة ليكون معجماً للاساتذة أو مشايخ الاجازات أو كتاباً من كتب التراجم والطبقات . وان استطرد مؤلف الحوادث الجامعة الى كثير من التراجم والوفيات .

اصل النسخة

كان اصل المخطوطة لاديب بيروتي ، ثم ملكه الباحث المصري المؤرخ أحمد تيمور وصوره واهدى منه نسخة الى مصلحة الاوقاف في بغداد لاتصال الكتاب بتاريخ العراق وتسجيل حوادثه ، ونشرت بعض المجلات العربية في العراق ومصر وبيروت فصولا منقولة عن هذه النسخة ومقتطفات تاريخية منها : نشرت قبيل الحرب العالمية الأولى وبعد ذلك .

ونقل احمد تيمور عن الكتاب فصولا في بعض مؤلفاته ، من ذلك فصل نقله في بحثه عن اليزيدية[2] وهو يتعلق بالحادثة التي حدثت بين بدر الدين لولو صاحب الموصل واصحاب الشيخ عدي بن مسافر ، وذلك سنة ٦٥٢ ، وصرح المؤرخ المصري المذكور في هذا الفصل بما يلي : « وقفنا في جزء قديم من تاريخ عندنا لم نعلم اسمه ولا اسم مؤلفه على

(١) صرح بذلك في ترجمة الجويني ج ٤ : مادة علاء الدين .

(٢) « اليزيدية ومنشأ نحلتهم » ط القاهرة سنة ١٣٤٧ ص ١٧ .

حادثة وقعت سنة ٦٥٢ (١) » .

يلاحظ أن الطريقة المتبعة في تسويد نسخة الاصل من الكتاب وتعليق الحواشي عليها واصلاحها بالحذف والزيادة ، هي طريقة ابن الفوطي نفسها في نسخة معجمه المسمى « تلخيص مجمع الآداب » وان خطها شبيه جداً بخطه بل هو خطه بعينه في رأي بعض الباحثين ، ويعتمد مؤلف كتاب الحوادث الجامعة كما يعتمد ابن الفوطي في معجمه على تاريخ علي بن انجب المعروف بابن الساعي مؤرخ العراق الشهير ، وقد ذيل ابن الفوطي — كما هو معروف — على تاريخ شيخه ابن الساعي ، وذكر المؤرخون ذلك في قائمة مؤلفات ابن الفوطي التاريخية (٢) .

---

(١) انظر اخبار السنة المذكورة من كتاب الحوادث الجامعة ، هذا ومن اشهر المؤرخين الذين عنوا بالنقل عن كتاب الحوادث الجامعة حسبما ادانا اليه البحث اربعة ، اولا : هندوشاه صاحب كتاب تجارب السلف ألفه بالفارسية ، نقل فصلا يتعلق بوزارة ابن الناقد عن الكتاب ، ثانياً : ابن كثير في كتاب البداية والنهاية ، نقل عن الحوادث الجامعة فصولا عدة بنصها وفصها بدون اشارة الى مصدرها ، ثالثاً : الدلجي في كتاب « الفلاكة والمفلوكين» نقل عن الكتاب ترجمة «الحريري» الصوفي الدمشقي الفقير بدون اشارة الى الاصل الذي نقل عنه ، رابعاً : ابن شاكر الكتبي نقل عبارة مؤلف الحوادث الجامعة بعينها عن عدد قتلى واقعة بغداد ، وذلك في جزء من كتاب « عيون التواريخ » ، وتوجد نسخة الاصل منه بخط المؤلف ابن شاكر الكتبي (هي نسخة الخزانة التيمورية في القاهرة) ، وليس فيما نقله ابن شاكر اشارة الى اسم الكتاب المنقول عنه .

هذا ومما لا شك فيه وجود عدد آخر من طبقة اولئك المؤرخين عنوا بالنقل عن كتاب الحوادث الجامعة فانه كتاب انفرد بحفظ طرائف الاخبار وغرائب الاحداث خصوصاً ما وقع منها بعد انحلال الدولة العباسية .

(٢) قال الحاج خليفة في كشف الظنون ط . الاستانة الحديثة (١/٢٧٩) ما يأتي « تاريخ ، ابن الفوطي متعدد ، كالذيل على الجامع المختصر لشيخه ابن الساعي ، والحوادث الجامعة في الوفيات . ومجمع الآداب ، هذا ما قاله الحاج خليفة في كشف الظنون ، ومن ذلك يستفاد ان هذا الذيل الذي ذيل به =

مميزات الحوادث الجامعة

برع مؤلف كتاب الحوادث الجامعة- ايا كان المؤلف المذكور -في معالجة تاريخ المائة السابعة من الناحية السياسية على الاجمال ، فهو من كتب التاريخ السياسي في العراق على الاكثر ، لانه يعنى بالاشارة الى نظم الحكم وسياسة الدولة والنظم الاقطاعية في المائة المذكورة ، ويعنى بتاريخ الخلفاء العباسيين والملوك والوزراء والصدور وكبار المتصرفين والاعيان في الدولتين العباسية والمغولية [(١)] ، وممن عني بالترجمة لهم من سلاطين المغول الايلخانيين ، هولاكو ، واباقا ، وارغون ، وكيخاتو ، وغازان ، ونلاحظ أن له طريقة جميلة في ترجمة الساسة والحكام وكبار المماليك في عصور الدولتين العباسية والمغولية كما فعل في ترجمة شرف الدين اقبال الشرابي ، ومجاهد الدين الدوادار الصغير ، وابيه علاء الدين الدوادار الكبير ، وابن العلقمي ، وابن مهدي من وزراء العباسيين ، وابن الناقد استاذ دار المستنصر ووزير المستعصم ، وبعض اخوانه واهـــل بيته من رؤساء وحكام ونواب ، وفي تراجم النقباء والاشراف من العلويين والهاشميين كآل المختار وآل طاووس وآل الاقساسي نقباء

= ابن الفوطي على تاريخ شيخه ابن الساعي هو كتاب آخر غير مجمع الآداب وغير الحوادث الجامعة ، وقال الحاج خليفة أيضاً في (الكشف ط . الاستانة الحديثة (١/٥٧٢) ما يأتي «الجامع المختصر في عنوان التاريخ وعيون السير لابن الساعي البغدادي المتوفى سنة ٦٧٢ ، وهو تاريخ كبير في نحو خمسة وعشرين مجلداً بلغ فيه الى آخر سنة ٦٥٦ ، والذيل عليه لتلميذه كمال الدين عبد الرزاق بن أحمد بن محمد المحدث المؤرخ الفيلسوف البغدادي الفوطي ، وهو كبير في نحو ثمانين مجلداً عمله للصاحب » ، هذا ما جاء في الكشف ولا شك انه يعني بالصاحب علاء الدين الجويني ، وهذا صريح في أن كتاب ابن الفوطي ألف في التذييل على تاريخ ابن الساعي يبتدىء من سنة ٦٥٦ ، ولكن لم ترد في الكشف اشارة الى العصر الذي ينتهي فيه الذيل ، واما قول الحاج خليفة ان الحوادث الجامعة كتاب في الوفيات فلعله أراد أن ابن الفوطي عني بوفاة من ورد ذكرهم في كتابه أو ترجم لهم من الخلفاء والسلاطين والامراء والقضاة والادباء والمشايخ والمؤلفين الى غير ذلك ولا نظن كتاب الحوادث مقصوراً على الوفيات والا لما جازت تسميته بالحوادث الجامعة .

(١) انظر ما كتبه عن سيرة هولاكو (٣٥٣) وعن زيارة ابنه اباقا لبغداد (٣٧٥ ــ ٣٧٩) .

الكوفة ، وقد حذا هذا الحذو في ترجمة امراء المغول وحكامهم كآل الجويني ، آل الخالدي ، ابن الطراح [1] ، الدستجرداني ، عماد الدين القزويني ، مجد الملك اليزدي ، سعد الدولة ابن الصفي اليهودي [2] ، وسرد سيرتهم وتاريخهم السياسي وما الى ذلك ، كما حفل معجم ابن الفوطي أيضاً بذكر اكثر هؤلاء السلاطين والحكام والامراء على وجه يكاد أن يشعرنا بأن الكتابين من تأليف مؤلف واحد في العصر المذكور ، هذا ويتبسط صاحب الحوادث الجامعة في وصف الرسوم والقواعد والعادات المتبعة في الدولتين وصور البراءات ، ويدخل في ذلك البراءات والمراسيم الصادرة بتعيين رؤساء أهل الذمة من يهود ونصارى [3] ، وايراد البراءات والمراسيم الصادرة في شؤون النصب والعزل ، ووصف حفلات التوديع والاستقبال لمختلف رجال الدولة وغيرهم من مدنيين وعسكريين ، والاشارة الى ازيائهم وشاراتهم وملابسهم في تلك الحفلات ، ونحن نحيل الباحثين في هذا الشأن على مراجعة بعض الفصول التي عقدها المؤلف لترجمة بعض الخلفاء والوزراء والصدور [4] .

هذا ويعنى صاحب الحوادث مضافاً الى ذلك بوصف ازياء ذوي المناصب على اختلاف انواعها ونظام الالبسة المتبع في الحفلات الرسمية ، ومن ذلك ازياء المدرسين [5] فالمؤلف — كما قلنا — بارع في معالجة التاريخ من هذه النواحي ومن الموضوعات التي عنى

---

(١) الحوادث ٤٨٤ ، ٤٨٥ ، ٤٨٦ عن سيرته وتاريخه السياسي واستقلاله بواسط وما اليها ومقتله بعد ذلك . وانظر عن الدستجرداني بعده الصفحات الآتية : ٤٨١ ، ٤٨٩ ، ٤٩٠ ، ٤٩٢ .

(٢) (٢١٨ ، ٢٤٨ ، ٣٠٠ ، ٣٥٧) ، المصدر المذكور ٤٤٤ ، ٤٥٤ ، ٤٥٥ ، ٤٦١ ، ٤٦٤ ، ٤٦٦ ، ٤٨٤ ، ٤٨٥ .

(٣) انظر الصفحات الآتية ٢١٨ ، ٢٤٨ ، ٣٠٠ .

(٤) ترجمة المستنصر (١٥٥ — ١٥٨) والمستعصم (١٥٨ — ١٦٤) واحوال الامير جمال الدين قشتمر ٥٧ ، ٧٧ ، ٩٣ ، ١٠٤ ، ١٠٥ ، ٢١٤ ، ٢١٥ ، وفي فصول أخرى تأتي بعد ذلك .

(٥) ١٤٨ ، وانظر عن زي المتصوفين والوزراء ، ٢٨٤ ، ٤٨٥ .

بها تسجيل وفيات المشاهير على اختلاف طبقاتهم : خص منهم القضاة والادباء والفقهاء والمدرسين والمؤرخين ، ومن المؤرخين الذين عني المؤلف بالترجمة لهم في الحوادث الجامعة ابن النجار المتوفى سنة ٦٤٣ قائلا : « له تاريخ بغداد ، ذيل به على تاريخ الخطيب » ، ترجم له ترجمة حسنة يستفاد منها أن هذا المؤرخ، او ابن النجار كان رحالة امضى في اسفاره ثمانية وعشرين سنة ، وعرض عليه السكنى في رباط شيخ الشيوخ فامتنع من ذلك ، اما رباط شيخ الشيوخ فهو من اقدم الربط البغدادية ، وكان موقعه في المشرعة من نهر المعلى ، وينسب الى شيخ الشيوخ أبي سعد [1] ، هذا والرواية غير قليلة عن ابن النجار في كتاب الحوادث الجامعة ، وفي المعجم ، والمؤلف يدعوه فيه (شيخنا) [2] ، وورد ذكر مؤلف الجامع المختصر تاج الدين ابن الساعي مراراً في كتاب الحوادث الجامعة ، وقال مؤلفه بعد تاريخ وفاته « كان أديباً فاضلا له مصنفات كثيرة آخرها كتاب الزهاد [3] » ، ومنهم ظهير الدين الكازروني يروى عن تاريخه الكبير اذ ان كتابه مختصر التاريخ ينتهي بخلافة المستعصم [4] ، ومن مراجع مؤلف الحوادث الجامعة ومؤلف المعجم — اعني ابن الفوطي — عدا تصانيف الشيخين المؤرخين ابن النجار وابن الساعي تواريخ الدبيثي الواسطي وابن القطيعي والكازروني وكلهم من المؤرخين العراقيين .

ونحن بهذا الصدد نثبت آراء بعض هؤلاء المؤرخين العراقيين في زملائهم المعاصرين لهم المعنيين بكتابة التاريخ مدحاً وذماً ، خذ مثلا على ذلك رأي أبي عبد الله ابن النجار

---

(١) يراجع عنه كتاب « الجامع المختصر » لابن الساعي (٣٧/٩ ، ١١٧) وله ذكر في اخبار سنة ٦٤٤ من الحوادث الجامعة وذكر في غرق بغداد سنة ٦٤٦ .

(٢) (١٢٠/٥) .

(٣) (٣٨٩) .

(٤) (٤٥٣) .

المؤرخ المشهور في شيخه المعروف بالقطيعي ، وتاريخه الذي ذيل به على أنساب السمعاني كما أورده ابن رجب في ترجمة القطيعي من طبقاته وهذا نصه : « محمد بن أحمد بن عمر ابن الحسين بن خلف البغدادي القطيعي الازجي المؤرخ جمع تاريخاً في نحو خمسة أسفار ذيل به على تاريخ أبي سعد ابن السمعاني سماه (درة الاكليل في تتمة التذييل) رأيت اكثره بخطه ، وقد نقلت عنه كثيراً في هذا الكتاب ، وفيه فوائد جمة مع أوهام واغلاط ، وقد بالغ ابن النجار في الحط على تاريخه هذا مع انه أخذ عنه ، واستفاد منه ، ونقل عنه في تاريخه أشياء كثيرة بل نقله كله » وقال أيضاً : « لم يكن — أي القطيعي — محققاً فيما ينقله ، ويقوله وكان لُحنَة لا يعرف اسماء الرجال » ، هذا قول المؤرخ ابن النجار في القطيعي وتاريخه المعروف كما نقله ابن رجب في طبقاته (١) . بيد أن ابن رجب فضح بعد ذلك السر في تحامل ابن النجار على تاريخ القطيعي فقال : « ولما عمر المستنصر مدرسته المعروفة به — المستنصرية — جعل القطيعي شيخ « دار الحديث » وكان ابن النجار معيداً بها للطلبة ، وهذا من جملة الاسباب التي أوجبت تحامله عليه ، وقد وصفه غير واحد من الحفاظ وغيرهم بالحافظ » ، وجاء في موضع آخر من طبقات ابن رجب ما نصه (٢) : « قال ابن الساعي وغيره لما بنى المستنصر بالله مدرسته المعروفة بدار الحديث رتب بها شيخين يشتغلان بعلم الحديث احدهما أبو منصور بن الوليد والآخر أبو عبد الله ابن النجار صاحب التاريخ » .

هذا والكتاب — أي الحوادث الجامعة — من أوفى المراجع في تاريخ المدارس والمدرسين ودور الكتب وخزائنها في العراق وجوامع بغداد وخطبائها والمحدثين والفقهاء المدرسين فيها ، والخلاصة : امتاز الكتاب بحفظه لتاريخ المائة السابعة ، وبفطنة

---

(١) طبقات ابن رجب (٢/٢١٢ — ٢١٤) .

(٢) المصدر المذكور (٢/٢٢٣ ، ٢٢٤) .

مؤلفه الى تخليد أوضاع زمانه حباً بفائدة الاجيال الآتية .

تاريخ العراق

اذا كان تأسيس الدولة العباسية من أهم حوادث المائة الثانية في تاريخ العراق او تاريخ العالم الاسلامي بأسره ، فان حوادث المائتين السابعة والثامنة لا تقل خطراً عن تلك الحوادث ، اذ انها شهدت انحلال الدولة العباسية في اواسط المائة السابعة ، وقيام الدولة الايلخانية في الشرق ، وقد انفرد مؤلف الحوادث الجامعة بوصف واقعة بغداد ، وانحلال الدولة العباسية ، وما جرى في العراق بعد استيلاء المغول وصفاً شاملا لا يجارى فيه واحاط بهذا الموضوع من اكثر نواحيه ، حتى انه عنى بترجمة من قتل في الواقعة من اعيان البغداديين وعلمائهم وحكامهم ، وتسمية من أسره المغول من هـذه الطبقات ، كما سمى ابن الفوطي في معجمه من كان يتولى اخراج اولئك العلمـاء والاعيان الى ظاهر بغداد ليقتلوا في مخيم هولاكو ، ولا بدع فقد كان المؤلف من شهود العيان في تلك الواقعة [1] .

ليس مصنف الحوادث الجامعة فيما نرى مؤرخ واقعة بغـداد فقط ، بل مؤرخ وقائع المغول قبل ذلك ، واخبارهم بعد ذلك في هـذه البلاد الى آخر المائة السابعة ، وهو مدون غزواتهم المعروفة في حـدود بلادنا شرقاً وشمالا مثل غزوات « اربل » وقد غزاها المغول اكثر من مرة قبل الاستيلاء على بغـداد ، وهكذا غزوتهم لبلدة « خانقين » وما اليها سنة ٦٣٥ ، وهي غزوة خطيرة استؤصل بها الجيش العباسي وذلك في خلافة المستعصم ، وتعتبر أعظم واقعة وقعت بين الفريقين قبل واقعة بغداد ، ومن المؤرخين الذين عنوا بذكر هذه الوقائع والغزوات ابن العبري في مختصر تاريخ الدول [2] .

---

(١) اللباب أو مختارات من تلخيص مجمع الآداب للمؤلف (٥٥ ، ٥٦) وقد تولى فخر الدين عبد الله بن عبد الجليل القاضي المحدث وعز الدين الزنجاني اخراج الفقهاء البغاددة ليقتلوا فى مخيم هولاكو ، وتجد في اخبار سنة ٦٥٦ من كتاب الحوادث الجامعة اسماء من قتل او أسر في الواقعة من العباسيين نساء ورجالا واسماء من قتل من الامراء وقادة الجيش والاعيان .

(٢) (٤٣٠) .

ويمتاز كتاب الحوادث الجامعة أيضاً بايراده تاريخ أواخر عصور الدولة العباسية وأوائل عصور الدولة المغولية في العراق الى نهاية المائة السابعة ، وقد ابدع في تاريخ خلافة المستنصر [1] وخلافة المستعصم آخر خلفاء بغداد كما عني بتسجيل سير الثقافة العراقية في ذلك العصر ، ولا يوجد في كتاب آخر على ما نظن مايوجد في هذا الكتاب من وصف معاهد العلم والثقافة في بغداد والعراق ، فهو من اوفى المراجع في تاريخ المدارس والمدرسين ودور الكتب في العراق ومن الامثلة على ذلك وصف الاحتفال بفتح المستنصرية وهو احتفال رائع شهده رجال الدولة والوزراء ومؤيد الدين ابن العلقمي استاذدار الخلافة الذي تولى عمارة المستنصرية، وشهد الاحتفال كذلك سائر الولاة والحجاب والقضاة والمدرسون والفقهاء ومشايخ الربط الصوفية والوعاظ والقراء والشعراء وجماعة من اعيان التجار ، ويقول مؤلف الكتاب « نقل في هذا اليوم — أي يوم الاحتفال — الى المدرسة من الربعات الشريفة والكتب النفيسة ما حمله مائة وستون حمالا ؛ وجعلت في خزانة الكتب، وكان الخليفة يحضر في بعض الايام هذه الاحتفالات [2]، » وهكذا جوّد وصف

---

(١) انظر عن خلافة المستنصر (١٥٥) وما يليها ، وعن خلافة المستعصم (١٥٨) وما يلي ذلك .

(٢) تجد تفصيل ذلك في الكتاب (٥٣ — ٥٩) وانظر (٤٤٤) عن رجل كان يتولى تدبير الساعات التي تجاه المستنصرية ، وممن وصف حفلة افتتاح المستنصرية من المؤرخين عبد الرحمن الاربلي في كتابه خلاصة الذهب المسبوك (٢١٢) ، وقال ابن عنبة في عمدة الطالب (١٨٢ كان المستنصر اودع خزانته في المستنصرية ٨٠ الف مجلد على ما قيل ، ولمكتبة المستنصرية ذكر جميل في كتب التاريخ ، ومن المؤرخين الذين اشادوا بذكر المدرسة المستنصرية سبط ابن الجوزي في مرآة الزمان ، ورد ذلك عند الاشارة الى وفاة المستنصر بالله ، وفي هذا الفصل يقول السبط المذكور : « كان ــ يعني المستنصر ــ جواداً سمحا عادلا قريباً من الناس رحوم القلب متصدقاً سراً وجهراً ، عمر المدرسة الشاطئية واوقف عليها الاوقاف الكثيرة ونقل اليها الخطوط المنسوبة مثل خط ابن البواب ، وابن مقلة ، وغيرهما ، ورتب لفقهاء جميع ما يحتاجون اليه من الاطعمة والاشربة والجوامك والفواكه حتى المارستان والحمام، ولم يكن عنده تعصب على مذهب، وليس في الدنيا مثل هذه المدرسة ولا بني مثلها في سالف الاعوام ، فهي في العراق كجامع دمشق =

المستنصرية عند الاحتفال بفتحها في خلافة منشئها ، ولكن المدرسة المذكورة احتاجت الى الترميم ، واحداث بعض المرافق في عصر المغول ، فلم يفت مؤلف كتاب الحوادث الجامعةوصف مرمة المدرسة ، واصلاحها ، واسالة المياه من دجلة اليها في عصر الجويني صاحب الديوان [1] ومن ذلك وصف الاحتفال نفسه وهو من أنفس ما تضمنه كتاب الحوادث الجامعة من الفصول التاريخية وامتعها ، والكتاب من ناحية أخرى بمثابة تاريخ لسير الادارةوالسياسة في العراق على عهد المغول فان المؤلف تعرض لرجال المال والاعمال والادارة والتنداء واصحاب الفنون وما الى ذلك

= وقبة الصخرة بالشام ، وبنى المساجدوالمشاهد ، وعمر الخانات في الطرقات ، وكان يزورالصالحين ويحسن اليهم ، ويزور المشهدين مشهدعلي عليه السلام ومشهد الحسين ، ولم يكن للمال عنده قدر ، ولما وردت بغداد سنة ٦٤٤ حكى لي الثقاة عنه أن له الاحوال الجليلة » ، هذا ما قالهسبط ابن الجوزي في مرآة الزمان ويلي ذلك فصل في مناقب المستنصر بالله راجع عنه مرآة الزمان (٨/ ٧٤١) .

(١) كتاب الحوادث: (٣٦٥) وانظرعن عناية الجويني بالحركة العمرانية الانشائية في بغداد والعراق (٣٧١ — ٣٧٣) من هذا الكتاب وراجع (٤٢٣) عن نبذة للمؤلف في ترجمة الجويني كتبها بمناسبة تاريخ وفاته . وقد نوه عدد من المؤرخين غير صاحب الحوادث الجامعة وغير ابن الفوطي في تلخيص مجمع الآداب بذكر الجويني وكونه صحيح الدين متين الايمان ، من ذلك ما جاء في تاريخ ابي الفداء عن نكبة علاءالدين صاحب الديوان على يد « اباقا خان » وان ذلك بسبب ما نسب اليه من مواطاة المسلمين، وقد ترجم له ابن الفوطي في تلخيص مجمع الآداب ونقلنا ذلك في « اللباب او مختارات من تلخيص مجمع الآداب » ، ومن مراجعة ما ورد في هذا الكتات عن ابن الجويني صاحب الديوان ومقارنته بما ورد في مجمع الآداب عنه يتأيد رأي من يرى ان مؤلف الكتابين واحد . انظر عن صلة ابن الفوطي بآل الجويني اشهر حكام العراق وايران في الدولة الايلخانية المغولية (٣٦ ، ٤٠) من اللباب او مختارات من مجمع الآداب وتجد بعض اخبار آل الجويني في الصفحات الآتية من الحوادث الجامعة : (٤٤٨ ، ٤٥٠ ، ، ٤٥٩ ، ٤٦٢ ، ٤٦٨ ، ٤٨٦ ، ٤٩٤ ، ٥٠٠ ، ٥٠٣) .

نقد الاخلاق والآداب

وقد يعنى مؤلف الحوادث الجامعة بتسجيل بعض الاحداث التي لها علاقة بالنقد الاخلاقي أو الادبي أو السياسي ، ومن ذلك ما نظمه الشعراء في قصة احد عدول مدينة السلام ، واعلام أهل الطريقة المتكلمين بلسان أهل الحقيقة . اذ قبل ان يتقلد نقابة العباسيين ، وخلع عليه خلع سنية مع سيف محلى بالذهب في حفلة عظيمة اثارت خواطر النقاد والشعراء . قال المؤلف « وكان الموفق عبد القاهر ابن الفوطي من جملة تلامذته فعمل فيه أبياتاً طويلة لما انتهى حالها الى الديوان انكر ذلك عليه ، ووكل به اياما ، ولم يخرج الا بشفاعة [1] » وقد اورد المؤلف بعد ذلك تلك القصيدة واولها :

ناديت شيخي من شدة الحرب   وشيخنا في الحرير والذهب

وتحوي القصيدة توبيخ لاذع لقوم يقولون بالسنتهم ما ليس في قلوبهم ويتظاهرون بالزهد ولكنهم يتقلدون مناصب الدولة ، وتقريع على التباين بين القول والعمل ، وهو في الوقت نفسه نقد لرجال السياسة ورجال الديوان ، ولذلك اثارت هذه الحادثة حركة فكرية قوية في بغداد انشطر فيها الناس الى شطرين ، شطر يدافع عن الصوفي النقيب الذي تقلد المنصب ، وآخر يستنكر نهجه في ذلك ، وقد ادخل رجال القضاء والفتيا انوفهم في هذه الحادثة كما تجدها في الكتاب المذكور [2] .

سجل عادات واخلاق

عادات في الافراح ، عادات في المآتم ، أوهام وخرافات واساطير ، نثر الذهب ، رمي التراب ، نقل الاموات ، خوارق العادات ، الاحتفال بالختمة .

كتاب الحوادث الجامعة سجل عادات واخلاق اعتادها العراقيون من قديم الزمان

---

(١) الحوادث الجامعة : (٣٨ — ٤٢) .

(٢) المصدر المذكور : (٤٢) .

ويستفيد منه من يعنى بتاريخ هذه الاوضاع والعادات الاجتماعية المألوفة عندنا اليوم وعند اسلافنا قبل ذلك .

يتوهم الكثيرون ان هذه العادات المألوفة لدى السواد الاعظم من العراقيين وأن هذه الاوضاع التي يتعلق بها الجمهور في حياتهم الاجتماعية أي في أفراحهم واتراحهم ، وفي مآتمهم واعيادهم ، وفي غير ذلك من شؤون حياتهم لم تكن معروفة ، ويظن بعضهم أن هذه الاساطير والخرافات أو الاوهام المستحوذة على عقول الطبقة الساذجة البسيطة من أهل هذه البلاد امور محدثة غير قديمة . بيد ان نظرة فاحصة الى اسفار التاريخ كفيلة بتزييف رأي من يرى ذلك .

يعنى المؤلف بالاشارة الى جملة من عادات العراقيين وأخلاقهم وأوهامهم وخرافاتهم في عصره ، عادات واخلاق وخرافات لم تزل شائعة الى يومنا هذا في العراق ، ولا شك انها انتقلت في الغالب الى السواد الاعظم من العراقيين بعد اختلاطهم بمختلف شعوب الشرق التي جاءت مع المغول ، فلم يسعهم الا التقليد والمحاكاة ومجاراة الضعيف للقوي والمغلوب للغالب في هذه الشؤون والناس على دين ملوكهم ، والخلاصة : يستفيد من هذا الكتاب من يعنى بتاريخ تلك العادات والاخلاق والاوضاع الاجتماعية عند الشعوب ويستفيد أيضاً من يعنى بتاريخ الكلمات الدخيلة واللهجات اللغوية فان لهجتنا اللغوية الشائعة الآن شبيهة بلهجة اسلافنا العراقيين فمنذ اكثر من سمائة سنة والالفاظ الدخيلة أو المولدة الشائعة في تلك العصور ما تزال شائعة في لهجة السواد الاعظم من العراقيين كما ستجيء الاشارة الى ذلك .

وجمل القول : يتضح لمن يعنى بالبحث في تاريخ الامة العراقية وخصوصاً في بعض عصور الدولة العباسية الوسطى والاخيرة أن كثيراً من تلك الاوضاع التي يصطنعها

ابناء العراق اليوم قديمـــة موروثة ، وفي هذا الفصل المامة بتاريخ تلك العادات على الطريقة الآتية .

أولا - عادات في المآتم والافراح

من عادات العراقيين اذا منيت الاسرة بفقد شخص منها ان تتقبل العزاء في مجلس خاص مدة لا تقل عن ثلاثة ايام غالباً ، ومن مظاهر الحزن اطلاق شعر الوجه والراس ولباس السواد ، ومن عادات كثير منهم ان لايحلقوا شعرهم الا بعد مرور اربعين يوماً . على ان يتولى ذلك شخص تجله الأسرة .

وليست هذه العادات حديثة كما يظن بعضهم وانما هي قديمة موروثة ، ولها ذكر في كتب التاريخ ، وخصوصاً تاريخ الدولة العباسية في فترته الاخيرة : من ذلك ما جاء في اخبار سنة ٦٣٥ من كتاب الحوادث الجامعة في صدد الاشارة الى وفاة ابنة بدر الدين لولو صاحب الموصل وزوجة الامير علاء الدين الطبرسي الدوادار وهذا نصه :

« عمل العزاء في دار الامير علاء الدين ، وحضر النقيب الاقساسي وموكب الديوان واقامه — يعني الدوادار المعزّى — من العزاء ونفذ المحتسب أبو الفرج عبد الرحمن ابن الجوزي الى بدر الدين لولو ليقيمه من العزاء » (١) .

ويلاحظ أن مؤلف هذا الكتاب عقد اكثر من فصل واحد عنوانه « تغيير ثياب العزاء » ، والمقصود في احدها (٢) تغيير ثياب الخليفة المستعصم بعد انتهاء مدة الحزن على ابيه ؛ هـــذا ومن شعائر الحزن على الاموات تشعيث الشعر وكشف الراس ، جاء في اخبار سنة ٦٣٧ من الحوادث الجامعة عن وفاة الامير جمال الدين قشتمر ما يأتي

---

(١) كتاب الحوادث : (١٠١) .

(٢) المصدر نفسه : (١٦٥ ، ١٦٦) .

« جلس ولده الامير مظفر الدين محمد في داره للعزاء ، فحضر في اليوم الرابع موكب الديوان وجميع الحجاب ، وعارض الجيش حسن ابن المختار العلوي ، فاقامه من العزاء وضفر شعره وغطى رأسه ومضى الى الديوان »[1] .

هذا ما جاء في الكتاب عن بعض مظاهر الحزن على الاموات ، مثل كشف الراس شعثاً في مجلس العزاء الى ان يتقدم شخص ذو مكانة فيضع حداً للعزاء باصلاح الشعر وضفره وتغطية الرأس ، وازالة غير ذلك من علل الحزن على الميت ، ولا حاجة الى القول انها جميعاً ما عدا كشف الرأس عادات باقية الى هذا اليوم في العراق ، فان شارات الحزن تبقى مدة طويلة حتى يتقدم بازالتها شخص كبير او زعيم مسموع الكلمة عند تلك الاسرة .

الجلوس للعزاء

ولا بد لنا من القول ان هذه العادة — عادة الجلوس للعزاء — في بيت او مدرسة أو مسجد لم تكن معروفة في صدر الاسلام ، ولا في اولى عصور الدولة العباسية ، وانما ظهرت هذه العادة بعد ذلك ، وكان هدى الاسلام في خير عصوره الصبر والسكون والاسترجاع أي ان تقول (انا لله وانا اليه راجعون) والتسليم ، والحث على هذه السنن والآداب ، والتحذير من الجزع والحزن الشديد ، واما اكثر الاخبار المأثورة التي وردت في النهي عن ضرب الصدور ، وخمش الخدود او في ذم الصراخ وشق الجيوب ، وجز الشعور ، وما الى ذلك .

قال الشيخ ابو جعفر في « المبسوط » الجلوس للتعزية يومين او ثلاثة ايام مكروه اجماعاً ، ولكن ابن ادريس انكر هذا القول ، وقال بعد نقل كلام صاحب المبسوط

---

(١) الحوادث : (١٣١ — ١٣٣) .

« لم يذهب احد من اصحابنا المصنفين الى ذلك ، ولا وجد في كتاب ، وانما هو من فروع المخالفين ، وأي كراهية في جلوس الرجل بـــداره للقاء اخوانه ، والدعاء لهم والتسليم عليهم ، واستجلاب الثواب في لقاءه وعزاءه » ، هذا ما قاله الشيخ محمد بن ادريس الحلي في تعقيبه على اقوال الشيخ ابي جعفر بيد ان العلامة الحلي في المعتبر ايد الشيخ ابا جعفر قائلا لم ينقل عن احـد من الصحابة او الائمة الجلوس للتعزية ، فهو مخالف لسنة السلف ، هذا ما قاله صاحب المعتبر ، مع ان ابن ادريس انكر القول بكراهية الجلوس للعزاء ودعوى الاجماع على ذلك ، والحق ان هناك اخباراً متعارضة وآراء مختلفة في هذا الموضوع ورأي ابن ادريس في المسألة اقرب الى الصواب .

ثياب العزاء

كانوا يتخذون للعزاء ثياباً خاصة، ورد ذكرها كثيراً في تاريخ هذه الحقبة، ولـكنها لم توصف وصفاً واضحاً ولم يعين لون تلك الثياب ، ونرجح انه السواد لأن العادة المتبعة عند العراقيين اليوم في حالة الحزن لبس الثياب السود ، هذا وقد عقد صاحب الحوادث فصلا عنوانه « تغيير ثياب العزاء والهناء [1] » ضمنه وصول ركن الدين اسماعيل بن بدر الدين لولو صاحب الموصل ـ وركن الدين يومئذ صاحب « سنجار » ـ لتعزية المستعصم بوفاة المستنصر ، فخرج للقائه الامراء ، وعارض الجيش ، ودخل وعليه ثياب الحزن وقبل « العتبة » بباب « النوبي » ، ودخل دار الوزارة فخدم وعزى وهنى ، هذا ما ورد في الـكتاب ، فكانت للحزن والعزاء اذن ثياب مخصوصة ، ولـكن المؤرخين سكتوا عن وصفها وتعيين الوانها والمرجح كما قلنا انه السواد قد جرت العادة ان يظهر رجال الدولة

---

(١) الحوادث : (١٦٥) .

بهذه الثياب ، ولا يستثنى من ذلك الوزراء في العصر المذكور ، فقد ظهر الوزراء والاعيان ، ومشايخ الربط ، والمدرسون بهذه الثياب بعد وفاة المستنصر سنة ٦٤٠ ، ودخلوا الى دار الوزارة بهذه الازياء [1] .

هذا ومن عاداتهم الشائعة في تلك العصور اعداد الاكفان من نسيج مخصوص قبل الموت ، وهي عادة معروفة الى اليوم في هذه البلاد ، وفي المأثور يستحب اتخاذ الكفن من « الحبرة » اليمانية ، والحبرة نسيج جيد معروف . وغالى بعض اهل المائة السادسة من العراقيين فاعدوا مضافاً الى الاكفان « ثياب العزاء » لذويهم وزوجاتهم قبل ان يموتوا ، قال ابن الساعي في اخبار سنة ٥٩٩ بعد ذكر وفاة الحاجب محمود المخزني — ولعله المخرمي — « كان حازماً في جميع اموره ، اعد جميع ما يحتاج اليه بعد موته من الاكفان وثياب العزاء لاولاده وجاريته » [2] ، ولا ندري ما الحكمة في اعداد ثياب الحزن قبل الموت وكيف يعد ذلك من عزم الامور .

ثانياً — خرافات وأساطير

ومن ذلك تصديق الخرافات والأوهام والثقة بروايات المخرفين المشعبذين في حدوث العجائب والخوارق ، ونسبة بعض ذلك الى الجن ، وزعمهم ان لبعضهم اتصالا بالناس وتأثيراً في حدوث الأمراض وما الى ذلك ، وكثر عدد المتهوسين باحاديث الجن من رجال ونساء ، والامثلة على ذلك كثيرة في كتب مشاهير المؤرخين العراقيين كابن الأثير وابن الساعي وصاحب الحوادث الجامعة ، من ذلك ما جاء في اخبار سنة ٤٥٦ من

(١) كتاب الحوادث : ١٤٠ ، وانظر عن العزاء وثيابه وعن العزاء بالميت الكتاب نفسه : (٣٥ ، ١١١) .

(٢) الجامع المختصر لابن الساعي : (٩/١١١) .

الـكامل لابن الأثير عن موت « سيدوك » ملك الجن في هذه السنة ، وانه خرج بالعراق وخوزستان وكثير من البلاد جماعة من الأكراد يتصيدون ، فرأوا خيماً سوداً وسمعوا منها لطماً شديداً وعويلا كثيراً ، وقائلا يقول : قد مات « سيدوك » ملك الجن ، وأي بلد لم يلطم أهله عليه ، ويعملون له العزاء ، قلع أصله وهلك أهله ، نخرج كثير من النساء في البلاد الى المقابر يلطمن وينحن وينشرن شعورهن ، وخرج رجال من سفلة الناس يفعلون ذلك ، وكان ذلك ضحكة عظيمة ، وقال ابن الأثير بعد ذلك : وقد جرى وشاهدنا نحن في أيامنا في الموصل وما والاها من البلاد الى العراق وغيرها نحو هذا ، وذلك ان الناس سنة ٦٠٠ أصابهم وجع كثير في حلوقهم ، ومات منه كثير من الناس ، فظهر أن امرأة من الجن يقال لها « أم عنقود » مات ابنها عنقود ، وكل من لا يعمل لها مأتماً أصابه هذا المرض ، فكثر فعل ذلك ، وكان النساء يلطمن وكذلك الأوباش[1]، واشتهرت بعد ذلك في منتصف القرن السابع ببغداد حكاية هذه الجنية التي تكنى « أم عنقود » ونشرت الذعر في العراق .

رواية ثانية للقصة

لقصة « أم عنقود » رواية ثانيـــة . ظفرنا بها في كتاب الحوادث ، وبينها وبين رواية ابن الاثير في الـكامل ضرب من الاختلاف ، فرواية مصنف الحوادث لا تخلو من نكتة وطرافة وقد تميزت بان سندها رؤياً رأتها امرأة ، فصدقتها الدهماء ، ولما شغل الناس بها وتركوا اعمالهم ، اعلن رجال الديوان انهم اقاموا أم عنقود من العزاء ، وفيما يلي خلاصة هذه الرواية .

جاء في اخبار ســـنة ٦٤٦ من كتاب الحوادث الجامعة ان امرأة بغدادية رأت

(١) الـكامل (١٠/١٧) .

« جنية » تكنى « أم عنقود » هددت أهل بغداد بالخنق ، لانهم لم يعزوها بموت ابنها عنقود ، قالت ذلك واشارت الى بئر واقعة في « سوق السلطان » مات فيها ابنها ، فشاع ذلك ، وقصدها عوام الناس والنساء والصبيان ، ونصبوا عند البئر خيمة ، واقيم العزاء والمناحات ، وخوطبت « أم عنقود » بكلمات تتضمن التضرع والاعتذار ، وما الى ذلك من الهذيان [١] .

قال الراوي ، والقيت في البئر الثياب والحلي والدراهم والخبز واللحم المطبوخ والدجاج وانواع الحلوى ، واشعلوا عندها الشموع ، فلما اكثروا من ذلك انكره عامة العقلاء والاكابر ، فأمر الخليفة بمنع الناس ، وحضر الشحنة فقال : « ان الديوان قد اقام أم عنقود من العزاء وأمر بسد البئر فتفرق الناس » .

هذه هي خلاصة القصة ، فانظر الى أي حد بلغت السخافة والبلاهة بعوام بغداد في المائة السابعة فنراهم يصدقون بان الديوان اقام أم عنقود من العزاء وهو أمر لا يقل غرابة عن تصديقهم اصل هذه القصة ، بيد ان كلا من ابن الأثير وصاحب الحوادث الجامعة استهجنا — والحق يقال — تصديق مثل هذه الخرافات ، فسخر منها ابن الأثير وقال : إنها ضحكة لا يصدق بها الا الأوباش ، وشبه صاحب كتاب الحوادث كلام الدهماء عن « أم عنقود » بالهذيان [٢] ، حاذياً في ذلك حذو ابن الساعي في استغرابه تصديق من يصدق باحاديث الجن من معاصريه كما ستراه .

(١) كتاب الحوادث (٢٢٥ — ٢٢٩) ، ومن اقوال نساء ذلك العصر في بغداد والموصل في الاعتذار الى أم عنقود :

يا أم عنقود اعذرينا ... مات عنقود وما درينا
لما درينا كلنا قد جينا ... لا تحرذين منا فتخنقينا

وهكذا غررت المرأة المشعبذة بالعامة ، وحصلت على مبتغاها من المال والمتاع .

(٢) الحوادث الجامعة (٢٢٢) .

هذا ومن هذا القبيل ما نقله المؤلف عن ابن الساعي في اخبار سنة ٦٤٨ عن « عبد الغني بن فاخر مهتر الفراشين في دار الخلافة » — بعد أن بالغ في وصف انغماسه بالنعيم والترف، وأنه وهو كبير الفراشين ـ لا غير ـ تشبه بالملوك في معاشه ـ نقله بضرب من الهزء والسخرية بصاحبه وذلك بنصه الآتي « قال الشيخ تاج الدين علي ابن انجب المعروف بابن الساعي رحمه الله، قال لي مرة — يعني مهتر الفراشين — : ان جنياً اسمه « شمردل » تمرد علي، وخالف أمري، واني تألمت منه الى ملك الجن، فأمر بحبسه فقلت : واين ذلك الحبس ؟ فقال في « النجف » فكنت دائماً اسأله عنه فيقول « هو على حاله في الحبس[1] » ، وهكذا يبدو لنا ان ابن الساعي اتخذ من حديث صاحبه وسيلة للفكاهة والتسلية أو الهزء والعبث به فقال بعد ذلك : « وشفعت فيه مرة ليطلقه، فقال لي : أي شيء يعجبك منه حتى تشفع في اطلاقه، فانه وحش الصورة قذر أحمق مؤذ، قلت فيستتاب . قال : لا والله » !

هذا ما جاء في كتاب الحوادث نقلا عن ابن الساعي، وقد علق هذا المؤرخ في آخر حديثه مع صاحبه مهتر الفراشين بقوله : « كنت اعجب منه كيف يقول ذلك بكليته، مع دهاء كان عنده ومكر وعدم غفلة » ، فعلى هذا كان ابن الساعي المؤرخ المشهور وثيق الرابطة بابن فاخر مطلعاً على دخائله، كثير الاتصال به ، وقد وصف حمام داره وصفاً لطيفاً وقال : إنه وقف داره على المارستان العضدي ، ووقف املاكه على تربة بناها لنفسه في المشهد الكاظمي ، وعلى من يختار القعود هناك من معتقيه، وجمل القول : يتضح من حديث ابن الساعي مع صاحبه انه لم يكن « مهتر الفراشين » ، بل مهتر الانس والجن ، ولله في خلقه شؤون .

ومن أمثلة ثقتهم بالاوهام والاحلام تعويلهم على ذلك في اسناد الرتب والمناصب ،

---

(١) الحوادث الجامعة (٢٥١ — ٢٥٣) .

جاء في اخبار سنة ٦٤٨ من كتاب الحوادث ما يأتي : « وفيها رتب شرف الدين اقبال الشرابي عماد الدين ابن « ذي الفقار » العلوي مدرساً بالمدرسة التي انشأها بواسط [١] ، حكي انه لما حودث الشرابي في ترتيبه ، دخل بعض الخدم ، وقال له : رأيت الليلة مناماً ، فسأل عنه ، فقال رأيت علياً عليه السلام ومعه سيف في غمد اخضر ، وقد ناولك اياه ، وقال — يعني الامام علياً — هذا ذو الفقار ، فاذن في ترتيبه » ، هذا ما ورد في كتاب الحوادث [٢] فهل تم تعيين هذا المدرس في المدرسة بمواطاة بينه وبين خادم الشرابي ؟ لا يستبعد ذلك ! فان الشرابي كان من اكثر مماليك بني العباس المتأخرين ميلا للاحسان ، بل كان على جانب كبير من سلامة القلب وحب الخير وسرعة التأثر والانفعال بكل ما له صلة بالدين من الروايات والاحاديث [٣] ، ومن ذلك ما جاء في اخبار

---

(١) عقد مؤلف الكتاب فصلا خاصاً عنوانه « ذكر فتح المدرسة الشرقية الشرابية بواسط » وصف فيه الاحتفال بفتح هذه المدرسة سنة ٦٣٢ قال فيه : وفي هذه السنة فتحت المدرسة التي أمر بانشائها شرف الدين الشرابي بالجانب الشرقي من واسط على دجلة مجاورة لجامع كان داثراً ، فأمر بتجديد عمارته . ورتب به مدرسا العدل أحمد بن نجا الواسطي ، ورتب بها معيدان واثنان وعشرون فقيهاً وخلع على الجميع وعلى من تولى عمارتها من النواب والصناع والذين وقفوا لخدمتها ، وعمل فيها دعوة حسنة ، حضرها صاحب الديوان ابن الدامي ، والناظر بواسط ، والقاضي ، والنقيبان ، والقراء والشعراء ، هذا ما ورد في الكتاب عن المدرسة ومما هو جدير بالذكر ان عماد الدين زكريا القاضي العالم المشهور مصنف كتاب عجائب المخلوقات وغيره من الكتب النفيسة كان بين مدرسي المدرسة الشرابية المذكورة ، راجع عن المدرسة المذكورة الصفحات الآتية من كتاب الحوادث : (٧٦ ، ٧٧ ، ٢٥٣ ، ٣٠٢) .

(٢) (١٥٣ ، ١٥٤) .

(٣) شرف الدين اقبال الشرابي من أشهر قادة الجيش العباسي وأمرائه في عصري المستنصر والمستعصم ، له وقائع مشهورة مع المغول ، وكانت الحلة من اقطاعه ، ترجم له صاحب الحوادث ترجمة مليئة بالثناء عليه ، وعلى عنايته بانشاء المدارس والمعاهد العلمية والانفاق بسخاء عليها ، ذكره ابن الطقطقي في الآداب السلطانية : (٤٢ ، ٢٤٣) ، وابن ابي الحديد في شرح النهج (٢/٣٢٠) وأرخ صاحب الكتاب وفاته سنة ٦٥٣ : (٣٠٨ ، ٣٠٩) ورد ذكره كثيراً فيه ، ويلاحظ ان الشرابي كان واسع النعمة عريض الجاه عاش في كنفه ، ولاذ به كثير من الناس من مختلف الطبقات .

سـنة ٦٧١ بالعبارة التالية « فيها رأى رجل ببغداد في المنام ان بعض اولاد الحسن ابن علي عليه السلام في موضع بقراح ابي الشحم، فاعلم الناس بذلك، فنبشوا الموضع فوجدوا فيه قبراً، فتبرع بعض الموسرين، واخرج شيئاً من ماله وشرع في عمارته، وشاع ذلك ببغداد. فحضر خلق كثير للزيارة، ونذروا له نذوراً صح اكثرها فاجتمع من ذلك شيء كثير [1].

وجاء في اخبار سنة ٦٧٧ ما نصه: « فيها رأى الناس في الليلة التاسـعة من شهر رمضان بظاهر بغداد نوراً متصلا بالسماء، وفي صبيحتها قال بعضهم انه رأى قبراً، فيه احـد اولاد الحسن بمحلة (الهروية) فانهال الناس لزيارته ثم شرعوا في عمارته، وتواترت بعد ذلك اخبار العوام برؤية المنامات وكثرة « الظواهر » وتحدثوا بقيام الزمنى والمرضى وفتح اعين الأضراء، ونقل قوم عن قوم اشياء لا أصل لهـا غير « اهوية » العوام، وبطل الناس من معايشهم واشغالهم بسبب ذلك، فتقدم صاحب الديوان بنقل كل من يوجد له قبر الى « مشهدموسى بن جعفر » ففعلوا وسكن العوام [2]

هذا ما قاله صاحب الحوادث، ويلي ذلك قصة منامات اخرى [3] ولا حاجة الى القول بان مظاهر التهوس بظهور العجائب والخوارق استناداً الى الاحلام والاوهام، والخداع والشعبذة غير قليلة في عصورنا التي نعيش فيها اليوم، بل هي اكثر مما كانت عليه في عصر مؤلف كتاب الحوادث الجامعة. او شبيهة بذلك، ولا سبب لها الا الجهالة

(١) كتاب الحوادث: (٣٧٣).

(٢) كتاب الحوادث (٤٠٤، ٤٠٥).

(٣) قال المؤلف حضر من يدعى أنه علوي، وزعم أنه رأى في منامه ما يدل على ظهور قبر بعض أولاد الأئمة — عليهم السـلام — بتل « الزينبية » أو « الزبيبية » فلما كشفوا التراب عنه وجدوا صبياً مقتولا وفي جيبه « كعاب » كان يلعب بها، ووجدوا عند رأسه صخرة مكتوب عليها « هذا قبر عمر ابن عبدالله » انظر القصة بكاملها في أخبار سنة ٦٧٧ (ص ٤٥) من هذا الـكتاب.

العمياء ، وخلاصة القول يتضح من ذلك كله ان تصديق هذه الاوهام والاحلام عندنا من الامور القديمة الموروثة عن الآباء والاجداد، هذا من جهة ، ويلاحظ من جهة ثانية ان جل تلك الاقوال التي يتناقلها البغداديون في ذلك العصر قاصرة على العلويين ، لاتتعداهم الى غيرهم ، وهو أمر يدل على تفاني عامة البغداديين اذ ذاك في ولاء اهل البيت الا انه ولاء مشوب في بعض الاحيان بشيء من الجهل على ما رأيت .

عاداتهم في تشييع الاموات

ومما يلحق بهذا الباب عاداتهم في تشييع الجنائز بالانشاد، وترتيل الالحان،وكانت هذه العادات معروفة في بعض حواضر العراق والشرق العربي الى عهد قريب ، وبعض العلماء ينكر ذلك ، ويوصي بالاقتصار على التلاوة والتسبيح والتمجيد، وفي كتب التاريخ شواهد تدل على أن عادة الترتيل كانت شائعة عند العراقيين في أواخر عصور العباسيين ، ومن ذلك ما جاء في اخبار سنة ٦٤٦ من كتاب الحوادث عن وفاة « جمال الدين المخرمي » ، وهذا نصه « اوصى ان يدفن في تل قريب من مشهد الحسين عليه السلام ، وان يكون تابوته مكشوفاً ليس عليه غطاء ولا ثوب ، ولا يقرأ بين يديه قراء الالحان ، بل جماعة فقراء يقرأون تلاوة ، وجماعة يسبحون الله تعالى ، ويهللونه ويحمدونه ففعل ذلك كله (١) » .

من ذلك يستفاد انهم اعتادوا منذ المائة السابعة أو قبل ذلك على ترتيل الالحان والانشاد بين يدي الجنائز ، وان لذلك قراء مخصوصين وان هناك منشدين ، واصحاب اذكار يقومون بالتهاليل ، كما يستفاد من وصية « المخرمي » وانه ممن ينكر ذلك ، والاصح انها امور محظورة ، لما في ذلك من صرف المشيعين عن عبرة الموت وجلاله

(١) كتاب الحوادث : (٢٣٧) .

والخروج على الخشوع والوقار في هذا الباب ، وقد ادعى بعضهم انتفاع الميت بالانشاد والترتيل والتلحين بين يدي الجنازة ، ولا اصل لهذه الدعوى ، وانما ينفع الميت الصدقة ، والدعاء له ، والترحم عليه ، واما الذكر بالصورة المعهودة ، وانشاد الأناشيد فهو من قبيل الاجتماع للغناء وتزجية الوقت في سماع ألحان رقيقة وانغام لطيفة .

الانشاد في التهاني والتعازي

ومن تلك العادات الانشاد ، وايراد التهاني والتعازي في مجالس خاصة تعقد لذلك ، فانها من جملة ما اعتاده العراقيون الى هذا اليوم .

كانت عادة الانشاد هذه ، وايراد التهاني والتعازي على ما هي عليه الآن شائعة في اواخر العصور العباسية ، وفي عصور الدولة المغولية بعد ذلك ، حتى عينوا لايرادها شعراء مخصوصين سموهم « شعراء الديوان » وذلك لافتقار الديوان ورجاله الى هذا الضرب من نشر الدعوة ، على صورة لم تكن معروفة في اولى العصور العباسية ، والعادة الشائعة في اولى عصور العباسيين ، ان تفد الوفود على الخليفة ، وتنتظر على باب داره ، ثم يحيطون الخليفة علماً بذلك فيأذن لمن يشاء ان يدخل عليه من الوافدين ، وكانت وفود الشعراء على ابوابهم غير قليلة . فاذا اذن للشاعر ، وكانت عنده قصيدة ، أنشدها في مجلس الخليفة أو مجلس الوزير ، فاذا جوّد الشاعر ، واذا وقع شعره موقع الاستحسان من الخليفة أو الأمير أو الوزير خصصت له الجوائز من ورق وعين وما الى ذلك ، وحدث ولا حرج عن تلك الجوائز الطائلة .

انتقلت هذه العادة الى طور آخر بعد ذلك ، أي في عصور العباسيين الاخيرة فاصبح لديوان الخلافة شعراء لاشغل لهم الا نظم الشعر في العزاء والهناء ، وقد عرفوا بانهم « شعراء الديوان » فهم في الواقع من جملة موظفي الدولة الرسميين ، لذلك جاء شعرهم متكلفاً غير مطبوع في كثير من الاحيان ، ويلاحظ انعدد « شعراء الديوان »

كان كبيراً في عصور العباسيين الاخيرة ، ينظمون اشعارهم وينشدونها في المواسم والاعياد ، وفي الافراح والاتراح ، وفي شتى الوقائع والاحداث[1] ، ينشدونها في مجالس خاصة لا يشهدها الخليفة في اغلب الأحايين ، لأن حجاب الخلفاء في العصور المذكورة كان على جانب عظيم من الشدة ، وقلما ظهر خلفاء بني العباس المتأخرون للناس : هذا وقد عقدنا فصلا خاصاً عنوانه « شعراء الديوان » وهو من جملة فصول رسالتنا التي عالجنا فيها « قصة فتح بغـــداد واسرارها السياسية والعسكرية » وستطلع على ذلك كله في موضعه من هذا الكتاب .

وقد ذكر ابن النجار وابن الساعي[2] وابن الفوطي ، وصاحب الحوادث الجامعة جماعة من شعراء الديوان . واما الامثلة على الانشاد في التهاني والتعازي فانها غير قليلة في كتب التاريخ المذكورة ، من اظهرها ما ورد في اخبار سنة ٦٤٣ من هذا الكتاب عن وفاة ابنة المستعصم ، واسمها عائشة ، عقد العزاء لها في الرصافة ، وانشدت المراثي ، وتجد في الفصل المذكور من الكتاب المشار اليه رسالة تعزية بعث بها ابن العلقمي الوزير الى الخليفة[3] ، ويلاحظ انه افرط في الحذلقة والتكلف وبالغ في الثناء الممقوت ، وما هكذا كان الظن بابن العلقمي الأديب ، وتجد في الفصل عينه رسالة أخرى بعث بها في هذا المعنى بعض اصحاب المناصب الكبيرة ، وهناك امثلة عدة من التصنع والملق الذميم في رسالة شكر اخرى كتبها ابن العلقمي الى المستعصم لانه أهـــدى له حزمة اقلام على اثر استيزاره ، وتشتمل الرسالة على نثر ونظم ، وفي سنة ٦٤٨ اهدى الخليفة

---

(١) كتاب الحوادث : (٣٨١ ، ٣٩٧) . الى مواضع اخرى من الكتاب .

(٢) الجامع المختصر (٩ / ٦٩ ، ١٥٣ ، ٢٧٩) .

(٣) كتاب الحوادث : (٢٠٦ — ٢٠٨) .

المستعصم لابن العلقمي بغلة فقام يقبل حافرها [1] . وثم رسائل تبودلت بين الخليفة ووزيره المذكور بمناسبة استيزاره له لاحظنا ان ابن العلقمي كان فيها اكثر اتزاناً، واحسن ترسلا مع ان الخليفة كان دون هذا المستوى في الجواب [2] ، وعلى كل حال لا نرى هذه الهفوات قادحة في سيرة هذا الوزير الحصيف ، فان حسناته اربت على سيئاته بكثير ، كما ستراه في موضعه من هذا الكتاب .

وورد في اخبار سنة ٦٢٩ من الكتاب عن فتح الامير شرف الدين اقبال الشرابي لأربل ومناجزة المغول ، وابتهاج البغداديين بذلك ما يأتي : « ضربت الطبول على باب النوبي ، وافرج عن جميع المعتقلين في الحبوس وحضر الشعراء في الديوان ، واوردوا قصائد تتضمن الهناء »[3] ، وفي اخبار سنة ٦٣١ مثل ذلك بمناسبة فتح المستنصرية[4]، وجاء في اخبار سنة ٦٣٢ ، عن عقد ملاك ابنة بدر الدين لولو صاحب الموصل « في هذا الملاك انشد جماعة من الشعراء منهم عبد الحميد ابن ابي الحديد » [5] .

الفال

ولا يقل شأن الفال عندهم عن شأن المنامات والاحلام ، وليس من النادر ان نرى للالقاب والاسماء الحسنة دخلا في حظوة اصحابها لدى بعض الخلفاء واكابر الدولة ، والامثلة على ذلك غير قليلة في تاريخهم وقد تفاءل المستنصر باسم حسن عرف به احد مماليكه ، فبوأه منزلة سامية .

---

(١) ج : ٩ ٢٥٩ وهناك امثلة اخرى من هذا التقديس الباطل صدرت عن اشخاص آخرين من كبار رجال الدولة في العصر المذكور .

(٢) المصدر عينه : (٢٨٠ ، ٢٨١) .

(٣) المصدر نفسه : (٤٧) .

(٤) المصدر المذكور : (٥٦ ، ٥٧) .

(٥) المصدر نفسه : (٧٢ ، ٧٣) .

جاء في اخبار سنة ٦٤٣ من كتاب الحوادث الجامعة عن « اقبال » الشرابي ما يأتي :

« كان اولا لعز الدين نجاح الشرابي، وانتقل الى زوجته بعد وفاته . فلما افضت الخلافة الى الظاهر حملته اليه فقبله ، فابعده رشيق — من مماليك الظاهر — وانفذه الى ولده المستنصر ، فلما دخل عليه قال له ما اسمك ؟ قال « اقبال » فسر بذلك ، واستبشر ، وتفاءل به . فلما افضت الخلافة اليه قربه وقبض على رشيق وحبسه ، وجعل اقبال شرابياً ، ثم جعله « سرخيل » العسكر ، فلما افضت الخلافة الى المستعصم زادت منزلته ، وقرب من قلبه فلما وصلت عساكر المغول سنة ٦٣٥ خرج الى لقاءهم وظهر من حسن تدبيره ما أوجب الانعام عليه » (١) .

هذا ما جاء في الكتاب عن استدلال المستنصر وتفاءله بذلك الاسم الحسن ولكن المؤلف — سامحه الله — حاول ان يؤكد صحة ذلك الفال والاستدلال ، ولم يحجم عن ادخال انفه في السياسة قائلا : « كان حال الملك منتظماً بصائب رأيه — يعنى رأي الامير اقبال الشرابي — فلما توفي اختلت الاحوال » اجل كان حال الملك في خلافة المستنصر منتظما بالنسبة الى عصر المستعصم ، ولكن لا دخل في ذلك للفال ، وجاء في اخبار سنة ٦٤٤ ما يأتي « فيها وقع الشروع في عمارة دار على شاطيء دجلة في بستان الصراة ، وتولى العمل استاذ الدار محيي الدين يوسف ابن الجوزي فسأل في بعض الايام « المشاهر » عن اسمه قال « خالد » فقال — يعنى ابن الجوزى — :

نظرت الى الخلد الشريف بفكرتي ... فبشرني ان الخليفة خالد
اذ الاسم معناه الخلود حقيقة ... وايته ان المشاهر خالد

هذا وقد عقد الباحثون المصنفون في علم الأدب فصولا مشبعة في التفاؤل والتشاؤم

---

(١) كتاب الحوادث : (٣٠٨ ، ٣٠٩) .

والطيرة والزجر والعياقة يستدل منها على مذهب الاوائل من الاقوام في هـذا الشأن واخبارهم في التفاؤل والتشاؤم للاسماء غير قليلة وفي حديث ابي سلمه ان النبي كتب الى امرائه « اذا ابردتم الي بريداً فاجعلوه حسن الوجه ، حسن الاسم » ، وفي الحديث المرفوع « اصدق الطيرة الفال » وفيه « الطير تجري بقدر » .

قال الاصمعي سألت ابن عون عن الفال فقال هو ان تكون مريضاً فتسمع « يا سالم » أو باغياً ـ طالب حاجة ـ فتسمع « يا واجد » ومعنى هذا ان الفال عبارة عن الاستراحة الى قول أو عمل تسكن اليه النفس ، فهو حالة نفسية تتعلق بالمزاج ، وقال بعض المؤرخين ، لما طلب عامر بن اسماعيل مروان بن محمد اعترضه بالفيوم قوم من العرب فسأل رجلا ما اسمك ، قال منصور بن سعد سعد العشيرة فتبسم تفألا به ، واستصحبه فظفر بمروان تلك الليلة .

وللشعراء والكتاب والأدباء مذاهبهم وفنونهم في استخدام الالفاظ للتفاؤل والتشاؤم ، وما الى ذلك ، قال أبو تمام في واقعة عمورية :

بكر فما افترعتها كف حادثة — ولا ترقت اليها همة النوب
لما رأت اختها بالامس قد خربت — كان الخراب لها اعدى من الجرب
جرى لها الفال برحاً يوم انقرة — فاصبحت وحشة الساحات والرحب

وقال أيضاً :

اتضعضعت عبرات عينك ان دعت — ورقاء حين تضعضع الاظلام
هن الحمام فان كسرت عيافة — من حائهن فانهن حمام

السحر والشعبذة

عرفوا السحر بأنه ضرب من الاعمال او الاقوال او الحركات تجري على خلاف المعتاد مع خفاء أسبابها وصعوبة الوقوف على اسرارها ، وقد عرف السحر عند كثير

من الامم القديمة وله أثره الظاهر خصوصاً في نفوس السواد الاعظم من الناس ، وأجمع المسلمون على حرمة تعاطيه أوالتكسب به ، ومع ذلك وجد السحر والسحرة في كل زمان ومكان .

لم تخل عصور العباسيين الأخيرة ، وعصور المغول بعد ذلك من رجال كانوا يمارسون السحر والشعبذة ، يعرضون اعمالهم الغريبة الخداعة على الناس ، وكان المغول الذين خلفوا العباسيين على بلادهم معنيين كثيراً بالسحر منقادين له ، وله تأثير كبير عليهم ، بل كان للسحرة مكانة عظيمة في نفوسهم ، وقد وتمكن بعض السحرة من التأثير في نفوس بعض الخلفاء وتضليل آخرين من ملوك المغول في الشرق والعراق ، وفي تاريخ هذه الحقبة امثلة على ذلك ، ففي سنة ٦٣٦ ظهر في بخارى ــ وكانت خاضعة للمغول ــ انسان يعرف بأبي الكرم الداراني كان يري الناس أعاجيب من انواع الشعبذة ، يأمر إنساناً ان يرميه بسهم . فتثقل يده ولا يستطيع ذلك ، وله قصة اوردها مصنف الحوادث [1] على ان اعظم سحرة هذا العصر في العراق والشرق هو الشيخ عبدالرحمن بن يحيي المعروف « بقراجه » اشتهر بانه « شيخ السلطان » . أي السلطان « أحمد بن هولاكو الايلخاني » ومرشده ، كان يخبرهم بالعجايب ويطلعهم على خبايا الأمور مستنداً الى المنامات حتى اصبحت له منزلة عالية عند « تكدار » وهو السلطان احمد المذكور ، ويقال انه هو الذي ارشده الى الاسلام ، ولاسلام السلطان قصة مشهورة مبسوطة في كتب التاريخ ، ويقول المؤرخون ان المظلة كانت ترفع على رأس هذا الشيخ في حله وترحاله ، وهي لا ترفع الا على رأس ملك أو أمير ، وتجد له ترجمة مفصلة في كتاب الحوادث [2] ، واخرى في

(١) (١٢٧ ، ١٢٨) .

(٢) (٤٣١ ، ٤٣٢) .

تلخيص معجم الآداب لابن الفوطي (١) وقد اتفق الكتابان على كون هذا الساحر من جملة فراشي السدة في بغداد مقرباً الى حضرة المستعصم بالله في بغـداد ، وانه أسر في الواقعة ، وجعل من فراشي « الأوردو » فأظهر الزهـد والناموس حتى صار يعرف بالشيخ ، وتبسط صاحب الحوادث بعد ذلك بذكر أعماله السحرية على شكل يدل على معرفته بالكيمياء والسيمياء وانواع الحيل والشعبذة ، ويقول ابن الفوطي اشتغل بعد الواقعة بالقرآن المجيد بمسجد « قرية » على موفق الدين عبد الواحد ؛ وسافر من بغداد وتوصل الى السلطان « اباقا بن هولاكو » وكتب له بوقوف العراق وكان يعرف السيمياء ، ويظهر له ـ يعني للسلطان ـ العجايب ، ولما توفي اتصل بخدمة اخيه السلطان احمد ، وكان يعتقد فيه ، وانفـذه في الرسالة الى دمشق فاعتقل بها . وكانت وفاته سنة ثلاث وثمانين وستمائة (٢) . ويستفاد من تاريخ ابن الفرات ان هذا الشيخ ذهب الى الشام سفيراً من قبل السلطان فلم يأمنوا شره او سحره ، ولذلك امروا بسجنه ثم ضاع اثره ولم يوقف له على ذكر بعد ذلك . هـذا وقد روى صاحب الحوادث قصة الشيخ في كتابه متمثلا بقول الشاعر :

واذا استوت للنمل اجنحـة حتى يطير فقـد دنا عطبه

ويلاحظ ان ابن الفوطي خلع على هذا الساحر القاباً ضخمة ، من جملتها ، « شيخ الاسلام » ، قطب الاقطاب ، شيخ السلطان » قائلا بلغ من السلطان « اباقا » ومن اخيه « تكدار احمد » ما لم يبلغه أحد من الأكابر والاعيان .

قراءة المقتل

جرت العادة من قديم الزمان أن تقرأ قصة المقتل ، مقتل الامام الشهيد أبي عبد الله

---

(١) (مادة كمال الدين ، ٣٠٠ ، ٣٠١) .

(٢) تلخيص المعجم (٥/٢٠١ ، ٢٠٢) .

الحسين يوم عاشوراء في جملة من محافل بغداد وغير بغداد من حواضر العراق ، وذلك في أواخر عصور بني العباس أو قبل ذلك قليلا ، وعرفت وشاعت قراءة هذه القصة في دمشق إذ كان خطباء الدماشقة يقرأونها في جمعة المحرّم وينعون الامام الشهيد على منابر الشام ، والدليل على ذلك ان ابن تيمية انكره على خطباء جوامع الشام في كتابه « منهاج السنة » ، وعرفت قراءة المقتل في القاهرة منذ عصور الفاطميين ، وفي العراق بعد غلبة البويهيين ، كانوا يقرأونها في المحافل والمشاهد وفي المنازل على ما هي عليه الآن .

لم تخل العصور المذكورة من طبقة « المنشدين » و « القراءة » و « الذاكرين » وهم قوم انقطعوا لهذا العمل أي للقراءة والانشاد في مواسم معينة من السنة وخصوصاً المحرم ، والأمثلة غير قليلة في تاريخ المائتين السادسة والسابعة على ذلك ، وقد ورد ذكر بعض هؤلاء القراء والمنشدين في تاريخ ابن الساعي ، ومنهم ابو منصور محمد بن المبارك الكرخي « المنشد » ، ذكره في وفيات سنة ٥٩٨ ووصفه بما يأتي : « حافظ للقرآن المجيد قرأه بالقراءات ، جيد الأداء طيب الصوت شجيه كان يتشيع وينشد في المواسم والمشاهد المقدسة ، ويعظ في الاعزية » [١] ، فهذا مثال حسن لهذه الطبقة من القراء المنشدين في المواسم والمشاهد او الواعظين في الاعزية . كما نراه في عصرنا هذا ، وحبذا لو كان هذا الشيخ المنشد في علمه وفضله ومعرفته بالقراءات وترتيل القرآن قدوة لغيره من اهل زماننا ، فان التصدي للارشاد والوعظ والخطابة والدعوة الى الاصلاح من جملة الوظائف الجليلة ، ولا ينهض بأعبائها الجهلة المقصرون .

اكثر شعراء هذه العصور من النظم في مراثي الشهداء ومنهم شعراء فحول كانت

---

(١) الجامع المختصر (٩/٨٥) .

قصائدهم قوام ذلك الانشاد ، والواقع ان هناك طبقة قديمة من كبار الشعراء قبل العصور العباسية الاخيرة ، ومن بعدها المغولية كانت هي البادئة في هذا الفن . ومن يتصفح مجاميع شعرها ، او دواوينها يطلع على قصائد ومراث غير قليلة كانت قوام تلك النشائد والاقوال كما قلنا . من ذلك ما نجده في شعر دعبل الخزاعى ، وابن الرومي ، والشريفين الرضي والمرتضى ، ومهيار الديلمي ، وكشاجم شاعر سيف الدولة الحمداني ، وعبد المحسن الصوري الى كثير غيرهم من الشعراء الذين نهجوا هذا النهج ، ثم تتابعت العصور وقلما خلا عصر منها عن شاعر او اكثر حتى هـذه الآونة يمتحن شاعريته بمراثي اولئك الشهداء .

لم تكن ممارسة القراءة والانشاد طليقة دائماً فقد حددت مرة ومنعت منعاً باتاً تارة خصوصاً في بغداد ، وذلك في أواخر عصور بني العباس ، والأمثلة على ذلك غير قليلة في كتب التاريخ . قال صاحب الحوادث الجامعة في اخبار سـنة ٦٤١ ما نصه : « وفيها تقدم الخليفة الى جمال الدين عبد الرحمن بن الجوزي المحتسب بمنع الناس من قراءة المقتل في سائر المحال بجانبي بغداد ومشهد موسى بن جعفر عليه السلام » [١] ، والخليفة المقصود بهذه الكلمة هو المستعصم ، ولم تمض عليه اكثر من سـنة واحدة في الخلافة ، وهذا المستعصم معروف بضعفه وضيق صدره وانه كان العوبة بيد جماعة من الحاشية والبطانة في دار الخلافة . وقد تكررت هذه الاجراءات في أيامه ، فان صاحب الحوادث عاد فقال في اخبار سنة ٦٤٨ ما هـذا نصه : « وفي المحرم تقدم بمنع اهل الكرخ والمختارة من النياحة والانشاد وقراءة مقتل الحسين عليه السلام خوفاً من تجاوز ذلك الى ما يؤدي الى وقوع الفتنة » [٢] . ولا ندري

---

(١) (١٨٣ ، ١٨٤) .

(٢) كتاب الحوادث (٢٤٨) .

لماذا يخافون من الفتنة اذا كان العمل مشروعاً . وكانت السلطات الحاكمة منصفة غير متحيزة ، وعلى الاجمال : يستفاد مما تقدم ان لتلك المواسم التي كانوا يقيمونها قديماً حسنات وفوائد لا يستهان بها بخلاف ما آلت اليه الحالة بعد ذلك ، وخصوصاً في عصورنا هذه إذ قد انضافت اليها شوائب من اعمال وعادات غير مشروعة من قبيل الضرب بالسلاسل والآلات الجارحة حتى اراقة الدماء وما الى ذلك من مظاهر العادات الممقوتة . اضف الى ذلك صرف الأموال الطائلة في غير جدوى اذا لم نقل في وجوه غير مشروعة لا يسمع فيها رأي هؤلاء المنتسبين الى العلم والدين بل تجرأت طبقة من الدهماء لا تميز بين اللباب والقشور ، لا تفرق بين المصلحة والمفسدة فتبوأت مركز القيادة والزعامة في ادارة هذه الشؤون ، واكثر هؤلاء المنتسبين الى العلم والدين سكوت مع انهم يعيشون في عصر هو عصر الوعي والبحث والتمحيص ، فلا غرو اذا قوبلت هذه الاعمال والاقوال بالانكار ، ولا عجب اذا وجهت اليها المطاعن الجارحة فانها بأمس الحاجة الى التهذيب والتنظيم والاصلاح ، هذا من جهة ، ونقول من جهة ثانية : لقد تجرأ غير واحد من المتشدقين بالاصلاح وانتحال الدعوة الى طريقة السلف على الطعن والانكار والتنديد قائلين : يحرم الاجتماع والاحتفال بذلك وانه بدعة محدثة ، ولهؤلاء نقول : لقد حرمتم الارشاد والموعظة والدعوة الى الاصلاح الى غير ذلك مما يذكره هؤلاء الذاكرون على المنابر . اما المغالاة في الحزن والحداد ، واما اثارة المطاعن والخلاف وفتح باب الفتنة والفرقة فنحن نقف عند أحكام الشرع والآداب في ذلك . ثم لماذا لا ينكر هؤلاء المتشدقون أعمال قوم يعلنون الغبطة والفرح في شهر محرم الحرام حتى رووا ان من اكتحل يوم عاشوراء لم يرمد ذلك العام

نقل الموتى

من المرغوب فيه جداً عند كثرة المسلمين منذ زمن بعيد حمل جنائزهم لدفنها مجاور

اضرحة الأولياء والصالحين والشهداء ، وذلك لنيل بركتهم ، وهذه العادة من اكثر العادات شيوعاً في العراق اليوم ، حتى اعتادوا نقل الجنائز من جهات نائية ، بل تجاوز من تجاوز منهم حدود المشروع في هذا الشأن فان جواز النقل ، وحمل الاموات من بلاد الى اخرى مهما كانت مقيد في الاصل بالمحافظة على حرمتهم ، وعدم تعريضهم للهتك والشنعة ، ولذلك اقتصروا في القديم على نقل الجنائز الى الاماكن أو المقابر القريبة دون البعيدة ، وقد حث الشرع — كما لا يخفى — على تعجيل الدفن ، والحكمة في ذلك ان لا تتحلل الجنازة ، ولا تتفسخ كما يشاهد في حالات التأخير ، وعدم التعجيل غير أن اهواء الدهماء ، واشباه الدهماء من المنتسبين الى مسلك العلماء تجاوزت تلك الحدود .

لا شك ان اوضاع الحياة الدنيا هذا اليوم تختلف عن اوضاعها في عصور مضت ، وان آلة الانتقال والسفر هذا اليوم غيرها بالامس ، فالناس ينتقلون الآن وبوسعهم ان ينقلوا امواتهم بواسطة الطائرات ، لا على ظهر الحيوان الاعجم ، ومع ذلك فان هدى الاسلام، وسنن المسلمين تنهي عن التكلف والتعسف في جميع الاحوال . والخلاصة لم يعهد في صدر الاسلام الى عصور خلت بعد ذلك نقل الموتى لدفنها في مطارح سحيقة عملا بجملة من الاحاديث المأثورة من ذلك ما روى عن الامام علي في حديث مشهور انه « ادفنوا الاجساد في مصارعها » قال ذلك لما بلغه نقل جنازة من ضواحي الكوفة الى مقبرة هذه المدينة ، فكيف لو اطلع — عليه السلام — على ما انتهت الحالة اليه في هذه العصور .

ورد حديث الامام المذكور في كتاب مشهور يسمى « دعائم الاسلام » والكتاب منسوب الى الصدوق غير ان المجلسي شك في صحة هذه النسبة ، فهو يرى ان كتاب الدعائم من تأليف ابي حنيفة النعمان بن منصور قاضي مصر على عهد الدولة الفاطمية

ومن مشاهير دعاة الاسماعيلية [1] ، وفي حديث مشهور ان النبي نهى عن نقل شهداء أحد الى بيوت المدينة وأمر ان يدفنوا حيث استشهدوا في المعركة .

شاعت عادة نقل الاموات الى مشاهد الاولياء والصالحين والشهداء المعروفة في العراق ، وذلك في العصور المتأخرة اكثر من غيرها . ولم نجد محاولات بعض خلفاء بني العباس في صد الناس عن تلك المشاهد ومحو معالمها ، وللخليفة المتوكل قصة معروفة في هذه الناحية فظهرت مكانة تلك المشاهد خصوصاً مشاهد الائمة والشهداء من أهل

---

(١) وفق القاضي المؤرخ الأديب ابن خلكان في ترصيم السير والتراجم في كتابه « وفيات الأعيان » ومن بين التراجم التي ظهر فيها توفيقه حتى تميزت على كثير من مثيلاتها ترجمته الضافية لأبي حنيفة بن أبي عبد الله محمد بن منصور مصنف كتاب « دعائم الاسلام » — على رأي من يرى ذلك — وقد استهل الترجمة بثناء بالغ ، وتبسط فيها نقلا عن جملة من مشاهير المؤرخين منهم الأمير المختار المسبحي في تاريخه ، وابن زولاق في كتابه « أخبار قضاة مصر » ، وأحمد بن محمد بن عبدالله الفرغاني في كتابه « سيرة القائد جوهر » والثعالبي في « اليتيمة » ، ذكر هؤلاء المؤرخون أن النعمان بن محمد هذا كان مالكي المذهب ، ثم انتقل الى مذهب الامامية ، ويقول ابن زولاق كما جاء في الوفيات ، كان النعمان بن محمد القاضي في غاية الفضل ، من أهل القرآن ، والعلم بمعانيه ، عالماً بوجوه الفقه ، واختلاف الفقهاء ، واللغة والشعر الفحل ، ألف لأهل البيت آلاف الأوراق ، باحسن تأليف ، وأملح سجع ، وعمل في المناقب والمثالب كتاباً حسناً ، وله كتاب اختلاف الفقهاء ينتصر فيه لأهل البيت رضي الله عنهم ، وله القصيدة الفقهية لقبها « المنتخبة » ومن مصنفاته الكتب الآتية : كتاب اختلاف أصول المذاهب ، كتاب الاقتصاد كلاهما في الفقه ، كتاب ابتداء الدعوة للعبيديين . وكان ملازماً صحبة المعز ابي تميم ، ولما وصل من أفريقية كان معه ، ولم تطل مدته ، ومات في مستهل رجب سنة ٣٦٣ هذا ما نقله ابن خلكان عن مصنفات المؤرخين ، ثم تبسط بعد ذلك في ترجمة بعض أولاده الذين تقلدوا مناصب القضاء في مصر من بعده ، وروى نبذة من شعره تدل على شاعرية وإجادة في هذه الصناعة وتجد في هذه الترجمة اللطيفة جملة من الفوائد التاريخية والأدبية والبلدانية وغير ذلك ، وكل ما فيها يدل على شرف وفضل ونبل في أسرة النعمان بن محمد بن منصور المذكور . راجع وفيات الأعيان ٢ : ١٦٦ = ١٦٩ .

البيت ، وقبورهم المعروفة في العراق ، وهكذا قبر الامام ابي حنيفة [1] ومشهد الصحابي الجليل سلمان الفارسي ، ووردت اخبار غير قليلة عن زيارة فريق من ائمة اهل البيت واولادهم خلال المائتين الثانية والثالثة لمشهد جدهم الامام علي ، ومشهد الامام الحسين ، من ذلك زيارة الامام علي بن الحسين ، وابنه الباقر والامام الصادق عليهم السلام ، وردت هذه الاخبار في جملة من كتب الحديث والتاريخ [2] ولا نشك في وقوع زيارتهم اجمالا ، ولكن في تفاصيلها كما جاءت في الاخبار مجال للنقد والتمحيص فان بعضها لا يخلو من الضعف او الخلط او الدنس والاضطراب .

قال السيد عبد الكريم ابن طاووس ، وهو عالم اخباري نسابة في كتابه فرحة الغري [3] ما يأتي : « لو اخذنا في ذكر من زاره وعمره من الملوك والعظماء والوزراء والادباء والقضاة والفقهاء والمحدثين لاطلنا فيه ، ولقد احسن الصاحب عطا ملك بن محمد الجويني صاحب ديوان الدولة الايلخانية حيث عمل الرباط وكان وضع اساسه سنة ٦٧٦ .

(١) في تلخيص مجمع الآداب لابن الفوطي ترجمة نادرة لفقيه بغدادي غريب الأطوار معاصر له ، اسمه كمال الدين علي بن عبد الله بن عبد الجليل الطهراني نزيل بغداد المعدل الفقيه ، شهد عند قاضي القضاة سنة ٦٨٦ ، كان على ما جاء في المعجم من فقهاء مشهد أبي حنيفة ثم ترك الفقه ونزع اللباس ، ولبس البلاس ، وتطوق بطوق من الحديد ، وصار يمشي في الأسواق حافياً مكشوف الراس وقال ابن الفوطي في هذه الترجمة انشدني في سلخ صفر سنة ٧٠٠ مما يكتب على مقلمه :

كل السيوف لها جفون تنتضى ... منها واني جفن كل يراع
واعلم بأن الفضل للقلم الذي ... لولاه خابت للسيوف مساع

راجع تلخيص مجمع الآداب : (٥ مادة كمال الدين) .

(٢) من جملة المراجع في البحث عن الزيارات والعمارات التي انشأت في المشاهد الكتب الآتية : ارشاد القلوب للديلمي ، نزهة القلوب للمستوفي ، شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ، فرحة الغري لغياث الدين ابن طاووس ، وفيات الاعيان لابن خلكان ، عمدة الطالب لابن عنبة ، وقد اكثر المتأخرون من البحث في هذا الموضوع .

(٣) (١١٥ ، ١١٦) .

كان من مظاهر مكانة المشاهد المذكورة تعهد المتأخرين من العباسيين ورجال دولتهم، وحكام المغول بعـــد ذلك لها بالعمائر الجليلة، واحـــداث المرافق العامة، وتفقد سكانها، وتخصيص مبالغ من الهدايا والعطايا لهم والقيام بزيارتها من حين الى آخر، واشتهرت زيارة المقتفي ســـنة ٥٤٧ وغير المقتفي في عصور المتأخرين من خلفاء بني العباس، وفي عصور سلاطين المغول بعد ذلك.

وكان الخليفة الناصر لدين الله يزور المشاهد، زار النجف مراراً، ومثله المستنصر قال عبد الكريم ابن طاووس في «فرحة الغري»[1]، حمل الضريح، وبالغ فيه، وزاره، ولا تقل عناية الوزراء والزعماء والأمراء عن عناية الخلفاء العباسيين انفسهم في تلك العصور.

وجاء في اخبار ســـــنة ٦٤٣ من كتاب الحوادث ما يأتي: «فيها قصد الخليفة (المستنصر) مشهد موسى بن جعفر عليه السلام، في ثالث رجب فلما عاد ابرز (كذا) ثلاثة آلاف دينار الى أبي عبـــد الله الحسين الاقساسي نقيب الطالبين، وأمر أن يصرفها على المقيمين في مشهد أمير المؤمنين علي بن أبي طالب ومشهد الحسين وموسى ابن جعفر عليهم السلام»[2]. وجاء في اخبار سنة ٦٤١ ما يأتي: «خرجت والدة الخليفة المستعصم بالله منحدرة في شبارة الخليفة الى «درزكان»[3] متوجهه الى الحج وخرج الخليفة لاجل وداعها ثم توجه الى الكوفة. ودخل جامعها، وقصد مشهد أمير المؤمنين عليه السلام، وزوره محمد بن كشيلة العلوي، فلما توجـــه الحاج ودع الخليفة والدته وعاد الى بغداد.

ومن جملة مظاهر العناية بهذه المشاهـــد تخصيص نقباء لها من وجوه العلويين

---

(١) فرحة الغري عبد الكريم ط. النجف: (١٠٤).

(٢) الحوادث: (١٠٤).

(٣) هي قرية كبيرة على دجلة تحت بغداد في الجانب الغربي ذكرها ياقوت في معجم البلدان.

وساداتهم وذلك بموجب عهود صادرة من دار الخلافة تسجل فيها واجبات النقابة .

واوصى كثير من الأمراء والزعماء والحكام الى طبقات اخرى بنقلهم بعد موتهم الى تلك القبور ، والواقع ان المسافات لم تكن نائية كثيراً بين الجهات المنقول منها واليها ، فكان فريق من اعيان بغداد ينقلون موتاهم الى المشهدين الحسيني والكاظمي غالباً ، وكان آخرون ينقلون الى المشهد الغروي في النجف خصوصاً من مات من الحكام في عصر العباسيين والمغول في مدينة الحلة وما اليها .

هذا وقد اوصت جمهرة كبيرة من الوزراء والحكام والمتصرفين وغيرهم من مختلف الطبقات في كل من العصر العباسي والمغولي بنقلهم بعد وفاتهم للدفن في المشاهد المذكورة ، ومن اقدم حوادث النقل ما ورد في معجم ابن الفوطي عن شخص لقبه الكامل في معجمه [1] اقام عند احمد بن مروان بميافارقين الى ان مات في شهر رمضان سنة ٤٠٨ وحمل الى مشهد علي عليه السلام . وممن نقلت جنازته الى مشهد الكاظمين ابنة بدر الدين لولو صاحب الموصل [2] وزوجة علاء الدين الطبرسي ودفنت الى جانب ولدها سنة ٦٣٥ ، واوصى عز الدين بن علي بن علجة [3] وكان من كبار المتصرفين توفي سنة ٦٨٨

(١) (المعجم ٥ : ١٤٠ وقد سقط اول الترجمة من النسخة) .

(٢) الحوادث : ١٠١ .

(٣) يكثر ذكر آل علجة في كتاب الحوادث ، وفي معجم ابن الفوطي ، وفيهم جماعة من أصحابه وخلطاءه وفي هذا الكتاب ترجمة نادرة لأديب متفنن من أفراد هذه الأسرة جاء فيها « أبو المحاسن محمد ابن الحسن بن محمد بن علجه القرشي لهم فيما يقول نسب إلى بني سام بن لؤي ، ومجد الدين واسطة قلادة بيتهم الكريم ، نشأ في ظل والده ، واكتسب الفضائل الحسنة من الخط والنقش ، سمع الحديث بقراء شيخنا شمس الدين الهاشمي ، وكتب بين يدي صهره شهاب الدين شيخ المشايخ سليمان لما كان اشراف الأوقاف اليه ، وتوجه الى الحضرة السلطانية سنة ٧٠٤ ، وطال به المقام ، كتب على بعض الرقاع الى « قصبها » ونقشها :

قدمت من خطي لكم انموذجه   بغير نقس وبلا يراعه =

ان يدفن تحت اقدام سلمان الفارسي ، وفي سنة ٦٣٥ توفي الامير شرف الدين علي بن الامير جمال الدين زعيم الحلة قشتمر ، ودفن عند والدته في مشهد الحسين [١] ، وفي سنة ٦٥٣ توفي عز الدين ابن عبدوس وكيل الشرابي وناظر الحلة ودفن في مشهد علي عليه السلام [٢] وفي سنة ٦٠٨ توفي في الكوفة الامير عماد الدين الناصري البغدادي ، وكان له اختصاص بملازمة الخليفة الناصر ، ودفن في المشهد الغروي [٣] ، ونقل الى هذا المشهد كثير من مشاهير العلماء كالعلامة الحلي ، وغياث الدين عبد الكريم ابن طاووس المتوفى سنة ٦٧٣ وجماعة من اسرته ، وفي سنة ٦٧٦ توفى الملك عز الدين بن جعفر النيسابوري ودفن في المشهد المذكور ، وعفيف الدين الفارقي الاديب المصري ، قال الدبيثي دفن في النجف ومن نوادر نقل الموتى ما رواه ابن الفوطي في معجمه [٤] عن أمير ايوبي توفي في

= فهاكم خط ولي مخلص محمد بن الحسن بن علجه

ومن هذا يستفاد ان فن ابن علجه في الكتابة عبارة عن الحفر بأظافره على الورق أو قصة كما قال ، وقد شاهدنا بعض المتفننين من العجم في عصرنا هذا يجيد الكتابة بهذه الطريقة . هذا ولمحمد ابن علجة هذا أخ اسمه أحمد ، ورد ذكره في المعجم المذكور على الصورة الآتية : « صديقنا الامير الفقير أحمد بن الحسن بن علي بن علجة » ونقل بعد ذلك حديثاً له عن سيرة بعض معاصريه من الصوفية راجع المعجم ٥ : ٢٢٨ ، ٣٥٨ ، ٣٥٩ ، ويستفاد من موضع آخر من معجم ابن الفوطي ٥ : ١٣٥ ، ١٣٦ ان أصل آل علجة المذكورين من اصفهان ، فقد ورد فيه ما نصه : « ناولني الصدر مجد الدين بن عباد بن علجة الاصفهاني بالرصد سنة ٦٦٩ مجموعة من اشعار فضلاء اصفهان على طريقة الاعاجم وذكر الرديف « الرباعيات » ثم اورد ابن الفوطي امثلة من ذلك .

(١) كتاب الحوادث : ١٠٤ .

(٢) انظر حوادث السنة المذكورة من الكتاب .

(٣) يعرف بالحربدار ترجم ابن الساعي هذا الامير ترجمة مفصلة نقلها ابن الفوطي في معجمه ، قال وكانت الكوفة من اقطاع هذا الأمير .

(٤) المعجم ٥ : ٣٤٤ ، ٣٤٥ .

حلب سنة ٦٣٤ وحمل الى صفين ودفن في تربة عمار بن ياسر بوصية منه (١) .

وممن حمل الى مشهد الامام علي كمال الدين احمـــد بن محمد الاسدي القرشي النيلي الحاجب ، قال ابن الفوطي كان من بيت الرئاسة والتقدم والتصرف اشتغل في صباه ، وتأدب ، وكتب خطاً حســـناً ، كان من اكابر حجاب المناطق ، وله نسب بالوزير مؤيد الدين — يعني ابن العلقمي — ولم يل شيئاً من الاعمال بعد الواقعة ، كان جميل الصحبة ، حسن المحاورة ، كتبت عنه ، وكان يتشبه بالمغول في احوالهم وافعالهم ، ومولده في رجب سنة ٦٣١ ، توفي سنة ٦٧٣ ، وحمل الى مشهد علي عليه السلام (٢) .

وفي اخبار سنة ٦٤٧ من الـكتاب « نقل فخر الدولة الحسن بن عبد المطلب من مدفنه بالايوان الذي كان فيه على شاطيء دجلة حيث وقع حائطه الى مشهد موسى بن جعفر ، وفي سنة ٦٤٧ أمر المستعصم بعمارة سور مشهد موسي بن جعفر عليه السلام » (٣) .

وفي اخبار سنة ٦٦٤ أورد وفاة السيد النقيب الطاهر رضي الدين علي بن طاووس ، قال وحمل الى مشهد جده علي ـ عليه السلام ـ قيل وكان عمره نحو ثلاث وسبعين سنة ، ونقل جمال الدين المخرّمي (٤) الى المشهد الحائري ، كما جاء في اخبار سنة ٦٤٦ من كتاب

---

(١) هو ظهير الدين أحمد بن صلاح الدين يوسف بن أيوب قال ابن الفوطي ذكره الحافظ ابن النجار في تاريخه قائلا حفظ القرآن ، وطلب الحديث ، وأحضر الشيوخ من البلدان ، وسمع الحديث بعد الستمائة ، وكتب بخطـه واستنسخ ، وحصل الـكتب الكثيرة ، وأقام عند أخيه الملك الظاهر ، ودخل بغـــداد ، وسمع على جماعـــة من شيوخها ، وحدث بها ، وتوفى في الرابع والعشرين من المحرم وحمل الى صفين ، ودفن في تربة عمار بن ياسر لوصية منه ، انظر المعجم : ٣٤٤ ، ٣٤٥ .

(٢) راجع باب « كمال الدين » من تلخيص مجمع الآداب (٥ : ١٣٤) .

(٣) كتاب الحوادث : ٢٤٤ ولفخر الدولة هـــذا ذكر كثير في هـــذه الفترة من تاريخ الدولة العباسية يستفاد منها انه كان من كبار رجالها معنياً باعمال البر وانشاء الجوامع والربط الـكبيرة المشهورة في الجانب الغربي مثل جامع ابن المطلب ، وخانقاه ابن المطلب وله احباس جمة على وجوه الخير والمبرات .

(٤) لفخر الدين بن المبارك المخرمي صاحب الديوان في ايام المســتنصر العباسي ، ذكر كثيراً في =

الحوادث [1] ، وقد رثاه اخوه فخر الدين بقصيدة جاء فيها :

فان حال ما بيني وبينك تربة — مجاورة السبط الامام المكرم
اليك تراني قد حثثت مطيتي — وعن كثب يأتي البشير بمقدمي

لو اردنا استقصاء البحث في باب النقل ، وحمل الاموات للدفن في المشاهد لامكن افراد كتاب خاص بذلك ، ويحسن الرجوع الى مصنفات المؤرخين المتأخرين كابن الاثير وابن الساعي ومصنف كتاب الحوادث الجامعة وابن الفوطي ، وآخرين من هذه الطبقة ، والطبقة التي تليها ، فقد لاحظنا عناية هذه الطبقات من المؤرخين بالاشارة الى « الوفيات » وفيات الاعلام ، وتعيين مواضع دفنهم ، ومنهم من افرد مؤلفاً او عقد فصلا خاصاً في الوفيات وعين المدافن او المشاهد التي نقلت اليها الاموات [2]

= تاريخ هذه الفترة قال مصنف كتاب الحوادث : هو فخر الدين أبو سعيد ابن المبارك ابن عز الدين أبي زكريا يحيى بن المبارك ، ثم عرف هذا البيت بقوله : بيت معروف بالرزانة والأمانة والقضاء والعدالة والكتابة والتصرف والولاية ، هذا وقد نكب آل المخرمي جمال الدين وأخوه فخر الدين واستؤصلت ثروتهم وصودروا وحبسوا وعزلوا في خلافة المستعصم بن المستنصر آخر الخلفاء العباسيين وذلك سنة ٦٤٣ ثم افرج عنهم بشفاعة الشرابي ، وجاء في اخبار سنة ٦٦٤ ما يأتي : « فيها توفي فخر الدين أبو سعد بن المخرمي خدم الخلفاء عدة خدمات آخرها صاحب ديوان الممالك ، ولما كفت يده انقطع في داره الى أن ملك السلطان — يعني هولاكو — بغداد فلما تقرر حال الحكام بها ولاه صدراً بدجيل ، ثم نقل الى مشيخة رباط الحريم بموجب التماسه وإيثاره للعزلة والعبادة فبقي على ذلك الى أن مات » هـذا ما ورد في الكتاب عن الفترة الأخيرة من سيرة ابن المخرمي ، ويستفاد من تقليده بعض المناصب بعد استيلاء هولاكو على بغداد أنه من رأي من يرى مصانعة المغول ومهادنتهم ، وفي عدد هذا الحزب من رجال الدولة العباسية اذ ذاك كثرة ، ومنهم ابن العلقمي الوزير ، ولكنهم عورضوا من قبل حزب الدوادار ، راجع (١١١ ، ١٣٨ ، ١٣٩ ، ١٥٠ ، ١٥١ ، ١٥٧ ، ١٥٨ ، ١٩٦ ، ١٩٨) من كتاب الحوادث عن ماجريات هذه الاسرة .

(١) (٢٣٦ ، ٢٣٧) .

(٢) يحسن فيما يتعلق بمن حمل الى المشهد الغروي مضافاً الى ما مر مراجعة الصفحات الآتيــة من الجامع المختصر لابن الساعي (الجزء التاسع) ٧٨ ، ١٢٨ ، ٢٨٣ ، ٢٩٤ ، وكان منهم الشيخ ورام =

وفي تاريخ نقل الاموات نوادر ذكر بعضها ابن الساعي في تاريخه [1] من ذلك نقل جنازة أمير تركي من العراق الى خوارزم ، واغرب ما في هـذه القصة ان جثة الأمير ادرجت في مسلاخ حصان ، قال المؤرخ المذكور في وفيات سنة ٦٩٥ « فيها مات الامير سيف الدين ابن اخي « خوارزم شاه » وكان قد شرف بالتشريفات اللائقة ، واعطي القوس والعلم ، واذن له في العودة الى عمه ، فمات بخانقين في اواخر المحرم سنة ٥٩٦ ، وذبح حصان له كان يحبه ، وسلخ جلده ، وادرج فيه ، وحمل الى عمه ودفن في مدينة خوارزم » هذا ما ورد في التاريخ المذكور ، والحادثة غاية في البشاعة . والباعث على هذا العمل — على الارجح — دفع الشك الذي قـد يساور ذلك الملك الجبار الذي اشتهر ببطشه وتنكيله من تخلف ابن اخيه عن رفاقه ، فاضطروا الى نقله بهذه الطريقة الغريبة. وفي خوارزم ولا شك مقبرة خاصة بهـذه الاسرة الحاكمة ، وقد جرت العادة بنقل

= ابن أبي فراس الحلي مصنف المجموع المعروف المتوفى سنة ٥٨٣ والسيد عبد الحميد بن أسامة الكوفي ، اثنى عليه ابن الساعي قائلا هو من بيت النقابة والتقدم والرواية ، وكثرة النعمة ، وسعة الثروة توفى سنة ٥٩٧ ، ونقل الى مشهد علي ، ومنهم علي بن منصور الحلي النحوي المعروف بابن الخازن المتوفى سنة ٦٠٠ وكذلك أخت مؤيد الدين محمد القمي نائب الوزارة توفيت سنة ٦٠٦ ، قال بن الساعي حضر تشييعها جميع أرباب الدولة ، والقضاة والعدول والفقهاء والصوفية ، ووجوه الناس ، وشيعت الى دجلة بالشموع الكثيرة والاضواء ، وحملت إلى مشهد علي . وفيما يتعلق بمن نقل الى المشهد الحائري يحسن مراجعة المصدر المذكور ، ٢٤٨ وذلك بالاضافة الى ما ذكر اولا . وجاء فى حوادث سنة ٦٠٤ من الجامع المختصر « الجزء التاسع » لابن الساعي ما يأتي « أقسنقر بن عبد الله التركي الوزيري مملوك نصير الدين ناصر بن مهدي العلوي ، توفى سنة ٦٠٤ ، وصلى عليه في المدرسة النظامية ، وحمل الى مشهد الحسين ودفن هناك ، وفيما يتعلق بمن نقل الى المشهد الكاظمي تراجم الصفحات الآتية من تاريخ ابن الساعي المذكور ٦١ ، ٨٥ ، ١٠٧، ١١٥ ، ١٣٠ ، ١٤٦ ، ١٥٤ ، ١٧٩ ، ١٨١ ، ٢٤٣ ، ٢٤٧، ٢٥١ ، ٢٧٩ ، ٢٨٣ ، ٢٩٥ .

(١) الجامع المختصر : ٩ : ٢٤ ، ٢٥ وانظر قدومه الى بغداد ص ١٩ .

الاموات الى مقابر الاولياء والصالحين ومشاهدهم المعروفة في العراق ، ولا عكس فالحادث غاية في الشذوذ والانحراف .

هذا وقد ظهرت ـ عدا تلك المشاهد المذكورة ـ مشاهد اخرى وذلك في هذه الحقبة من تاريخ بغداد والعراق وفيما قبل ذلك ايضاً بعضها غير معروف هذا اليوم وبعضها ظاهر معروف ، ومن القسم الاول مشهد عون ومعين ببغداد [1] ومشهد عبيد الله الباهر [2] ومن القسم الثاني مشهد الرفاعي في أم عبيده [3] .

ثالثاً ـ رسم النثار

النثار هنا نثر الذهب والفضة ، أي نثر النقد والسكة المضروبة من هذين المعدنين ، وهو من جملة القواعد والرسوم التي شاعت في العصور العباسية ، وعرف هذا الرسم أيضاً عند بني أيوب في الشام ومصر ؛ والمرجح أنهم أخذوه عن بني العباس ، وأكثر ما يكون النثار في حفلات الاستخلاف والاستيزار ، وتقلد المناصب الكبرى ، أو في حفلات العرس والاعذار ، وحفلات التكريم والحفاوة بكبار الضيوف ، أو في حفلات اصلاح ذات البين ، وهو رسم أو عادة عرفت في عصور الترف والحضارة العباسية ، ولهذا لم تعرف هذه العادة عند المغول أي بعد انقراض الدولة العباسية ، وذلك لايغال المغول في الخشونة والبداوة ، وقد جرت العادة أن يقوم شخص بنثر

---

(١) الجامع المختصر : « الجزء التاسع » : ١٨٩ ، ٢٥٩ ، ٢٩٥ .

(٢) المصدر نفسه : ٢١٣ . وهو عبيد الله بن زين العابدين علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب ، وكان له مشهد خارج بغداد بقي الى عصور المغول وشيدت قريباً منه بعض المدارس والربط في أيامهم من أشهرها « المدرسة العصمتية » قال ابن الدوطي نقلا عن الكازرون أمرت بانشاءها زوجة علاء الدين صاحب الديوان سنة ٦٧١ بمشهد عبيد الله ، ثم سمى مدرسيها على اختلاف مذاهبهم وورد مثل ذلك في كتاب الحوادث الجامعة . أنظر عمدة الطالب ٢٢٤ ط النجف .

(٣) المرجع نفسه ٢٥٣ .

النقود الذهبية أو الفضية أو كليهما على الحضور من طبق أوصينية ذهبية أو آنية أخرى على شكل يدل على الجهة التي تقـــدمت أو أمرت بذلك . وأول حفلة عرس فرق فيها الذهب والفضة ، ووزع على الناس حفلة عرس زبيدة حفيدة أبي جعفر المنصور وزوجة هارون الرشيد بن المهدي ، ويقول المؤرخون ان المهدي استعد لها ما لم يستعد لامرأة قبلها ، ودخل بها الرشيد في المحرم سنة ١٦٥ ، حشر الناس لها من الآفاق ، وكانت الدنانير تجعل في جامات فضة ، والدراهم في جامات ذهب ، ويفرق ذلك على الناس ، ولم ينثر الذهب والفضة نثراً كما جرى في حفلات أخرى وقعت بعد هذا التاريخ . قالوا وكانت الدعوات المشهورة في الاسلام ثلاثاً لم يكن مثلها ، وهي أولا عرس زبيدة ، وثانياً عرس المأمون ، وثالثاً اعذار المعتز ابن المتوكل ، ويلاحظ ان الدعوات الثلاث التي سميت « دعوات الاسلام » من خصائص الخلافة العباسية ، وقد اتفقت كلها في بغداد [1] .

أول نثار في تاريخ العباسيين

أول نثار فذ في تاريخ الدولة العباسية ، وآخر نثار منقطع النظير في البذخ والبذل وقع في حفلة عرس المأمون بن هارون الرشـيد ، واقترانه ببوران بنت الحسن بن سهل سنة ٢١٠ ، وهو الاحتفال الذي نوهت به كتب التاريخ ، وضربت به الامثال [2] .

لم يعرف لهذه الحفلة ، ولما نثر فيها من المال مثيل في عصر من الاعصار ، نثر فيها على الهاشميين ، والقواد ، والـكتاب والوجوه بنادق مسك ، فيها رقاع باسماء ضيـــاع ،

(١) تجد تفاصيـــل دعوة المهدي في عرس هارون الرشـــيد في كتاب الديارات للشابشتي : طبع سنة ١٩٥١ .

(٢) راجع عنه الـكتب الآتية ، تاريخ الطبري : ٣ (١٠٨١ ، ١٠٨٤) نشوار المحاضرة للتنوخي (١ : ١٤٧) ، كتاب الديارات للشابشتي (١٠١ ، ١٠٢) ، ثمار القلوب للثعالبي : (١٣٠ ، ١٣١) ، تاريخ بغداد للخطيب (٧ : ٣٢١) الوفيات لابن خلـكان (١ : ١٣٠ ، ١٣٢) مقدمه ابن خلدون وغير ذلك من كتب الأدب والتاريخ .

واسماء جوار ، وصفات دواب ، وغير ذلك ، كانت البندقة اذا وقعت في يد رجل مضى الى الوكيل ، فيدفعها اليه ، ويتسلم ما فيها ، ثم نثر بعد ذلك على سائر الناس الدنانير والدراهم ، ونوافج المسك ، وبيض العنبر على المأمون وقواده وجميع أصحابه ، وسائر من كان معه ، وكانوا خلقاً لا يحصى ، حتى على الحمالين والمكارية والملاحين .

قال الطبري دخل المأمون على « بوران » فلما جلس معها نثرت عليها جدتها الف درة كانت في صينية ذهب ، فأمر المأمون ان تجمع ، وسألها عن عدد الدر ، فقالت الف درة ، فقال خذيها فهي نحلتك ، وقال الشابشتي في كتاب الديارات (١٠١) لما جليت بوران على المأمون نثر عليها حباً كباراً كان في كمه ، فوقع على حصير من ذهب ، وامتنع من كان حاضراً ان يلتقط شيئاً فقال المأمون « اكرمنها » فمدت زبيدة يدها ، فاخذت حبة فالتقط الناس الباقي ، هذا بعض ما رواه المؤرخون عن النثار المذكور ، ويلاحظ ان المنثور ليس من صنف واحد ، فما نثر على الهاشميين والقواد ، والكتاب — يعني بالكتاب كبار موظفي الدولة — غير ما نثر على سائر الطبقات ، فالضياع والجواري والخيول الأصيلة والاملاك كانت من نصيب الطبقة الأولى ، هذا وقد تعددت بعد ذلك حوادث « النثار » في تاريخ الدولة العباسية ، ولكنها لم تلحق ما اتفق في حفلة عرس المأمون وبوران اذا استثنينا دعوة المتوكل في حفلة اعذار ولده المعتز ، في قول بعض المؤرخين ولا بد لنا من القول ان المأمون عاش مع بوران ثمانية عشرة سنة فقط غير ان بوران بقيت بعده أكثر من أربعين سنة والمرجح أنها كانت في ريعان الحداثة لما زفت إلى الخليفة المذكور .

اعذار المعتز

أمر المتوكل وزيره الفتح بن خاقان ان يتأهب لاعذار المعتز في قصر من أشهر قصوره التي أنشأها في سامراء وبالغ المؤرخون في وصف اهبة الاعذار ونفقاتها وعدد من حضر الدعوة واحضرت اوعية مغشاة بالجلود مملوءة بدراهم ودنانير . واعتق المتوكل الف عبد ، وبلغ عدد القيان اللواتي حضرن الدعوة اربعمائة قينة ، وبولغ كذلك في وصف الموائد المثقلة بانواع المآكل والمشارب والفاكهة ، وطاقات الازهار والورود ، وتقدم الى الفتح ابن خاقان بان ينثر على خدم الدار والحاشية ماأعد لهم ، وهو عشرون الف الف درهم وتقدمت أم المعتز بضرب دراهم « تذكارية » خاصة ، فضرب لها الف الف درهم ، نثرت في تلك الحفلة ، قال الشابشتي : «كان الناس يستكثرون ما انفقه الحسن بن سهل في عرس ابنته بوران حتى أرخ ذلك في الكتب ، وسميت « دعوة الاسلام » ثم اتى من المتوكل ما انسى ذلك » هذا ما قاله الشابشتي [1] ، والواقع ان دعوة المأمون ابقى في التاريخ حتى اصبحت مضرب الامثال فقالوا : « عرس بوران » ولم يقولوا « اعذار المعتز » .

نثار الخطبة

يحفل تاريخ الدولة العباسية بأمثلة غير قليلة من هذا القبيل ، ومن أقدمها ما اتفق في خلافة الناصر لدين الله سنة ٥٨٥ كما جاء في كامل التاريخ لابن الأثير ، وهذا نصه : « في هذه السنة في صفر خطب لولي العهد أبي نصر محمد ابن الخليفة الناصر لدين الله

(١) الديارات : (١٠٠) .

ببغداد ونثرت الدنانير والدراهم وأرسل الى البلاد في إقامة الخطبة ففعل ذلك »[1] .

حفلات التشريف

جاء في حوادث سنة ٦٠٤ من كتاب السلوك للمقريزي ان الملك العادل أخا صلاح الدين الأيوبي لما أرسل إلى الخليفة – وهو يومئذ الناصر – بطلب التشريف والتقليد بولاية مصر والشام والشرق وخلاط ، مع استاذ داره الأمير « دكز » العادلي ، وقاضي العسكر « خليل المصمودي » أجاب الخليفة إلى ذلك ، وبعث من جانبه رسولا معه هدايا للملك العادل ، وللملوك من أولاد أخيه صلاح الدين ، ولبعض الوزراء ، فلما وصل موكب الخليفة إلى حلب ، دفع صاحبها الملك الظاهر ثلاثة آلاف دينار برسم النثار ، فيما إذا لبس عمه العادل خلعة الخليفة ، وبعث الملك المنصور من « حماه » مبلغاً للنثار وبرز سائر الناس لمشاهدة ذلك ، فكان يوماً مشهوداً ، ولما جلس العادل في « دار رضوان » بدمشق أفيضت عليه الخلع وتقدم القاضي ابن شداد فنثر الذهب ، ونثر رسل الملك بعده ، وقد زينت البلد ثم عادوا إلى القلعة واستمرت زينة البلد ثمانية أيام[2] .

حفلات الرياضة

جاء في أخبار سنة ٦٣٤ من كتاب الحوادث ما يأتي : « فيها وصل « يسر » خادم الأمير ركن الدين اسماعيل بن بدر الدين لولو صاحب الموصل ، ونفران من رماة البندق ومعهم طائر قد صرعه ركن الدين وانتسب بذلك إلى شرف الدين اقبال الشرابي ، وأمر

---

(١) (٢٠/١٢) .

(٢) تجد وصف هذا الاحتفال بوصول تقليد الناصر لدين الله العباسي فى حلب ودمشق ووصف اجناس الخلع والهدايا في كتاب السلوك للمقريزي (١٦٧/١ ، ١٦٨) .

بتعليقه تجاه باب البدرية ، فنثر عليه ألفا دينار ، ثم خلع على الواصلين صحبته وأعطاهم ثلاثة آلاف دينار » [١] .

نثار آخر في خلافة المستنصر

ورد في أخبار السنة السابقة نفسها من الكتاب عينه وصف احتفال عسكري رائع لعله من أعجب الاحتفالات التي أقيمت في خلافة المستنصر ، شهده رجال الديوان والزعماء وأعيان الدولة ، وذلك ابتهاجاً بزواج « الدوادار الكبير مجاهد الدين » ، جاء فيه ما يأتي : « في رابع جمادى الآخرة خلع الخليفة على مجاهد الدين الدوادار بين يديه وقدم له مركوب خاص بعدة كاملة ، وركب من باب الأتراك ، ورفع وراءه أربعة عشر سيفاً ، الى غير ذلك من الحراب والنشاب ورفع على رأسه علم من باب « دار الضرب » وخرج معه جماعة من خدم الخليفة ، والحاجب أبوجعفر ابن العلقمي ، ومهتر الفراشين وحاجب ديوان الأبنية وغيرهم ، فلما اجتاز بباب البدرية نثر عليه خادم من خدام الشرابي أربعة آلاف دينار ، ولما اجتاز بدرب الدواب نثر عليه في عدة مواضع من دار الأمير جمال الدين قشتمر ، ودار ابنته زوجة الأمير نصرة الدين قلج أرسلان ، وكان وراءه الاعلام والطبول ، هذا ما ورد في الكتاب ، وحدث ولا حرج عن الهدايا وبينها رقيق الترك والخدم والحبوش والخيل وآلة الحرب ، وفي آخر هذا الفصل قال المؤلف : « اجتمعت له - يعني لمجاهد الدين - فرحتان فرحة الامارة وفرحة العرس » [٢] ، ونحن نقول : كيف لا تفتقر بلاد يبلغ فيها البذخ والاسراف في حفلة من حفلات الزفاف

---

(١) (٩٥ ، ٩٦) .

(٢) (٩٣ ، ٩٤) .

هذا المبلغ وكيف تخلص الأمة لحكامها وهي تشاهد أمثال هذه الاحتفالات .

في حفلات الرياضة أيضاً

جاء في أخبار سنة ٦٣٨ من هذا الكتاب ما يأتي : وصل رسول من بدرالدين لولو صاحب الموصل ومعه قائد وجماعة من رماة البندق ، شـــهدوا ان الأمير ابراهيم ولد بدر الدين رماه بالبندق وكتب بذلك إلى الخليفة — يعني المستنصر — فقبل ، وعلق بباب البدرية ، ونثر عليه ألفا دينار ، وخلع على الواصلين معه » [١] .

بيعة المستعصم

ورد في أخبار سـنة ٦٤٠ من هذا الكتاب فصل طويل عنوانه : « خلافة المستعصم» ذكرفيه افضاء الخلافة اليه ، ووصف القواعد والرسوم التي اتبعت في البيعة ، ومنها : « رسم النثار » المذكور ، وجاء في آخر هذا الفصل ما يأتي : « في يوم الجمعة ١٧ جمادى الآخرة تقدم إلى كافة أرباب المناصب والولايات والأمراء الكبار بالركوب إلى « جامع القصر » فحضروا دار الوزارة أولا ، ثم توجهوا إلى الجامع وخطب نقيب النقباء ، ونثر عند ذكر اسم الخليفة ألف دينار ، وألف درهم عليها اسمه ، تولى نثار ذلك بشير الستري ، وصعد معه علم الدين أبوجعفر ابن العلقمي أخو استاذ الدار ، ونفذ إلى جامع المنصور وجامع المهدي والرصافة وجامع السلطان وجامع فخر الدولة ابن المطلب ، ونثر ذهباً ودراهم ، نثر ذلك عند ذكر اســم الخليفة ، وكان مبلغ ما نفذ إلى كل موضع خمسمائة دينار وخمسمائة درهم » .

في رحلة الخليفة

ورد في أخبارسنة ٦٤١ ذكر خروج المستعصم لوداع والدته وهي متوجهة الى الحج

---

(١) ١٤٣ :

منحدرة في شبارة الخليفة إلى « درزيجان »[1] ، وخرج الخليفة لوداعها ، فلما نزل السرادق نثر عليه الشرابي ذهباً كثيراً ، ولما وصل الحلة ، ودخل الدار التي على شاطيء الفرات ، نثر عليه الشرابي ذهباً كثيراً ، ثم توجه إلى الكوفة »[2]. وما أشبه المستعصم في هذه الحادثة وأمثالها بالأطفال المدللين ، وما أشبه الشرابي وأمثاله من الأمراء والقادة بالقومة على هؤلاء القاصرين .

استيزار ابن العلقمي

جاء في اخبار سنة ٦٤٣ من الكتاب ما يأتي : « في يوم الأحد ٨ ربيع الأول استدعى مؤيد الدين أبو محمد ابن العلقمي استاذ الدار الى دار الوزارة في جمع عظيم من رجال الدولة ، ذكر صاحب الكتاب أسماءهم ، وقال بعد ذلك : « ومشوا بين يديه الى الدهليز الأول ونثر عليه سراج الدين علي بن البجلي ناظر « دار الضرب » ، ذهباً وفضة عند دخوله »[3]

في اصلاح ذات البين

وفي سنة ٦٥٣ شجر الخلاف بين الدوادار والوزير ابن العلقمي وهو خلاف لا منشأ له الا ضعف المستعصم نفسه ، وعجزه عن الاضطلاع باعباء الخلافة كما يجب ، في هذه المرحلة العصيبة من تاريخ الخلافة العباسية ، أي قبل زوال الدولة المذكورة بثلاث سنين ، وفي هذا الخلاف نسب الى (الدوادار) انه يدبر في خلع المستعصم ، ومبايعة احد اولاده مكانه ، وقيل في بغداد ان الوزير مصدر هذه التهمة المنسوبة الى مجاهد الدين الدوادار ، وهي تهمة اثارت سخطه واستنكاره ، حتى انه طلب التحقيق ثم المرافعة ، وظهرت

(١) قرية كبيرة كانت على دجلة تحت بغداد في الجانب الغربي ذكرت في معجم البلدان لياقوت .

(٢) الحوادث الجامعة (١٦٤) .

(٣) المصدر نفسه : (٢٧٩) .

بوادر فتنة داخلية ، واستعد الفريقان للحرب ومشى الزعماء في الصلح وكان المستعصم حريصاً عليه — كما يبدو لمن يتصفح كتاب الحوادث — ، قال المصنف : « فقدمت له — أي للدوادار — شبارة ، وقف في وسطها ، ولم يقعد ، ونزل ولداه وابن الدرنوس في شبارة أخرى ، فلما قرب من داره نثر علي ابن الدرنوس طبق ذهب وطبق فضة في وسط الشبارة » (١) .

هـذا ما ورد في أسفار التاريخ عن « رسم النثار » والقواعد التي اتبعت فيه ، بيد ان المؤرخين المذكورين سكتوا غالباً عن مصير الذهب ، وعن تعيين الاشخاص او الحاضرين الذين كانوا يتناولونه بعد نثاره وهل كان للفقراء والمحاويج منـه نصيب أم انه كان يذهب الى جيوب الامراء والزعماء وجمل القول هذا بعض ما ظفرنا به من الطرائف الخاصة برسم النثار في تاريخ الدولة العباسية ، وقد ادركنا للعراقيين من ابناء هذا العصر عادات تهدى فيها النقود من ذهبية وفضية في بعض حفلات الافراح كالاعراس والاعذار ولا شك انها عادات موروثة من الآباء والاجداد في تلك العصور .

رابعاً – رمي التراب

اذا وقع اختلاس في بيئة بعيدة عن الشبهة او التهمة او في جهة لم يعهد فيها ارتكاب جريمة ، واذا أريد تفادي الفضيحة من جراء التحقيق عمدت السلطة الى الايعاز برمي التراب ، أي أن يرمي كل واحد من المشتبه بهم كومة من التراب يدس فيها المال المسروق فلا تعرف هوية السارق ، وبذلك يتفادون الفضيحة ، وهـذه العادة من جملة العادات المعروفة الآن في بعض جهات العراق ، كما كانت معروفة في بغداد قبل اكثر من سبعمائة سنة ، جاء في اخبار سنة ٦٤٥ من كتاب الحوادث (٢) ما نصه : « وفيها أنهى

(١) كتاب الحوادث (٢٩٤ ، ٢٩٨) .
(٢) (٢٢٣) .

خان المدرسة المستنصرية أنه شاهد ختم الخزانة متغيراً والقفل بحاله فاعتبروا ما فيها من الرهون والعين فشذ منها شيء ، ومن المال ثلثمائة دينار فأنهي ذلك الى الخليفة فأمر بالزام الفقهاء والحاشية برمي تراب ففعلوا ذلك ثلاثة أيام فلم يجدوا شيئاً فتقدم بتقسيط ذلك على البواب بالخزانة والفراشين على قدر أحوالهم فاستوفى ذلك منهم ورتب عوضهم » ، هذا ما جاء في كتاب الحوادث الجامعة ، والواقع أن الالتجاء الى هذه الطريقة الساذجة البسيطه للعثور على المال المسروق غير مجدية ، وهي تدل على ضآلة الخبرة في المباحث الجنائية او ضعفها في العصر المذكور ، وقد يقال إن رمي التراب بقصد الحصول على المال المسروق طريقة جميلة لتفادي الفضائح وفيها استجابة للشعور بالندم ووخز الضمير ، وما الى ذلك من المعاني الانسانية ، وليس ذلك بشيء فالشبهة واقعة في أمثال هذه الحوادث وان كانت شبهة محصورة في عدد محدود من المتهمين ، ولله در من قال : يكاد المريب أن يقول خذوني ، ولم نعثر في تاريخ الدولة العباسية على حادثة أخرى من هذا القبيل .

خامساً ـ الاحتفال بختمة القرآن

كان العراقيون الى عهد قريب يحتفلون بختمة الأحداث للقرآن المجيد احتفالا رائعاً تنظم فيه مواكبهم فيظهرون بأحسن الأزياء ويجوبون طرق المدينة ، يتقدمهم من ختموا قراءة القرآن منهم وهم ينشدون الأناشيد وقد لبسوا افخر ملابسهم ، ثم تقام المآدب وتفاض الخلع على المقرئين والمؤدبين خصوصاً اذا كان الحدث المحتفل بختمته من ابناء المياسير ، ولعمري انها من احسن العادات في الاسلام وان هجرت فيما هجر الآن من عاداتنا الحميدة .

لاشك انهذه العادة موروثة من القديم فانها كانت معروفة في أواخر عصور العباسيين

وانتقلت من ذلك العهد الى العصور الحديثة ، والظاهر أن الخليفة المستنصر منشيء المدرسة المستنصرية كان معنياً باقامة هذا النوع من الاحتفالات الدينية او الاجتماعية فانه احتفل مرتين بختمة اثنين من ابنائه هما الأميران عبد الله وعبد العزيز ، إذ جاء في اخبار سنة ٦٣٢ من كتاب الحوادث (١) ما يأتي : « فيها ختم الأمير أبو احمد عبد الله ولد الخليفة المستنصر بالله القرآن المجيد على مؤدبه العدل أبي المظفر علي بن النيار (٢) واحضر له خلعة ، قميص ابيض ، وبقيار قصب ، فامتنع عن لبسه لما ورد من النص الدال على التحريم ، واحضر له قميص مصمت غزلي ، وبقيار قصب بحرير وانعم عليه بالفي دينار وفرس عربي ، وخلع على ولد له صغير واعطي مائتي دينار وأنفذ الى داره ما حمله اثنان واربعون حمالا ثم عملت دعوة عظيمة بلغت الغرامة عليها عشرة آلاف دينار ، ثم خلع على وكيله العدل عبد الوهاب بن المطهر وعلى ولده وعلى جميع الخدم

(١) (٧١) .

(٢) كان الشيخ شمس الدين أبو المظفر علي بن النيار مثالا يحتذى به في ورعه واستقامته مختصاً بخدمة المستنصر وخدمة اولاده منذ كانوا صغاراً ، ومن جملتهم المستعصم خلف المستنصر فانه عني بتأديبه وتحفيظه ، فلما افضت الخلافة اليه رعا له حقه وقربه وعول عليه في كليات الأمور ، ومما يذكر في سيرته انه رفض الوزارة وفضل عليها طريقة الصوفية ووظائفه الدينية ، قال مؤلف الحوادث الجامعة : « لما توفي الوزير ابن الناقد خاطبه — يعني الخليفة المستعصم — في تقليد الوزارة فأبى زاهداً فيها ، وقال : إني عاهدت الله ألا اغير لباس المتصوفين ولا انزع عني ما تعودته ، فقيل له : نحن نوافقك على ذلك بحيث يؤرخ الناس ان شخصاً ندبناه الى الوزارة فأبى ان يغير زيه فأجبناه الى ذلك ، فقال الشيخ : لئن يؤرخ الناس ان شخصاً متصوفاً احسن الظن به وندب الى الوزارة فامتنع أحسن من ذلك ، فحينئذ فوضت اليه مشيخة الشيوخ وسلم اليه رباط والدة الخليفة الناصر لدين الله وخلع عليه في دار الوزارة وخوطب شيخ الشيوخ » وحضر بالرباط المذكور وقرأة الختمة ، وفي سنة ٦٤٤ رد النظر الى ابن النيار في مصالح المدرسة المستنصرية ، قال صاحب الحوادث الجامعة : « خرج في بعض الأيام من دار الخليفة عقيب غيث معتمداً على يد فراش فلما رفع يده عنه زلق الفراش فقال — يعني الفراش — مبادراً : لا ينال خيراً من تركه من يدك » ، وقد استوحى بعض الشعراء هذه الحادثة التافهة فنظموا القصائد في ذلك ، ثم رد اليه النظر على الطبق .

والحاشية ، واقام المستنصر بعد هذا التاريخ بسنتين احتفالا آخر للغرض نفسه ، وقد ورد في حوادث سنة ٦٣٤ من الكتاب المذكور [١] ما نصه : « في ربيع الأول ختم الأمير أبو القاسم عبد العزيز ولد المستنصر بالله القرآن المجيد على مؤدبه العدل أبي المظفر وجرت الحال في الدعوة وخلع الخلع على ما تقدم شرحه في ختمة اخيه » .

وهذا النوع من الاحتفال لاعلاقة له بقراءة الختمة في مناسبات دينية كالتي تجري في الأندية المنعقدة للتعزية أو الاجتماعات التي تعقد في مدارس بغداد الكبرى كالمستنصرية إحتفالا بزيارة ملك أو أمير أو عالم كبير ، والأمثلة غير قليلة في التاريخ على قراءة الصنف الثاني من الختمات ، فقد ورد في أخبار سنة ٦٣٢ من كتاب الحوادث [٢] ما يأتي : « سأل ناصر الدين — الملك الناصر الأيوبي — مدة إقامته ببغداد أن يحضر المدرسة المستنصرية فأمر الخليفة — المستنصر — بعمل دعوة وإحضار فقهاء المدارس ثم حضر ناصر الدين فجلس على طرف إيوانها الشمالي ووقف مماليكه وأصحابه في ربعي المالكية والحنفية ، ووقف عند كل طائفة حاجب وحضر قراء الديوان وقرأت الختمات ، وأنشد جماعة من الفقهاء قصائدهم ثم قدم المشروب » ، وفي أخبار سنة ٦٣٤ من هذا الكتاب عن وصول نور الدين أرسلان شاه بن عماد الدين زنكي صاحب شهرزور إلى بغداد جاء ما يأتي [٣] : « في خامس صفر وصل الى بغداد نور الدين أرسلان شاه بن عماد الدين زنكي صاحب شهرزور فخرج موكب الديوان إلى لقائه ، وفي صدره - يعني صدر الموكب - عارض الجيوش ابن المختار وخادمان من خدم الخليفة ثم دخل الى نصير الدين ابن الناقد نائب الوزارة فرفع قدره وخلع عليه ثم خرج ومضى الى دار عينت له بمحلة المقتدية ، وفي رابع

(١) (٨٩) .

(٢) ٧٨ .

(٣) (٧٨ ، ٨٩) .

عشره عملت له دعوة بالمدرسة المستنصرية وحضر اليها وجلس على طرف إيوانها الصغير وفرقت الربعات وقرأت الختمات [1] وذكر المدرسون بها الدروس ثم نهض فدخل دار كتبها فجلس بها ساعة» . هذا ما جاء في الكتاب ، ويستفاد منه ان زيارة المستنصرية كانت تدرج في مناهج التشريفات التي تنظم لزيارة الملوك والاكابر ، وفيه دليل بالغ على عظمة المستنصرية وبعد صيتها في العصر المذكور .

ومن الموارد التي تقرأ فيها الختمة الاجتماعات الرسمية التي تعقد احتفالا بتعيين أئمة الصوفية ، وكبار مشيختها في بغـداد ، فإنهم إذا قالوا « شيخ الشيوخ » أرادوا في الغالب شيخ مشايخ الطرق الصوفية ، ومن ذلك الاحتفال بنصب علي بن النيار شيخاً لمشايخ الصوفية ، فقد جاء في حوادث ٦٤٣ من كتاب الحوادث [2] تفصيل القصـة المذكورة ، كما جاء في آخر هذه القصة ما نصه : « فوضت اليه مشيخة الشيوخ ببغداد وسلم إليه رباط والدة الخليفة الناصر وخلع عليه في دار الوزارة وحضر الرباط المذكور وقرأت الختمة » ، هذا وقد استعملت في العراق بعد ذلك كلمة « الربعة » بمعنى الختمة وتجمع على « ربعات » والربعة في الأصل جونة العطار .

اللهجة العراقية

ويستفيد من كتاب الحوادث من يعني بالبحث عن أصول ألفـاظ اللهجة اللغوية الشايعة الآن في العراق وردها إلى تلك الاصول القديمة في عصر مؤلف هذا الكتاب فان لهجة أبناء العراق هذا اليوم تشبه لهجة أسلافهم قبل أكثر من سبعمائة عام ، وكثير من الألفاظ الدخيلة أو المولدة الشايعة في لهجة ابناء تلك العصور القديمة من اجدادنا العراقيين ما زالت شايعة في لهجة السواد الأعظم من أبنائهم الآن .

(١) راجع من أصل كلمة الربعة والختمة أصول ألفاظ اللهجة العراقية للمؤلف (٥٣ — ٥٥) .

(٢) ٢٨٥ .

لما عني مؤلف هذا الكتاب بالبحث عن أصول ألفاظ اللهجة العراقية الشايعة الآن[1] كان كتاب الحوادث الجامعة في مقدمة مآخذنا التي استندنا إليها في رد كثير من تلك الألفاظ الشايعة الآن إلى أصولها القديمة كما جاء في مقدمة تلك الرسالة ، وإليك نص ما ورد في المقدمة المذكورة[2] :

« عولنا في هذا البحث على بعض المصنفات من تأريخيه ولغوية وهي مصنفات وضعت في عصر المغول أو في اواخر عصور الدولة العباسية قبل ذلك ، ومن بين تلك الكتب الجزء التاريخي المغفل الذي نشر سنة (١٣٥١ — ١٩٣٢) منسوباً لابن الفوطي واختير له اسم « الحوادث الجامعة » وهو اسم كتاب ورد في قائمة مصنفات المؤرخ المذكور على اننا وافقنا على هذه التسمية لانطباقها على موضوع الكتاب .

عنيت بدرس الجزء المذكور الذي نجهل اسمه واسم مؤلفه في الواقع ، فوجدته من بعض الجهات كتاباً يصح الاستناد عليه في البحث عن أصول الفاظ اللهجة العراقية ، وكيفية انتقالها الينا خلال القرون ، ومقارنة الألفاظ الشايعة في اللهجة القديمة بألفاظ اللهجة المحكية في العراق اليوم حتى تسنى لنا تأليف معجم موجز بتلك الألفاظ .

سقم النسخة

بدأت نسخة الاصل من هـــذا الكتاب ببقية حوادث ٦٢٦ ، وذلك في خلافة المستنصر ، ومعنى هذا ان المفقود من أصل النسخة تاريخ (٢٥) سنة ، فالمؤلف معنى بتاريخ

(١) أصول الفاظ اللهجة العراقية ، بحث أدبي تاريخي في أصول الفاظ هذه اللهجة وفي علم اللهجات ووســـائل النهوض باللغة ، ويلي ذلك معجم منظم بالفاظ اللهجة الشائعة الآن في العراق طبع الكتاب سنة ١٣٧٦ (١٩٥٦) في بغداد .

(٢) ص ١٢ ــ ١٣ وراجع أيضاً من رسالة الأصول الصفحات الآتية (١١ ــ ١٣ ، ١٥ ، ١٧ ، ٢١ ، ٣٣ ، ٣٥ ، ٤١ ، ٤٣ ، ٤٧ ، ٥٥ ، ٥٧ ، ٥٩ ، ٦١ ، ٦٤ ، ٨٩ ، ٩١ ، ٩٥ ، ٩٧ ، ٩٩ ، ١٠١ ، ١٠٢) .

المائة السابعة من بدايتها الى نهايتها ، أي ان المفقود لا يقل عن ربع مجموع الكتاب ، ومما يهون الخطب على الباحث فلا يزعجه تلف الربع المذكور ان أكثر حوادثه معروفة مدونة في غير كتاب من كتب التاريخ ، مثل الكامل لابن الاثير ، بخلاف الاحداث المدونة بعد ذلك ، فأنها أحداث غير معروفة لكثير من المعنيين بالتاريخ خصوصاً تاريخ العراق في عصر الدولة المغولية ، بعد انقراض الدولة العباسية .

تعود حوادث القسم المفقود الى شطر من خلافة المستنصر العباسي ، وفي أيامه تم تعزيز الصلات بين دار الخلافة و « مظفر الدين كوكبري » صاحب أربل ، يدلنا على ذلك الحفاوة البالغة التي قوبل بها صاحب اربل لما زار بغداد سنة ٦٢٨ (١) ، والغالب ان لهذه الحفاوة البالغة علاقة بالحلف المبرم بين دار الخلافة وبين صاحب اربل وذلك من اجل تنظيم الدفاع المشترك عن البلاد ازاء خطر المغول الداهم وتسللهم الى حدود العراق والاقاليم الشمالية الشرقية في تلك الآونة ، فانهم هاجموا اربل بعد زيارة صاحبها لدار الخلافة بسنة واحدة أي سنة ٦٢٩ ، وجهز الخليفة الى اربل جيشاً عراقياً يقوده جمال الدين قشتمر الامير المشهور . هذا ومن شواهد سقم هذه النسخة ان الاخبار المتعلقة باستيزار مؤيد الدين ابن العلقمي نقلت من محلها وهو حوادث سنة ٦٤٣ ووضعت غلطاً في حوادث سنة ٦٥٣ مؤخرة عشر سنوات وهو تلفيق غريب يدل على تشويش النسخة من قبل مجلدها أو غيره وفي هذا الصدد نقول ان مؤلف الحوادث الجامعة ثناء بالغاً على مؤيد الدين ابن العلقمي ونوه بذكره حياً وميتاً وعقد له فصلا في اخبار سنة ٦٥٦ عنوانه « ذكر من توفي من الاعيان بعد الواقعة ، قال فيه : « توفي

(١) تجد تفصيل ذلك في الحوادث الجامعة (٢٧/١-٣) وفي وفيات الاعيان ، وقد ملك المستنصر العباسي مدينة اربل بعد وفاة صاحبها كوكبري ، وهو أمر يدل على خطورة موقع هذه المدينة من الناحية الحربية في ذلك الحين ويوجد خلاف في تاريخ وفاة كوكبري ، واستيلاء المستنصر على اربل ، انظر كتاب الحوادث الجامعة (٤٤) .

الوزير مؤيد الدين محمد ابن العلقمي في جمادى الآخر ببغداد وعمره ثلاث وستون سنة كان عالماً فاضلا أديباً يحب العلماء ، يسدي اليهم المعروف » .

هذا ما ورد عن ابن العلقمي الوزير في متن النسخة وقد علقت على الهامش في هذا المكان العبارة الآتية : « الا ان خيانته لمخدومه تدل على سوء اصله » وهـذه الحاشية مدسوسة في الكتاب بلا شك خصوصاً وهي بخط مغاير لخط النسخة أي انها تدل على سوء أصل كاتبها المتطفل أكثر من دلالتها على سوء أصل ذلك الوزير الفاضل الذي سجل المنصفون من المؤرخين كصاحب الحوادث الجامعة محاسنه ، وعددوا مآثره ؛ ولا يخفى أن ابن العلقمي يمت إلى بني أسد ، ذو نسب أصيل في هذه القبيلة التي كانت من أشد القبائل العراقية مراساً وأعظمها شوكة وأكثرها عدداً في الاقاليم الحلية والواسطية ، واضافة هذه العبارة المدسوسة في هامش النسخة مثل من أمثلة العبث بالاصول المخطوطة .

هذا وقد وقع مثل ذلك التشويش في أخبار اخرى[١] ، وفي حوادث سنة ٦٣٠ وردت الاشارة الى الامير حسام الدين ابن أبي فراس أمير الحاج في الايام الناصرية ، وعودته من مصر الى العراق ، وفي هذه الاشارة ورد ما نصه « تقدم ذكر مفارقته للحاج ومصيره الى الشام ومصر » هـذا نص ما قاله المؤلف ، ولم يسبق ذكر الخبر المشار اليه فهو من جملة الاخبار الواردة في القسم المفقود من النسخة[٢] ، وتدل النسخة بنفسها على نقصها دلالة لا شك فيها فأن المؤلف يحيلنا على حوادث لا وجود لها الا فيما سقط من أول الكتاب[٣] ، ومن ذلك ان المؤلف أرخ وفاة الامير ابي المظفر باتكين وترجم له ، ثم قال

(١) انظر (١٩٦) وقارن بينها وبين الأخبار في (٢٧٩) وما يليها من الصفحات الى صفحة (٢٩٤) ففي هذه الصفحات حوادث تخص سنة (٦٤١) وقد وضعت في حوادث سنة ٦٩٣ . وادخلت في أخبار سنة ٦٥٣ وفاة جلال الدين بن السلطان الملك الصالح أيوب والصحيح ما جاء في تاريخ أبي الفداء من أنه توفي سنة ٦٤٢ راجع التاريخ المذكور (١٧٣/٣) .

(٢) الحوادث الجامعة (٤٣) من النسخة المطبوعة .

(٣) انظر حوادث سنة ٦٣٠ ، وسنة ٦٤٠ من الكتاب المذكور .

ما نصه « وله نظم حسن منه ما قاله حين قتل بنو معروف بتل المقيّر في بطائح واسط ، وقد تقدم ذكرها » هذا ما قاله المؤلف ، وليس في نسختنا ذكر لهذه الواقعة من حوادث سنة ٦١٧ هذا وقد ذهبت فيما ذهب من الكتاب بيد اننا اذا رجعنا الى كتاب الكامل لابن الاثير اطلعنا على هذه الحادثة [١] ، وقد سقط من الكتاب الفصل الذي عقده المؤلف لترجمة ابن العلقمي الوزير ولم يبق منه الا العنوان [٢] غير اننا نجد وصف الاحتفال باستيزار ابن العلقمي مدرجاً في حوادث سنة «٦٥٣» بدلا من «٦٤٣» وهو وصف شائق ، ويجب ان يلحق بحوادث سنة «٦٤٣» ، وقد فاتنا بسقوط هذا الفصل فوائد ثمينة فلا شك انه اشتمل على رأي المؤلف في هذا الوزير الذي تضاربت آراء المؤرخين والباحثين في سيرته ، والغالب ان مؤلف كتاب الحوادث من احسن المؤرخين رأياً بابن العلقمي الوزير ، ومما يدل على العبث بنسخة الاصل من الكتاب ما قاله المؤلف في وقائع سنة « ٦٤٥ » وهذا نصه « فيها انفذ الخليفة الى الوزير ابن العلقمي دواة فضة مذهبة في جونة ، تخلع عليه ، ونظم الشعراء في ذلك » [٤] هذا نص ما جاء في الكتاب ونجد بعد ذلك ابياتاً في الرثاء لاعلاقة لها بهذه الواقعة [٥] ، والارجح ان الابيات المثبتة من جملة قصيدة لابن أبي الحديد في رثاء استاذه توفي سنة

---

(١) (١٨٢) من الحوادث الجامعة وانظر الكامل لابن الاثير (١٤٧) .

(٢) لاحظ (١٩٦) من النسخة المطبوعة من الحوادث الجامعة .

(٣) راجع عنه (٢٧٩ — ٢٨١) من النسخة المطبوعة .

(٤) ومن هذه الابيات :

قل للكواكب ما اردت بخارلي لم يبق في الدنيا عليك دليل
ذهب الذي رصد النجوم رياضة فاطاعه التيسير والتعديل
جمع الرواية والدراية فاستوى في وصفه المنقول والمعقول

(٥) انظر هذا الاضطراب في صفحة ٢١٩ من الحوادث الجامعة .

«٩٤٦» ، وقد أورد المؤلف مستهل القصيدة في مكانها وذكر أيضاً المناسبة التي نظمت فيها [١] الى غير ذلك مما يدل على فساد أو عبث طرأ على هذه النسخة .

دلالة البحث المقارن

عوّلنا على كتاب « الحوادث الجامعة » في جملة ما عولنا عليه من اصول هـذه الدراسة ، والى هـذه العلة مرد عنايتنا كثيراً بدرس الكتاب وتمحيصه ، ومحاولة الكشف عن اسم مؤلفه ، فان احداً من الباحثين لم ينته الى رأي قاطع في هـذا الشأن وهناك اعتراضات على رأي من يرى انه ابن الفوطي بعينه وهذا يعني ان حقيقة المؤلف بقيت مجهولة الى هذه الآونة .

عمدنا بدافع من الرغبة في كشف هذا المعمى الى اعداد دراسة شافية قرأنا فيها نصوصاً جمة من كتاب الحوادث ، بل قرأنا الكتاب بحذافيره اكثر من مرة ، كما طالعنا نصوصاً مثلها وردت فيما ظفرنا به من اجزاء معجم ابن الفوطي ، بل طالعنا خلال مدة اربت على الاربعين سنة جل مواد هذا المعجم اكثر من مرة ايضاً . فلما انتهينا من ذلك شرعنا بمقابلة النصوص التي درسناها في الاصول المذكورة ، وهذه المقابلة تشمل المواد والتراجم الواردة فيها ، وتتناول أيضاً أساليب التعبير والديباجة اللغوية ، وهانحن نضع هذه الدراسة المقارنة امام الباحثين ليستأنسوا بها في الاستدلال على مؤلف هذا الكتاب ، ومحاولة الكشف عن اسمه على قدر الامكان .

عرضت علي نسخة الاصل من كتاب الحوادث الجامعة ، وكانت ـ كما قلنا ـ نسخة مخرومة مغفلة ، وسألني بعض المعنيين بالتاريخ ، والبحث عن المخطوطات من البغداديين ، ومنهم ناشر الكتاب — كما ترى ذلك في مقدمته — عن رأيي في مؤلفه ، فكان من رأيي

(٦) (٢٢٨) والقصيدة لموفق الدين بن ابي الحديد في رثاء عضد الدين المبارك بن رئيس الرؤساء ، اثنى عليه صاحب الحوادث الجامعة وله ترجمة في معجم الأدباء (٦/٢٣٢) والكامل (١٢/١١٨) .

بعد المقارنة بين هذا الجزء التاريخي المغفل ونسخة دار الكتب الظاهرية من كتاب تلخيص مجمع الآداب ان الكتابين لمؤلف واحد ، وان هذا المؤلف لا يعدو مؤرخ العراق ابن الفوطي ، ولما كانت قائمة مصنفات ابن الفوطي تشتمل على كتاب عنوانه « الحوادث الجامعة والتجارب النافعة في المائة السابعة » جاز ان يكون هذا الاصل نسخة من كتاب الحوادث الجامعة لابن الفوطي (١) المذكور .

وهكذا عنينا بضرب من الدراسة المقارنة بعد ان ظفرنا بما ظفرنا به من اجزاء

---

(١) مقدمة الحوادث الجامعة (ا — د) وبهذا الصدد دارت مراسلة بيني وبين صاحب هذه النسخة وجاء في رسالتي اليه « تلقيت رسالتكم المؤرخة (١ صفر ١٣٥١ هـ — ١١ حزيران ١٩٣٢) ومعها جزء مغفل في التاريخ ، وقد استطلعتم رأيي في مؤلف هذا الكتاب اولا ، ورغبتم بتعريف ابن الفوطي ثانياً ومن رأيي — وقد تصفحت الكتاب — انه كتاب الحوادث الجامعة لمؤلفه عبد الرزاق بن أحمد الفوطي البغدادي المتوفي سنة ٧٢٣ وهو من أمتع مؤلفات المؤلف المذكور ، شرع بتأليفه بعد فكاكه من الاسر في واقعة بغداد كما نص عليه ابن الفوطي نفسه في كتاب آخر له لايزال مخطوطاً أيضاً ، وهو الجزء الرابع من تلخيص مجمع الآداب اطلعت عليه خلال مكثي في دمشق الشام سنة ١٣٣٧ — ١٩١٩ م بين مخطوطات دار الكتب الظاهرية ، وهو من تحفها الثمينة لانه نسخة الأصل ومسودة المؤلف بخط يده ، ولدينا من الأدلة مايكفي لاثبات نسبة هذا الكتاب المغفل الى المؤرخ المذكور فضلا عما يلمس في الكتابين من وحدة الفكر والاسلوب وتماثل الصيغ والعبارات ، وسرد الحوادث أحياناً بنصوص واحدة . وبالجملة فابن الفوطي من نوابغ العراق في صدر المائة الثامنة ، أسهم في كثير من المعارف والفنون ولكن غلب عليه التاريخ والانساب — فرع من فروع التاريخ — وله أسلوب خاص مبتكر في هذا الشأن أما مؤرخوا ابن الفوطي كالكتبي ، وصاحب الدرر الكامنة وغيرهما فلم يذكروا الا ما اتصل بهم من أحواله وهو نزر يسير ، ولم يوردوا الا آحاداً من شيوخه مع أنهم يعدون بالمئات ، ثم انهم لم يسموا الا بعض مؤلفاته وهي أكثر مما ذكروه بكثير والخلاصة لا مطمع للمؤرخ في الاطلاع الكافي على سيرته الا عن طريق الرجوع الى مؤلفاته ، ولكن اكثر آثاره مفقود ، عدا هذا الكتاب ثم الجزء الرابع من تلخيص مجمع الآداب ومن تهيأ له درس المخطوط المذكور عثر على شيء جديد ممتع من سيرة المؤلف واحواله ، ومن تاريخ العراق وبغداد ولنا في هذا الموضوع رسالة ربما نشرناها في المستقبل والله ولي التوفيق .

معجم ابن الفوطي وبعد ان نشر كتاب الحوادث الجامعة . وقد استدعت هذه الدراسة بذل الجهد وتوخينا فيها جمع الادلة من الكتابين على وحـــدة الاسلوب والطريقة والمادة أيضاً مما عزز رأي من يرى ان كلا من المعجم والحوادث الجامعة صدرا عن مؤلف واحد .

والخلاصة يلاحظ ظهور الشبه في جملة من مطالب الكتابين وموضوعات بحوثها وموادها ، من ذلك مثلا ان المؤلفين معنيان بترجمة الوراقين وتاريخ الكتب والمكتبات ، والبحث عن فن الخط والكتابة ومشاهير الوراقين والخطاطين بضرب من التبسط والتوسع في ذلك (١) . وكان ابن الفوطي كما لا يخفى اماما في النسخ والوراقة خبيراً بشؤون الكتب والمكتبات ، ومن قبيل عناية مؤلف الحوادث الجامعـــة في حوادثه كابن الفوطي في معجمه بفن الخطاطين ونوادرهم واصحاب الكتب ومكتباتهم قوله في ترجمة ابن البوري سنة « ٦٣٩ » « كان له اهتمام بالكتب واطلاع عليها وحفظ ما يستحسنه منها »(٢) وقال في ترجمة ابن القفطي المتوفى سنة «٦٤٦» «كان محباً للكتب جمع منها ما لم يجمعه احـد من ابناء جنسه لأنه غالى في اثمانها فقصد بها من الآفاق ، ووصى بكتبه للسلطان اذ لم يكن له ولد ولا زوجة ، ولعلها تساوي خمسين الف دينار » ويعنى مؤلف الحوادث بتسمية المشرفين على خزائن الكتب ببغـــداد وفي مقدمتها خزانة كتب المستنصرية وممن سماهم من هؤلاء الشمس علي بن الكتبي الخازن ، والعماد علي بن الدباس المشرف ، والجمال ابراهيم بن خليفة الى غير هؤلاء .

ويعنى المؤلفان كذلك بتاريخ المدارس والمعاهد العلمية ومدرسيها وبشؤون الربط

---

(١) راجع الحوادث الجامعة (١٤٦ ، ١٤٨ ، ١٨٤ ، ١٨٥ ، ٢٣٨) وترجمة ابن القفطي مصنف اخبار الحكماء .

(٢) راجع حوادث سنة ٦٢٧ .

والزوايا والخوانق والجوامع والمساجد وما الى ذلك من اخبار المتصوفة عناية ظاهرة . وقد كان ابن الفوطي من اشهر المتصوفة في ذلك الزمان ، فنراه معنياً جداً باحوال الصوفية وسيراقطابهم وكبارهم وبشؤون الفقر وصحبة الفقراء الى غير ذلك من مصطلحات القوم (١) ، وفي كل من كتاب الحوادث والمعجم شواهد كثيرة تدل على صلة وثيقة واختلاط شديد بالصوفية وخبرة بشؤونهم الخاصة والعامة . وبجمل القول : تراءى لنا بعد البحث والمقارنة على هذا الشكل ما يعزز رأي من يرى ان مصدر كل من الاصل المخطوط الذي اختير له اسم الحوادث الجامعة ومعجم ابن الفوطي واحد ، ومن المحتمل ان يكون هذا المصدر ابن الفوطي ، وقد استنتجنا هذا بالاضافة الى ما تقدم من تشابه اساليب التعبير المتبعة في الكتابين .

قد يقال ان مؤلف الحوادث اعتمد على تصانيف ابن الفوطي في التاريخ من قبيل معجمه المسمى « مجمع الآداب » وملخصه ، وغير ذلك من تصانيفه ، وقد يظن انه اعنى صاحب الحوادث الجامعة من المؤرخين المتأخرين قليلا عن عصر ابن الفوطي الناقلين عنه ، على ان هذا وما ضاهاه من الاقوال ضرب من الظنون والاحتمالات ، وبناء على ذلك ندعو المعنيين بالتمحيص والتحقيق في هذا الموضوع ان يعنوا بالمقارنة بين مضامين الكتابين كما عنينا نحن ، لتتضح لهم الحقيقة ، وعليهم ان يلاحظوا ذلك على الطريقة التالية وفي المواضيع الآتية :

١ ـ تكثر في كتاب الحوادث الجامعة اخبار الاسرة البغدادية المعروفة بآل

---

(١) تراجم الصفحات الآتية من كتاب الحوادث (١١٦ ، ١٢٤ ، ١٢٥ ، ١٣٤ ، ١٧٩ ، ١٨١ ، ٢٥٥ ، ٢٥٨ ، ٢٦١ ، ٢٧٤ ، ٢٧٥ ، ٢٨٤ ، ٢٨٥ ، ٣٠٧ ، ٣١١ ، ٣٧٥ ، ٣٩٦) .

(٢) الحوادث الجامعة (٧ ، ٩١ ، ١١٥ ، ١٢٤ ، ١٨٥ ، ٢٠١ ، ٢٨٢ ، ٢٨٣ ، وراجع المعجم (٥ : مادة محيي الدين وجمال الدين وشرف الدين) وهم من اعلام الاسرة الجوزية المذكورة ، وقد عني ابن الفوطي في معجمه بالترجمة لهم ولآخرين اعلام هذه الأسرة .

الجوزي قبل واقعة بغداد وبعدها[2] ومن ذلك تراجم جماعة من اعلام الاسرة الجوزية ، وتجد طرفاً من هذه الاخبار كذلك في معجم ابن الفوطي المذكور .

٢ ـ اخبار البيوت العلوية ـ تكثر اخبار البيوت العلوية في الكتابين خصوصاً من عاش منها في عصر ابن الفوطي او عصر مؤلف الحوادث او قريباً من ذلك كآل المختار وآل طاووس[1] وآل الفخري والاقساسي[2] نقباء الكوفة ، وآل الطقطقي وبني الصلايا[3] وآل معية ، وآل الاعرج ، ويكثر ذكر هذه الأسر بعبارات متشابهة ، ويترجم فيها لاعلامهم ، ويكثر في الكتابين أيضاً ذكر النقابة والنقباء من العلويين والهاشميين ، ويبدو لنا كثرة المنتسبين الى أهل البيت في هذا العصر من كثرة النقباء المرتبين في المدن ، بل كان لكل مدينة كبيرة ولغيرها من المدن الصغيرة والحواضر المتوسطة في العراق نقيب كبغداد والموصل والبصرة وواسط والكوفة والمدائن والحلة ، ولكل من المشهد الغروي والحائري والكاظمي ، وربما كان ذلك بسبب الحاجة الى الرقابة وضبط الانساب والتمييز بين الانساب الصحيحة

---

(١) الحوادث الجامعة (٢٣٣ ، ٢٥٦ ، ٣١١ ، ٣٣٦ ، ٣٥٦ ، ٣٨٣ ، ٤٨٠) وتلخيص مجمع الآداب (٥/٧٤ ، ٩٦ ، ٩٧ ، ٩٩ ، ١٢٧ ، ١٣١ ، ١٣٣ ، ١٣٩ ، ١٥١) .

(٢) انظر الحوادث الجامعة (١٨٢ ، ٢١٢ ، ٢٢٠ ، ٢٦٢ ، ٤٥٦) واللباب (٤٨ ، ٤٩)

(٣) انظر الحوادث الجامعة (٤١١) وراجع عن البيوت العلوية والنقباء معجم ابن الفوطي (٥ / ق ٢ الصفحات الآتية ٥٠ ، ٦١ ، ٧٤ ، ٧٨ ، ٩٤ ، ٩٦ ، ٩٧ ، ٩٩ ، ١١٠ ، ١٢٢ ، ١٢٧ ، ١٢٨ ، ١٣١ ، ١٣٢ ، ١٣٣ ، ١٣٤ ، ١٤٩ ، ١٥١ ، ١٦٥ ، ١٦٨ ، ١٧١ ، ١٧٢ ، ١٧٣ ، ١٨٢ ، ١٨٣ ، ١٨٦ ، ١٩٠ ، ١٩٢ ، ١٩٤ ، ١٩٦ ، ١٩٨ ، ٢٠٥ ، ٢٠٧ ، ٢١١ ، ٢١٧ ، ٢٢٥ ، ٢٢٧ ، ٢٢٩ ، ٢٣٠ ، ٢٣٤ ، ٢٣٨ ، ٢٤٢ ، ٢٤٩ ، ٢٥٠ ، ٢٥٢ ، ٢٦٧ ، ٢٦٩ ، ٢٧٣ ، ٢٧٤ ، ٢٧٥ ، ٢٧٨ ، ٢٨٤ ، ٢٨٥ ، ٢٩٤ ، ٢٩٥ ، ٣٠٥ ، ٣٠٦ ، ٣١٥ ، ٣٧٠ ، ٣٩١ ، ٣٩٣ ، ٣٩٧ ، ٣٩٩ ، ٤٠٦ ، ٤١٧ ، ٤٢٦ ، ٤٤٥ ، ٤٥٥ ، ٥٠٨ ، ٥١٥ ، ٥١٦ ، ٦٨٨ ، ٦٩٢ ، ٧٥٩ ، ٧٦٠ ، ٧٦٩ ، ٧٩١ ، ٧٩٩ ، ٨٢١ ، ٨٢٨ ، ٨٤٨) .

والمنتحلة ، وقد يكون ذلك لمجرد العناية بالمنتسبين الى الأرومة الهاشمية او العترة العلوية .

عنيت الدولة العباسية اجل عناية بمنصب النقابة وكانت عهود النقباء تصدر بأمر خلفاء بني العباس ، وعلى يد وزرائهم ، وعني المؤرخون في اواخر الدولة العباسية بوصف حفلات نصب النقباء واذاعة عهودهم ، ومن ذلك نسخة من عهد سلمت الى نقيب الطالبيين أبي الحسن محمد بن المختار الكوفي في سنة «٦٠٣» في خلافة الناصر لدين الله ، وهذا العهد من اطرف عهود النقباء في جملته وتفصيله ، فهو يستغرق عدة قوائم تضمنت كثيراً من حدود هذا المنصب ووظائفه وجملة من الوصايا القيمة [1] .

٣ ـ ياقوت المستعصمي ـ يروي صاحب الحوادث نتفاً من شعر ياقوت المستعصمي الخطاط الأديب المشهور [2] ، وذكر وفاته في حوادث سنة « ٦٩٨ » وترجم له ترجمة حسنة ، اثنى فيها على جمال خطه ، وانه بلغ من ذلك غاية ابن البواب ، واشار الى اوليته ، وانه من مماليك الخليفة المستعصم الذين ربوا في دار الخلافة ، وعنى صفي الدين عبد المؤمن بتعليمه الخط ، ثم كتب على الشيخ ابن حبيب ، وكتب عليه ابناء الاكابر ببغداد ، وحظي عند علاء الدين الجويني صاحب الديوان بعد سقوط بغداد ، وكتب عليه اولاده وابن اخيه شرف الدين هارون ، وقال له الاشعار المستحسنة التي جمعت من

---

(١) راجع عن هذا العهد كتاب الجامع المختصر لابن الساعي (٩/١٩٣ ، ١٩٨) ط . بغداد سنة ١٣٥٣ ـ ١٩٣٤ ، ومن اوفى المراجع في البحث عن النقابة ووظائف النقيب كتاب المثل السائر لابن الاثير وكتاب الاحكام السلطانية للماوردي، ومقدمة ابن خلدون ، وراجع تلخيص مجمع الآداب (٥/١٢٦) عن عهد لاحد نقباء المشاهد في العراق، واسمه مجد الدين أبو عبد الله محمد بن الحسن بن احمد الحسيني النقيب جاء فيه « وجعلنا له النظر في المشاهد وفسخنا له الذب عن الملتجي اليها وصيانتها عن الايدي المتطاولة عليها » .

(٢) كتاب الحوادث (٤٢٨ ، ٤٢٩ ، ٥٠٠ ، ٥٠١ ، ٥٠٢) .

الاوصاف ما تفرق في جميع الاشعار ، ثم اورد طائفة من شعره [1] ، هذا ما ورد عن جمال الدين ياقوت المستعصمي في كتاب الحوادث ، وتجد له ترجمة ضافية وذكراً كثيراً في معجم ابن الفوطي ، وانه كان خازناً في دار الكتب المستنصرية ، وسماه (الخازن جمال الدين ياقوت المستعصمي) مع شيء من سيرته وشعره ، ويفهم مما جاء عنه في التلخيص المذكور ان خزانة المدرسة المستنصرية جمعت بين ياقوت وابن الفوطي ، ففي الحين الذي عين المستعصمي خازناً للكتب المستنصرية عهد الى ابن الفوطي بالاشراف على الخازن المذكور أي جمال الدين ياقوت المستعصمي ، ولقبه « الكاتب[2] » في تلخيص مجمع الآداب .

لجمال الدين عبد الله ياقوت المستعصمي ذكر كثير في كتب السير والتاريخ « المعجم ابن الفوطي » وكتاب الحوادث الجامعة والمنهل الصافي ومنتخب علماء بغداد للسلامي « ٢٣٣ » والنجوم الزاهرة والشذرات لابن العماد وتوجد له ترجمة طريفة في كتاب « تحفهٔ خطاطين » لمؤلفه سليمان سعد الدين الفه بالتركية وانفرد هذا المؤلف بان وصفه بالطواشي اي الخصي وقال ان أصله رومي .

وصل الينا من مؤلفات ياقوت المستعصمي كتاب عنوانه « اخبار وأشعار ، وملح وحكم ووصايا منتخبة ، وكتاب اسرار الحكماء [3] .

وقد خلط بعض المؤلفين بين ياقوت المستعصمي هذا وياقوت الملكي الشاعر الكاتب

(١) كتاب الحوادث (٥٠٠ ، ٥٠١) وشذرات الذهب (٥/٤٣٣) وله أي لياقوت المستعصمي في علاء الدين الجويني وذويه اشعار منها قصيدة فى تهنئته بالعودة الى الحكم في العراق ، كان المستعصمي اماما في الخط وكان مشاهير الخطاطين من بعده الى العصور الاخيرة يترسمون طريقته في الكتابة ، ومن خطه نسخ من المصاحف والكتب باقية الى اليوم يتنافس فى اقتنائها المتنافسون .

(٢) اللباب أو مختارات من تلخيص مجمع الآداب للمؤلف (٧٦ ، ٨٧) .

(٣) طبع الأول سنة ١٣٠٢ والثاني سنة ١٣٠٠ في الاستانة .

الخطاط أيضاً وهو أقدم عصراً من سميّه ياقوت المستعصمي . هذا ومن الكتب التي خلط مؤلفوها فيها بين ياقوت المستعصمي وياقوت الملكي وكلاهما من الخطاطين المشاركين بالاسم منتخب علماء بغداد للسلامي (٢٣٣) وشذرات الذهب لابن العماد .

هذا وتجد لياقوت الملكي المتوفى سنة ٦١٨ ترجمة حسنة في وفيات الاعيان[1] جاء فيها « أبو الدر ياقوت بن عبد الله الموصلي الملقب امين الدين المعروف بالملكي نسبة الى السلطان ملكشاه ابي الفتح بن سلجوق ، كتب الكثير وانتشر خطه في الآفاق ، وكان خطه في نهاية الحسن ولم يكن في آخر زمانه من يقاربه في حسن الخط ، ولا يؤدى طريقة ابن البواب في النسج مثله مع فضل غزير ونباهة تامة ، وكان مغرى بنسخ الصحاح للجوهري ، وكل نسخة تباع بمائة دينار ، وكتب عليه خلق كثير هذا ما قاله ابن خلكان » وختم ترجمته في الوفيات بايراد قصيدة طويلة مدحه فيها النجيب الحسين بن علي الواسطي وصف فيها خطه ، ولم يكن رآه بل على السماع ومن هذه القصيدة .

ذو يراع تخاف صولته الأسد وتعنوا له الكتائب ذلا
واذا أفتر ثغره عن سواد في بياض فالسمر والبيض خجلى
انت بدر والكاتب بن هلال كأبيه لا خير فيمن تولى
ان يكن أولا فانك بالتفضيل أولى لقد سبقت وصلّى

٤ ـ عز الدولة ابن كمونة ـ له ترجمة في الكتابين ، وترجمته في الحوادث الجامعة من

(١) (٢ : ٢٠٧) وتجد لامين الدين ياقوت الملكي هذا ذكراً في المنتظم لابن الجوزي (٨، ١٠) وفي معجم الأدباء للحموي والكامل لابن الاثير والنجوم الزاهرة لابن تغري بردي ، والبداية والنهاية لابن كثير والشذرات لابن العماد الى غير ذلك .

الترجمات الحسنة [1] ، ذكر فيها حادثته المعروفة في بغداد التي اخرج بسببها الى الحلة وفيها مات عند احد اولاده ، وخلاصة تلك الحادثة ان ابن كمونة ألف كتاباً سماه « تنقيح الابحاث في الملل الثلاث » اوجب اضطراب المسلمين في بغداد حتى حاولوا الفتك بمؤلفه ، ولم ينج الا بهروبه الى أولاده في الحلة . وهذا الكتاب الذي اثار خواطر المسلمين في ذلك العصر يعتبر من النوادر وغلب علينا اليأس من الظفر بنسخة منه مدة طويلة من الزمان ، إلى أن عثر عليه احد الأصدقاء الأفاضل من المعنيين بالتنقيب عن تراثنا الثمين من المخطوطات ، وهذا الكتاب عبارة عن بحوث مجردة في أصول الاديان الثلاثة تدل على مزيد من الخبرة خصوصاً في البحث عن الديانة اليهودية ، ولا عجب فان ابن كمونة اصله من الاسرائيليين ؛ وهاك ما قاله في مقدمة الكتاب المذكور « وبعد فانه قد جرت مفاوضات اقتضت ان عملت هذه المقالة في « تنقيح الابحاث للملل الثلاث » اعني ملة اليهود ، وملة النصارى ، وملة المسلمين ، فذكرت فيها أولا أحوال النبوءات مجملا ، ثم ذكرت مايختص بكل ملة على ترتيب أزمنتها ، فابتدأت بأقدمها زماناً ، وهي الملة اليهودية ، وتلوتها بوسطها ، وهي الملة النصرانية ، وختمت بآخرها وهي الملة الاسلامية ، وحكيت عن كل واحدة من هذه الملل اصول معتقدها سوى التفاريع لتعذر استقصائها ، واردفت ذلك بحكاية ادلة اربابها على صحة نبوة النبي الآتي بها ، واوردت ما وجد من المطاعن عليها ، وما ذكر من الاجوبة عنها ، منبهاً على مواقع الانظار فيها ، مميزاً مايصلح لان يعول عليه من تلك الاجوبة عما لايصلح لذلك منها ، ولم امل في شيء من ذلك مع الهوى ، ولا تعرضت لترجيح ملة على أخرى ، بل رددت مباحث كل ملة الى غايتها القصوى » .

(١) كتاب الحوادث (٤٦٠ ، ٤٦٩) .

هذا ما ورد في مقدمة كتاب « تنقيح الابحاث » لابن كمونة ، والكتاب جدير بالدرس ، وهو يدل كما قلنا على خبرة تامة في بابه . ولا شك ان جمهور المسلمين البغداديين الذين ثاروا في عصر ابن كمونة لم يحتملوا إيراد مطاعن الطاعنين في أصول دينهم كما وردت في هذا الكتاب ، وان كانت مشفوعة بردها فهاجوا على ابن كمونة ، وارادوا البطش به » فهرب الى الحلة كما جاء في كتاب الحوادث ، هذا وقد أثار تأليف الكتاب نقاشاً كثيراً وألف علماء المسلمين في عصره وبعد ذلك كتباً في الرد عليه .

هـــذا وتجد له في المعجم (1) ترجمة استهلها بذكر نسبه ، فهو عز الدولة أبو الرضا سعد بن نجم الدولة منصور بن سعد بن الحسن بن هبة الله بن كمونة الاسرائيلي البغدادي الحكيم الأديب ، كان عالماً بالقواعد الحكمية والقوانين المنطقية مبرزاً في فنون الأداب ، وعيون النكت الرياضية والحساب ، شرح كتاب الاشارات لابي علي ابن سينا ، وقصده الناس للاستفادة من فوائده ، ولم يتفق لي الاجتماع بخدمته للمرض الذي عرض لي ، وكتبت الى خدمته التمس شيئاً من فوائده لاطرز به كتابي فكتب لي مع صاحبنا وصديقنا شمس الدين محمد بن أبي الربيع الحاسب المعروف بالحشف سنة «٦٨٣» .

صن العلم عن اهل الجهالة دائماً ... ولا توله من لا يكون له اهلا
فيورثه كبراً ومقتاً وشرة ... ويقلبه النقصان من عقله جهلا
فكن ابداً في صونه عنه جاهدا ... ولا تطلبن الفضل من ناقص اصلا

وتوفي في الحلة سنة « ٦٨٣ » .

مؤلفات نادرة لابن كمونة

هـــذا ما قاله ابن الفوطي في معجمه ، ومما يؤيد ما ورد في المعجم عن هذا

---

(١) المعجم (٤/ مادة عز الدولة) .

الفيلسوف اننا ظفرنا قبل مدة تناهز الاربعين سنة بجملة من رسائله بخط يده ، واكثرها في المنطق والفلسفة ، كما جاء في تلخيص مجمع الآداب وهذه المخطوطات الفلسفية من محبسات خزانة المشهد العلوي تشهد بصحة ما جاء عنه في كتب المؤرخين ، ظفرنا بها سنة « ١٣٤٠ » ، قوامها رسائل وكتب ، منها ما هو من تأليف ابن كمونة نفسه ، ومنها ما هو من مصنفات غيره ، ويلاحظ انه جيد الخط والكتابة ، ومن هذه الرسائل التي ظفرنا بها في الخزانة المذكورة نسخة الاصل من كتاب له سماه « تقريب المحجة وتهذيب الحجة » وهو مختصر الفه في المنطق والحكمة . وجاء في آخر النسخة ما نصه « وقع الفراغ من نسخه في القسم الاول من ذي الحجة سنة « ٦٥٧ » ، كتبه مؤلفه الفقير الى رحمة الله تعالى وعفوه وغفرانه سعد بن منصور بن سعد بن الحسن بن هبة الله بن كمونه وفقه الله لطاعته واعانه على مراضيه ، انه جواد كريم » . ويلاحظ ان خط المؤلف في الغاية من النفاسة .

ومما ظفرنا به في هذه الخزانة بخط ابن كمونة أيضاً نسخة من كتاب « لباب المنطق وخلاصة الحكمة » لمصنفه نجم الدين النخجواني ، وهو كتاب ردالمؤلف فيه على ابن سينا في كتاب الاشارات ، والغالب ان ابن كمونه اعجب بفلسفة «النخجواني» فعني بنسخ كتبه ، ومنها هذا الكتاب ، وعني كذلك بتأليف رسالة اختصر فيها كتاب النخجواني المذكور سماها «خلاصة ماتضمنته خلاصة الحكمة» ختمها الناسخ أعني بن كمونة بقوله «والواقف على الاصول يتمكن من استكناه هذه الفوائد في كتاب الله وسنة رسوله. فهذا زبدة ماتتضمنه خلاصة الحكمة المضمومة الى لباب المنطق المشتمل عليها كتاب واحد تصنيف الامام نجم الدين احمد بن محمد النخجواني ، ووقع الفراغ من اختيار هذا القدر منه في ذي القعدة من سنة « ٦٧٥ » هجرية ، والذي اختار ذلك العبد الفقير الى رحمة الله

تعالى سعد بن منصور بن سعد بن الحسن بن هبة الله بن كمونة عفى الله عنه » هذا ما ختم به ابن كمونة نسخة كتابه ، ويلي ذلك ادعية وابتهالات من انشاءه لا ينشئها الا عالم مسلم راسخ الايمان والبصيرة بالاسلام ، وهذه مسئلة جديرة بالنظر فالمشهور ان ابن كمونة من مشاهير فلاسفة اليهود .

هذا وفي آخر النسخة تعاليق لطيفة علقها « ابن كمونه » بخطه عن مؤلفات فريق من مشاهير الفلاسفة او الرياضيين في الاسلام كابي ريحان البيروني ، ومؤيد الدين العرضي الرياضي الفلكي المشهور ، ويلاحظ انها تعاليق مفيدة .

٥ ـ اين تم تأليف الكتابين ـ يبدو لنا من تصفح كتاب الحوادث انه من المؤلفات التي تم وضعها كلا او بعضاً في اذربيجان أو في تبريز ، ويستفاد من بعض مواضع هذا الكتاب ان مؤلفه عاش أيضاً في تبريز ، فانه يروي أخبار تبريز ووقائعها رواية النزيل المقيم في الحاضرة المذكورة [١] ، ومن ذلك ما جاء في أخبار سنة « ٦٨٨ » وهذا نصه : « وفيها وجد في الخزانة المحمولة من بغداد الى « الأوردو » المعظم كيس فلوس فتقـــدم بالفحص عن ذلك ، فظهر ان بعض حراس الديوان فعل ذلك ، فأمر بصلبه فصلب » [٢] هذا ما جاء في الكتاب ومنه يستفاد ان المؤلف شاهد هذه الحادثة اثناء اقامته في المدينة المذكورة [٣] .

وسرد المؤلف في حوادث سنة « ٦٩٣ » خبراً عن وضع النقود الورقية في تبريز وهذه النقود عبارة عن كاغد عليه شعار السلطان أو طابعه المخصوص على وجه يفهم منه ان المؤلف

---

(١) كتاب الحوادث (٤٦٠) .

(٢) المصدر عنه (٤٧٧) .

كان في هذه المدينة اذ ذاك [1] .

هذا ويلاحظ في غير مكان من تلخيص مجمع الآداب لابن الفوطي ان المؤلف وضع بعض اجزائه في تبريز او اذربيجان [2] ، ومن المعلوم ان ابن الفوطي اقام في تبريز مدة طويلة ، ووضع بعض مؤلفاته في الحاضرة المذكورة ، ومنها بعض أجزاء معجمه أو جلها ، والغالب ان الجزء الرابع من المعجم مما ألفه في تبريز ، يدل على ذلك ما ورد في ترجمة قوام الدين العكيكي البغدادي من المعجم [3] وهذا نصه « قوام الدين أبو عبدالله ابن محمد بن علي بن العكيكي البغدادي الصدر الأديب ، من ادباء عصرنا وهو من بيت اثيل ، واصل اصيل ، تأدب وسافر الكثير ودخل بلاد الشام وحج بيت الله الحرام ، ودخل بلاد اليمن ثم قدم بغداد وانا بها ، وكان يتردد الى خزانة البيت بالمدرسة المستنصرية ايام كنت مشرفاً على الخازن جمال الدين ياقوت الكاتب المستعصمي ، وكان يوردنا الاخبار ، وينشدنا الاشعار ، كتبت عنه من شعره وشعر غيره ثم خرج مسافراً سنة « ٦٩٩ » هذا نص ما ورد في المعجم [2] ويستفاد منه انه كان معنياً بتأليف هذا الجزء من المعجم بعد انفصاله عن الاشراف على خزانة المستنصرية وخروجه من بغداد ، والغالب انه الف هذا الجزء في مراغة من بلاد اذربيجان .

وفي المعجم امثلة غير قليلة من هذا القبيل ، ويلاحظ من مواضع عدة فيه ان ابن الفوطي عاد الى بغداد من اسر المغول سنة « ٦٧٩ » وفي هذه السنة تولى الاشراف على خزانة المستنصرية ، تولاها من سنة « ٦٧٩ » الى سنة « ٧٠٤ » اي مدة خمس

---

(١) كتاب الحوادث (٤٧٧) .

(٢) تلخيص مجمع الآداب : ٤ . باب قوام الدين وراجع اللباب او مختارات من تلخيص مجمع الآداب .

وعشرين سنة[1] وفي هذه السنة أي سنة « ٧٠٧ » ، وفي الفترة الواقعة بين سنة «٧٠٧» الى سنة ٧١٧ كان يتردد بين العراق واذربيجان ، وهو مثابر على التأليف سواء أقام في العراق أم في اذربيجان على انه قرر مغادرة اذربيجان نهائياً بعد مقتل مخدومه وشيخه رشيد الدين الطبيب [2] ومما يؤكد ذلك أيضاً ما جاء في اخبار سنة « ٦٩٦ » من كتاب الحوادث عن مقدم السلطان غازان الى بغداد ، وزيارته للمستنصرية وخزانة كتبها ، وقد وصف المؤلف هذه الزيارة وصف مشاهد وكان ابن الفوطي يشغل منصب المشرف على خزانة المكتبة في ذلك الحين ، والغالب ان ابن الفوطي ، او احد اصحابه العاملين معه كتب ذلك الفصل الخاص بمقدم السلطان غازان كما ورد في كتاب الحوادث الجامعة .

يسجل ابن الفوطي في معجمه خدمة من خدم المستنصرية وزيارة من زارها من الاكابر والعظماء ، وقال في ترجمة ابن وريده البغدادي البزاز المحدث[3] « كان شيخاً معمراً عالي الرواية ، له حانوت بخان الخليفة ، كان طلاب العلم يترددون اليه ، ثم رايته شيخاً بدار الحديث بالمدرسة المستنصرية بعد وفاة شيخنا ابن أبي الدينة سنة « ٦٨٠ » .

(١) في المعجم ادلة غير قليلة على ان مؤلفه تقلد ادارة خزانة كتب المستنصرية في بغداد مدة طويلة ومن ذلك ما جاء في ترجمة الايجي الحكيم وهذا نصه « لما قدم فخر الدين احمد بن مولانا نصير الدين بغداد سنة ٦٨٤ كان في خدمته وحضر في خدمة الاكابر بها ، وطالع خزائن كتبها ، وقال « لولا اتصالي بمراغة لاقمت ببغداد وتوفي بمراغة سنة ٦٩٨ » هذا ما ورد في الترجمة والغالب ان الايجي شافه ابن الفوطي بهذا القول وهو يزور المستنصرية انظر المعجم (٥ : ١٤٦ ، ١٤٧) .

(٢) راجع النسخة المخطوطة المصورة من الجزء الرابع من تلخيص مجمع الآداب القوائم التالية : (٦ : ٧٥ ، ٧٧ ، ٨٦) .

(٣) المعجم (٥ : ١٩٦) باب كمال الدين ، وراجع أيضاً (٢٥٩ ، ٢٦٠ ، ٢٨٥) من هذا الكتاب .

وقال في ترجمة كمال الدين احمد بن هبة الله « الخالنجاني » [1] ، « قدم بغـداد سنة ٦٨٧ ، واخذ من خزانة الـكتب بالمدرسة المستنصرية كتاب « المصابيح » ، ونسخة لنفسه » وهـــذا التاريخ يطابق تاريخ اشراف ابن الفوطي على المـكتبة المذكورة ، وفي آخر هذه الترجمة يقول « ذكر لي يعني الخالنجاني » انه مقيم في حضرة « اتابك اللر » [2] ووصفه الصفات الجميلة .

٦ ـ حرمة المشاهد ـ يعقب ابن الفوطي ذكره لاحد أئمة أهل البيت بقوله (عليه السلام) ويكثر التعقيب بهذه الكلمة في كتاب الحوادث [3] أيضاً ،وكان لزيارة أضرحة الائمة ومشاهدهم على مايظهر شأن كبير في عصر هذين المؤرخين المعنيين بالتأليف في تاريخ العراق وقد تلحق هذه الجملة الدعائية في هذين الكتابين بأسماء العلويين ، الصالحين ولو لم يكونوا من الائمة ، فهي لا تشعر بالانتماء الى مذهب معين ، ولا تدل على ذلك ، قال مؤلف الحوادث « وفتح الرباط الذي أمرت أم الخليفة الناصر بتجديده مجاور مشهد عبيد الله عليه السلام » [4] .

٧ ـ اطلاق بعض ذرية العباســـيين وارسالهم الى الشام ومصر ، ومقتل فخر الدين الدامغاني بأمر الطاغيـــة هولاكو لهذا السبب ؛ وهذه الحادثة مذكورة في الكتابين

(١) المعجم ٥ : مادة كمال الدين .

(٢) بلاد اللر اورستان اقليم جبلي بين « خوزستان واصفهان قطعها مؤلف هذا الـكتاب من حدود الاهواز الى اعالي الجبال في رحلة قام بها الى طهران منذ ست سنوات ، ويقول البلدانيون ، هناك « لران » لر كبرى ، ولر صغرى ، وكان صاحب اللر الـكبرى سنة ٦٨٧ يوسف شاه بن هزاراسب وهذا التاريخ يطابق اجتماع ابن الفوطي بصاحبه « الخالنجاني » في المستنصرية ،

(٣) انظر كتاب الحوادث الجامعـة (٦٢ ، ٩٥ ، ١٧٠ ، ١٧٣ ، ١٧٤ ، ١٨٨ ، ٢٣٧ ، ٢٤٤ ، ٢٥٢ ، ٢٥٣ ، ٢٥٧ ، ٣١٣ ، ٣٧٨ ، ٣٨٠ ، ٣٨٥ ، ٤٠٥) .

(٤) انظر اخبار سنة ٦٥٠ ، من المصدر المذكور .

باختلاف يسير [1] .

٨ ـ مقتل البروانة ملك الروم سنة « ٦٧٦ » بأمر أباقا خان بسبب مفاوضته البروانة ومراسلته للمماليك بشأن تسليم بلاد الروم اليهم [2] .

٩ ـ حوادث سنة « ٦٣١ » في الكتابين وفيها ذكر بعض ولاة خوزستان من مماليك الخلفاء [3] .

١٠ ـ يعنى صاحب الحوادث بأحوال علاء الدين الجويني صاحب الديوان وأحوال اخوته واولاده وذويه عناية تامة سواء أعاشوا في العراق أم في بلاد فارس أم في أذربيجان ، وتجد مثل هذه العناية بتاريخ آل الجويني ظاهرة في تلخيص مجمع الآداب لابن الفوطي ، وهي عناية تدل على صلة وثيقة بين هذين المؤرخين وآل الجويني فأما ابن الفوطي فان صلته بعلاء الدين صاحب الديوان وباخيه شمس الدين وباولادهما معروفة وكان علاء الدين معنياً بابن الفوطي من شتى النواحي ، وهو الذي خلصه من الأسر وأعاده الى بغداد ، وأسند اليه ما أسنده من الوظائف كما نوه بذلك أكثر من مرة في المعجم ، وفي ترجمته لعلاء الدين الجويني كفاية [4] ، وترجع صلة ابن الفوطي بالجويني وتعرفه به الى وجوده أسيراً في أذربيجان وتبريز ، وهناك توثقت بينهما العلاقة .

أشار ابن الفوطي أكثر من مرة في معجمه الى روايته عن علاء الدين الجويني ، وأورد

---

(١) راجع كتاب الحوادث (٢٣٨) وباب من لقبه فخر الدين من معجم الألقاب .

(٢) المعجم (٥/٦٦٦) في ترجمة معين الدين المعروف بالبروانة وراجع حوادث سنة ٦٧٦ من كتاب الحوادث الجامعة (٣٨٩ ، ٣٩٥) عن حروب المغول في الروم مع معين الدين البروانة صاحب الروم .

(٣) كتاب الحوادث (٦٠) ومعجم ابن الفوطي (٥/٦٧٥) من الطبعة الهندية وراجع أيضاً ٥٧٤ من الجزء المذكور .

(٤) المعجم : باب علاء الدين .

ابياتاً لطيفة من شعره في معجمه المذكور . هذا ويلاحظ من كثرة أخبار آل الجويني في الحوادث الجامعة ان مؤلفه كان خبيراً بأعلام الأسرة المذكورة واقفاً على سيرة القوم

لم تقتصر صلة ابن الفوطي بالصاحب علاء الدين من اعلام هذا البيت ، فهناك أخوه « شمس الدين الجويني » وله منزلة كمنزلة أخيه الصاحب علاء الدين في عصر هولاكو واباقا ، وكان مقامه على الأكثر في مراغة ، وحضر أي شمس الدين صحبة سلاطين المغول الى بغداد اكثر من مرة . فكان ابن الفوطي وثيق الصلة به يغشى ديوانه ، ويحضر مجلسه ، والأمثلة على ذلك غير قليلة في معجمه ، من ذلك قوله في ترجمة العوفي وهذا نصه « فخر الدين أبوالفضل الحسن بن مقلد العوفي الحلي النحوي ، اشتغل بعلم الموسيقى على الصدر صفي الدين بن عبد المؤمن بن يوسف بن أبي المفاخر ، ورأيته . يعني العوفي بتبريز بحضرة الصاحب السعيد شمس الدين ، وكتبت عنه[1] » . ومن المقارنة بين ما ورد عن آل الجويني في الكتابين يترجح رأي من يرى ان مؤلفهما واحد ، ولاحظ ايضاً سيرة مظفر الدين بن علاء الدين الجويني صاحب الديوان وما وقع له[2] في الكتابين .

١١ ـ اخبار خاصة بعلاء الدين الجويني في الكتابين[3] .

---

(١) المعجم ٤ : مادة فخر الدين و ٥ : ١٣٥ باب كمال الدين وراجع اللباب او مختارات من تلخيص مجمع الآداب (٤٠) .

(٢) راجع المعجم (٥/٥٨١ ، ٥٨٢) وكتاب الحوادث عن مقتله في سنة ٦٩٦ ويلاحظ ان مظفرالدين بن علاء الدين قتل بأمر غازان في السنة المذكورة ، ولا عجب فان أباه الطاغية ارغون فعل ما فعل بآل الجويني قبل ذلك ، قال في كتاب الحوادث « أمر ـ يعني غازان ـ بقتل مظفرالدين علي بن علاء الدين صاحب الديوان ، فنفذ الى بغداد من قبض عليه ثم قتل ودفن في دار المسناة التي بأعلى بغداد ، وعملت الدار رباطاً ، ثم نقل منها ودفن عند والدته في الرباط المجاور للمصمتية » وانظر حوادث سنة ٦٩٦ وسنة ٦٨١ وغير ذلك من المواضع في الكتاب عن مظفرالدين الجويني المذكور .

(٣) تراجع اخبار سنة ٦٨١ من كتاب الحوادث ، وفيها تاريخ وفاة الجويني بعد مقتل خصمه مجد الملك وشيء من سيرة الجويني (٤١٩ ـ ٤٢٤) وراجع عن سيرة الصاحب علاء الدين الجويني ونكبته

١٢ ـ انشاء الرصد الايلخاني بمراغة على يد نصيرالدين الطوسي سنة « ٦٥٧ »[١].

١٣ ـ مقتل آخر الايوبيين السلطان غياث الدين ابن الملك الصالح[٢].

١٤ ـ يعنى المؤلفان بترجمة مرشد السلطان أحمد تكدار ، وهو اعني المرشد المذكور ساحر ذلك العصر ، وتجد سيرته الغريبة مدونة في الكتابين ، وهي في الحوادث الجامعة أكثر تفصيلا منها في معجم الالقاب[٣].

١٥ ـ سيرة موفق الدين عبد القاهر[٤] بن الفوطي[٥] الشاعر احد تلامذة نقيب العباسيين أبي القاسم هبة الله بن المنصوري الصوفي الخطيب ، ومن شعره قصيدة سخر

= في أيام اباقا خان تاريخ أبي الفداء وعن أخبار مجد الملك مع الجويني ترجمة شمس الدين أخي علاء الدين وهي ترجمة مطولة تجدها في مجالس المؤمنين (٤٢٢ ـ ٤٢٤) وانظر مادة علاء الدين من المعجم وراجع « ٣٤ » من اللباب او مختارات من تلخيص مجمع الآداب .

(١) راجع أخبار سنة ٦٥٤ من كتاب الحوادث ، وهي السنة التي فتحت فيها قلاع الاسماعيلية ، وفيها خرج نصيرالدين الطوسي ، وحضر بين يدي السلطان هولاكو ، فحظي عنده ، وانعم عليه ، فعمل الرصد بمراغة سنة ٦٥٧ وانظر مواضع عدة من المعجم ، ويلاحظ ان الاسلوب المتبع في ترجمة نصير الدين الطوسي مقرون بالثناء والاكبار متشابه في كل من الكتابين .

(٢) كتاب الحوادث ٢٤٥ ، ٢٤٨ في أخبار سنة ٦٤٨ ويراجع عن حوادث سلاطين الاتراك « المعجم » (٥/٦٤٠ ، ٦٤١) حيث يعنى مؤلفا الكتابين في سياق أخبار هذه الواقعة التي أسفرت عن ظهور دولة الاتراك في الديار المصرية ، وانقراض الدولة الايوبية في البلاد المذكورة ، وهذه الحادثة التاريخية وردت في أكثر كتب التاريخ .

(٣) المعجم (٥ : ٢٠٠ ، ٢٠١) وكتاب الحوادث (٤٣١ ، ٤٣٢) .

(٤) هكذا ضبط اسمه (عبدالقادر) في أكثر كتب المؤرخين ، ومنها معجم ابن الفوطي (٥/٧٦٣ مادة موفق الدين) وعقد الجمان للعيني والشذرات (٥/٢٧٨) وانفردت نسخة الحوادث الجامعة المطبوعة بتسميته (عبد الغافر) بدلا من عبد القاهر ومرد ذلك فيما نرى الى التحريف .

(٥) راجع المعجم (٥/٧٦٣ ، ٧٦٤) وكتاب الحوادث (٣٨ ـ ٤٢) .

فيها سخرية لاذعة بشيخه المذكور اثر انخراطه في سلك رجال الدولة بعد اشتهاره بالزهد والتصوف والعبادة والسياحة والرياضة ، وقد كان لهذه القصيدة أثر بالغ في نفوس البغداديين حتى انكرها ديوان الخلافة على الشاعر ، ووكل به أياماً ، ولم يخرج الا بشفاعة ، والواقع ان القصيدة من الطرائف في معناها ولها دلالتها البالغة على وجود ضرب من النقد السياسي اللاذع ببغداد في العصر المذكور [1] .

ويستفاد من كتب السير والطبقات ان آل الفوطي أخوال صاحبنا مؤرخ العراق اسرة ورثت العلم والأدب خلفاً عن سلف . قال في ذيل « تذكرة الحفاظ » أنشدني الحافظ نجم الدين أبو الخير الدهلي في سنة ٧٤٠ ، قال انشدنا الامام جلال الدين عبد القاهر بن علي بن عبد القاهر بن الفوطي ببغداد ، قال أنشدني والدي رحمه الله لنفسه .

كرر علي حديث البان والسمر	ان الحديث على اهل الحمى سمري
قد كان لي وطر يصبو الى وطن	فاليوم لا وطنى يصبي ولا وطري

(١) ومرت الاشارة الى ذلك في الصفحة (٦٦) من هذا الكتاب .

أول القصيدة : —

	ناديت شيخي من شدة الحرب	وشيخنا في الحرير والذهب
منها	شيخي اين الذي يعلمنا الزهد	ويقتده من الغرب
	اين الذي لم يزل يشككنا	الى خروج عن كل مكتسب
	اين الذي لم يزل يعرفنا	فضل القرى والجوع والتعب

والغالب ان القصيدة تركت أثراً لا يستهان به وربما زعزعت مركز المنصور نقيب العباسيين ولذلك انبرى للاعتذار عنه وتعزيته قطب الدين الحسن بن الاقساسي النقيب فى أبيات يقول الاقساسي في أولها : —

ان صحاب النبي كلهم	غير علي وآله النجب
مالوا الى الملك بعد زهدهم	واضطربوا بعده على الرتب

الى أبيات اخذ فيها على الاقساسي ما نسبه الى بعض الصحابة والتابعين من حب الملك والدنيا ، وما الى =

إلى أبيات أخرى تجدها في الكتاب (١) .

١٦ — اخبار آل الخالدي وزراء غازان واعوانه « قطب الدين وعز الدين وصدر الدين الخالديين » وما جرى عليهم بعد ذلك في ايام غازان (٢) .

١٧ — اخبار غياث الدين عبد الكريم بن طاووس في الكتابين (٣) .

١٨ — وصف زيارة غازان لبغداد والمدرسة المستنصرية ، ودار الكتب فيها ، جاء ذلك كله في حوادث سنة « ٦٩٦ » وكان ابن الفوطي كما لا يخفى خازن كتب المدرسة المذكورة (٤) .

١٩ — تولية الملقب عماد الدين ناظر الحلة في باب عماد الدين من المعجم وفي حوادث سنة « ٦٤٣ » من الحوادث الجامعة .

٢٠ — اخبار فخر الدين بغدي قشتمر وابيه شرف الدين وجده جمال الدين ، وهم من طبقة الامراء في اواخر عصور الدولة العباسية ، واوائل عصور الدولة المغولية ،

= ذلك ، حتى تصدى له جماعة من الشعراء ونظموا قصائد في التشنيع عليه وبالغوا في ذلك حتى استفتوا الفقهاء واتهموه بأنه طعن في الصحابة والتابعين . ونسبه بعضهم الى غلاة الدين . قال ابن الفوطي : « فأفتاهم الفقهاء بموجب ماصدرت به الفتيا » وفي هذه العبارة ما فيها من الغموض ، ومجمل القول : احدثت قصيدة عبدالقاهر بن الفوطي ونقده لمسلك شيخه حركة فكرية في العصر المذكور ببغداد ، كتاب انظر الحوادث (٣٨ـ٤٢) وله ترجمة في الشذرات واخرى في المعجم ، واتفق صاحب الحوادث مع ابن الفوطي على تعيين سنة قتله في واقعة بغداد ، ويبدو لنا من الاخبار التي جاءت عنه في كتاب الحوادث ان مؤلف الكتاب كابن الفوطي خبير بأحواله وصرح الاخير في المعجم بأنه خال والده ، وانه أستاذه ومن أكبر المعنيين بتربيته .

(١) ذيل تذكرة الحفاظ تأليف أبي المحاسن الحسيني الدمشقي مصر سنة ١٣٤٧ .

(٢) باب قطب الدين وعز الدين من النسخة المخطوطة من معجم ابن الفوطي وراجع من الحوادث الجامعة الصفحات الآتيه (٤٧٤ ، ٤٩٢ ، ٤٩٥) .

(٣) باب الملقبين غياث الدين من المعجم ووقائع سنة ٦٩٣ من الحوادث ، وصفحة ٤٨ من اللباب .

(٤) كتاب الحوادث (٤٩٢ ، ٤٩٣) وعدة مواضع من معجم ابن الفوطي .

من ذلك نعلم ان الأمير فخر الدين قشتمر كان ينتدب للدفاع عن حدود العراق في خلافة المستنصر ، ويطارد الغزاة من المغول ، وهو تركي الأصل ، وتوفي قشتمر الكبير جمال الدين سنة « ٦٣٧ » وكانت لجمال الدين شهرة في الشجاعة والحروب وخصوصاً حروب المغول وحروب البدو والخوارج حالفه فيها النجاح [١] .

٢١ — ترجمة محمد بن السكران الخالصي الصوفي العارف صاحب الزاوية في الخالص، ففي وسعك ان تستنتج من هذه الترجمة في موضعها من المعجم ومن الحوادث الجامعة ان الكتابين لمؤلف واحد ، اذ نوّه ابن الفوطي في معجمه بهذا الصوفي الخالصي صاحب الزاوية

---

(١) توفي قشتمر الكبير جمال الدين سنة ٦٣٧ . انظر الصفحات الآتية من كتاب الحوادث (١٠٢ ، ١٠٤ ، ١٠٥ ، ١١٠ ، ١١١ ، ١٢٢ ، ١٢٣) ترجم له في الحوادث الجامعة ترجمة مفصلة لا توجد في كتاب سواه « ١٣١ ، ١٣٢ » ، وفي الترجمة المذكورة ذكر لاولاده واحفاده ومنهم مظفر الدين محمد بن جمال الدين قشتمر وردت ترجمته في الكتابين ، وترجمته في كتاب الحوادث (٨٠ ، ١٣٣) تشبه ترجمة اخرى في معجم ابن الفوطي (٥/٥٦٢) وراجع عما كان لهم من الشأن في الدولة العباسية — وخاصة قشتمر الناصري جمال الدين — الجامع المختصر لابن الساعي (٩/٢٣ ، ٧٦ ، ١٠٨ ، ١١٠ ، ٢٠٦) ولابن الساعي كتاب سماه (نزهة الراغب المعتبر في سيرة الملك قشتمر) الجامع المختصر (٩/٤٣) والغالب ان جمال الدين قشتمر هذا كان معروفاً بهذا اللقب — اعني الملك — في عصره (مادة مجد الدين ٥/٢٧٣) ، وانظر هذه الصفحة عن استبداد هذا الأمير وجرأته في عصر العباسيين المذكور ، وعن مملوك الخليفة قشتمر اكبر امير في العراق وتجهيزه الى لقاء التتر في جبال اربل كامل ابن الاثير (١٢/١٧٥) وعن شرف الدين قشتمر ابن جمال الدين كتاب الحوادث (١٠٤ ، ١٠٥) وراجع اللباب ومختارات من تلخيص مجمع الآداب لمؤلف هذا الكتاب في عدة مواضع وعن بطولة قشتمر واخبار اولاده الصفحات الآتية من الحوادث الجامعة (٢٨ ، ٣١ ، ٤٥ ، ٤٧ ، ٥٢ ، ١٢٣) ولاحظ تعليق المؤرخ ابن الطقطقي على فتح العباسيين لمدينة اربل ، وسخريته من هذه الفتوح بالنسبة الى فتوح الدولة المغولية الآداب السلطانية ، وانظر عن فتح اربل وخبرة قشتمر بالمغول وحروبهم ، وكثرة محاربته لهم ، عن اقطاع الحلة له (١١٠ ، ١٣١ ، ١٣٢ ، ١٤٥ ، ١٨٩) من المصدر المذكور ، وراجع الفصل الذي عنوانه الرحلة الى الحلة أي رحلة ابن الفوطي الى المدينة المذكورة في رسالة « مؤرخ العراق ابن الفوطي » لمؤلف هذا الكتاب .

المنسوبة اليه قائلا : « انها طراز العراق الذي اشتهر ذكرها في الآفاق » ، ثم اشاد بورع الشيخ وعبادته ومعرفته وزهادته ، وكان قد استدعاه الخليفة لاجل الدعاء مع جماعة من الفقراء ، فذكر الشيخ ان الأمر قد فرط وقضي الأمر الذي تستفتيان ، وكان — قدس الله روحه — على طريقة مشهورة في خدمة الصادر والوارد ، والمقيم والمسافر ، يخدم الناس على طبقاتهم من الملوك والسلاطين الى الفقراء المحتاجين ، وعليه رسوم لفقراء بغداد بل لاكابرها يتناولونها في كل عام على الاستمرار والدوام ، ولم يزل على هذه الطريقة المعهودة المحمودة الى ان توفي في شعبان سنة « ٦٦٧ » ودفن بزاويته المباركة من الخالص ، وعمرت عليه قبة عالية يزورها الناس ، وقد زرته »[١] هذا ما جاء في المعجم عن سيرة الشيخ الصوفي المعروف بالسكران ، وترجمته في الحوادث الجامعة شبيهة بهذه الترجمة .

قال صاحب الحوادث في اخبار سنة « ٦٦٧ » : « وفيها توفي الشيخ الصالح الزاهد محمد بن السكران ، ودفن في رباطة بناحية المباركية من الخالص بالجانب الشرقي من بغداد ، وبني عليه قبة ، وعمل عليه ضريح من الخشب . وكان رحمه الله على قاعدة السلف في العفة والزهد والانقطاع ، وتربية الفقراء والايثار وحسن السيرة ، سكن في هذه الناحية في مبدأ عمره ، يزرع بيده ، ويواسي الواردين مما يحصل له ، ثم عمر موضعاً يأوي اليه ثم عمر في هذا الموضع رباطا ، وزرع الى جانبه بستاناً غرس فيه نخلا وشجراً واوقفه على الفقراء وانضم اليه جماعة من الصالحين ، كل منهم يزرع بيده ، ولا يختص بالنماء ، فكان يقيم بجميع من يجتاز به ، ثم اعتمد على اصحابه في ذلك وانقطع يعبد الله

---

(١) المعجم (٥/٤٠٨ ، ٤٠٩) .

ولا يطلب قوتاً . ان اعطي أكل وان انشغلوا عنـه لا يطلب : حتى انه ربما بقي اياماً لا يطعم فقال يوماً لاصحابه : لا ريب انكم لا تسألون عن احوال الفقراء ، وقـد بلغني ان بينكم فقيراً لم يطعم ، ففحصوا عن ذلك فعرفوا انهم اهملوا الشيخ فاعتذروا له باشتغالهم في خدمة الواردين واستغفروا الله ، ثم قال صاحب الحوادث : قيل ان خواجـه نصير الدين الطوسي اجتمع به وقال له ما حد الفقر فقال : « الذي اعرفه ان ربق الفقر ضيق لا يدخله رأس كبير » (١) .

هـذا هو جواب ابن السكران شيخ زمانه في التصوف لفيلسوف عصره ، فهل يستنتج من هذا الجواب ان هامة نصير الدين الطوسي رحمه الله كانت كبيرة ؟ ليس ذلك ببعيد ، والخلاصـة يلاحظ تشابه ظاهر في الترجمتين ، ومن ذلك نعرف هوس هذا المؤلف وبراعته في تسجيل سير المتصوفة ، وسرد كل ما له صلة بالاخلاق والسلوك من هذا القبيل ، فهو المؤرخ البارع الذي حاول ان يرسم لك صورة صحيحة عن اوضاع عصره من نواحي التصوف والاخلاق والأدب والسياسة حتى شؤون المال والاقتصاد ، هذا ويستنتج من استدعاء الخليفة المستعصم للشيخ نيلاً لبركته جسامة الخطر المغولي المستحوذ على دار الخلافة قبيل واقعة بغداد ، وقد لمح لهم الشيخ برأيه في مصير الدولة ، وانها صائرة الى الزوال ، وصرح ابن الفوطي في ترجمة الشيخ انه ادرك زمانه وتبرك برؤيته ، وتشرف قبيل الواقعة بتقبيل يده عندما حضر الى بغداد بدعوة من الخليفة ، وكان ابن الفوطي حدث السن في ذلك العهد كما يظهر من عبارته ، ثم وقعت الواقعه وأسر فيمن أسر في سن الحداثة ، هذا ولا يزال قبر ابن السكران الشيخ الصوفي معروفاً على نهر الخالص القديم المندرس شرقي « الراشدية » ، قال صاحب المراصد

(١) كتاب الحوادث (٣٦٤ ، ٣٦٥) .

« والزاوية ببغداد قرية من قرى الخالص ، كان فيها زاوية الشيخ محمد بن السكران — رضي الله عنه — يطعم فيها من يجتاز به » .

٢٢ — دوادار الخليفة مجاهد الدين - يدل البحث المقارن عن أمير الامراء مجاهد الدين أبي الميامن عبد الله الجركسي المستنصري الدواتي — دواتي المستنصر بالله واخص خواصه — ، في كل من المعجم وكتاب الحوادث ان مصدر الكتابين واحد أو ان هذين المؤلفين يستندان الى مصدر واحد في الغالب ، وسيرة مجاهد الدين في أواخر أيام الخلافة معروفة ، وأهم ما فيها الأمور الآتية :

أ — خلافه مع الوزير ابن العلقمي بشأن المغول والطريقة الملائمة لدفع شرهم ، إذ جد للوزير العلقمي رأى في مصانعة المغول ، وجد لدوادار الخليفة مجاهد الدين رأي آخر يخالفه ، وانشطرت دار الخلافة الى حزبين حزب يؤيد الوزير وحزب يؤيد الدوادار .

ب — منزلة الدوادار الصغير مجاهد الدين في الدولة ، فقد كان أخص خواص الخليفة بلغ من التقدم ما لم يبلغه أحد من ابناء جنسه اي المماليك .

اشتهر في اواخر ايام الدولة العباسية دواداران ، اولهما الدوادار الكبير ، وهو علاء الدين الطبرسي الظاهري كان دوادار الخليفة الظاهر حظيا عنده ، فلما استخلف المستنصر بعد الظاهر ثابر على تقديمه وتقريبه ، وزوجه ابنة بدر الدين لولو صاحب الموصل ، كما تزوج أختها بعد ذلك ابنه الدوادار الصغير مجاهد الدين في خلافة المستنصر [1] ويقول صاحب

---

(١) يراجع عن الاحتفال بخطبة ابنة صاحب الموصل للدوادار الصغير ومباشرة عقدها كتاب الحوادث (٧٢ ، ٧٣) ويراجع عن الاحتفالات بزواجها وعن المواكب التي اقيمت في ذلك والهدايا والاموال الطائلة التي بذلت ومظاهر الابهة في تلك الاحتفالات المصدر المذكور (٩٢ ، ٩٣) .

الحوادث الجامعة : « وحدث ولا حرج عن ثروة هذا الدوادار فانالمستنصر اعطاه ليلة دخوله مائة الف دينار ، واقطعه (قوسان) ، وكان يحصل له منها ومن أملاك استجدها حدود ثلثمائة ألف دينار ، وكان يحب العمارات والمستنزهات ، ثم وصف صاحب الحوادث بعض الدور التي بناها على شاطئ دجلة ولم يسكن في بغداد نظيرها ، حتى ظن بها على الخليفة المستعصم ورده عند ما طلبها منه ؛ ومن ذلك تعلم قدر المستعصم وضعف نفسه عند رجال دولته ومماليكه ، وفي اسفاف هذه الطبقة الأخيرة من خلفاء بني العباس وضعف نفوسهم عبرة للمعتبرين ، ومن رأينا أن هذا الضعف الذي طغى عليهم وتنازلهم عن سلطانهم وثرواتهم لمماليكهم المذكورين لاسباب تافهة حقيرة أحياناً من أهم أسباب سقوط الخلافة العباسية [١] ، وقد مات علاء الدين الدوادار الكبير عن ولدين اشهرهما مجاهد الدين الدوادار الصغيرالمقتول في واقعة بغداد ، وفي وسعك ان تعلم من ثنايا هذا التاريخ ان بدر الدين لولو صاحب الموصل وافق على تزويج بناته من أقرب المقربين الى هؤلاء الخلفاء من مماليكهم وهما الدوادران ، المذكوران ، وكان ذلك في الغالب لدفع شرهم عن الموصل ، فظفر هذا الامير الداهية من حكام ولاية الموصل بغايته المنشودة ، وراح بعد ذلك يصانع المغول ويدفع شرهم بهذه المصانعة [٢] .

---

(١) راجع اخبار سنة ٦٢٩ من كتاب الحوادث عن انعام الخليفة المستنصر على الأمير علاء الدين الطبرسي المعروف بالدوادار الكبير بالدار المقابلة لباب الحرم المجاورة لداره (٣٧) .

(٢) انظر المصدر نفسه (٣٢٣) وما يليها عن خروج الدوادار الصغير الى لقاء المغول بأمر المستعصم وما ترتب على ذلك ، ومن المؤرخين الذين سجلوا حادثة بغداد بشيء من التفصيل ابن كثير في البداية والنهاية (١٣/ ٢٠٠ ـ ٢٠٥) . وتراجم عن الدواداريين الكبير والصغير وعن أحد أولاده المدعو فلك الدين الصفحات الآتية من الحوادث الجامعة (١٦٦ ـ ١٦٨ ، ٢٢٨) .

قال المؤرخون عن زواج هذا الدوادار زوجـه الخليفة بابنة السـلطان بدر الدين لولو سنة ٦٣٢ ، وسـلطنه ، وخلع عليه من ملابسه الخاصة وقلده بسيف محلى بالذهب والجوهر النفيس، ورفع خلفه السلاح المجوهر والالوية والاعلام . ورتب هذا الدوادار أميراً على الحاج في أيام المستعصم لما حجت والدته سنة « ٦٤١ » [١] .

ج — رواج أخبار بتنكر الدوادار مجاهد الدين للمستعصم ومحاولة الفتك به .

د — احتـاط الدوادار فأراد ان يهرب من نفائس الاموال والجواهر في سفينة تنحدر الى واسط فاستولى المغول عليها بعد ان ضربوا حصاراً شديداً على بغـداد من ناحية البر والنهر .

هـ — عبوره الى الجانب الغربي ، وخروجه لمنازلة المغول بجيش لا يسـتهان به مخالفاً اشارة من أشار عليه من أهل المعرفة بالبقاء داخل أسوار بغداد للدفاع ، ومنهم الوزير ابن العلقمي وجماعة آخرون من القواد ، فامتنع ووقعت الواقعة بينه وبين المغول ، وهي واقعة معروفة انتهت بخذلانه ، وظفر المغول به وبجيش بغداد ، وأسفرت هـذه المعركة عن مقتله ومقتل جماعة من كبار الامراء وقادة الجيش في الواقعة المذكورة ، وبذلك تيسر للمغول فتح بغـداد ، ويعد هذا الدوادار فيما نرى في طليعة المسؤولين عن هذه النكبة[٢] وان قتل في الواقعة ، وقد تضمن الـكتابان اشارة الى موقف الدوادار المذكور تكاد ان تكون واحدة .

هذا وقد بقي مؤرخنا ابن الفوطي معنياً على عادته بتاريخ هذه الاسرة طبقة بعد طبقة ، فانه أشار الى اتصال وجيه تركي باحدى حفيدات الدوادار الـكبير ، وشقيقات مجاهد الدين ، وهي من بنات فلك الدين محمد بن الدوادار الـكبير ، ويذكر ابن الفوطي[٣]

---

(١) الحوادث الجامعة (١٩٢) .

(٢) يحسن مراجعة ما قررناه عن ذلك في بحث عنوانه (قصة فتح بغداد واسرارها السياسـية والعسكرية) .

(٣) المعجم (٥/ق ٢/١٩٦) .

ان هذا الوجيه التركي قدم بغداد من بخارى سنة « ٦٨٠ » . ووصفه بالكياسة وجمال الصورة ، ثم قال « كنت اجتمعت به بمراغة سنة ٦٧٠ » وختم ترجمته برواية رويت له، ويتراءى لنا من مطاوي التاريخ ان بعض ابناء مجاهد الدين الدوادار الصغير قتيل المغول في الواقعة أسروا واعتقلوا في اذربيجان ، وبقي أحدهم وهو « جلال الدين » ابن مجاهد الدين ست سنوات يعاني مرارة الاسر ، ثم أعيد الى بغداد ، ويلاحظ انه كان محافظاً على وجاهته ومنزلته ، وعلى شيء من المال الذي ورثه عن أبيه ، وكان صدور الدولة المغولية صاحب الديوان علاءالدين ، ونصيرالدين الطوسي وغيرهما يعرفون له تلك المنزلة ، بيد انه كان منطوياً على الأخذ بثأر اسرته ممن سعى بهم عند الطاغية هولاكو فشردهم وسلب أموالهم ، ولذلك نرى جلال الدين اسهم بالفتك والتمثيل بأحد جواسيس المغول على العراقيين ، وهو عين من عيون هولاكو خاصة ، حتى أخذ مرارة ذلك الجاسوس بعد الفتك به بظاهر بغداد سنة « ٦٦٢ » ، وكان هذا الضرب من المثلة والقسوة في القتل — أي انتزاع المرارة — مألوفاً في تلك العصور ، ويلاحظ ان هذا الجاسوس العراقي لدى المغول كان في عداد خصوم علاء الدين الجويني صاحب الديوان في عصر هولاكو وابنه أباقا ومن المنهمكين بالسعاية والوشاية به .

وهكذا علم جلال الدين هذا بتعذر الاقامة عليه في العراق في ظل المغول المتعطشين الى سفك الدماء ، فاستطاع ان يهرب لاجئاً الى الشام بحيلة لطيفة سجلها صاحب الحوادث [1] الجامعة ، ومن ذلك يعلم ان بقية السيوف من جيش الدوادار الذي قاتل المغول تحت امرته ثم انهزم شر هزيمة بقوا على ولائهم لقائدهم المذكور ، ولكنهم كانوا مشردين في مختلف نواحي العراق ، ومن ثم حاول ابنه جلال الدين جمعهم بعد الافراج عنه ورجوعه من الاسر الى بغداد ، وسافر بهم الى الشام ، واعقب

---

(١) كتاب الحوادث : ٣٥١ ، ٣٥٢ .

ذلك محاولة جديدة حاولها خصوم علاء الدين الجويني صاحب الديوان لاخذه واعتقاله ، وحمله الى اذربيجان ، وعرض أمره على السلطان بتهمة مواطاته مع جلال الدين ، ولكن التحقيق الذي اشرف عليه السلطان بنفسه اسفر عن براءته ، وكان لأخيه الصاحب شمس الدين وهو بأذربيجان مسعى محمود في خلاص أخيه، فأعيد علاء الدين الى قاعدته في بغداد .

لا يخامرنا أدنى شك في ان التهمة التي نسبت الى الجويني في هذه الحادثة هي الاتصال بملوك مصر والشام ، وفي سيرة الصاحب علاء الدين الجويني كل ما يدل على التنكر للوثنيين الطغاة من حكام المغول ، واعادة الامم الاسلامية المغلوبة على أمرها في الشرق الى العيش في ظل راية اسلامية ، ولو كان هؤلاء المسلمون انفسهم من الشعوب المغولية ، وهكذا استمر الصراع في هذه الفترة من تاريخ المغول الايلخانيين بين الوثنية والاسلام الى ان تم النصر للمسلمين ، وعزل شحنة بغداد الذي قبض على الجويني ناسباً اليه تلك التهم الخطيرة ، ومن هذه الحوادث وما اليها نلاحظ نمو الوعي عند العراقيين ومحاولة التخلص من سلطان الوثنية مستنجدين بملوك المسلمين الذين عجز هولاكو وابناؤه من بعده عن التغلب عليهم في الديار المصرية والشامية .

٢٣ — عماد الدين القزويني — نجد في تلخيص مجمع الآداب ترجمة مفصلة لعماد الدين القزويني نائب الحاكم المغولي العام في العراق ، وهي ترجمة تطابق ماورد في كتاب الحوادث [(١)] عنـــه ، وتدعم رأي من يرى ان كلا من المعجم الذي ظفرنا في المكتبة الظاهرية بأصله المخطوط وكتاب الحوادث لمؤلف واحد ، وقد استنتجنا ذلك من تشابه الأساليب والنصوص والعبارات والمواد والطريقة المتبعة في تأليف الكتابين ، ونجـــد الاشارة الى ذلك في الكلمة التي قدمنا بها لكتاب الحوادث الجامعة .

---

(١) كتاب الحوادث (٣٤٦ ، ٣٤٨ ، ٤١٢) واللباب (٥٥) وراجع باب من لقبه عماد الدين من المعجم .

٢٤ — تاريخ المدرسة العصمتية [١] — في المعجم نقلا عن تاريخ الكازروني وفي الحوادث الجامعة [٢].

٢٥ — قصة الغراب الابيض — في سنة ٦٤٣ اهدى الى الخليفة المستعصم غراب أبيض أثار دهشة الخليفة وسكان دار الخلافة ، واستوحى الشعراء هذه الهدية فجادت قرائحهم بما جادت به من الاشعار . وجاء ذكر قصة الغراب الابيض هذه في كل من معجم ابن الفوطي ، وكتاب الحوادث ، قال في المعجم وهو يترجم لمجد الدين سعد بن ابراهيم المعروف بالنشاشيبي الاربلي الكاتب الشاعر « رتب مشرفاً ينهر الملك له اشعار منها انه اهدي الى المستعصم غراب ابيض فقال فيه الشعراء » ثم أورد له أبياتاً في هذه الهدية [٣].

لقد بهر الخليفة حين أهدي	غراباً بالبياض له اهاب
وكان يقول قوم من قنوط :	اذا شاب الغراب دنا الطلاب
فقال لهم امام العصر جوزي [٤]	طلابكم وقد شاب الغراب

(١) معجم ابن الفوطي (٥/ق١/١٣٨) قال الكازروني : « في سنة احدى وسبعين وستمائة تمت المدرسة العصمتية بمشهد عبيد الله » ثم سمى مدرسيها على اختلاف مذاهبهم .

(٢) قال مؤلف الحوادث الجامعة (٣٧٣ ، ٣٧٤) : « وفيها ـ أي سنة احدى وسبعين وستمائة ـ تكاملت عمارة المدرسة التي أمرت بانشائها زوجة علاء الدين صاحب الديوان مجاور مشهد عبيد الله (عليه السلام) ظاهر بغداد وسميت (العصمتية) ووقفتها ، وبنت الى جوارها تربة لها ، ورباطاً للمتصوفة ، وفتحت في هذه السنة » ثم سمى مدرسي المدرسة العصمتية وهم عين المدرسين الوارد ذكرهم في معجم الالقاب ، ومن المقارنة بين ما ورد في الكتابين عن هذه المدرسة يتعزز رأي من يرى ان الكتابين صدرا عن مؤلف واحد .

(٣) المعجم (٥/١٠٧) وانظر اخبار سنة ٦٤٣ من كتاب الحوادث فقد ورد فيه ما يأتي « وفيها اهدي الى الخليفة غراب ابيض كله ونظم الشعراء في ذلك أشعاراً كثيرة » والشعر في رواية صاحب الحوادث الجامعة لشاعر آخر هو علي بن المخرمي ، انظر كتاب الحوادث (٢٨٩) .

(٤) كذا في الأصل وقد تكون هذه الكلمة محرفة عن كلمة (جوزي) من الجزاء ، ولاحظ روح التشاؤم في هذه الأبيات والواقع أن روح التشاؤم غلبت على كثير من الناس في عصر المستعصم العباسي فتشاءموا بجملة من الحوادث حتى كأن الحوادث المذكورة كانت تنذر بسوء مصير الدولة العباسية .

وختم ابن الفوطي ترجمة هـــذا الشاعر بقوله : « بقي بعد الواقعـــة وتوفي ســـنة ٦٥٧ ، وله كتاب جمعه في القاب الشعراء واجاد فيه » ويستفاد من قصـــة غراب المستعصم في المعجم وفي الحوادث الجامعة ومن قصص اخرى شبيهة بهـا شغف الخليفـــة بالطيور بل كانت الخبرة في الطيور من أسباب الحظوة عند المستعصم ، ومن الأمثلة على ذلك ما نقله ابن الفوطي عن تاريخ ابن الساعي في ترجمة كمال الدين يوسف ابن احمد بن السيبي العارض وهذا نصه : «كان كمال الدين ابن السيبي شاباً سرياً لطيف الاخلاق ذا مروءة تامة وله قرب بسدة الامام المستعصم بالله بسبب تردداه الى سطوح الحمام ومعرفته بأمورالطيور ، توفي في شهر رمضان سنة ٦٤٥ » (١) . والواقع ان غير واحد من خلفـاء بني العباس في العراق قبل المستعصم عنوا بالبحث عن أنساب الحمام والخيول وانساب غير صنف من أصناف الحيوان كما ورد ذلك في كتب التاريخ (٢) .

وكان النـــاصر لدين الله في مقـــدمة المعنيين منهم بتربية الطيور وسـائر أحوالها ، كما ذكر ذلك المعنيون بالـكتابة في سيرته . قال أبوالفداء (٣) «كان — يعني الناصر — يتشيع وكان منصرف الهمـــة الى رمي البندق والطيور المناسيب ويلبس

(١) (المعجم ٥ ق ١/ مادة كمال الدين ٣٠٢ ، ٣٠٣) .

(٢) قال مؤلف الحوادث الجامعة في أخبار سنة ٦٢٧ ما يأتي : « وفيها توفي أحمد بن أبي السعود الرصافي الكاتب ، كان يخدم ولي العهد أبا نصر محمد بن الخليفة الناصر لدين الله ، وكان يكتب له أنساب الطيور الحمام » هذا ما قاله المؤلف، ويلي ذلك ترجمة حسنة لهذا الكاتب الخبير بأنساب الطيور يظهر منها انــه كان شاعراً خطاطاً ماهراً ، ولهذا الكاتب الخطاط نادرة في المقارنة بين الخطوط ورد شاهداً فيها في قصة مشهورة للشعراء المحرومين من جائزة اجيز بها ابن حيوس الشاعر ، تراجع عنها ترجمة ابن حيوس في وفيات الاعيان ط . مصر (١٠/٢) . وقال الحاج خليفـة مؤلف كتاب (جهان نما) في معرض وصف البصرة (ويعتبر جـداً ضبط أنساب الخيل والاغنام والحمام) ويراجع عن الطيور في العراق رحلة (أوليا جلبي) وكتاب (كلشن خلفاء) عند ذكر (قوش قلعة) أو قلعة الطيور .

(٣) تاريخ أبي الفداء (ج : ١٣٥/٣) .

سراويلات الفتوة ، ومنع من رمي البندق الا من ينسب اليه »

٣٦ — كفايات مغولية في تجديد بغداد — يعنى ابن الفوطي في معجمه وصاحب الحوادث الجامعة في حوادثه بسيرة فريق من أشهر مشاهير حكام الدولة الايلخانية الذين تسنموا مناصب الحكم في الفترة الاولى من تاريخ هـذه الدولة في العراق اي في أيام هولاكو وابنه أبقا وفي أيام ارغون حتى أيام غازان وخربندة وأبي سعيد ، ومن هؤلاء الحكام الذين أشاد ابن الفوطي في معجمه بذكرهم ، وحمد لهم ما بذلوه من جهد في تجديد بغداد بعد اندراس معالمها اثر سقوطها بيد المغول ، نقول من اشهر مشاهير هؤلاء الحكام عماد الدين عمر بن محمد القضوي القزويني ، وفي معرض الثناء على هـذا الحاكم يقول ابن الفوطي[١] «كان من أعيان أهل قزوين المعروفين بمتانة الدين ، وحسن اليقين ، لما أنفذ الله قضاءه وقدره وقتل الخليفة ، وخربت بغداد ، وخرب الجامع وعطلت بيوت العبادات تداركهم الله بلطفه ، فأتاح لهم عناية عماد الدين ، فقدمها ، وعمر المساجد والمدارس ورمم الربط والمشاهد واجرى الجرايات من وقوفها للعلماء والفقهاء والصوفية ، واعاد رونق الاسلام بمدينة السلام ، وحاز بهذا الفعل الجميل الذي يبقى على جبهات الزمان حسن الاجر والثناء ، وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء »[٢]. وفي هذا الفصل يلاحظ توجع بالغ لما جرى بعد سقوط دار الخلافة وخراب بغداد على أيدي المغول وهو أمر تحاشى كثير من المؤرخين الذين عنوا بتاريخ هذه الفترة اظهاره والتصريح به ، وختم المؤلف ترجمة عماد الدين بأبيات مدحه بها شمس الدين أبو المناقب الهاشمي شاعر مأساة بغداد[٣] هذا ما ورد في المعجم ، وتجد لعماد الدين المذكور أخباراً مدونة في

(١) المعجم (٤/ مادة عماد الدين) .

(٢) (٥٥) من اللباب ، وتجد في كتاب الحوادث ترجمة مفصلة لعماد الدين وهي تطابق ما جاء عنه في تلخيص مجمع الآداب (٣٣٣) وقد أشاد صاحب الحوادث بذكره في حوادثه ونوه بعنايته بتجديد جامع الخليفة ، وكان قد أحرق ، ثم فتح المدارس والربط ، وأثبت الفقهاء والصوفية ، وأدر عليهم الاخباز والمشاهرات.

(٣) من هذه الأبيات : —

يا ذا العلى ياعماد الدين يا ملكاً بعدل سيرته يسمو على السير =

كتاب الحوادث [1] من بدء تعيينه حاكماً على العراق الى أن قتل سـنة ٦٦٠ بأمر السلطان أباقا ، وخلاصة القول: انى كل من مؤلف كتاب الحوادث ، ومؤلف المعجم على الحاكم عماد الدين ، ووصفـاه بالدين والمروة ونوها بتجديده ما دمر من بيوت العلم والعبادة ، وبرأفته بسكان المدينة المحتلة الى غير ذلك مما يدعم رأي من يرى ان الكتابين لمؤلف واحد ، ويستفاد من ذلك ان القزويني عماد الدين أول حاكم مغولي حـكم في العراق بعد سـقوط بغداد مباشرة ، وان أبقى المغول مؤيد الدين بن العلقمي آخر وزير عباسي في منصبه الوزاري شكلياً ، ثم توفي في السنة المذكورة [2] هذا على ان بقاء « عماد الدين » في منصبه لم يطل كثيراً بل اختير علاء الدين الجويني لتقلد هذا المنصب سنة ٦٥٧ ، وعين القزويني مساعداً له ، وسرعان ما شـجر بينهما الخلاف كما ستراه ، ومرد ذلك فيما نظن الى اعتداد عماد الدين بنفسه ، واعتقاده انه اجدر بتقـلد هذا المنصب من غيره ، بل كان يرى في تقـديم الجويني عليه هضماً لحقه ، ومن هذه الناحية ثارت بينهما تلك الخصومة المنيفة .

ليس من شأننا التوسع في عوامل هذه الخصومة واستبطان اسرارها أكثر من ذلك ، فان تاريخ المغول طافح بأخبار التطاحن بين حكامهم واحزاب اولئك الحكام ، ونوابهم ، وحسبنا ما جرى من ذلك في أيام الطاغية أرغون الذي استأصل آل الجويني،

=

لما اصطفاك لهـذا الامر منزله	جبرت منا ومنه كل منـكسر
جمت عدلا ومعروفاً ومعرفـة	والعدل ما زال منسوباً الى عمر
أحيا المدارس من بعد الدروس با	لقاء الدروس حياة العلم والفـكر
وعاد كل رباط بعد ما هجرت	أرجاؤه عامراً بالذكر والسمر
رددت للجامع المعمور رتبته الاولى	وابقيت فيـه أحسـن الاثر
فيه صلاة وتذكير وموعظة	وجمـة وقبـول البحث والنظر
ألبست مشهد موسى إذ حللت به	الحلي بعد لباس البؤس والضرر
فالله يشكر ما أوليت من حسن	وسائر الخلق والمبعوث من مضر

(١) (٣٤٦ ، ٣٤٨ ، ٤١٢) .

(٢) جامع التواريخ لرشيد الدين الطبيب ، والحوادث الجامعة (٣٣٣) .

وليس يعنينا كذلك بخس القزويني عماد الدين حقه ، ومؤاخذته على بادرة التنكر التي بدرت منه لرئيسه الجديد في مستهل مقدمه الى العراق ، فالحق ان الجويني لم يكن دون القزويني ان لم يتفوق عليه في التوسل بجميع الوسائل الممكنة لبعث حركة عمرانية كبرى في العراق بأسره ، فهو الذي جدد كثيراً من المدارس المتداعية ومنها « المستنصرية » ، وهو الذي انشأ جملة من المدارس ، ودور الكتب وغير ذلك ، كما أنشأ جملة من الرباطات والملاجئ والمستشفيات ، واجرى عليها الجرايات ، وعني بتعمير المشاهد في الغري والحائر و مشهد الكاظمين ، وحفر الانهار والترع واجرى الماء من الفرات الى الكوفة فالمشهد الغروي ؛ وهو الذي شجع حركة التأليف والمؤلفين ، واجزل العطاء والبذل لهم ، ومن هذه الناحية نجد جملة من أمهات الاسفار والمصنفات في شتى الموضوعات العلمية والادبية والتاريخية مهداة لخزانته أو خزائن اهله وذويه ، ولا نظن القزويني عماد الدين يستطيع مجاراته في هذه الناحية ، ففي الوسع ان نقول ان الجويني بز جميع وزراء المغول في بعث حركة انشائية كبيرة شملت العراق وفارس واذربيجان تشهد بذلك المدارس والمكتبات والكتب والمعاهد العلمية .

هذا ولا يخلو العصر الاخير من عصور الدولة الايلخانية في صدر المائة الثامنة الى ان انقرضت تلك الدولة من حكام من هذا الطراز لهم منهجهم في الاصلاح والتجديد ، وقد جرى ابن الفوطي على عادته في العناية بذكر اخبارهم وسيرهم ؛ ومن هؤلاء فخر الدين القهستاني الكاتب ترجم له في معجمه (١) ترجمة حسنة جاء فيها « فخر الدين محمود ابن الحسن بن عبد الوهاب القهستاني الكاتب قدم العراق كاتباً على اموالها ومتفحصاً عن أحوالها ، وعزل سديد الدولة ابن الدباس سنة ٧٢١ — أي قبل وفاة مؤلف المعجم بسنتين — ولما توجه المخدوم شمس الدين محمد بن الحسين الخاني لعمارة بلاد العراق

---

(١) المعجم (٤ / مادة فخر الدين) وراجع اللباب (٥٧) .

فوض اليه امر غربي بغداد ، وكان البلد قد خرب معظمه ، وكثر العبث والفساد بـه ، فقام واجتهد ودبر البلاد وفعل من أبواب السياسة ما لم يهتـد اليه الخلفاء — كذا — والملوك من البويهية والسلجوقية ، وتقدم ان لا تغلق دكاكينهم وامرهم ان لا يقربوها ، ويبيتوا في بيوتهم ، ولم ينقص منهم شيء من متـاعهم ، واخرج من الحبـــوس ـ كذا في الأصل ـ وكثرت الادعية له ولمخدومه » هذا ما أورده المؤلف في معجمه من سيرة الحاكم القهستاني ، وهو ـ نعني ابن الفوطي ـ كما لا يخفى معاصر للحاكم المذكور .

بين الجويني وعماد الدين

كانت بين عماد الدين الآنف ذكره واصحابه وبين آل الجويني خصومة عنيفة ، وبموجبها نسب كل من آل الجويني وعماد الدين وحزبه ما نسبه الى غريمه من الفساد ، واحتجان الاموال والثروات ، وراح كل منهما يحض السلطان اباقا على البطش بخصمه ، ونجا علاء الدين الجويني من شرك نصبه له عماد الدين القزويني [1] في ايام هولاكو ، وكان القتل أيسر ما يترتب على هذه المكيدة ، على ان آل الجويني استطاعوا التنصل مما نسب اليهم وتقررت براءتهم وبراءة علاء الدين مما نسب اليه ، فأعيـــدت اليه ولاية العراق ، واستبد بحكمه فيها ، ومن ذلك الحين شرع يأخذ خطوط الولاة والاكابر بما ارتكبه عماد الدين القزويني من جمع الاموال والثروات ، وعسف الناس وعرض ذلك على السلطان حيث صدر أمره بالتحقيق عما رفع اليه من أمر عماد الدين فأمر بقتله بعد ان ثبت عليه اكثر ما نسب اليه ، وعوقب اصحابه ونوابه في العراق بعقوبات شديدة

(١) يروي فريق من مؤرخي هذه الفترة ان شمس الدين الجويني شقيق علاء الدين كان له الفضل الاكبر في العفو عن اخيه ، واكتفى حكام بغداد بحلق لحيته فحلقت ، وكان يجلس في الديوان ويستر وجهه بيده ، ولم ينس علاء الدين هـــذه الاهانة لما عاد الى الحكم ، واطلق كلمة عبر بها عن حقده الكامن وتصميمه على اخذ ثأره فقال لشحنة بغداد « علي بهادر » من الجماعة المتآمرين عليه (ان الشعر اذا حلق نبت والرأس اذا حلق لم ينبت) ويالها من كلمة تشعر بالتشفي والتصميم على الانتقام .

على يد علاء الدين الجويني ، ويلاحظ مما دون في الحوادث الجامعة وفي معجم ابن الفوطي افلات بعض اصحاب عماد الدين من يد علاء الدين الجويني ، وفي مقدمتهم مجد الدين اليزدي او (مجد الملك في بعض الروايات) الذي كان ينوب عن عماد الدين ببغداد بعد سقوطها ، فانه – أي مجد الملك اليزدي – دبر الانتقام لصاحبه القزويني من علاء الدين الجويني ، وعاد الى الاتصال بالسلطان « اباقا خان » حيث رتبه مشرفاً في جميع الممالك ، ومن ثم شرع في دس الدسائس وحبك المكائد للصاحبين شمس الدين وعلاء الدين ، وانتهت مكائد مجد الدين اليزدي بأن أمر السلطان بالقبض على علاء الدين صاحب الديوان واصحابه ونوابه [1] واتباعه ، وسلم الى غريمه مجد الملك اليزدي فنكل به وصادر املاكه والقي تحت دار المسناة التي بأعلى بغداد على شاطيء دجلة ، وكان على قاب قوسين او ادنى من الهلاك ، ولكن حدث ما ليس في الحسبان مما كان سبباً في نجاة علاء الدين وآل الجويني من التلف – وان كان ذلك الى حين – فان السلطان « اباقا » مات بعد رجوعه من بغداد في هذه الرحلة ، وكان موته في همدان سنة «٦٨٠» وعهد بالملك الى ابنه (ارغون) وانتهز حزب آل الجويني من الأمراء والقواد والنواب هلاك الطاغية اباقا ونادوا بخلع الملك الجديد ارغون ونصب السلطان (تكدار) ابن السلطان هولاكو وسمي احمد لانه اعتنق الاسلام [2] على يد شيخ من الصوفية يسمى

---

(١) كتاب الحوادث (٤١٥ ، ٤١٦) .

(٢) اشار غير واحد من المؤرخين ومنهم صاحب الحوادث الجامعة الى كيفية اسلام السلطان احمد ، وذلك بعد اتصاله بشيخ غريب الاطوار يسمى الشيخ عبد الرحمن ، وهو في الاصل من ابناء مماليك الخليفة المستعصم أسر في واقعة بغداد ، وظفر بأشياء نفيسة من الجواهر ، واستخدم حاجباً في بعض معسكرات المغول ، واظهر الزهد والتصوف حتى صار يعرف بالشيخ ، وتنسب اليه حيل وشعوذات غريبة ، أنظر بعض احوال هذا الشيخ واتصاله بالمغول وعلاقته بالسلطان احمد كتاب الحوادث (٤٣١ ، ٤٣٢) ، وقد ترجم له ابن الفوطي مرتين في معجمه في باب الملقبين بـكمال الدين (٥/٢٠١) وسمى والده في الترجمة الاولى (مسعود) وفي الثانية (يحيى) قال : ويعرف بقراجة ، وورد ذكر هذا الشيخ في رسالة مشهورة =

للسلطان احمد وجه بها الى سلطان مصر مؤرخة سنة ٦٨٠ هـ بالعبارة التالية « شيخ الاسلام قدوة العارفين كمال الدين عبد الرحمن فهو نعم العون في امور الدين » راجع مختصر تاريخ الدول لابن العبري (٥٠٧) وفي جواب سلطان مصر له تكرر الثناء على الشيخ المذكور (٥١٠ من الكتاب المذكور) وكان مصير هذا الشيخ غريباً فانه فى سفارته الثانية من السلطان احمد الى الشام سنة ٦٨٢ حبس بأمر السلطان ، وكان ذلك آخر العهد به ، ونودي في الشام ان لا يذكره احد (الحوادث الجامعة ٤٣١) والغالب أن السلطان اعتمد ذلك بهذا الشيخ بعد أن عرف حاله وبراعته في السحر والشعوذة ، وقد اجمل ابن الفوطي في معجمه وصاحب الحوادث الجامعة في حوادثه ماجريات هذه السفارة سفارة الشيخ عبد الرحمن ورفاقه الى الشام ، فليس في الكتابين تفصيل ما جرى له مع السلطان « قلاوون » بعد وصول هؤلاء السفراء وعلى رأسهم الشيخ الى دمشق ، غير أن بعض المؤرخين الشاميين مثل ابن الفرات في تاريخه عنوا بسرد تفاصيل هذه السفارة وما جرى خلالها ، ويبدو لمن يتصفح تاريخ ابن الفرات (٨/٤ ، ٦) ان الملك المنصور اهتم جداً بهذه السفارة وهؤلاء السفراء ، وخرج من القاهرة يريد الشام ولا غرض له الا الاجتماع بالشيخ عبد الرحمن ومن معه من التتر رسل احمد تكدار كما جاء فى تاريخ ابن الفرات وهو يسميه (احمد اغا سلطان بن هولاكو) في حوادث سنة ٦٨٣ من كتابه ثم ذكر بعد ذلك وصول الملك المنصور الى دمشق ونزوله بقلعتها ، ووافق وصوله ورود الاخبار من بلاد التتر بظفر « ارغون » بعمه احمد تكدار وقتله وجلوس اخيه على تخت السلطنة بالاوردو ، ويلي ذلك فى تاريخ ابن الفرات وصف رائع لاستظهار الملك المنصور صاحب مصر والشام واستعداده لمقابلة سفراء التتر بابهة ملوكية قصد منها اثارة روح الاكبار والاعجاب في نفوس الرسل المذكورين ، وفي هذا الصدد يقول ابن الفرات : لما تحقق الملك المنصور « قلاوون » كلام القصاد — اي الرسل الذين اخبروا بمقتل السلطان احمد على يد ابن اخيه ارغون — رسم ان يلبس الف وخمسمائة مملوك من مماليكه اقبية الاطلس الاحمر بالطراز والكلوتات المزركشة والحوايص الذهب ، واوقد بين يديه (١٥٠٠) شمعة مع كل مملوك شمعة ، فلما لبس المماليك ما امروا بلبسه واوقدوا تلك الشموع أمر السلطان الملك المنصور باحضار الشيخ عبد الرحمن ورفيقيه الامير « سمداغو » التتري والصاحب شمس الدين محمد بن الصاحب شرف الدين وزير صاحب ماردين رسل الملك احمد اغا سلطان بن هولاكو الذين حضروا في ذي الحجة سنة ٦٨٢ كما شرحناه فلما حضروا بين يدي الملك المنصور ادوا الرسالة التي حضروا لاجلها من عند احمد اغا وسمعها منهم واعادهم الى مكانهم ، ثم استحضرهم مرة ثانية وسمع مقالتهم وردهم الى مكانهم ، ثم استحضرهم مرة ثالثة وسمع مقالتهم حتى استوعب ما عندهم من الاخبار ، وما وردوا به من الرسالة ثم اعلمهم في المرة الثالثة ان مرسلهم الملك احمد =

مباشرة وان يعتقل غريمه مجد الملك وجماعة من انصاره وفيهم بعض نصارى بغـــداد

= اغا سلطان قد قتل وملك مكانه ارغون بن اباقا بن هولاكو وجلس على تخت المملكة ، هذا ما ورد في تاريخ ابن الفرات عن استقبال الوفد التتري برياسة الشيخ عبد الرحمن ، ويلاحظ من هذا الاستظهار وتلك الطريقة في استجواب الوفد مرة بعد اخرى واستدعائهم ان قلاوون تغيرت نيته بعد سقوط مرسلهم او منفذهم اليه واضمر التضييق على الرسل واخذهم بالشدة تقرباً الى السلطان الجديد ارغون لانه اصبح صاحب السلطنة القائمة في مملكة التتر فلا مناص من الاخـــذ بسياسة الامر الواقع في هذه الحالة ، ولو كان ملك المغول الجديد وثنياً خلف ملـكا مسلماً على المملكة ، وحسبنا لنتأكد من صحة هذا الاستنتاج ان نرجع الى ما جاء في تاريخ ابن الفرات بعد ما تقدم فانه يقول : ثم أمر السلطان ان ينقلوا من قاعة « رضوان » الى بعض قاعات القلعة في هذه الليلة وان يرتب لهم بقدر الكفاية فنقلوا ونقصوا رواتبهم التي كانت قـــد رتبت لهم قبل ذلك ، وقيل لهم مهما كان معكم (للملك احمد اغا سلطان) من الذهب اعطوه للملك المنصور فلم يعترفوا بشيء ، فبعث اليهم الملك المنصور الامير (شمس الدين سنقر الاعسر) استاذ الدار ، وقال قد رسم السلطان بانتقالكم الى غير هذا المكان فليجمع كل واحد منكم قماشه ، فقام كل واحـــد من الجماعة وحمل قماشه ، فلما صاروا كلهم في دهليز الدار فتشوهم واخذوا منهم جملة كثيرة من الذهب واللؤلؤ وغير ذلك ، ويقال انه كان في يد الشيخ عبد الرحمن سبحة لؤلؤ قيمتها تزيد على ماية الف درهم ، فاخذت منه في جملة ما اخذ ، واعتقلوا فمات الشيخ عبد الرحمن في هذه السنة ، وبقي اصحابه في الاعتقال مدة وضيق عليهم ثم كتب الامير حسام الدين لاجين نائب السلطنة بدمشق المحروسة الى الملك المنصور بسببهم فرسم باطلاقهم ، واستمر الامير شمس الدين محمد بن الصاحب في الاعتقال ، ونقل الى قلعة الجبل بمصر المحروسة واعتقل بها مدة طويلة ثم افرج عنه بعد ذلك ، وولي نيابة دار العدل بالديار المصرية) ، وقال ابن الفرات في مكان آخر من تاريخه (١٣/٨) : « توفي الشيخ عبد الرحمن المذكور في ثامن عشر شهر رمضان سنة ٦٨٣ بالاعتقال بقلعة دمشق المحروسة ودفن بمقابر الصوفية » ، هذا ما ورد في تاريخ ابن الفرات ومن ذلك نعلم ان مؤرخي الشام ومصر كالمقريزي في كتاب السلوك وابن الفرات في تاريخه كانوا اكثر اطلاعاً على تفاصيل هـــذه السفارة وعلى خاتمة سفراء التتر الى سلطان المماليك ، ترى ماذا كانت معاملة السلطان قلاوون للقوم لو بقي مرسلهم السلطان احمد على قيد الحياة ؟ لا نشك بانها تكون معاملة من نوع آخر فان العلائق بين تكدار وبين قلاوون كانت وثيقة جداً قبل ذلك كما يظهر من الرسائل المتبادلة بين هذين السلطانين المسلمين وهذا الضرب من النفاق السياسي كان مألوفاً في تلك العصور ، وليست هذه اول مرة يعلن هؤلاء السلاطين المماليك غدرهم على هذه الصورة ، وراجع عن احمـــد بن هولاكو تكدار الصفحات الآتية من تاريخ ابن الفرات (٣ ، ٨ ، ٢٤ ، ٢٦ ، ٢٧) .

والجزيرة ويلاحظ ان الصراع بدأ منذ ذلك الحين بين الاحزاب المغولية ، وكان المسلمون في الصراع المذكور الى جانب آل الجويني ، كما كان بعض المسيحيين الى جانب مجد الملك اليزدي . وقد اسهموا في اسناد التهم الى الصاحب علاء الدين وقالوا فيه اقوالا كثيرة ورفعوا غير مذكرة بالكشف عن ثروته وغير ذلك من اعماله [1] . والخلاصة تيسر لآل الجويني وحزبهم نصب السلطان احمد ملكا على الشرق وذلك انهم قصدوا اقصى خراسان من العراق ونادوا باحمد سلطاناً على البلاد في مدينة (الطاق)[2] وكان ذلك سنة « ٦٨١ » فكانت عودة الصاحبين الجوينيين شمس الدين وعلاء الدين الى منصبهما في المملكة امراً لا مفر منه في هذه الفترة القصيرة كما سترى ومن ثم سلم اليهما اقطاب الحزب الآخر وعلى رأسهم مجد الملك اليزدى فقتل قتلة شنيعة ومثل به تمثيلا وحشياً فظيعاً يدل على منتهى القسوة [3] وقصة مقتله مسرودة في الحوادث الجامعة وفي المعجم [4] بعبارات متشابهة ، ونجد لمجد الملك اليزدي ترجمة ضافيــة في مكانها المذكور من هذا المعجم وقد جاء فيها « مجد الملك ابو المكارم هبة الله بن صفي الملك محمد بن هبة الله اليزدي مشرف المماليك كان قد قدم بغداد في ايام صدر الدين القضوي القزويني[5] فلما قتل صدر الدين اقام ببلاد العجم وفي سنة « ٦٨٠ » تكلم في الصاحب علاء الدين ورفع عليه اموالا كثيرة قد احتجنها من العراق ، وساعــده على ذلك جماعة ، وفوض اليه السلطان اباقا بن هولاكو اشراف المماليك بأسرها ، وناقش

---

(١) كتاب الحوادث (٤١٦ ، ٤١٧) .

(٢) مدينة بخراسان يراجع عنها مراصد الاطلاع .

(٣) انظر الحوادث الجامعة (٤١٩) وراجع عن مأساة مجد الملك اليزدي هذا مع آل الجويني ترجمة شمس الدين محمد الجويني المطولة في مجالس المؤمنين للقاضي نور الله (٤٣٢ ، ٤٣٧) .

(٤) المعجم (٥/ مادة مجد الملك / ٢٧٠) .

(٥) لقبه فى الحوادث الجامعة وفى الجزء الرابع من المعجم عماد الدين لا صدر الدين .

الصاحب في الحساب ، واستولى على خزائنه وجرت له اقاصيص ذكرتها في التاريخ ، وخرج « اباقا » من بغداد الى همدان ، وتوجه بخدمته فمات السلطان بهمدان في العشرين من ذي الحجة سنة « ٦٨٠ » وولي الامر السلطان تكدار المعروف بالسلطان احمد سنة « ٦٨١ » وانعكس حال مجد الدين [١] وظفر به الصاحب علاء الدين واخوه الصاحب شمس الدين ، وقتله شرف الدين هارون ابن شمس الدين الجويني يوم الاحد سابع عشر جمادى الاولى سنة « ٦٨١ » بعد شهر وانفذ رأسه الى بغداد وعلق على باب النوبي بعد ان طافوا به واخذوا بسببه الدراهم والثياب من النواب » .

٢٧ — رسائل صاحب الديوان — سجل علاء الدين الجويني انتصاره هذا على غريمه برسالة خاصة خاطب بها اهل العراق وبغداد ، وفي مستهل هذه الرسالة نوه الجويني بوفاء اهل بغداد ثم ندد بسيرة مجد الملك وسوء نيته وفساد سريرته ، وفي هذه الرسالة وصف الانقلاب الجديد من خلع ارغون الى نصب السلطان احمد ، ونعت دولته بـ(الدولة القاهرة الايلخانية الاحمدية التي نشرت الوية الشريعة المحمدية ، وبسطت يد العدل في الارضين ، وكفت عن البلاد والعباد اكف امثاله من الظالمين والحمد لله رب العالمين [٢] ، ثم بطش الجويني وانتقم من بقية غرمائه في العراق والممالك المغولية وفيهم جملة من النصارى الذين اسهوا في التآمر عليه [٣] كما سبقت الاشارة الى ذلك . وقامت في بغداد مظاهرات صاخبة على اثر وصول بعض اولاد الصاحب علاء الدين اليها ومعهم بعض النواب والحكام ، وهي مظاهرات تدل على غبطة اهل بغداد بانتصار آل

---

(١) عنوان الترجمة مجد الملك لا مجد الدين .

(٢) تجد نص هذه الرسالة فى الحوادث الجامعة (٤٢٠ ، ٤٢١) .

(٣) المصدر المذكور (٤٢١ ، ٤٢٣) .

الجويني وان كان فرحا [1] قصير الامد قليل المدة وتلتها على كل حال احداث تؤكد مواطئة آل الجويني للمسلمين [2] على الوثنيين وممالئيهم الضالعين معهم من اصحاب الملل والنحل في هذه البلاد .

٢٨ — نوبة آل الجويني — لم يمهل الزمان آل الجويني كثيراً فقد دار الفلك دورته ودارت الدائرة عليهم ، ولم يطل حكم نواب الصاحب علاء الدين في بغداد بعد انتصاره على غرمائه ، فاختلت الاحوال واضطربت الامور ، وقد يكون مرد ذلك الى مكائد ارغون ودسائسه على علاء الدين في العراق بغية احراجه ، فتوفي بعض نواب الجويني في العراق سنة « ٦٨١ » ثم توفي الصاحب نفسه في « آران » بعد ذلك وحمل الى تبريز فدفن بها [3] ، ورسم ارغون بن اباقا الذي عهد اليه ابوه بأمر المملكة في موته بهمدان كما رأيت خطة دقيقة لاسترداد الملك من عمه احمد تكدار ، فانه سلم بالامر الواقع اولا ، وذهب الى خراسان حيث واجه السلطان احمد وانكفأ بعد مواجهته ،

---

(١) المصدر المذكور (٤٣٢) ومن هذا الفصل وغيره يظهر لك ان العراق ومن ضمنه بغداد اصبح ولاية من ولايات المملكة المغولية وهي ولاية مضافة او ملحقة بمملكة المغول . اما قاعدة هذه المملكة الواسعة وكرسيها ففي اذربيجان ومن حواضرها تبريز والسلطانية ومراغة .

(٢) انظر ما جاء في تاريخ ابي الفداء عن نكبة علاء الدين الجويني على يد اباقا خان وان ذلك بسبب ما نسب اليه من مواطئة المسلمين ، وقد ترجم له ابن الفوطي في تلخيص مجمع الآداب ونقلنا ترجمته في ملخصه ، ومن مقارنة ما ورد في هذا الكتاب عن الجويني بما ورد عنه في الحوادث الجامعة يتعزز رأي من يرى نسبة الكتابين الى مؤلف واحد .

(٣) قال صاحب الحوادث الجامعة : كان مولده — يعني الصاحب علاء الدين الجويني — في عاشر ربيع الاول سنة ٦٢٣ ولي العراق احدى وعشرين سنة وشهوراً وكان عادلا حسن السيرة اديباً فاضلا ، جمع تاريخاً للمغول سماه (جهان كشا) وله رسائل جيدة واشعار حسنة » هذا ما قاله صاحب الحوادث الجامعة اما كتابه فانه الفه بالفارسية ، وله ذكر في الآداب السلطانية لابن الطقطقي (٣٨) وذكره صاحب كشف الظنون وانظر (٤٣٩) من الحوادث الجامعة .

ولم يكتف حتى نظّم خطة سرية لافساد الجيش على عمه ، وتوجه الى العراق فدخلها في السنة نفسها ، وشرع من فوره بملاحقة اصحاب علاء الدين الجويني ، والافراج عن المعتقلين من حزب غريمه مجد الملك اليزدي ، والزم اهل بغداد بدفع مبالغ طائلة من المال استوفيت بالعسف ومن امتنع عن الدفع نهبت داره وبيع ما بها ، ولم يقف الامر عند حد بغداد فان نواب الاعمال الحلية والواسطية والبصرية حذوا حذو نواب بغداد ، ثم طولب اهالي بغداد بأجرة املاكهم لثلاثة شهور . وهكذا انتقم ارغون من العراقيين لما عرفه من اخلاصهم لحزب آل الجويني [1] .

هذا ما فعله ارغون بالعراقيين بادئ الامر ، ولكنه لم يصب آل الجويني انفسهم بشر لان دولة عمه السلطان احمد تكدار لا تزال قائمة ، ولا بد قبل الانتقام منهم من زحزحة عمه عن العرش والحلول محله فيه ، والدليل على ان ثقة السلطان احمد ظلت كما هي بنصح آل الجويني واخلاصهم له بعد وفاة الصاحب علاء الدين اكبر حكام العراق انه فوض امر العراق وبغداد الى احد ابناء اخ لعلاء الدين هو شرف الدين هارون الجويني ابن الصاحب شمس الدين محمد صاحب ديوان الممالك وجعل صاحب الديوان في بغداد على قاعدة عمه علاء الدين فاستبشر العراقيون بقدوم الجويني الصغير حاكما على العراق وهنأه الشعراء [2] ويزعم صاحب الحوادث الجامعة ان شرف الدين هارون سلك

---

(١) كتاب الحوادث (٤٢٤) .

(٢) من ذلك قصيدة لجمال الدين ياقوت المستعصمي الكاتب وردت في الحوادث الجامعة (٤٢٨ ، ٤٢٩) هنأ بها شرف الدين هارون وعبر عن غبطة العراقيين بتعيينه حاكماً على العراق مستهلها : —

	الحمد لله قد مضى الترح	وقد أتانا السرور والفرح
منها	ان الذين اصطلوا لدولتكم	نيران بغي زنادها قدحوا
	دارت رحاكم على رؤوسهم	فطحنوا حسبة بما نطحوا

=

طريقة عمه في تدبير البلاد [1] .

٢٩ — النزاع بين احمد وارغون — وفي سنة « ٦٨٣ » ظهر النزاع الذي لا مفر منه بين احمد وارغون ابن اخيه اباقا ، وبدأ ذلك بتحرش ارغون نفسه بأهل خراسان، وعسفهم وقصد كل واحد من السلطان احمد وارغون صاحبه ، وكان طالع النزاع يدل في بادىء الامر على رجحان كفة السلطان احمد على كفة ارغون ، ثم ظهر ان جيشه يتآمر عليه ، ويضلع مع ارغون ، اسهم في ذلك امراء الجيش ، وفي طليعتهم امير يدعى (بوقا) انقلب على السلطان احمد وهرع الى ارغون وآزره على قتل بعض قواد السلطان احمد ، ثم اعلن بوقا ان ارغون هو السلطان .

حاول السلطان احمد الفرار قاصداً (بركة خان) لانه من حزبه فلم يتمكن من ذلك ، واحاط به الجيش فقبض عليه وسلم الى بعض المغول فقصفوا ظهره ومات ، ومن ذلك الحين سطع نجم الامير (بوقا [2]) واسند اليه منصب امير الامراء وولي تدبير

= وكل حزب يسر حزبكم ... يربح في سعيه الذي ربحوا
يا شرف الدين والذي شرفت ... بمدحه المادحون والمدح
ما غلق الله من (عطا ملك) ... بابا للملك عليك ينفتح
آنست بغداد بعد وحشتها ... فصدرها باللقاء منشرح

(١) كتاب الحوادث (٤٢٨ ، ٤٢٩) .

(٢) (بوقا) ويسمى (بقا) من أشهر امراء الجيش المغولي في هذا العصر والساعد الايمن للطاغية ارغون في تغلبه على عمه السلطان أحمد ، وهو الذي أعلن من قلعة (تلا) مدفن هولاكو في أذربيجان قرب مراغة وهي قلعة حصينة في بحيرة ارمية تقول هو الذي اعلن سلطنة ارغون وسعى في قتل السلطان احمد سنة ٦٨٣ بحجة خروجه على دين آبائه وأجداده ، وما أوهاها من حجة عند المغول ، فانهم قوم لايعنيهم الا الملك والسلطان ، ومن أجل هذه الخدمات التي قام بها الامير « بوقا » استوزره ارغون واسند اليه نيابة السلطنة ، وامر أخاً له يسمى الامير اروق ، ولكن أرغون عاد بعد سنوات فامر بقتل الامير بوقا نائب السلطنة واولاده ونوابه ومنهم أخوه الامير اروق وكان في ديار بكر وانفذ اليه من قبض عليه ثم قتله بحجة تغيير نياتهم في طاعة السلطان وذلك في سنة ٦٨٨ .

المملكة ، فنصب اخا له يدعى (اروق) حاكما على العراق وديار بكر ، ووجه من وجهه من الحكام والنواب الى بغداد فاستهلوا اعمالهم بالقبض على صاحب الديوان شرف الدين هارون الجويني ونوابه ومساعديه وامعنوا في تعذيبهم ومصادرتهم ، قال صاحب الحوادث الجامعة « حملوا جميعهم الى العصمتية المجاورة لمشهد عبيد الله وحبسوا هناك [1] » ثم افرجوا عنهم لاستصفاء اموالهم ، واما شمس الدين صاحب ديوان الممالك وقاعدة عمله تبريز فقد اصيب بنوع من الاضطراب والحيرة وايقن بالهلاك ، ولذلك بادر الى مفارقة السلطان احمد لما اتصل به خلعه ونصب ارغون مكانه مستتراً عند زعيم من زعماء قبائل الاكراد كما استتر افراد آخرون من ابناء اسرته ، والتجأوا الى بعض مشايخ العرب (بالسيب) من انحاء العراق ، ومنهم بعض ابناء اخيه علاء الدين (عطا ملك الجويني) على ان شمس الدين الجويني فضل في الاخير الحضور عند ارغون وتنصل مما فرط منه ، وحاول الاعتذار واستخدم كل مواهبه ودرايته لينجو من القتل حتى رق له ارغون وهم باستبقائه غير ان اعوان ارغون شعروا بخطره عليهم ، فما زالوا يطالبون ارغون بقتله حتى امر بذلك [2] ، ولم يقف ارغون عند هذا الحد ، بل قصد الاجهاز على بقية آل الجويني واستئصالهم كما تجده في بعض كتب التاريخ [3]

---

(١) كتاب الحوادث (٤٣٧ ـ ٤٣٨) .

(٢) المصدر المذكور (٤٣٧ ـ ٤٣٩) قال صاحب الحوادث لما احضر ليقتل سأل المهلة ساعة يوصي بها فأمهل فكتب بخطه وصية بالفارسية في آخرها « فان وجد الناظر فيها خللا فلا غرو فاني سطرتها وانا عريان والسيف مشهور » ويلاحظ ان اعتذار شمس الدين الجويني مما عسى ان يكون في وصيته من الغلط دليل على منتهى ضبط الاعصاب ورباطة الجأش ، فلما فرغ من ذلك قتل وحملت جثته الى تبريز ودفن الى جانب أخيه علاء الدين ، وقال المؤلف أيضاً في حوادث سنة ٦٨٥ : « وفيها قتل الخواجة هارون الجويني ، أمر السلطان بقتله في حدود الروم »

(٣) قال صاحب كتاب الحوادث في أخبار سنة ٦٨٩ : « فيها سأل السلطان عمن تخلف من اولاد شمس الدين محمد بن الجويني صاحب الديوان فاخبر بهم فامر بقتلهم ، وكان في تبريز منهم مسعود وفرج الله =

ويروي المؤرخون اخبار التنكيل بهذه الأسرة بشيء غير قليل من التوجع والانصداع، وفي استئصال آل الجويني حتى الاحداث الصغار منهم على تلك الصورة الفظيعة دليل بالغ على خطر شأن الجوينيين وانهم اهل بيت كبير يحسب لهم اولئك الطغاة حساباً في العصر المذكور ، ومن ذلك يتضح فساد سياسة المغول خصوصاً في عهد ارغون واحمد كما يتضح لك جهل ارغون وضعف رأيه وسوء ادارته وسياسته وما الى ذلك . وعلى عهد ارغون انتعشت عناصر الوثنية ، وظهرت قوة المناوئين للحزب الاسلامي في الدولة المغولية ، وعهد الى جماعة منهم بادارة الشؤون المالية وغيرها في البلاد .

٣٠ — السياسة المالية في عهد ارغون — لما كثرت تركات المسلمين من بعد واقعة بغداد وفقدان ذلك العدد العظيم من السكان في العراق فشت دعاوي الارث وكثرت المرافعات في هذه القضايا ، فحاول رجال الدولة انتهاز هذه الفرصة وتسجيل التركات الاسلامية العظيمة ملكا للدولة وعنوا بانشاء مصلحة للوكالات والمقاطعات والجوالي والتركات (١) وحرمان ذراري المسلمين من حقوقهم فيها ، وعهد بتطبيق هذه الخطة الى جماعة من اليهود اصلهم على ما يقول المؤرخون من اهل تفليس ، رتبوا اولا ولاة على تركات المسلمين ثم حكاماً في العراق ، وكان لليهود القدح المعلى في نشر الدعوة الى هذه السياسة ايام ارغون (٢) ، والواقع ان ديوان التركات كان من المؤسسات المعروفة

= فقتلا ودفنا في تربة ابيهما ، اما مسعود فانه كان قد اعرس منذ ليال — واي اوان عرس هذا ؟ — واما فرج الله فانه كان صبياً في المكتب ، فلما اخرج ليقتل توهم انهم يريدون تأديبه لئلا ينقطع عن المكتب فجعل يقول بالفارسية « والله ما بقيت انقطع عن المكتب » فرقت الناس له ، وكان اخوهما نوروز في الروم ، فسارت الايلجية اليه فقتل هناك . انظر هذا المصدر (٤٦٠ ، ٤٦٢) .

(١) تجد الاشارة الى ذلك في المصدر نفسه (٣٠٦ ، ٤٧٨) .

(٢) قال صاحب الحوادث الجامعة في حوادث سنة ٦٨٧ (وفيها وصل الى بغداد جماعة من اليهود من اهل تفليس ، وقد رتبوا ولاة على تركات المسلمين فاجروا الأمر على ان لا يورثوا ذوي الارحام =

في الدولة العباسية وهو يختص بالنظر في مواريث من لا وارث لهم لان الدولة هي الوارث لمن لا وارث له ، وما يقال عن ديوان التركات وانه من المؤسسات المعروفة في الدولة العباسية يقال عن ديوان الوقوف والمقاطعات والجوالي وغير ذلك من المصالح الحكومية ، والاصوب ان يقال ان المغول ابقوا هذه المؤسسات على ماكانت عليه في الدولة الذاهبة وحاولوا فعلا الاستناد اليها في اخراج فكرتهم المالية المذكورة كما هو شأنهم في هذه القضايا . واشتهر منهم في هذه الفترة سعد الدولة بن الصفي اليهودي من المقربين عند ارغون واثنان من اخوانه اسم احدهما فخر الدولة [1] وقد عين حاكما على واسط ، وقسى فخر الدولة في معاملة الواسطيين ، واسم الاخ الثاني امين الدولة [2] ، كان يشغل منصب الحاكم في الموصل ، وحسبنا ذلك دليلا على منزلة سعد الدولة واسرته اليهودية في هذه الفترة من تاريخ المغول ، ويلاحظ انهم عرفوا بمناوأتهم لآل الجويني في تلك الايام كما عرف مجد الملك اليزدي بمثل ذلك في ايام اباقا سلف ارغون على ما رأيت ، والواقع ان النصارى كانوا كاليهود من خصوم آل الجويني

= فانكر الامير (اروق) ذلك وامر بان يعمل بمذهب الشافعي كما كان يعمل قديماً) هذا ما جاء في كتاب الحوادث ويلي ذلك اشارة الى فتنة نشبت بين العوام خشي النواب او اليهود القادمون من تفليس على انفسهم ونهبت بيوتهم وحتى اضطروا الى مغادرة بغداد عائدين الى بلادهم ، ولكنهم قتلوا في طريقهم الى تلك البلاد (٤٥٤ ، ٤٥٥) وبعد هذا التاريخ بثلاث سنوات تجددت فتنة عامة في العراق وفي بغداد خاصة مردها الى هذه السياسة المالية اليهودية قتل فيها سعد الدولة واخوه فخر الدولة ، ونهبت دور اليهود كافة واخذت اموالهم ودام ذلك ثلاثة ايام وقتل من زعماء اليهود في هذه الحوادث مهذب الدولة ابن الصفي والغالب ان هذه الحوادث الاخيرة كانت عامة في جميع العراق قال صاحب الحوادث الجامعة (ولم يبق بلد من بلدان العراق الا وجرى فيه على اليهود من النهب مثلما جرى في بغداد حتى اسلم منهم جماعة ، ثم عادوا بعد ذلك) (٤٦٦ ، ٤٦٧) وقد وقع في هذه الحوادث من المثلة والتقطيع والتنكيل والقسوة ما جرت به العادة في عصور المغول هذه .

(١) كتاب الحوادث (٤٦٤) .

(٢) المصدر المذكور (٤٦٦) .

في هذه العصور وخصوصاً علاء الدين صاحب الديوان ، وحسبك ان محاولة جرت لاغتيال الجويني فجرح وضرب عدة ضربات . قال صاحب الحوادث الجامعة : « احضر الجارح وسئل عمن واضعه فلم يقل شيئاً وعاجله الموت ولكن توهموا ان ذلك بوضع بعض النصارى »[1] ، فاثارت اعمال اليهود هذه وحركاتهم في هذا الشأن ثائرة المسلمين كما هو مشروح في بعض كتب التاريخ[2] ومما يدل على مكانة اليهود في هذا العصر مضافاً الى ما تقدم قصة عز الدولة ابن كمونه اليهودي مصنف كتاب (تنقيح الابحاث في الملل الثلاث) وثورة عامة البغداديين عليه وحماية الحكام له وفي مقدمتهم مجد الدين ابن الاثير ، وقدم بنا شرح هذه القصة[3] ، واذا اردت ان تقدر مبلغ التركات الاسلامية الجسيمة بعد الواقعة فارجع الى اقوال المؤرخين في احصاء من قتل في بغداد منهم فقد قال صاحب مراصد الاطلاع : « لم يبق من اهل بغداد كلهم غير آحاد

---

(١) الحوادث الجامعة (٣١٦) .

(٢) المرجع عينه (٤٥٤ ، ٤٥٥ ، ٤٦١) ومن اشهر رجال اليهود في دولة ارغون رجل اسمه سعد الدولة ابن الصفي اليهودي عين مشرفا على العراق — يعني مفتشاً عاماً — قال صاحب الحوادث الجامعة في اخبار سنة ٦٨٧ « فيها وصل سعد الدولة ابن الصفي اليهودي ، واعيد امر الاشراف في العراق اليه ثم طولب ولاة الاعمال والضمناء بما عليهم من البقايا وضويقوا على ذلك ، فادروا اموالا كثيرة ، وفي غير فصل من فصول كتاب الحوادث اشارة الى مبلغ تقدم اليهود في ايام الطاغية ارغون خصوصاً في ادارة الشؤون المالية ، واعتماد ارغون عليهم في ذلك ، قال في حوادث سنة ٦٨٩ « فيها سطر ببغداد محضر يتضمن الطعن على سعد الدولة ، فعرف سعد الدولة بذلك فلما وصل المنفذ به اخذه منه وعرضه على السلطان ارغون فحكمه في كل من كتب فيه فتأنى في موآخذتهم واستعمل الحزم لكنه تقدم بصلب جمال الدين ابن الحلاوي ضامن تمغات بغداد » (٤٦١ ، ٤٦٢) وراجع الكتاب نفسه (٢١٨،٢٤٨) عن تكتل اليهود وعصمتهم الشديدة في بغداد وهتافهم « يا آل خيبر » في خصومة وقعت بينهم وبين المسلمين في حادث غرق بغداد سنة ٦٥٤ اي قبل واقعة بغداد بسنة واحدة .

(٣) انظر (٤٢١ ، ٤٢٢) .

كانوا نموذجاً حسناً » الى ان قال : « وبغداد الآن غير التي كانت ، واهلها غير من عهدناهم » [1] ، والخلاصة لم يقدر النجاح لخطط ارغون واليهود سياسياً واقتصادياً في العراق ، فمات ارغون سنة « ٦٩٠ » وقتل خواصه واصحابه واركان دولته من اليهود المشار اليهم شر قتلة في العراق ، وبحمل القول كانت لليهود دالة على ما نرى في بعض عصور الدولة العباسية الاخيرة دع عنك دالتهم في عصر بعض ملوك المغول وتكاثر عددهم في العراق خصوصاً في بغداد ، وعني بحمايتهم بعض امراء السلاجقة كما نرى ذلك واضحاً فيما سجله مؤرخو هذه الفترة وفي مقدمتهم ابن الفوطي في معجمه [2] عن فخر الدين عبد الرحمن السلجوقي شحنة بغداد [3] ومن ابلغ الوقائع في الدلالة على المكانة التي كان اهل الذمة يتمتعون بها ببغداد في خلافة الناصر لدين الله ومن بعده الظاهر رسالة ابن فضلان [4] لما عهد اليه بمنصب النظر في ديوان الجوالي ، وهذه الرسالة وثيقة قيمة يستفاد منها ما كان عليه اهل الذمة من مكانة وحرمة لا فرق بين اليهود والنصارى من اهل الذمـــة ، وفيها اشارة الى الحرف التي يحترفها الذميون اذ ذاك خصوصاً الطب والصياغة ، فهم ارباب المعايش من العطارين والمخلطين والكسارين واصحاب المكاسب الظاهرة والارتفاقات الكثيرة بأموال التجار المســـلمين ؛ ومن حرفهم الجهبذة

(١) راجع مادة بغداد في كتاب مراصد الاطلاع .

(٢) المعجم (٤/١٩٦) مادة فخر الدين .

(٣) قال ابن الفوطي في ترجمـــة الشحنة المذكور : « ذكره النقيب ابن طلحـــة الزينبي في تاريخه قال : لما عزل مجاهد الدين بهروز الخادم وكان شحنة العراق ردت الى فخر الدين عبد الرحمن صاحب السلطان مسعود في سنة « ٥٣٨ » فستنب فيها ولده ، وكان صارماً فاستقام البلد ، قال وفي سنة ٥٤٠ وضع فخر الدين عبد الرحمن الغيار على اليهود فاحتموا بدار الخلافة واذن لهم في سكناها ، وقيـــل ان أهل دار الخلافة شكوا كثرة اليهود فيها ومزاحمتهم اياهم في الحمامات فوقع فخر الدين « من كره مجاورتهم فلينتزح من الدار الى حيث شاء .

(٤) تجد لابن فضلان ترجمة في طبقات الشافعية (٥/٤٤) وفي الحوادث الجامعة (٦٣ ، ٦٤) .

والصيرفة ، وفي الرسالة المذكورة نبذة تاريخية عن اوضاع اهل الذمة في بعض العصور الاسلامية من حيث المعاملة التي كانوا يعاملون واحكام الشرع في ذلك ، ويقول ابن فضلان في هذه الرسالة انه افتى الوزير ابن مهدى وقد سأله عن حكم الشرع في توليه « ابن ساوا » النظر في واسط فقال له لو يجوز ذلك ، والخلاصة كان ابن فضلان الى القول بالشدة في معاملة الذميين ، وفي هذه الرسالة يقترح ابن فضلان على الخليفة الظاهر ان تفرض الجزية متفاوتة حسب تفاوت طبقات اهل الذمـــة في ثورتهم ومكانتهم ، ولعل هذه اول فكرة بشأن فرض الضريبة التصاعدية في تاريخ الدولة العباسية ، وفي الرســـالة فوائد عن الاوضاع الاجتماعيـة في العراق على ذلك العهد ، ويقسم ابن فضلان اهل الذمة الى اقسام ، وفي هــــذا الباب يقول ما نصـــه : « وهم ضروب واقسام منهم من هو في خدمات الديوان وله المعيشة السنوية غير بركة يده الممتدة الى اموال السلطان والرعية من الرشا والبراطيل ، ولعل الواحـــــد منهم ينفق في يومه القدر المأخوذ منه في السنة . — يعني الجزيــة — هذا مع ما له من الحرية الزائدة والتخطي على رقاب خواص المسلمين ، وضرب ابن فضلان مثلا على ترقي هذه الطبقة على خواص المسلمين ، فقال في رسالته المذكورة الى الخليفة « شـــاهد العبد وغيره من الفقهاء الحاضرين في المخزن لتناول البر المتقبل ان ابن الحاجب قيصر اقام ابن محرز الفقيه من طرف موضع كان به واقعد مكانه « ابن زطينا » كاتب المخزن لمكان خدمته »(١) . ثم قال ابن فضلان في صدد مضاعفة الجزية ما يأتي « ثم ليس لهم في بلد من الحرمة والجاه والمكانة ما لهم في مدينة السلام فلو تضاعف المأخوذ منهم مهما تضاعف كان لهم الربح الكثير ، ومنهم الاطباء واصحاب المكاسب الجزيلة يترددون الى منـازل الاعيان وأرباب الاحوال ، ودخولهم على المتوجهـين في الدولة ، والناس يتحملون فيما

---

(١) (٦٥ ، ٦٦) من الحوادث الجامعة .

يعطون الطبيب زائداً على القدر المستحق ، وهو أمر من قبيل المروات فلا ينفكون عن الخلع السنية والدنانير الكثيرة والطرف في المواسم والفصول »

ويلي ذلك في الرسالة نبذة سخر فيها ابن فضلان من كفاءة هؤلاء المتطببين والكحالين [1] ، ونسب اليهم ما نسبه من الغش في صناعاتهم خصوصاً في صناعة الصاغة والصيارفة ، هذا بعض ما جاء في رسالة ابن فضلان عن بعض الاوضاع الاجتماعية في عصره ، وعن مكانة اهل الذمة في بغداد يومئذ ، وكانت الرسالة المذكورة كما لا يخفى موجهة الى الخليفة الظاهر بن المستنصر ، وكان كاتبها ينتظر موافقة الخليفة على آرائه ولكن الخليفة خيب ظنه وقرأ الرسالة وطواها ولم يبد فيها رأياً قط وبقي ما كان على ما كان [2] ، والظاهر المذكور ابن الناصر خليفة عباسي اثنى عليه المؤرخون وبالغ ابن الاثير في ذلك فقال « لو قيل ما ولى الخلافة بعد عبد عمر بن عبد العزيز مثله لكان القائل صادقاً » وكانت وفاة الظاهر سنة ٦٢٣ .

رأي في سيرة ارغون

ومن المستغرب جداً بعد هذا أن نجد ثناء بالغاً على سيرة ارغون في كتاب الحوادث [3] ووصفه بحسن السيرة والرأفة . هذا مع العلم بأن هذا الكتاب طافح بأخبار الفساد والفوضى والفتن التي وقعت في الفترة التي حكم فيها ارغون وهي تناهز ثماني سنين .

لعل ثناء المؤلف على ارغون ونسبة العدالة وحسن السيرة اليه بسبب الخوف من بطش المغول لان مؤلف الكتاب شرع بتأليف تاريخه هذا في أيامهم وبايعاز من عمالهم، وكان مقيماً على ما يظهر من هذا الكتاب بين تبريز والسلطانية ومراغة من حواضر

---

(١) الحوادث الجامعة (٦٦ ، ٦٧) .

(٢) « « (٧٠) .

(٣) « « (٤٦٦ ، ٤٦٧) .

المغول وقواعد ملكهم ، وكانت بلاد العراق من جملة الملحقات التابعة للقواعد المذكورة ، ومثلها في ذلك بلاد الجزيرة وبلاد الروم وبلاد فارس وغير ذلك ، والا فان هذا المؤلف أيا كان اكيس من ان يكون حسن الرأي بطاغية جاهل أهوج مثل أرغون كما تشهد بذلك سيرته التي دونت في هذا الكتاب وفي غيره من كتب التاريخ ، وكما تشهد بذلك الاحداث التي وقعت في دولته ، ويلاحظ ان مكانة اليهود والنصارى في الدولة الايلخانية اخذت بالتدني بعد هذا التاريخ لان قبائل المغول اتجهت الى الاسلام منحرفة عن وثنيتها وذلك منذ أواخر المائة السابعة ولم يسبق الى ذلك الحين ان يغشى سلاطين المغول وامراؤهم الجوامع والمساجد للصلاة ولكن السلطان غازان بن أرغون السالف ذكره وهو الذي خلف أباه على سرير المملكة سنة ٦٩٤ أول من يؤدي فريضة الصلاة من سلاطين المغول في الجوامع فيحذو حذوه الامراء والصدور وجمهرة الشعب المغولي الفاتح في الشرق ، وغازان هو أول من يشدد على غير المسلمين ويلزمهم الغيار ويسترد منهم ما غصب من الأملاك الجليلة والاموال الطائلة العائدة للخلفاء العباسيين وغيرهم من أعيان الدولة العباسية بعد سقوط بغداد .

مجاملة المغول للنصارى في الشرق والعراق

لا يخفى ان فريقاً من نصارى الشرق ونصارى الجزيرة والموصل انتهزوا فرصة زحف المغول على العالم الاسلامي ، وانقراض الخلافة العباسية وزوال سلطانها فتقربوا الى بعض أمراء الدولة الغالبة بعد سقوط بغداد مباشرة أي في دولة الطاغية هولاكو فاتح البلاد ، فوضعوا اليد بأمر من الطاغية المذكور على جملة من

الاملاك والاموال [1] من حيث سقطت بغداد الى أن جلس غازان على سرير المملكة الايلخانية ، أو نحواً من أربعين سنة ، ومما لاشك فيه ان أمراء الدولة المغولية كانوا يعرفون جيداً ان الذميين في العراق من نصارى ويهود قلة مكثورة بالمسلمين ، ومن شأنهم التظلم والشكوى وطلب الحماية والمساواة من هؤلاء الغالبين ، واعتقد المغول ان في محاسنتهم لهذه الاقليات فائدة سياسية لهم ، فأدنوهم وقربوهم وانلم يدم ذلك الا قليلا ، ومما يدل على أن اتصال رؤساء النصارى بالمغول بدأ مع زحف القبائل المغولية على العالم الاسلامي مبتدئين بالدولة الخوارزمية واجتياحهم حدودها في ما وراء النهر فالبلاد

---

(١) عقد مؤلف كتاب الحوادث فصلا عني فيه بالاشارة الى نظام الحكم في بغداد بعد سقوطها ، والاجراءات التي تمت في هذا الباب ، وتعيين الصدور والنظار والنواب ، وقد سمى هؤلاء واحداً واحداً وذكر المناصب الديوانية والادارية والمالية التي اسندت اليهم منصباً منصباً ، ولم تفته الاشارة الى الاستيلاء على منازل كبار رجال الدولة العباسية واعيانها ، واحلال اعيان النصارى محلهم فيها مبالغة في النكاية بأمراء الدولة العباسية الذين بذلوا جهداً بالغاً في الدفاع عن بغداد ولو كان ذلك بدون جدوى ، وفي هذا الفصل يقول صاحب الحوادث الجامعة ما يأتي : « سلمت مفاتيح دار الخليفة الى مجد الدين محمد بن الاثير ، وجعل أمر الفراشين والبوابين اليه ، وتقدم للجاثليق بسكنى دار علاء الدين الطبرسي الدويدار الكبير التي على شاطيء دجلة فسكنها ، ودق الناقوس على اعلاها ، واستولى على دار الفلك التي كانت رباطاً للنساء تجاه هذه الدار وعلى الرباط المجاور لها ، وهدم الكتابة التي كانت على البابين ، وكتب عوضها بالسرياني » هذا بعض ما جاء في الفصل المذكور من كتاب الحوادث (٣٣٢ ــ ٣٣٥) ويلي ذلك قصيدة لشاعر مأساة بغداد شمس الدين الكوفي الهاشمي الواعظ أولها : —

بانوا ولي أدمع في الخد تشتبك ولوعة في مجال الصدر تعترك

منها

يا نكبة ما نجا من صرفها أحد من الورى فاستوى المملوك والملك
تمكنت بعد عز في أحبتنا ايدي الاعادي فما أبقوا وما تركوا
ربع الهداية أضحى بعد عهدهم معطلا ودم الاسلام منسفك
أين الذين على كل الورى حكموا اين الذين اقتنوا اين الالى ملكوا
أجابني الطلل البالي وربعهم الخالي نعم ها ههنا كانوا وقد هلكوا

الفارسية نقول مما يدل على ذلك ان نصارى العراق سلموا من القتل العام بعد فتح بغداد ، وفي هذا الصدد يقول صاحب الحوادث الجامعة : « ان السيف وضع في أهل بغداد وقتل الرجال والنساء والصبيان والاطفال فلم يبق من أهل البلدة ومن التجأ اليهم من أهل السواد الا القليل ما عدا النصارى فانهم عين لهم شحانٍ حرسوا لهم بيوتهم ، والتجأ اليهم خلق كثير من المسلمين فسلموا عندهم »[1] وذكر مؤلف كتاب الحوادث بعد ذلك بعض الدور التي سلمت من الدمار .

هكذا عنى المغول الفاتحون بحماية النصارى خاصة داخل بغداد ، ولا يعقل ان ذلك تم مصادفة أو فجأة ، والغالب أنه وقع طبق خطة مرسومة أو حسب اتفاق بين سلاطين المغول وزعماء النصارى قبل وصولهم الى العراق ، كان المغول شعباً ساذجاً بدوياً وثنياً اتصل بهم ولا شك دعاة الاسلام قبل زحفهم المدمر على الشرق ، أو في اثنائه أو من بعد ذلك كما اتصل بهم دعاة النصارى وهم من الغربيين على الاكثر .

في هذه الفترة من تاريخ هذا الصراع انجذب كثير من التتر الى الاسلام وكان نجاح النصارى دون نجاح المسلمين بكثير ، ولنا ان نقول ان دعاة النصرانية غربيين وشرقيين منوا فيها بفشل ظاهر ومع ذلك انتحل النصرانية عدد غير قليل من افراد القوم ، والى هذا العدد القليل من المغول الذين انتحلوا النصرانية في تلك الفترة يجب ان تعزى تلك المجاملة الوقتية والوجاهة الملحوظة التي نالها نصارى بغداد بعد سقوطها على أيدي المغول مباشرة على ما رأيت ، وقد يكون لبعض الاميرات المغوليات اللواتي انتحلن النصرانية دخل في حماية نصارى العراق ، ونذكر من بين الاميرات المغوليات المتنصرات الاميرة (دوقوز) وهي من زوجات هولاكو اللواتي اصطحبهن معه الى الشرق ، اثنى عليها ابن العبري ناعتاً اياها بالاميرة المؤمنة المسيحية[2] وقال أيضاً « كانت عظيمة في

---

(١) كتاب الحوادث (٣٢٩ ، ٣٣٠) .

(٢) تاريخ مختصر الدول لابن العبري ط . بيروت (٤٦١) .

رأيها وخبرتها [1] » ، وفي تاريخ ابن العبري رواية عن دخول السلطان اباقا بن هولاكو في سنة « ٦٧٩ » الى بيعة في همدان في يوم عيد النصارى الكبير، وعيّد مع النصارى ، ويحاول ابن العبري الاستدلال على تنصر هذا السلطان استناداً الى هذه الرواية ، ولكنها ليست قاطعة في هذا الشأن ، والواقع ان اباقا بن هولاكو ثاني سلاطين المغول في فارس والعراق أنشأ صلات قوية مع بعض الدول الصليبية أو مسيحيي الغرب تجمعهم في ذلك عداوة سلاطين المماليك الذين أوقفوا هولاكو الزاحف الى الغرب عند حده ، ولذلك عني اباقا بارسال سفراءه الى فرنسه ورومه سنة « ٦٧٣ هـ — ١٢٧٤ م » وسنة « ٦٧٦ هـ ـ ١٢٧٧ م » وكان لهذا التودد من جانب اباقا وقعه الحسن لدى تلك الدول الغربية فروصل من بعض ملوك الانكليز والبابوات وغيرهم من ملوك الغرب ، ومع ذلك لم يكتب لهذا التحالف بين المغول والصليبيين تجاه سلاطين الاسلام في مصر والشام شيء يذكر من النجاح ، وبقيت كفة المماليك راجحة على المغول والصليبيين معاً ، وتمكنوا من غزو بلاد الروم وارمينية الصغرى وهزموا فيلقاً مغولياً بقيادة اخ لاباقا يسمى (منكو تمر) هزيمة منكرة في واقعة حاسمة ، ويقول بعض الباحثين الاوربيين ان اباقا تزوج من اميرة يونانية سنة « ٦٦٤ أي سنة ١٢٦٥ م » والى ذلك يعزى مجاملته للمسيحيين ومشاركته لهم في حملات الا ياد

تلك هي رواية مؤرخي المسلمين ومنهم مؤلف كتاب الحوادث بشأن مجاملة المغول للنصارى فور سقوط بغداد ، وقد سكت ابن العبرى وهو من مؤرخي عصر المغول المعاصرين لابن الفوطي ولمؤلف الحوادث الجامعة ولغيرها من مؤرخي الفترة المذكورة ، نقول سكت عن تسجيل هذه المجاملة المغولية للنصارى مع انه ـ أي ابن العبري من اشهر المؤلفين والمؤرخين في النصرانية ، ولم ترد اشارة ما في كتابه (تاريخ مختصر

---

(١) تاريخ مختصر الدول لابن العبري (٤٩٧) .

المغول) الى التزام جانب النصارى ورؤسائهم خاصة ومنحهم تلك المنح والهبات الجليلة في بغداد بعد انقراض الدولة العباسية . وفي تاريخ ابن العبري رواية وردت عن ظهور ميل عند جنكيز الى القوم في بدء زحفه على الشرق لحرب خوارزم شاه صاحب بخارى وتركستان ، بناء على رؤيا رآها جنكيز بعد ابادة رسله على حدود المملكة الخوارزمية ، وجاء في هذه الرواية انه رأى راهباً عليه المسوح يتكىء على عكازة وهو قائم على باب جنكيز يقول له لا تخف ، افعل ما شئت فانك مؤيد . وفي الرواية ما يدل على وجود عدد من زعماء النصارى والاساقفة قريبين الى جنكيز . ومنهم اسقف يقال له (ماردنحا [1]) هذا على ان ابن العبري سجل في تاريخه بعد ذلك تفصيل الصراع الدامي بين المغول واتباعهم من جهة وبين ملوك الموصل واصحابها من ابناء بدر الدين لولو واتباعهم من جهة ثانية ، وقد جرى ذلك في الموصل مشيراً - أي ابن العبري - الى ان الملك اسماعيل واخاه علاء الدين وهما من ابناء بدر الدين لولو صاحب الموصل وحاكمها الداهية المشهور فضلوا الذهاب الى مصر والشام على البقاء في الموصل والعراق ، فضلوا الهجرة من وطنهم مستظلين بظل دولة المماليك البحرية التي تمكنت من وقف زحف المغول ، وتغلبت عليهم في بعض المعارك الطاحنة الفاصلة ، ويلاحظ ان ابن العبري نفسه كان مقيما في الموصل خلال هذا الصراع ، بل كان شاهد عيان في الوقائع المذكورة ثم فضل الانتقال الى مراغة بعد انحياز النصارى الى جانب المغول وسخط المسلمين واصحاب البلاد وملوكها عليهم مستظلا - اعني ابن العبري المذكور - بكنف المغول في اذربيجان .

لم يفت ابن العبري الاشارة الى بعض من مالأ المغول من حكام الموصل أو تحالف

---

(١) تاريخ مختصر الدول ط . بيروت (٤٠١ ، ٤٠٢) .

معهم ، وهو حاكم افشى نبأ استنجاد الموصليين بملوك مصر والشام . وعزمهم على مناجزة المغول ، ومن يضلع معهم ، فاستولى الذعر والرعب على نصارى الجزيرة والموصل واربل ، هذا ويعنى ابن العبري بعد ذلك بذكر الوقائع والكوارث التي جرت على الموصل ، وما لحق المتطاحنين من ابنائها مسلمين ونصارى من الخراب والدمار ، ولم يفته أيضاً ذكر ابن يونس الأمير البعشيقي الضالع مع المغول الذي لم ينج من غدرهم فاسروا بقتله بعد ذلك ، ولم يفته أيضاً ذكر قصة الأمير المجاهد ابن زبلاق ، وفي وسعك وانت تتصفح تاريخ مختصر الدول لابن العبري ان تشعر بميله الى المغول وتقديره لعطفهم البالغ اذ ذاك على النصارى [1] واليك ما قاله وهو يسرد احداث الموصل في ذلك التاريخ : « وعند اواخر الصيف تواترت الاخبار بوصول عساكر المغول ، وقريباً من كانون الاول وصل العسكر ، واحاط بالموصل ، وفي رأس العسكر امير كبير اسمه (سنداغو) محب للنصارى [2] » وبجمل القول : تتابعت الحوادث أو الوقائع الدامية بعد ذلك فكان هدف عساكر المغول البطش بالمسلمين ، كما كان هدف عسكر الشام من غاراتهم الفتك بالنصارى ، قال مؤلف الحوادث الجامعة : « وفيها أي في سنة « ٦٨٤ » اغارت طائفة من عساكر الشام على ديار بكر والموصل واربل وقتلوا كثيراً من النصارى في اربل ، ونهبت الاكراد بلد « البوازيج » و « باصقرا » وقتلوا جماعة من النصارى ونهبوا الاموال [3] » .

مستند نادر عن علاقات النصارى بالمغول

وما هذا المستند النادر الا كتاب تاريخي في اخبار رؤساء النصارى في المشرق ،

---

(١) مختصر تاريخ الدول (٤٨٢ ، ٤٩٧) .

(٢) المصدر المذكور (٤٩٥) .

(٣) الحوادث الجامعة (٤٤٧) .

وكيفية اسناد مناصبهم اليهم والجهة التي تسندها ، ألفه عمرو بن متى الطيرهاني سمّى كتابه المذكور (المجدل) والغالب ان ما وصل الينا من كتاب المجدل انما هو الملخص ، وقد وقع في جزأين ، وطبع في روميه سنة « ١٨٦٦ » ويمتاز الكتاب بطرائف تاريخية غير معروفة في مستند عربي آخر عن سيرة الطبقة الأولى من سلاطين المغول وعن سياستهم مع النصارى في كل من الشرقين القريب والبعيد ولم نجد اثراً لهذه الطرائف التاريخية في مختصر تاريخ الدول لابن العبري وهو من اشهر مؤرخي النصارى كما قلنا ، مع انه وضع كتابه في الأصل باللغة السريانية ولا ندري لماذا لم يعن ابن العبري بما عني به الطيرهاني عمرو بن متى في كتاب (المجدل) من الاشادة بسياسة المغول في محاسنة نصارى الشرق والعراق واسداء ضرب من العون لا يستهان به لهم ، ومن ذلك اعزاز رؤسائهم والمبالغة في حرمتهم ، والغالب ان عصر ابن العبري والأحوال التي عاش فيها لم تكن مواتية او مسعفة له على الجهر بما جاهر به عمرو بن متى الطيرهاني ، فانه اعني ابن العبري عاش في عصر عصيب وقعت فيه حروب طاحنة بين المغول وملوك الموصل وحدثت فيه مذابح وفتن خطيرة في البلاد المشار اليها وفي الجزيرة وما الى ذلك من الاصقاع ، أما الطيرهاني فلا شك انه وضع كتابه في زمان ومكان يختلفان عن ذلك وان لم يتيسر لنا تحقيق ذلك الزمان او المكان غير انه من بلاد الجزيرة على الاجمال .

لنا ان نستثني كتاب الحوادث الجامعة من جملة المصادر العربية النادرة التي اغفلت تسجيل مجاملة المغول لنصارى الشرق ، فان مصنف كتاب « الحوادث » عني اجمالا باخبار سقوط بغداد على يد هولاكو وقيام الدولة « الايلخانية » المغولية ، ومحاسنتها النصارى ، وبذل العون والمساعدة لهم حتى وهبوهم تلك الاملاك والقصور الجليلة العائدة للخلفاء ولامراء الدولة العباسية ، فانتقل زعماء الطايفة المذكورة اليها بيد انهم غيروا من معالمها واحدثوا فيها بعض البيع والمعابد وخططوا المقابر والمدافن الى غير ذلك مما وردت الاشارة

اليه في كتاب الحوادث ولو على سبيل الاجمال ، اما عمرو بن متى مصنف كتاب المجدل فانه معني بشيء من الايضاح والتفصيل .

لا يخفى ان ديوان الخلافة العباسية كان يجري على رسوم معينة في تعيين رؤساء النصارى وزعماء اليهود لا يحيدون عنها غالباً خصوصاً في اواخر عصور الدولة المذكورة وذلك بان يستدعي هؤلاء الرؤســاء الى الديوان حيث يتلو الوزير او نائبه عليهم نص البراءة الصادرة بتعيينهم ، وقد يتضمن النص المذكور جملة [1] تعني نسخ تلك الديانة برسالة الاسلام ، ثم يؤمر الرئيس من النصارى او اليهود بالانصراف .

هذه خلاصة الرسوم او العادات التي كانت متبعة بهذا الشأن في غير عصر من عصور الدولة العباسية فلا مواكب ولا احتفالات رسمية ولا خلع ولا اقامات ولا تظاهرات الى غير ذلك مما حدث فور انحلال الدولة العباسية وظهور الدولة الايلخانية حيث عني الاول من سلاطين المغول باستقبال وفود النصارى ورؤسائهم في قواعدهم العسكرية الواقعة في فارس واذربيجان اكثر من مرة واكرموا وفادتهم وافاضوا عليهم الخلع والهدايا السنية ، وبالغوا في ذلك وربما بدرت من بعض اولئك السلاطين أو بطانتهم اشارات تدل على تقدير تلك الديانة او انتحالها في بعض الاحيان كما يحدثنا عنه عمرو بن متى ملياً في كتابه المذكور ، وهو امر سكت عنه المؤرخون الاسلاميون في أكثر الاحوال ، بل سكت عنه أكثر من ذلك المؤرخون المسيحيون المقيمون في كنف دول اسلامية .

هولاكو ، أباقا ، أرغون

تميزت أيام السلاطين الثلاثة المذكورين بانتهاج سياسة المحاسنة البالغة مع نصارى الشرق والعراق على وجه ينم عن شيء من الدس والكيد المغولي للمسلمين ، ويلاحظ ان ثلاثة من زعماء النصارى عاصروا هؤلاء الثلاثة من سلاطين المغول وحصلوا على ما حصلوا

---

(١) تجد نموذجاً من نصوص تلك البراءات في كتاب الحوادث .

عليه من رعاية وحرمة بالغة وتأييد كبير كما يحدثنا عنه عمرو بن متى ، وهؤلاء البطارقة الثلاثة هم (مارمكيخا ، ماردنحا ، باباالاها الثالث) عنى المؤلف المذكور بالترجمة لهم وأشار الى ما حبوا به من عطف ومعونة والى ارتفاع قدر النصارى وجاههم في الفترة المذكورة في الشرق والعراق ، وحيث خفقت اعلام اولئك السلاطين من تلك البلاد .

يعنى عمرو بن متى مضافاً الى ذلك بوصف الحفلات وتعيين مواقعها وبالاشارة الى حلية اولئك البطارقة وملامحهم ويصف حللهم الخاصة وارديتهم ، ويقول مثلا كان على هذا حلة (وردية) وعلى ذاك حلة (كحلية) ، ويعنى ايضاً بتسمية من يشهد الحفلات من الاساقفة وأكابر رجال الكنيسة . فلا عجب اذا رأينا كتاب عمرو بن متى هذا طافحاً بالثناء على سلاطين المغول مليئاً بعبارات الحمد والشكر وخاصة لهؤلاء السلاطين الثلاثة .

البطارقة الثلاثة

(مليخا) عاش هذا البطريق في الفترة الواقعة بين اواخر عصور العباسيين واوائل عصور المغول فشاهد الخليفة المستعصم وادرك الطاغية هولاكو . عينه الأول في رياسة ابناء جلدته واقره الثاني على ذلك وبالغ في اكرامه ورعايته ، وهو على ما يقول صاحب المجدل من بلدة (جوغيار) من اعمال نصيبين ، ثم تعيينه في خلافة المستعصم أولا وبقي على ولايته بعد سقوط بغداد ، وفي عهد رياسته زالت الخلافة العباسية واستولى المغول على العراق ، وفي هذا الصدد يقول المؤرخ المذكور ما نصه « ومن بعد نصبه سنة ١٤٦٨ يونانية اوسنة ٦٥٦ انتقلت المملكة الى (المغل) وانقرضت دولة العباسيين ، وذلك على يد السلطان الاعظم مالك ملوك العرب والعجم هولاكو خان وفتح بغداد يوم الاثنين رابع شباط سنة ١٥٦٩ لتاريخ الاسكندر الواقع في الثامن والعشرين من المحرم سنة ٦٥٦ لتاريخ العرب » .

هذا ما جاء في كتاب المجدل ، ويلاحظ ان مصنف كتاب الحوادث سماه (ميخا) مرة ومكيخا تارة وذكر تعيينه أول مرة في اخبار سنة ٦٥٣ أي قبل سقوط بغداد بثلاث سنوات قائلا : « وتوفي ابو الفضل ابن ابي الخير ابن المسيحي الجاثليقي ببغداد وقد تجاوز التسعين ، وولي بعده مار ميخا النصيبي وكان اديباً فاضلا [١] » ثم قال صاحب كتاب المجدل بعد ما تقدم ما يأتي : « انعم هولاكو عليه واعطاه دار الخلافة المعروفة بدار (الدويدار) التي على دجلة حتى يسكنها وعمّرفيها (البيعة الجديدة) ورزق جاهاً عظيما » ، وقال أيضاً في ختام ترجمته : « توفي يوم السبت ١٨ نيسان سنة ١٥٧٦ يونانية ودفن بالبيعة الجديدة التي بناها بدار الخليفة وكانت مدة رياسته ثمان سنين وخمسة شهور » .

هذا ما قاله عمرو بن متي في كتابه عن المعاملة الحسنة التي عامل بها هولاكو هذا البطريق حتى وهبه داراً هي اعظم دور بغداد في ذلك العصر وأجلها وأشهرها بعد دار الخلافة ، وقد رويت هذه القصة بعينها تقريباً في كتاب الحوادث الجامعة أو الجزء التاريخي الذي اختير له هذا الاسم ، فقال مصنفه في آخر بحثه عن الواقعة وما جرى بعدها ما نصه : « وسلمت مفاتيح دار الخليفة الى مجد الدين محمد ابن الأثير ، وجعل أمر الفراشين والبوابين اليه ، وتقدم للجاثليق بسكنى دار علاء الدين الطبرسي الدويدار الكبير التي على شاطئ دجلة ليسكنها ، ودق الناقوس على اعلاها واستولى على دار الفلك التي كانت رباطاً للنساء تجاه هذه الدار وعلى الرباط المجاور لها ، وهدم الكتابة التي كانت على البابين ، وكتب عوضها بالسرياني [٢] » .

هفوات الجاثليق :

من رأينا ان هذا الجاثليق جانب الصواب فانه تصرف تصرفاً أثار شعور مواطنيه

---

(١) كتاب الحوادث (٣٠٠) .

(٢) المصدر نفسه (٢٣٣ ، ٢٣٤) .

المسلمين متكلا على مجاملة المغول وتأييدهم له ونكايتهم العظمى بأهل العراق ، ومن هذا القبيل ما فعله بدار الدوادار التي وهبت له وبغيرها من الدور والمعاهد الكبيرة ، فكان عليه ان يكتفي بسكناها ، ولكنه حول دار الدوادار الى بيعة يدق في اعلاها الناقوس، ومحا الكتابة العربية التي كتبت على واجهتها ، وكان اعيان الدولة العباسية يتفننون بمثل هذه الكتابات الجميلة على واجهات المنازل والمعاهد الكبيرة ، ومن الامثلة على ذلك ما نشاهده الى اليوم على واجهة « المستنصرية » ولم تكن دار الدويدار بعيدة عنها حيث هدمت كتابتها وكتب عوضها بالسريانية كتابة تشعر بان هذه الدار بيعة ، وهذا كله خطأ ارتكبه هذا الجاثليق فأثار به شعور مواطنيه من المسلمين ، ولا نحسب ان النصارى كلهم كانوا يؤيدون جاثليقهم في تلك الأعمال ، فان بيعهم ومعابدهم غير قليلة في بغداد ، وحرية عقيدتهم كانت مكفولة الى حد عظيم ، ولكنها سياسة الطاغية هولاكو التي تحيز الجاثليق الى جانبها ووثق بها ثقة مطلقة .

الهياج على الجاثليق

تألم البغداديون ولا شك من بعض تصرفات « مرمليخا » الجاثليق وكانوا يتحينون الفرص للتعبير عن سخطهم وتذمرهم من تلك التصرفات خلال السنوات السبع التي تولى فيها منصبه المذكور واظهر فيها شدة متناهية وجنوحاً الى سياسة المغول ، قبض مرة على نصراني من أهل بغداد اعلن اسلامه ، واعتقله بداره المعروفة بالدويدار الكبير وعزم على تغريقه بالنهر ، فهاج البغداديون ونهبوا بعض الأسواق ، والدروب القريبة من احياء النصارى، وضربوا حصاراً على دار الجاثليق فاضطر الى مغادرة داره شاكياً الى حاكم العراق من قبل المغول لائذاً به ، وهكذا نجا من بطش البغداديين ، ثم انه توجه من فوره الى مراغة او تبريز اي الى قواعد المغول العسكرية في اذربيجان ، وبعد ان اطمأن هناك مدة عاد الى بغداد في وقت عصيب بدأ فيه الصراع بين احزاب المغول او فرقهم السياسية ، فمن حزب

يميل الى تعزيز الاسلام والمسلمين ومن حزب يفضلون البقاء على الوثنية المغولية .

لم ترد في كتاب عمرو بن متى الطيرهاني المذكور اشارة الى هذا الهياج ، والمؤرخ الوحيد الذي سجل الحادث هو مصنف كتاب الحوادث الجامعة ، اورده في أخبار سنة ٦٦٤ فقال « وفيها قبض مارمليخا الجاثليق على نصراني من أهل بغداد قد أسلم فاعتقله بداره المعروفة بالدويدار الكبير على شاطئ دجلة وعزم على تغريقه فبلغ العوام ذلك فاجتمعوا ونهبوا سوق العطارين برأس (درب دينار) وغيره من محال بغداد والنصارى ، وحصروا الجاثليق واحرقوا باب داره وقاتلوا اصحابه فنزل في سفينة وقصد صاحب الديوان علاء الدين واستجار به ، فأمر بكف العوام وركب (تكال بخشي) شحنه بغداد وأخذ نفراً من العوام ، وقتل منهم وحبس جماعـــة فسكنت الفتنة ، ثم ان الجاثليق توجه الى (الاوردو) الاشرف وعاد على اربل ، وبنى بقلعتها بيعة ثم قدم بغداد واقام فيها الى أن مات ورتب في منصبه (ماردنحا) الاربلي [1] .

دنحا

خلف مار مليخا ، ترجم له مؤلف كتاب المجدل واثنى عليه وعلى معرفته باصول اللغة السريانية ، وقال : اجمع وجوه النصارى وقساوستهم على اختياره ليخلف « مليخا » ولما انهي ذلك الى « ابقا خان » خلع عليه ، ويقول المؤلف في هذا المكان شرفه بالخلعـــة السنية و « الفرمان» و « البايزه » و« الجتر » . هذا ما قاله عمرو بن متى ، ومنه يستفاد مبلغ المجاملة والمحاسنة التي حظى بها هذا الجاثليق ، فان اباقا افاض عليه خلعاً سنية ، واصدر بتعيينه مرسـوماً خاصاً ، ووهبه وساماً رفيعاً ومظلة لا ترفع إلا على رؤوس الأمراء ، ويستفاد أيضاً من كتاب عمرو بن متى ان الطاغية ابقا مثّـل في حفلة نصبه التي جرت في

---

(١) كتاب الحوادث « ٣٥٤ »

بيعة معروفة بثلاثة من كبار امراء المغول ،وشهد تلك الحفلة الأمير « يعقوب » والساعور [1]

وقـــد اقيمت هذه الحفلة بالمدائن وكانت فيها بيعة يختارونها لاقامة تلك الحفلات ،

ويلاحظ ان « دنحا » هذا عاد بعد الاحتفال بنصبه في بيعة المدائن الى بغداد ، وسكن دار

الخليفة ، وقد احدثت فيها بيعة جديدة ، وبلغت مدة رئاسة هذا الجاثليق على ما في كتاب

المجدل خمس عشرة سنة ، وفي آخر هذه الترجمة من الكتاب اشارة الى مصير البيعة الجديدة

المحدثة في دار الدويدار ومصير المقبرة كذلك حيث يقول المؤلف « ولما اخذت المسلمون هذه

البيعة من النصارى - يعني استردتها - أمروا ان تنبش المقابر وتؤخذ الموتى فاجتمع النصارى

الى البيعة المذكورة يوم الخميس ٢٤ ربيع الآخر سنة ٦٩٥ الموافق ١٦٠٧ يونانية

ونقلوا الذين كانوا في البيعة المار ذكرها ، وهما مليخا ودنحا واتوا بهما الى بيعة « سوق

الثلاثاء » ثم اشار عمر بن متى الى ما ســاور النصارى من الاحزان والآلام في ذلك

اليوم والى عنايتهم باقامة حفلات التأبين .

الجاثليق باباالاها

قال عمرو بن متى : هذا الجاثليق هو من الترك من بلاد الخطا ، ورد من بلده في خدمة

الخان الاعظم — لم يذكر المؤلف اسم هذا الخان ولا شك انه احد احفاد جنكيز —

وكان سبب مجيئه الى هذه الأرض — يعني العراق — لاجل زيارة بيت المقدس ، وكان

قد انفذ معه « القان » ثياباً حتى يعمدها في نهر الاردن ويعبرها على قبر السيد المسيح

فحيث وصل الاردو الاشرف وعرض « فرامينه » على السلطان المعظم « اباقا خان » قال

له في الجواب : الطريق ما هي آمنة ، وانتم لكم ذكر طائل — يعني شهرة واسعة —

واخاف عليكم . ومجمل القول حـــذر « اباقا » باباالاها وخوفه من السفر الى فلسطين

(١) الساعور لفظة سريانية تعني « الخازن » يقال ساعور البيعة يعنون خازنها ، وكانت تطلق أيضاً على خزنة المارستانات يقولون ساعور المارستان .

ولا شك ان خبرة السلطان بمخاوف الطريق اعظم من خبرة الأسقف المذكور ، فلم تقم بعد بين المغول ودولة المماليك المصرية التي تحكم في الشام وفلسطين علائق حسنة ، ولم يعدل سلاطين التتار عن التفكير بغزو الشام واخذ ثار الاندحار الشنيع الذي منوا به في واقعة « عين الجالوت » وسلاطين مصر مازالوا على اتم اهبة للدفاع وقلوبهم عامرة بحب الجهاد .

اذعن بابالاها وامتثل أمر السلطان ، ولكنه لم يعد الى بلاد الخطا والشاش بل قصد بغداد فان فيها الجاثليق (مار دنحا) ولا بد من زيارته قبل العودة الى بلده في الشرق الاقصى وهكذا وصل « بابالاها » الى بغداد واجتمع بصاحبه ، واقام عنده مـدة غير قصيرة توثقت خلالها اواصر المودة والمحبة بينهما ، ومما يذكر ان كلا من مار دنحا وبابالاها قاما سوية برحلة خاصة الى « الأردو » ويعني ذلك زيارة السلطان في قاعدته العسكرية المعروفة ، ولهذه الرحلة مغزاها فالغالب ان مار دنحا وقد علت سنه وطال عمره رشح صاحبه ليخلفه في منصبه ، وموافقة السلطان على ذلك مضمونة لا تحتاج الى الى جهد لأن بابالاها الداهية مهد السبيل مع الطاغية اباقا ، وهذا الرجل محبوب عند المغول واصله من بلادهم او من البلاد القريبـة منها ، وكانت الخطوة الأولى الى ذلك تعيين « بابالاها » التركي « مطراناً » على « تنكت » (١) وقام الجاثليق مار دنحا بتجهيزه وانفاذه الى تلك البلاد النائية . ثم ان عمرو بن متى تحدث في كتابه بحديث طويل عن مكث بابالاها في العراق وعدوله عن السفر الى بلاده وما ترتب على ذلك من اختياره لرياسة النصارى . تحدث المؤلف عن هذه القصة كما لو كانت « اعجوبة » وحاول عمرو بن متى ان يردها الى اسباب غير عادية وانى له ذلك .

عاد بابالاها الى بغداد بطريق اربل في المرة الثانية ، واتجه الى البيعة المحدثة في دار

---

(١) تنكت بفتح التاء المثناة وضم الكاف مدينة من مدن الشاش وراء سيحون ، قال ياقوت خرج منها جماعة من أهل العلم ، ثم اورد اسماء جماعة من المحدثين والعلماء المنسوبين الى هذه المدينة .

الخليفة ، فوجد المآتم قائمة فيها على الجاثليق مار دنحا ولم يدفن بعد فشاركهم في المأتم بكثير من مظاهر الجزع والنوح والبكاء ، ونجد في الكتاب بعد ذلك اشارة الى غبطة النصارى وفرحهم البالغ بمجيء بابالاها فكأنما جاء على ميعاد ، وكأنما حضر ليخلف صاحبه على منصبه المذكور .

اباقا و بابالاها

وقع الاختيار على بابالاها ليخلف مار دنحا واجمعت على ذلك كلمة النصارى في بغداد ونظموا بذلك محضراً مذيلا بتواقيعهم وخطوطهم توجه به بابالاها الى الأودو باذربيجان.

دخل الرجل على « اباقا خان » ويلاحظ انه لا يحجب عنه كلما حضر لزيارته ، فرحب به ترحيباً بالغاً ،وفي هذا الصدد يقول صاحب المجدل « فرح به وخلع عليه خلعة سنية مثمنة ، واطلق له اقامات كبيرة بشيء لا يحد من كثرته ، وانفذه ومعه امير كبير اسمه « اشمت » من المعظم القاآني - يعني من صلب الأسرة المالكة - ودخل الى بغداد وتجهز وانحدر الى دير المدائن »[1] ، ويقول صاحب المجدل كان وصوله يوماً مشهوداً ودخل البيعة يحف به عدد كبير من المطارنة والاساقفة جاءوا من اقاصي بلاد الترك وفارس والروم ومن بلاد الجزيرة والموصل وفلسطين ومصر ، فكان مطران (المالق)[2](وتنكت) على حدود الصين ممن شهد هذه التظاهرة ، وهو أمر يدل على وصول بعض المذاهب المسيحية الى آسيا الوسطى وبعض انحاء تركستان في ذلك العصر ، حيث كان بعض حكام المغول يحيطونها بشيء من الحماية والرعاية ، ومن النادر ان يشهد تاريخ النصرانية بعد الاسلام حفلة او تظاهرة

(١) يعرف دير المدائن بدير قنا ولم يبق له من أثر الآن ، ومن رأي بعض الباحثين انه لا يبعد كثيراً عن موقع الطاق الى الجنوب ، وهناك عدة تلال ربما قام احدها على انقاض الدير المذكور .

(٢) مدينة المالق آخر البلاد التي من عمالة ما وراء النهر ، وأول بلاد الصين ، اقام بها ابن بطوطة وذكر انها دار الملك ، وورد ذكرها عرضاً بقوله : « بلاد الختن وكاشغر والمالق » تكرر ذكر هذه المدينة في رحلة ابن بطوطة .

كبيرة ذات صبغة دينية مثل حفلة المدائن هذه ولنا ان نقول انها مشوبة بأعراض سياسية رسمتها السلطات المغولية . هذا ويلي ذلك في الكتاب وصف بعض الازياء والعادات المتبعة في مثل هذه الاحتفالات ، ومن ذلك نثر الذهب والفضة ، ويقول المؤلف ما كان لاحد في الهيكل موضع يقف فيه من كثرة الناس ، ثم ان الجاثليق انحدر بعد انتهاء الاحتفال الى دير (مار ماري) في « السليح [1] » وبعد ذلك اصعد الى بغداد .

تحدث المؤلف بعد ذلك بشيء من الفخر والبأو عن العصر الذهبي الذي اجتازته النصرانية في دولة المغول خصوصاً في رياسة هذا الجاثليق قائلا : « نال - يعني - بابالاها من العز والجاه والسلطان ما لا ناله احد من قبله حتى ان ملوك المغول والقاآنية واولادهم كانوا يكشفون رؤوسهم ، ويبركون قدامه ، ونفذ حكمه في جميع الممالك بالمشرق وارتفع النصارى في ايامه الى عز عظيم وجاه كبير » هذا ما قاله المؤلف ولولا ان هذا الجاثليق تركي اومغولي يتفانى في خدمة قومه . ومالاة اغراضهم السياسية لما حصل له ذلك ، ولكن المؤلف لاحظ في النهاية اختلال الاحوال ، وما مني به القوم من المذلة والهوان في اواخر ايام هذا الجاثليق ، وبالغ بذكر ما حل بساحتهم من هذا القبيل في الفترة المذكورة قائلا : « هبطوا في اواخر ايامه الى ذلة ردية ، وتجدد عليهم اخذ الجزية والاهانة واستمر الى هذا التاريخ » .

هذا ما قاله عمرو بن متى ، ويستفاد منه ان الجزية اسقطت فلم تؤخذ من اليهود والنصارى في عصور الأول من سلاطين المغول عصور هولاكو واباقا وارغون ثم تجدد استيفاؤها فهم في بعض العصور التالية ويؤيد ذلك ما نراه في تاريخ الحركة الاسلامية التي انبعثت في عصر السلطان غازان .

الزعامة الطويلة :

عمّر هـــذا الجاثليق التركي او المغولي طويلا وتقـــلد منصبه مدّة لم يسبق ان

(١) موضع قريب من دير قنا السالف ذكره جنوب طاق كسرى .

تقلدها أحـــد من أسلافه ، ويقول عمرو بن متى « مات في عصره سبع قاآنية وهم أباقا احمد سلطان أرغون خان كيخوخان . بايدو غازان خان . خربندة خان . وتولى في عصره أبوسعيد خان بن خربندة وجلس على سرير السلطنة .

هذا ما قاله صاحب المجدل وأرخ بعد ذلك وفاة الجاثليق سنة ٧١٧ وذكر دفنه في البيعة الجديدة المحدثة بدار الدويدار ببغداد .

الاسلام والمسلمون في عصر غازان

لم يخل كتاب المجدل كما رأيت من الاشـارة الى النكسة التي مني بها نشاط النصرانية المعروف في مستهل عصور المغول ، وان هذه النكسة اتفقت في أواخر ايام رياســـة الجاثليق بابالاها وان المسلمين عادوا الى الغلبة ، والى استيفاء الجزية من النصارى ، وانهم اســتردوا دار الدويدار منهم . ونبشوا المدافن والقبور الى غير ذلك . ويلاحظ شيء من الغموض والاجمال في ابحاث المؤلف عن هذه الاحـداث ، وهي بحوث تفتقر الى الايضاح ويعوزها التفصيل . فان المؤلف مثلا لم يسم السلطان المغولي الذي تغلب المسلمون وتمـكنوا من التمتع بحقوقهم ، واسترداد ما غصب من املاكهم في عهده ، وازالة المعالم المحدثة فيها بأمر المغول والجثالقة من تماثيل وكتابات سريانية وقبور الى غير ذلك ويلاحظ ان ذلك قد حدث في سنة ٦٩٥ وكانت السلطنة في هذا التاريخ كما لا يخفى لغازان ولم يمض عليها الا سنة واحـــدة . فان غازان تربع على دست المملكة المغولية سنة ٦٩٤ ، وغازان اول من صلى في الجوامع من سلاطين المغول وأول من شدّد على غير المسلمين واسترد ما غصبوه من الاملاك . ولوحظت على هـــذا السلطان فور تسنمه دست الملك رغبة ظاهرة في زيارة العراق وتعهـــد دور العلم والعبادة والاحسان الى المحتاجين والى مختلف الطبقات من العراقيين ، ولغازان آثار ومبرات كثيرة ، ومما لا شك فيـــه انه هو الذي امر باخلاء دار الدويدار وما جاورها من الاملاك الجليلة واعادتها الى ذويها من المسلمين ، هذا ونجد في اخبار سنة ٦٩٤ من كتاب الحوادث

الجامعة صورة لطيفة لهذا التحول الاجتماعي الخطير الذي تناول حياة الجنس الطوراني او المغولي التتري من جميع أطرافها في عهد الملك غازان ، وفي هـذا الصدد يقول مصنف كتاب الحوادث الجامعة .

« جلس السلطان غازان على تخت الملك في ذي الحجـة ، ودخل تبريز ، وصلى في جامعها ، وأمر بالزام أهل الذمة الغيار ، فكانت علامة النصارى شد الزنار في أوساطهم واليهود خرقـة صفراء في عمائمهم ، فواظبوا على ذلك شهوراً ، ثم ازيل بمجرد تسلط العوام عليهم ، وطمع الجهال فيهم ، وتقدم السـلطان بأخذ دار علاء الدين الطبرسي الدويدار الكبير من النصارى ، وكانت بأيديهم من حيث ملكت بغداد ، وازيل ما بها من التماثيل والخطوط السريانية ، واستعيد الرباط الذي تجاه هذه الدار المعروف بدار الفلك ، وكان قد جعله النصارى مدفناً لأكابرهم ، فأزيلت القبور منه ، فصار مجلساً للوعظ جلس فيه الشيخ شرف الدين محمد بن عكبر ، وكان يجتمع عنده خلق كثير (١) .

هكذا تسنّى لنصارى بغداد هذا الضرب من حماية المغول وتمكينهم من وضع اليد على جملة من املاك امراء الدولة العباسية على ان هـذا الضرب من الحماية والتأييد للنصارى المقيمين في بغداد ترك أثراً مؤلماً في نفوس مسلمي الموصل وما اليها وكان الملك الصالح اسماعيل بن بدر الدين لولو صاحب الموصل ، فارق بلده وقصد الملك الظاهر صاحب مصر والشام ، ولكنه عاد اليها فجأة بعد انحدار المغول في واقعة (عين الجالوت) سنة « ٦٥٩ » قاصداً الدخول الى بلده غير أن بعض المواصلة - وفي مقدمتهم بعض النصارى - حاولوا منع جيش صاحب الموصل من دخولها مما ادى الى حدوث هياج داخلي في البلد نظمه عامة الموصليين ، وفتحوا للجيش باب الجسر ، فدخل اميره وهو صاحب الموصل ووضع السيف في النصارى فقتل اكثرهم ونهب اموالهم ، وتلت ذلك وقائع بين جيوش المغول وجيوش صاحب الموصل قتل فيها بعض الأمراء المواصلة ، ووضع الحصار بعد ذلك على مدينة الموصل سنة كاملة حتى استسلمت واستولى عليها المغول (٢) والواقع ان الموصليين ابلوا بلاء حسناً جداً في الدفاع عن

---

(١) كتاب الحوادث ٤٨٣ — ٤٨٥ . (٢) الحوادث الجامعة (٣٤٤ ، ٣٤٥) .

مـدينتهم ، وقام الملك الصالح اسماعيل بن بدر الدين لولو احسن قيام في جهاد المغول ، ونصب حيال مجانيقهم بباب الميدان والجصاصين ثلاثين منجنيقاً ترمي ليلا ونهاراً ، حتى عجز المغول عن ضبط البلد حرباً واحكموا الحصار الى أن فنيت ميرة المواصلة وتعذرت الاقوات فأكلوا الميتة ولحوم الـكلاب ، ومن ثم طلب صاحب الموصل الامان له ولاهل البلد ، فلبى قائد المغول طلبه ، ولكن سرعان ماغدر القائد المذكور به وبأهل البلد ، فقبض على الأمير وعلى ولده واتباعه واستباح عسكر المغول بلد الموصل ، وسير صاحبها واخاه الى هولاكو فأمر بقتله بعـد التمثيل به على ابشع الوجوه ، ولم يحجم المغول على عادتهم من القتل العام والنهب والسباء والتمثيل .

من جملة قتلى المغول في واقعة الموصل محيي الدين ابن زيلاق احد اعلامها المشاهير في الادب والسياسة ، وهكذا تم للمغول أخذ الثار للنصارى من المسلمين ، وباستيلاء جيش المغول على الموصل كما رأيت تيسر لهم الزحف على الاقطار التي تقع الى الغرب او الشمال الغربي منها فاستولى عليها ، ومن ذلك سنجار وجزيرة ابن عمر ، واستعملوا ولاتهم من النصارى على هذه الاقطار المفتوحة [1] .

والمرجح ان نتائج التزام المغول للنصارى على هذه الصورة في بغداد والموصل وبعض أقطار الشرق تعدت الى مصر والشام فتنكـر الملك الظاهر المعروف « بالبندقدار » لهم في مسيره الى بلاد الروم ، وظفره بالمغول في واقعة وقعت هناك بين الفريقين ، ومع ان سيرة البندقدار كانت حسنة جداً في بلاد الروم في هذه الرحلة حتى انه قال « لم اقصد هذه البلاد لخرابها بل لتخليصها من المغول [2] » الا انه نهب النصارى وأخذ

---

(١) كتاب الحوادث (٣٤٦ ، ٣٤٨ ، ٣٦١ ، ٣٦٧) وراجع عن أحوال نصـــارى الموصل في هذه الفترة تاريخ ابن العبري .

(٢) المصدر ذاته (٣٨٩) .

اموالهم وسبا ذراريهم عند عودته الى بلاده وان لم يقتل منهم احداً وذلك سنة « ٦٧٥ » ولا شك ان تنكّر ملوك الشام ومصر للنصارى على هذه الصورة منبعث عن اتصالهم بالمغول الفاتحين الطامعين في مصر والشام ، ولنلاحظ ما قام به النصارى في دمشق بعد استيلاء السلطان غازان عليها . والحقيقة ان حكام المغول كانوا على وجل خائفين على ما ملكوه من بلاد الاسلام وخصوصاً العراق قلقين من ناحية ملوك مصر والشام ، فكانوا يأخذون الناس في العراق وفي غير العراق من البلاد الخاضعة لهم بالظنة والتهمة ، طوراً ينسبون اليهم الاتصال بملوك الشام ومصر ، وتارة يتهمونهم بطلب المعونة منهم حتى عاقبوا كثيراً من الاعيان والامراء بحجة التهم المذكورة خصوصاً بعد واقعة عين الجالوت كما مر ، وخلاصة القول : طال امد الصراع بين المماليك أو السلاطين البحرية والمغول خاصة بعد ان شعر سلاطين مصر والشام بأن هناك تحالفاً قوياً بين المغول وبعض الدول المسيحية الغربية ازاء الدول الاسلامية .

قلنا ان النصارى وضعوا ايديهم على جملة من أملاك العباسيين ورجال دولتهم ، ومن ذلك دار الدوادار الكبير [1] علاء الدين الطبرسي والد مجاهد الدين الدوادار الصغير

---

(١) ورد وصف هذه الدار في ترجمة الدوادار الكبير من كتاب الحوادث وجاء فيها « كان يحب العمارات والمتنزهات ، فمما بناه داره التي بشرقي بغداد على شاطىء دجلة تجاه الرباط المعروف بدار الفلك ، ولم يكن ببغداد مثلها ، وعمل بها بستاناً غرس فيه النخيل والشجر والنارنج ، وعمل له دولاباً ، فاستحسنها الخليفة المستعصم ، فطلبها منه فلم يسمح له بها ، فلما توفي — يعني الدوادار — أخذها » (٢٦٥) وراجع الصفحات ١٣٨ ، ١٦٤ ، ١٧٢ من هذا الكتاب ، ولهذه الدار ذكر في حادثة طغيان دجلة وغرق بغداد سنة ٦٥٤ ، اي قبل سقوطها بسنتين ، ووصف المؤلف هذا الطغيان النادر في دجلة وصفاً رائعاً في كتاب الحوادث جاء فيه « امتلأت دار الخليفة كلها ما عدا الدار الشاطئية فانتقل من بها الى الغرف والسطوح ، وتعذر الوصول الى دار الخليفة الا في سفينة أو سباحة ، ونقل من كان من أنساب الخليفة محبوساً في دار الشجرة ودار الصخر الى ديوان الزمام ، وانتقل الوزير من داره الى دار علاء الدين =

الماضي ذكرهما ، وقد مرّ بنا ان هذه الدار التي لا توجد في بغداد دار تماثلها في ذلك الحين حولت الى دير أو كنيسة فنصبت فيها التماثيل وغشيت بالخطوط السريانية، وبقي ذلك الى عصر غازان ، حيث أزيلت تلك التماثيل ومحيت تلك الخطوط ، هذا وما يقال عن دار الدوادار يقال عن الرباط المواجه لهذه الدار ويعرف بدار الفلك [1] اتخذه النصارى منذ فتحت بغداد مدفناً لهم فأزيلت القبور منه [2] وقد تم ذلك كله بأمر السلطان غازان على ما رأيت .

٣٢ — ابن زيلاق : وردت ترجمته في الكتابين، ففي المعجم دعاه محي الدين يوسف ابن يوسف يعرف بابن زيلاق الهاشمي الموصلي الصاحب الكاتب الوزير الشاعر ، اثنى على شعره ، وروى قطعة منه عن شيخه الأديب المؤلف بهاء الدين علي بن عيسى بن أبي الفتح الاربلي، وابن الفوطي كثير الرواية عنه وعن كتابه «التذكرة الفخرية» ، وكانت بين ابن زيلاق وبين علي بن عيسى الاربلي صاحب التذكرة مكاتبات ، قال ابن الفوطي في آخر ترجمة ابن زيلاق: واشعاره الكثيرة ذكرت منها في كتاب « نظم الدرر الناصعة في شعراء المائة السابعة » ومولده سنة ٦٠٣ ، ثم ذكر مقتله في الموصل في شعبان سنة ٦٦٠ [3] .

= الطبرسي الدوادار » (٣١٧) وورد ذكر هذه الدار في هياج عامة البغداديين على الجاثليق ، ولم يسمح هذا الجاثليق بعد ذلك الاقامة في بغداد فقصد المعسكر المغولي في اذربيجان وكان ذلك سنة ٦٦٣ (ص، ٣٥٤) وانظر (ص، ٢٧٤) عن دار الفلك ودار الشط المجاورة لها التي وقفت بأمر المستعصم وجعلت رباطاً للنساء .

(١) احصى سبط ابن الجوزي في مرآة الزمان (ج ٨ : ٦٣٧ ط الهند ، جملة من القصور والابنية التي انشأت في خلافة الناصر ، وذكر فيها دار الفلك هذه ، وفي سنة ٦٥٢ أمر المستعصم بجعلها رباطاً للنساء وهي مجاورة لدار الدوادار الكبير .

(٢) كتاب الحوادث (٤٨٣ ، ٤٨٤) وراجع عن التضييق على اليهود والنصارى بعد ذلك تاريخ أبي الفداء ط القاهرة ص ٧٧٤ .

(٣) المعجم (٥/٤٣٦ ، ٤٣٧) .

هذا ما ورد عن ابن زيلاق في معجم ابن الفوطي ، وفي كتاب الحوادث فصل سجل المؤلف فيه حصار الموصل سنة ٦٦٠ بقيادة الأمير (سنداغو) — وهو الحصار ذكره ابن العبري — وفتحها وقتل حاكمها والاستيلاء على جزيرة ابن عمرو وسنجار بأمان وقال في آخره (ومن جملة من قتل بالموصل في هذه الواقعة محي الدين بن زيلاق كان من الفضلاء له رسائل واشعار مشهورة) ، ثم نقل قطعة من اشعاره في الكتاب [1] .

٣٣ — مجد الدين بن الاثير : في سنة ٦٨٥ ، وفي سلطنة الطاغية أرغون رد أمر العراق الى الأمير (آروق) وكان ابن الاثير المذكور من صدور العراق المرشحين للوزارة في هذا العهد ولي الاعمال الجليلة ، وعليه كان مدار العراق ، وهو من نواب علاء الدين صاحب الديوان ، وممن غدر به ارغون لما عهد للامير آروق بالحكم في العراق وتعنت النواب من حزب الجويني ، وقتله في جملة من قتل منهم سنة ٦٨٥ [2] ، وسجل صاحب الحوادث هذه الحادثة في حوادثه ، وسمى النواب الذين غدر بهم الامير آروق بأمر الطاغية أرغون مشيراً الى انهم قتلوا في المخيم السلطاني خارج العراق ، وحملت جثة ابن الاثير الى بغداد ودفن في تربة له في مدرسته [3] ، والغالب ان هذه المدرسة أنشئت « بقراح ابن أبي الشحم » اذ قال ابن الفوطي في ترجمة ابن الاثير هذا ما يأتي « لم يكن له ذكر طائل قبل الواقعة ولما دخل صاحب الديوان علاء الدين حاكماً على العراق كان معه ، وأنشأ (الرباط المجدي) بقراح ابن أبي الشحم وجعل فيه خزانة كتب جامعة »

---

(١) الحوادث الجامعة (٣٤٨) وتجد لابن زيلاق ترجمة في شذرات الذهب (٥/٣٠٤) وقد سماه في الشذرات محمداً .

(٢) المعجم (٥/٢٤٠) باب مجد الدين .

(٣) كتاب الحوادث (٤٤٨) وتكرر ذكر ابن الاثير في الكتاب (٤٤١ ، ٤٤٢) وانظر مادة « قراح » من معجم البلدان لياقوت عن قراح أبي الشحم أو ابن أبي الشحم كما يكتب أحياناً فان المؤلف سمى اقرحة غير قليلة ، وهذه الكلمة تعني « البستان » في لهجة البغداديين الشائعة في المائتين السادسة والسابعة.

٣٤ — مجد الملك اليزدي [١] : هو غريم علاء الدين الجويني الذي تمكن من الانتصار عليه والانتقام منه وقتله تلك القتلة الشنيعة سنة ٦٨١ ، ترجم له ابن الفوطي وذكر قصته مع الجويني في سلطنة أبقا ، والسلطان أحمد تكدار قائلا « ذكرت ذلك في التاريخ » . والقصة مسرودة في الحوادث الجامعة في وقائع سنة ٦٨١ كما هي في المعجم [٢] فقارن بينهما ، وحسبنا ذلك حجة تدعم رأي من يرى ان الكتابين لمؤلف واحد .

٣٥ — آل أبي فراس : بيت امارة ووجاهة تقلدوا مناصب كبرى في أواخر عصور الدولة العباسية من خلافة الناصر لدين الله العباسي وما بعد ذلك وعرف منهم عدة أمراء ، عني صاحب الحوادث الجامعة بذكر أخبارهم وحوادثهم في العصور المذكورة ، وأول من ورد ذكره منهم فيما بقي من الكتاب المذكور الامير مجير الدين جعفر بن أبي فراس الحلي ذكره في معرض عودته الى العراق من مصر بعد اقامته فيها زمناً مغاضباً للمستنصر [٣] ، والامير مجير الدين جعفر بن أبي فراس الحلي هذا هو والد الشيخ «ورام» صاحب المجموعة الوعظية ، وورد في الكتاب المذكور بعد ذلك ذكر احد اولاده الامير حسام الدين أبي فراس بن جعفر ابن أبي فراس أمير الحاج في الايام الناصرية في معرض عودته من الديار

---

(١) كتاب الحوادث (٤١٩) وراجع عن مأساة مجد الملك هذا مع آل الجويني ترجمة شمس الدين محمد الجويني المطولة في مجالس المؤمنين (٤٣٢ — ٤٣٧) والصفحات ١٤٧ ، ١٥٣ وما يليها من هذا الكتاب .

(٢) (المعجم : ٥/باب الملقبين مجد الملك/ ٢٧٠ ، ٢٧١) ، لقبه ايضاً مشرف الممالك ، فوض اليه السلطان اباقا بن هولاكو اشراف الممالك بأسرها وناقش الصاحب وحاسبه واستولى على خزائنه ، وخرج أباقا من بغداد الى همدان وتوجه — يعني مجد الملك — في خدمته فمات السلطان بهمدان سنة ٦٨٠ وولي السلطان تكتار (تكدار) سنة ٦٨١ و نعكس حال مجد الملك وظفر به الصاحب علاء الدين واخوه الصاحب شمس الدين ، وحوسب وقتله شرف الدين هرون الجويني سنة ٦٨١ بيو شهر ، وأنفذ رأسه الى بغداد . راجع الصفحة (٤١٩) من هذا الكتاب .

(٣) كتاب الحوادث (١٨) .

المصرية ، وفي الكتاب اشارة الى مفارقته للحاج ومصيره الى الشام ومصر ملتجئاً الى الكامل بن العادل هارباً من الوزير ابن فهدي ومن قصده اياه ، وفي وسعك ان تعرف منزلة امراء هذا البيت الحليين من حفاوة دار الخلافة بهم بعد رجوعهم الى العراق (١). وقد عاش هذا الامير الى خلافة المستعصم ، وذكر اسمه بين الامراء الذين خلعت الخلع عليهم بعد بيعة المستعصم ، ومنهم شهاب الدين سليمان شاه بن برجم وشمس الدين الظاهري وعلاء الدين الناصري الى غير هؤلاء (٢) وكانت لهذا الامير حسام الدين وقائع خطيرة في البادية تغلب فيها على الاعراب الذين أخافوا السبيل وتعرضوا لحجاج بيت الله وقد سجل صاحب الحوادث بعض وقائعه في كتابه المذكور (٣).

---

(١) كتاب الحوادث (٤٣) .

(٢) يراجع كتاب الحوادث عن عزله عن امارة الحاج في خلافة المستعصم (١٧٤) .

(٣) جاء في كتاب الحوادث ما نصه « وفيها — أي في سنة ٦٣٤ — وصل أمير الحاج أبو فراس بن أبي فراس ومعه العرب « الاجاودة » الذين تعرضوا لأذية الحاج ومنعوهم الحج في سنة ٦٣٢ ، وكل منهم قد كشف رأسه وجعل على عنقه كفنه وبيده سيفه ومعهم نساؤهم وأولادهم ، فقصدوا باب النوبي وقبلوا الارض ، ورمى النساء براقعهن وضججن بالبكاء والتضرع ، فعرفوا قبول توبتهم ، والعفو عنهم ، وانعم عليهم بالكسوات وغيرها وعادوا الى أماكنهم » (٩٠) هذا ما ورد في كتاب الحوادث عن ظفر هذا الامير بعرب « الاجاودة » من المنتفك في ذلك العصر ، وهي حادثة تدل على شجاعة هذا الأمير وكفايته الحربية ، وكانت وفاة هذا الأمير سنة ٦٤١ اي بعد مبايعة المستعصم آخر خلفاء بني العباس بسنة واحدة ، وتكرر ذكره في كتاب الحوادث وترجم له مؤلف هذا الكتاب ترجمة حسنة نوه فيها بشجاعته وزعامته ، وذكر المناصب التي تولاها في الايام الناصرية والمستنصرية ومنها امارة الحج ثلاث عشرة حجة ، ويقول صاحب الحوادث ايضاً : فارق الحاج سنة ٦٢١ وقصد الملك الكامل صاحب مصر فتلقاه بالقبول وجعله مقدماً على امرائه ، فلما بلغه القبض على الوزير القمي وعزله سنة ٦٢٦ عاد الى بغداد وكان يحدث نفسه على ما يظهر بان يخلف الأمير جمال الدين قشتمر في منصبه فلم يجب الى ذلك فامتنع من الركوب والمشاركة في المواكب، وكان يخرج موكبه وفيه ولده نيابة عنه (١٨٩ ، ١٩٠) وانظر عن بعض آل أبي فراس الجامع المختصر لابن الساعي (٢٧١/٩) ، وعني سبط ابن الجوزي بتسجيل السنوات التي تولى =

هذا ما ورد عن الاميرين المشار اليهما من آل أبي فراس في كتاب الحوادث ، وقد ترجم ابن الفوطي لمجير الدين جعفر نزيل بغداد الأمير بالبصرة وواسط ونقل طرفاً من ترجمته عن تاريخ شيخه تاج الدين ابن الساعي قائلا « رتب شحنة بواسط والبصرة فسار فيها احسن سيرة وحمى طرقهـــا وخافه الحرامية والمفسدون وكان غالياً في التشيع ثم ذكر مفارقته للعراق الى مصر على شكل لا يختلف عما جاء في كتاب الحوادث في لفظه ومعناه [1] . ويعنى ابن الفوطي في اجزاء معجمه كافة بتراجم اعلام هذا البيت أي آل أبي فراس ، وقد وردت في الجزء الرابع من معجمه ترجمة طريفة لامير [2] من القوم .

نسب آل ابي فراس

في نسب هؤلاء الامراء الحليين من آل ابي فراس اقوال متضاربة ، فان جملة من المؤرخين والعلماء الذين سردوا اخبار هؤلاء الأمراء نسبوهم الى (النخع) والى ابراهيم ابن مالك الاشتر النخعي صاحب الامام علي بن ابي طالب ، واول من ذهب ذلك في

= فيها امارة الحاج يراجع عنها الصفحات الآتية من مرآت الزمان ط حيدر أباد (القسم الثاني الجزء الثامن ٥٥٦ ، ٥٥٧ ، ٥٦١ ، ٥٦٤ ، ٥٦٩ ، ٥٧٢ ، ٥٧٥ ، ٥٨٦ ، ٦٢١ ، ٦٢٤ ، ٦٢٥ ، ٦٣٣ ، ٦٣٥ ، ٦٣٩) .

(١) المعجم (٥/٢٨٩) .

(٢) المعجم (٤/ باب الملقبين عماد الدين) ونقلناها في الالباب أو مختارات من تلخيص مجمع الآداب ، وورد في الترجمة المذكورة ما يأتي « عماد الدين أبو المظفر محمد بن الحارث بن أبي فراس بن حسان بن جعفر ابن أبي فراس النخعي الحلي الأمير من بيت الامارة والولاية ذكره شيخنا تاج الدين ابن الساعي في تاريخــه وقال « في شهر ربيع الاول سنة ٦٣٥ الحق عماد الدين محمد بن فراس بالامراء ، ورتب شــحنة للحلة السيفية ، ثم ظهرت منه أمور اوجبت عزله فعزل سنة ٦٤٣ ورتب عوضه الاميرقطب الدين سنجر ، ثم رتب عماد الدين شحنة بالكوفة عوض الأمير ناصر الدين آقوش ثم عزل ، وذلك لمعاقرته العقار واهماله الأمور واستشهد في الواقعة سنة ٦٥٦ انظر الالباب (٣٠) ، ويلاحظ ان كتاب الحوادث خال من ذكر هــذا الامير الملقب عماد الدين وقد اقتصر فيه على أخبار مجير الدين وحسام الدين من البيت المذكور .

نسبهم الشيخ منتخب الدين علي بن عبيد الله بن بابويه في فهرسته الذي يسمى « فهرست منتخب الدين » ، ففي هذا الفهرس تعريف بالأمير الزاهد ورام بن ابي فراس مصنف المجموع المسمى « تنوية الخواطر ونزهة النواظر » بما نصه : « الأمير الزاهد ابو الحسن ورام بن أبي فراس بالحلة من اولاد مالك بن الاشتر النخعي صاحب أمير المؤمنين علي ابن أبي طالب فقيه صالح شاهدته بالحلة ووافق الخبر الخبر [1] » ورد ما يشبه ذلك في كتاب الجامع المختصر لابن الساعي في ترجمة عماد الدين ابي المظفر محمد بن ابي فراس حسام الدين جعفر بن ابي فراس النخعي الحلي الامير ، ونقله ابن الفوطي في تلخيص مجمع الآداب [2] هذا مع ان ابن الأثير ينسب هذا الامير وهو ابن اخ للشيخ ورام الى الاكراد [3] ، والى ذلك ذهب بعض الباحثين المعاصرين قائلا : « ان الامراء من آل أبي فراس الحليين من اكراد الحلة الجاوانيين ، وهي القبيلة التي نزلت الحلة السيفية في في عصر مؤسسها الأمير سيف الدولة صدفة » فعلى هذا القول يكون الشيخ ورام بن ابي فراس جد رضي الدين علي بن طاووس لامه وقد نوه بذكره كثيراً في كتبه ووصفه بالنبل والزهد ، نقول على هذا القول يكون الشيخ المذكور من الاكراد الجاوانيين ، وليس من السهل الحكم بصحة هذا النسب ، ولو صح لأيده الشيخ منتجب الدين الذي شاهد الشيخ ورّام في الحلة ، واثنى عليه ونوه بزهده وفضله وساق نسبه الى مالك بن الحارث الاشتر النخعي كما رأيت ، وقد كان الشيخ ورام من الزاهدين الصالحين في الواقع ، وليس من الزهد في شيء انتحال الانساب ، ويرجح ان احدى امهات هؤلاء الأمراء كانت من اكراد الحلة المذكورين ، ومنها لحقهم هـذا النسب الى الكردية

---

(١) مجلد الاجازات من بحار الانوار (ص ١٣) .

(٢) (المعجم : ٤/١١٨) .

(٣) الكامل في حوادث سنة ٦٢٣ .

وليس في كتب ابن طاووس الذي يشيد كثيراً بذكر جده لامه الشيخ ورام اشارة الى نسبهم في الاكراد ، وبهذا تفسر هذه النسبة الواردة في تاريخ ابن الأثير هـذا ولا مناقشة في ان الاكراد الجاوانيين اقاموا في نواحي الحلة منذ اوائل تأسيسها ، وبهم تسمى محلة الاكراد المعروفة الى اليوم في المدينة المذكورة ، وقد عنى المؤرخون باخبار القبيلة الجاوانية الكردية ومواقفها المأثورة في تاريخ العباسيين والسلاجقة في العراق وبعض الاقطار المجاورة له . وعلى كل حال فان هذا الموضوع بحاجة الى مزيد من التحقيق والدراسة .

٣٦ -- آل طاووس ومحنة التتر : سجل المؤلفان موقف التتر الفاتحين من اهل الحلة والكوفة والفرات او الاقاليم الجنوبية من العراق في كل من كتاب الحوادث ومعجم ابن الفوطي ، ففي الحوادث الجامعة يقول المؤلف بعد شرح ما وقع في بغداد من القتل العام والخراب الشامل ما يأتي : « واما اهل الحلة والكوفة فانهم انتزحوا الى البطائح باولادهم وما قدروا عليه من اموالهم ، وحضر اكابرهم من العلويين والفقهاء مع مجد الدين بن طاووس العلوي الى حضرة السلطان ، وسألوه حقن دمائهم فاجاب سؤالهم ، وعين لهم شحنة فعادوا الى بلادهم ، وارسلوا الى من في البطائح من الناس من يعرفهم بذلك فحضروا بأهلهم واموالهم ، وجمعوا مالا عظيما وحملوه الى السلطان ، وذكر مثل ذلك عن الواسطيين [1] ، هـذا ووردت لمجد الدين بن طاووس ترجمة في معجم الالقاب اشار فيها الى قيامه بأخذ الامان لاهل الحلة وما اليها من هولاكو ، وفي هذا الصدد يقول ابن الفوطي : « هو - يعني مجد الدين بن طاووس - من البيت النبوي المصطفوي كان سيداً عالماً عابداً انفذه عمه النقيب الطاهر رضي الدين ابو القاسم علي ابن طاووس بن جعفر من الحلة السيفية في ايام نزول عساكر السلطان الاعظم هولاكو

---

(١) الحوادث الجامعة (٣٣٠ ، ٣٣١) .

ابن تولي بن جنكيز خان ســـنة ٦٥٦ لدخولهم في الايلية ـ أي الالتحاق بالدولة الايلخانية (١) ـ وخلاصهم من البلية ، فيسر الله لهم الخلاص من الوقوع في ورطات القتل والأسر ، وكانت وفاته سنة ٦٥٦ (٢) ، وقال ابن عنبه عن مجد الدين هذا ما يأتي :

« خرج الى السلطان هولا كو خان وصنف له كتاب « البشارة » وسلم الحلة والنيل والمشهدين الشريفين من القتل والنهب ، ورد اليه حكم النقابة بالبلاد الفراتيـــة فحكم بذلك قليلا ثم مات دارجا (٣) » وخلاصة القول : كانت لابن الفوطي صلة وثيقة بالعلويين الحليين من آل طاووس وخصوصاً النقيب رضي الدين علي بن طاووس وابناء اخيه ومنهم مجد الدين وغياث الدين الاديب النقيب المشهور مصنف « فرحة الغري » وغيره من الـكتب اللطيفة ، وسيأتي ذكره في محله من هذا الـكتاب .

٣٧ — ثقافتنا اللغوية في عصر المغول ، حذوه الفارسية :

برع كثير من العراقيين الذين خالطوا المغول كما برع غيرهم من الشرقيين المقيمين في العراق او في حواضر الدولة المغولية بنوع من الثقافة اللغوية العالية ، وقد نشأ بينهم نقلة وتراجمة ممتازون يترجمون من اللغات التركية والايغورية والفارسية الى العربية الفصحى وبالعكس وقد حذق ابن الفوطي (٤) لغة الفرس حذقاً تاماً . وتضلع من

(١) اختزل ابن الفوطي كلمة الايلخانية بكلمة الايلية وهو يستعملها في معجمه بمعنى الدولة الايلخانية مثل قوله : « كان لا يدخل الى السلاطين الايلية الا من يعرفه » انظر المعجم (٥/٢٣٣) .

(٢) المصدر نفسه (٥/٢٢٨ ، ٢٢٩) .

(٣) عمدة الطالب ط النجف ، ١٧٩) .

(٤) [illegible] ترجمة [illegible] تهانغ [illegible] بن ابراهيم يعرف بشحنة حرتو) نزيل بغداد [illegible] وهو الترجمان في الديوان يترجم الكلام التركي والايغوري والفارسي باللغة العربية الفصيحة رأيته وهو دمث الاخلاق » المعجم (٥/٥٨٥) ، =

آدابها نظماً ونثراً كما يتضح ذلك لنا من معجمه في مواضع عدة ، فهو يذاكر شعراء الفرس وأدباءهم ويفاوضهم باللغة الفارسية والامثلة على ذلك كثيرة فيما وصل الينا من اجزاء المعجم نورده على الصورة الآتية :

١ ـ ما كتبه عن هبـة الله بن همكر الشيرازي الوزير قائلا : « رأيته بحضرة (مولانا) نصير الدين أبي جعفر محمد بن محمد بن الحسن الطوسي ، وهو ـ يعني هبة الله ابن همكر ـ شيخ مليح الهيئة حسن الشكل ، خدم في ديوان اتابك سعد صاحب شيراز . وله ديوان حسن في جميع الفنون ، كتبت عنه بالرصد سنة ٦٧٠ ، وسألته هل نظم شيئاً بالعربية ؟ فقال : لا ، ومعنى هذا ان الديوان الذي اطلع عليه مما نظم باللغة الفارسية [١] .

٢ ـ ديوان شاعر فارسي آخر اطلع عليه بخزانة كتب الرصد أيضاً سنة ٦٦٣ ، ويقول ابن الفوطي انه يشتمل على الاوصاف وغير ذلك بالفارسية [٢] .

٣ ـ ترجم لشاعر يسمى مجد الدين بهزاد البسوي ، نديم شهاب الدين سليمان شاه ابن برجم ، وصفه بملاحة النظم في الفارسية ، وانه نظم كتاب (شاهنامه) ، ولما اخذت بغداد سلم فيمن سلم ، واستوطن مراغة وتوفي بها سنة ٦٦٦ و (بسوى [٣]) التي ينسب

= وقال في ترجمة فخر الدين محمود بن محمد الخوارزمي وزير « قاآن » كان كاتباً سديداً يكتب المغولية والخوارزمية والتركية والفارسية ويتكلم بالخطائية والهندية والعربية ، وقد تقدم ذكر ولده برهان الدين مسعود بيك صاحب الحكم والحكمة الذي زاد عليه في علو الهمة . انظر تلخيص مجمع الآداب (٤ / مادة فخر الدين) وقد وضعت ترجمة هذا الوزير في غير مكانها من نسخة المعجم المخطوطة المشوشة . هذا وتجد له ترجمة في كتاب (دستور الوزراء) وسيأتي ذكر الوزير فخر الدين هذا في بعض الفصول الآتية .

(١) تلخيص مجمع الآداب (٥/٢٦٩) .

(٢) المصدر نفسه (٥/٤١٤) .

(٣) « بسوى » تقع على خمسين ميلا من الشاطيء الجنوبي لبحيرة (ارمية) زارها ياقوت ، وقال: « رأيتها ، =

اليها من اعمال مراغة مما يلي « اشنو » .

٤ ـ اورد أسماء الكواكب السبعة السيارة بالفارسية [١] .

٥ ـ قال في ترجمة عبد اللطيف بن هبة الله بن (شفروه) الاصفهاني الشاعر ، كان شاعراً مجيداً له ديوان بالفارسية يشتمل على الفنون وكان يحاضر بالاشعار العربية [٢] .

٦ ـ قال في ترجمة مجد الدين احمد بن محمود النظامي الشاعر : « هذا شاعر حافظ للاشعار الفارسية فصيح الكلام حسن النظام له بالفارسية كتابه (خسرو وشيرين) وكتاب (ليلى ومجنون) ترجمه ونظمه ارجوزه ، رأيته سنة خمس وسبعمائة في مخيم الصاحب سعد الدين رحمه الله وله فيه مدائح بالفارسية [٣] » .

٧ ـ جاء في ترجمة مجد الدين محمد بن عثمان التستري الحويزي الكاتب يعرف بابن شيحان وله الاشعار الفصيحة بالفارسية ، وهو من اكابر العصر معرفة وادباً وعلو همة [٤] .

٨ ـ مؤلف المعجم يفسر بيتاً من الشعر نظم بالفارسية ورواه في تلخيص مجمع الآداب .

٩ ـ يقرأ افصح الشعر المنظوم بالفارسية ، قال في ترجمة مبارز الدين ملك شاه ابن مكي الديلمي الصدر المؤرخ الشاعر « قدم بغداد سنة ٧٠٣ ، عالم شاعر رأيته

= اكثر اهلها حرامية ، واطرى المستوفي في نزهة القلوب بساتينها المثمرة ، والى الشمال الغربي (من يسوى) تقع مدينة (اشنه) وهي التي ضبطت بالواو في الاصل وهكذا ضبطت في نزهة القلوب للمستوفي ، ذكرها ابن حوقل ، ويسكنها الاكراد في عصره وكانت تجلب من سوادها الاغنام والدواب الى بلد الموصل ، ونواحي الجزيرة و (اشنه) مدينة كثيرة الشجر والخضر والخيرات ينتجع مراعيها اصحاب المواشي ، قال ياقوت ـ وقد مر بها ـ : « انها ذات بساتين » ووصفها المستوفي بانها واقعة في المنطقة الجبلية

(١) المعجم (٥/٢١١) .

(٢) المصدر ذاته (٥/١٦٩ ، ١٧٠) .

(٣) المصدر ذاته (٥/١٠٣ ، ١٠٤) .

(٤) المصدر ذاته (٥/٢٣٨) .

فصيح الـكلام بالفارسية وقد كتب قصة السلطان الاعظم غازان بن ارغون ، ونظم وقائعه واحواله بعبارة حسنة ، وهو كتاب نفيس ، وله اشعار مليحة بالفارسية ، وتولى العمل بنهر عيسى » [1] .

١٠ — خزانة الرصد ودواوين الشعر بالفارسية : قال في ترجمة محيي الدين محمد بن عيسى بن علي الاخسيكثي الأديب « كان من فضلاء الترك ورؤوسائهم له شعر سائر ، وديوان بالفارسية ، رأيته ، بخزانة كتب الرصد سنة ٦٦٣ » [2] .

١١ — شاعر ينظم شاهنامه ويصورها : قال ابن الفوطي في ترجمة القانع أبي الفضل احمد بن بنجير نزيل الروم الـكازروني الشاعر « نظم كتاب (شاهنامه) من أولها الى آخرها ، وتخلّص في آخر ترجمة كل سلطان بذكر (هولاكو) ومدحه ، وعرضها في الحضرة سنة ٦٦٠ هـ وقررت له المشاهرة الوافيـة والجامكية الوافرة ، يقول المصنف ورأيت هذه النسخة في ثلاثة مجلدات قطع النصف ، وقد صورها وهي بخزانة كتب الرصد ، ثم نقل بعض ابياتها الفارسية على وجه يدل انه من حذاق الأدب الفارسي كما قلنا غير مرة [3] ، والواقع ان ابن الفوطي اعتاد رواية جملة من ابيات الشعر الفارسي أو مقطعاته لشعراء أو ادباء من الفرس أو من المشاركين في آداب اللغتين العربية والفارسية ، ومن تصفح ما بقي من اجزاء معجمه المذكور تحقق له ذلك .

وفي وسعك ان تقول ان مؤلف الحوادث الجامعة كان يعرف الفارسية استناداً الى المواضع الآتية من كتابه المذكور .

---

(١) المعجم (٥/٤٠) .

(٢) (٥/٤١٤) .

(٣) انظر ترجمة هذا الشاعر فى الجزء الرابع من المعجم المذكور وفي اللباب او مختارات من تلخيص مجمع الآداب .

١ — جاء في قصة مقتل شمس الدين الجويني صاحب ديوان الممالك من كتاب الحوادث ما يأتي «لما أحضر ليقتل سأل المهلة ساعة يوصي بها فأمهل. فكتب بخطه وصية بالفارسية قال في آخرها : « فان وجد النظار فيها خللا فلا غرو فاني سطرتها وأنا عريان، والسيف مشهور » فهذه ترجمة حسنة لما جاء في وصية شمس الدين الجويني تدل على حذق اللغة الفارسية كما ان مضمون هذه الوصية يدل على ثبات ورباطة جأش لدى هذا الامير المقتول في تلك الساعة .

٢ — في الحوادث الجامعة فصل عن استئصال الطاغية أرغون لبقية آل الجويني وتوجع الناس لهم، وقد ورد في هذا الفصل خبر مقتل صبي منهم اسمه (فرج الله) قال المؤلف « واما فرج الله فانه كان صبياً في المكتب فلما اخرج ليقتل توهم انهم يريدون تأديبه لئلا ينقطع عن المكتب، فجعل يقول بالفارسية (والله ما بقيت انقطع عن المكتب) فرقت الناس له . هذا ما قاله صاحب الحوادث الجامعة وقد وقع ذلك في مدينة تبريز (١) .

٣ — في كتاب الحوادث الجامعة المذكور حديث اقتضى ان يستشهد شخص فارسي من أهل شيراز بمثل شبهه المؤلف بقول الشاعر :

من لم يمت يومه يموت غداً   أو لم يمت في غد فبعد غد (٢)

حلية الانسان لابن مهنا الحلي (٣)

في أوائل النصف الثاني من المائة السابعة استولى المغول على العراق، وازالوا الدولة

---

(١) كتاب الحوادث : (٤٦٢)

(٢) المصدر ذاته : (٤٦٣)

(٣) من بحث لمؤلف هذا الكتاب القي في مؤتمر المجمع اللغوي لدورته الخامسة والعشرين بعنوان : « ثقافتنا اللغوية في عصر المغول » وقد احتفل بافتتاح هذه الدورة في صباح الاثنين ٥ جمادى الثانية سنة ١٣٧٨ (١٩٥٨/١٢/١٥) واختتمت يوم الاحد ٨ رجب سنة ١٣٧٨ (١٩٥٩/١/١٨) وموضوع هذا البحث يتصل بهذا الفصل من فصول الكتاب بل هو متمم له لا يخلو الحاقه به من فائدة، وقد تم القاء هذا البحث في جلستين من جلسات المؤتمر اللغوي تاريخ الجلسة الاولى ١١ جمادى الثانية سنة ١٣٧٨ (١٩٥٨/١٢/٢٨) والثانية ٢١ جمادى الثانية سنة ١٣٧٨ (١٩٥٩/١/١) .

العباسية من الوجود . وذلك بعد استيلائهم على المشرق وبلاد فارس حيث قامت لهم دولة معروفة تسمّى « الايلخانية » وقد تسمّى « الايلية » اختزالا ، وأول من اطلق عليها هذا الاسم المختزل مؤرخ العراق ابن الفوطي ، فعل ذلك اكثر من مرة في معجمه ، والمغول في الأصل قبائل بدوية جافيـــة مواطنها الاصلية معروفة في الشرق الاقصى ثم بدأت تزحف وتجتاح مراكز الحضارة الاسلامية منذ مستهل المائة السابعة ولم يكن لحـكامهم بد من الاستعانة في ادارة شؤون هذا الملك العظيم بطبقة ممتازة من أهل البلاد الاسلامية المغلوبة على أمرها فرساً واتراكا وعرباً الى عناصر اقوام آخرين .

لم يمتنع المغول من الأخذ بمقومات الحضارة الاســلامية ، ولم يعترضوا على انشاء المدارس والمعاهد العلمية ، ولهذه العلة اخذت بطانة المغول من هؤلاء المسلمين غالباً بضبع المؤلفين في اللغتين الفارسية والتركية مضافا الى العربية . وشاع استعمال لغة المغول نفسها في البلاد التي خفقت عليها رايات الدولة الجديدة . واضطر الى التخاطب بها عـــدد غير قليل من العراقيين والناس على دين ملوكهم ولا مناص للمغلوب من تقليد الغالبين .

عنيت هذه الطبقة من العراقيين بدرس اللغات الثلاث المذكورة ، التي عرفت في العراق على ذلك العهد درساً واسعاً تناول قواعدها ونحوها وتعريفها فضلا عن المواد والالفاظ ، ووضعوا رسائل وكتباً في فنون اللغات الثلاث وألف آخرون فيها بعض المعجمات .

عرف اثنان من علماء العراق في أواخر المائة السابعة بحـذق هذه اللغات الشرقية والتأليف فيها أولهم العـــالم الاخباري المصنف جمال الدين بن مهنا ، والثاني الفيلسوف المصنف كمال الدين عبد الرزاق بن احمد المعروف بابن الفوطي مؤرخ العراق المشهور .

والخلاصة : هذه المامة بالجهد الذي بذله هذان العالمان العراقيان في هذه الناحية .

جمال الدين بن مهنا :

جمال الدين احمد بن علي بن حسين بن مهنا الحلي العبيدلي المؤرخ المصنف من اعلام أواخر المائة السابعة في العراق ومن اجل مشايخ ابن الفوطي نقل عنه وعن مصنفاته كثيراً في كتابه « تلخيص مجمع الآداب » وبالغ في الثناء عليه والتنويه بذكره ويلقبه « العلامة » وابن مهنا هذا من الاعلام الذين عنيت كثيراً بدراستهم والبحث عن سيرتهم والتنقيب عن مصنفاتهم وجمع اخبارهم في الفترة المذكورة ، وهو جدير بذلك لانه مصنف مجوّد عني بتاريخ بلاده في عصر عصيب هو عصر الدولة المغولية . وقد سمى له ابن الفوطي في كتابه تلخيص مجمع الآداب الكتب الآتية :

« وزراء الزوراء » ، « لطائف المعاني في شعراء زماني » ، « المشجّر في الانساب » وهذه الكتب الثلاثة من مصادر ابن الفوطي في معجماته التاريخية . ولابن مهنا هذا كتاب لغوي طريف سماه : « حلية الانسان وحلبة اللسان » .

ضاعت جل مؤلفات ابن مهنا ومن جملتها هذه الكتب فلم نظفر بواحد منها حتى اليوم اذا استثنينا هذا الكتاب ، ويلاحظ ان جمال الدين بن مهنا من جملة اعلام العراق الذين اختلطوا برجال الدولة المغولية الايلخانية ، واتصلوا بمختلف طبقاتها ، وتمكن من درس تلك اللغات الاعجمية التي شاعت في العراق على عهده حتى استطاع ان يؤلف فيها كتاب « الحلية » المذكور ، وفي الكتاب فصول مفيدة عن خصائص اللغات المذكورة ، ونوادرها وقواعدها ، نحوها وصرفها الى بحوث مقارنة بين العربية ، وهذه اللغات ، من النواحي المذكورة .

ويبدو لنا من تضاعيف هذا الكتاب ان ابن مهنا عني قبل استيلاء المغول على العراق بدراسة لغات عدة عدا لغته العربية وتضلع في الدراسات المذكورة حتى جارى او فاق

الحذاق البارعين فيها من ابنائها كما يستفاد من دراسة كتابه المذكور ، ولا نبالغ اذا قلنا انه أول عالم عربي عني بهذه الدراسات . ومما لاشك فيه ان الفارسية ومن بعدها التركية نالتا حظاً من عناية بعض العراقيين في عصر الديالمة ومن بعدهم السلاجقة ، وسبق ذلك كما لا يخفى عصر الانتعاش المعروف في آداب اللغة الفارسية في اقاليم خراسان وبلاد فارس على عهد السامانيين وآل سبكتكين .

لم توجد من هذا الكتاب نسخة في العراق وطن المؤلف ، وانما وجدت بعض نسخه في بعض مكتبات الاستانة ودور التحف في الغرب ، وعني بعض المستشرقين الروس بنشر بعض اقسامه بين سنة ١٩٠٠ و ١٩٠٣ وعني بعد ذلك بعض علماء الترك باقتناء نسخ خطيّة عدة من الكتاب ومقابلة بعضها ببعض ، ونشر الكتاب باشراف وزارة المعارف التركية ، وليس في هذه النسخ المخطوطة جميعها ما يدل على اسم الناسخ وتاريخ النسخة وعلى كل حال لم يظفر هؤلاء الباحثون بنسخة الأصل من هذا الكتاب لأن المؤلف عني بنسخته وعلّم على مواضع منها بالحمرة كما أشار بنفسه الى ذلك (ص ٧٤ من المطبوع) هذا وقد خلط المستشرقون في محاولة الاهتداء الى اسم المؤلف وعصره وتوهّم بعضهم انه من تأليف مهنا بن عيسى احد أمراء البادية لمجرد الاشتراك في التسمية ، ولم ينتبه الى معرفته اجمالا الا بعض علماء الأتراك وظلت تفاصيل أحواله مجهولة الى أن تهيأ لنا بفضل الله تعالى وضع بحث خاص في تعريف هذا العالم الجليل أوردناه في موضعه من هذا الكتاب .

محتويات الكتاب

والكتاب يحتوي على ثلاثة أقسام : القسم الأول في اللغة الفارسية والثاني في التركية والثالث في المغولية ، والغالب ان المؤلف اعتمد على بعض المراجع والكتب المعتبرة المؤلفة في هذه اللغات، وهناك كتب أربعة ورد ذكرها فيه الأرجح انها هي المقصودة

بكلمة وردت في المقدمة ، وهذه اسماء الكتب المذكورة

١ — نادر الدهر على لغة ملك العصر [١] .

٢ — الكتاب الذي ألفه محمد بن قيس لجلال الدين خوارزم شاه ملك خراسان نقل عنه مرتين [٢] .

٣ — كتاب حلى الملك [٣] .

٤ — كتاب « تحفة الملك » [٤] .

٥ — كتاب طبايع الحيوان [٥] الذي صنفه شرف الزمان الطبيب المروزي وذكر فيه نواحي الصين والترك للسلطان محمود سنة ٤١٨ ، ويلاحظ ان أربعة من هذه الكتب ذكرت في قسم اللغة التركية .

هذه هي الكتب التي سماها المؤلف وورد ذكرها في الكتاب واشار اليها في مقدمته ، ويقول ابن مهنا في ديباجة كتابه ما يأتي : « وبعد فقد كنت استهجن للحافظ المحصّل والتاجر المتوصل ان يعري كل منهم نفسه في حال حفظه ودرسه او خفضه وانسه من تعلم لغة يستعين بها في تغرّبه وسفره وتطلبه ومتجره ، اما لجلب نفعه او لدفع ضرره او تحصيلا لمزية الكمال او رفعاً لهمته عن العجز والاغفال او رجاحة على اترابه ، فانضاف الى ذلك تملك قبيلي الترك والعجم قرن الله الفوز والخير بدولتهم لهذه البلاد . فتأكدت الضرورة إذ هم حكام البلاد والعباد وسلاطين الحاضر والباد ، ووضح معنى المثل المسلوك من قولهم : الناس على دين ملوكهم ، فعطفت حينئذ على وضع من اللغات قريب الالتماس

(١) الحلية (٧٨) .
(٢) « ٩٣ و ١٠١ » .
(٣) « ٩٦ » .
(٤) « ١٢٩ » .
(٥) الحلية (١٨٥) .

بعيد عن الالتباس محتو على ثلاثة اقسام متحرياً من كل لغة اكثرها استعمالا واشهرها مقالا اخذاً من الألسنة الفصيحة والكتب الصحيحة .

هذا بعض ما قاله جمال الدين ابن مهنا في مقدمة كتابه ، وقد كسر المؤلف قسم اللغة الفارسية على ثمانية وعشرين باباً تتخللها فصول : اولها اسماء الله تعالى واخرها الامثال وبينها فصول في قواعد هـذه اللغة وشواذ الألفاظ ، ونجد في الكتاب بحوثاً نحوية في الأبواب الآتية :

الجمع والتصغير النسب . النفي و السلب . المفاضلة . التنكير والتعريف . الاضافات . وعقـد الفصل الثاني عشر في الحروف الزائدة ، وفي هـذا الفصل يقول : « اعلم ان في اللغة الفارسية حروفاً لا يؤمن على متعلمها من الكتاب ان يخفف مثقلها أو يثقل مخففها . وأجدر بالمربى ذلك لأنها ليست في كلام العرب ، فان اخل يضبطها بعد المعنى بل فسد، وتلك الحروف خمسة : الجيم والزاء والفاء والباء والكاف» هذا ما قاله ابن مهنا ورسم المؤلف تحت كل من هـذه الحروف ثلاث نقط للتفريق بين صورها وصور الحروف العربية كما عقد فصلا عن الحروف الناقصة في الفارسية قال فيه أعلم ان حروف اللغة الفارسية تنقص عن حروف اللغة العربية سبعة أحرف لا توجد في كلام العجم أربعة منها مضطردة متجانسة وهي الصاد والضاد والطاء والظاء وثلاثة منفردة وهي « العين والثاء والقاف » .

قسم اللغة التركية في الكتاب

وهو يتلو قسم اللغة الفارسية ، وفي هذا القسم أبواب وفي كل باب فصول ونجـد فيه بحوثاً في الموضوعات الآتية : هجاء اللغة التركية . نواقص حروفها عن حروف هجاء العربية . انفراد التركية عن العربية بزيادة خمسة أحرف لا توجد في العربية . وهي « پ چ ژ ڤ گ » وعلامة هذه الحروف نقط ثلاث مثناة رسمت تحت الحرف

بشكل نقط الثاء في العربية ، ثم أشـــار المؤلف الى صور النطق بهذه الحروف فقال « والنطق بحرف الكاف التركية كما ينطق البدوي بعقد الكاف » ، وفي آخر هذا الفصل قال ابن مهنا « اعلم ان اللغة التركية منشأها بالاصالة عن أهل تركستان كما العربية عن أهل الحجاز وشأن النطق بها - سرعة التكلم وانطلاق النطق واختلاف الحروف وقلة المد وكثرة الهمز ، واعلم انك لا تجـــد في اللغات لغة أكثر ابدالا للحروف المتقاربة المخارج من لغة الترك ، ولا أكثر امالة واشماماً للحركات » قال بن مهنا ذلك وانتقـل بعده الى ايراد شواهد وأمثلة من هذا الباب تدل على تبحر في فنون اللغة المذكورة .

قسم اللغة المغولية

وهذا القسم يشتمل على خمسة وعشرين باباً تتخلله فصول ، وهو أبسط الاقسام ، ويلاحظ ان البحوث في القواعد العامة من هذا القسم قليلة إذا استثنينا نتفاً في أحوال الافعال والضمائر في اللغة المغولية ، ومعظم القسم المذكور مخصص لذكر الاسماء والافعال في اللغة المذكورة . قال ابن مهنا في آخر هذا القسم وهو خاتمة الكتاب « اعلم ان الأعاجم تأخذ ألفاظاً كثيرة عن العرب تستعملها في لغتها والترك تأخذ عن الأعاجم ما تدخله في ألفاظها ، أو ما لا يكون له مسمى عندهم أو متعذر الوجود . ولسان المغول يتداخله كثير من الألفاظ التركية . وكذلك حال الأرمن والكرج في أخذهم ألفاظاً كثيرة من الرومية وجميع ذلك أو ما يناسبه انما هو لقرب المجاورة وكثرة المحاورة واجتـــذاب الاقل من الاكثر طلباً للتمام والكمال » .

ابن الفوطي . تضلعه في آداب اللغات الاعجمية

تضمن القسم الاول من هذا البحث نبذة عن تحديد عصر المغول وأنه عصر عصيب لم يجد العراقيون بداً من درس بعض اللغات الاعجمية التي استخدمها الفاتحون في

الدواوين وكانوا يترسّلون بها أو يتحدثون، وأشهر هـذه اللغات ثلاث (الفارسية والتركية والمغولية) .

كانت الفارسية احدى اللغات التي عولوا عليها في الدواوين، وفي كتابة الرسائل والفت فيها كتب غير قليلة في الفترة المذكورة بيد انها لم تلحق شأو العربية في ذلك وجاءت التركية بعد الفارسية، وكثراستعمال المغول وغيرهم لها في الاحاديث والمخاطبات لكثرة عدد الالفاظ التركية الواردة في كلام المغول، أما المغولية فكانت لغة رجال الجيش، والقادة وفريق من ذوي المناصب، والغالب أن المغول من هذه الطبقات كانوا حريصين حرصاً شديداً على الاحتفاظ بلغتهم في الحديث والمخاطبات فانها لغة تلك القبائل البدوية الغازية التي اجتاحت الشرق من بخارى وتركستان فيما وراء النهر ثم عبرت في موجات جارفة الى بلاد خراسـان وفارس واذربيجان والروم والعراق الى اقليم حلب والشام، ولم تكن هذه اللغة صالحة للكتابة والتأليف كما هو الحال في الفارسية والتركية وان كانوا يكتبون أحياناً بها في ذلك العهد، ولكن الضرورة الجأت فريقاً من ابناء العراق الى تعلم اللغة المغولية المذكورة، كما الجأت أخرين الى حذق الفارسية والتركية .

اشتهر اثنان من اعلام العراق الذين وصلت الينا تآليفهم بحذق هذه اللغات .

أولهما : ابن مهنا وقد مضى التعريف به وبكتابه النفيس الذي اسماه « حلية الانسان وحلبة اللسان » ، وهو في جملته بحث مقارن دقيق في هذه اللغات يدل على حذق، ومهارة واحاطة تامة بفنون اللغات المذكورة .

أما العالم الثاني من علماء العراق الذين دلّت مصنفاتهم على تبحرهم وحذقهم في هذه اللغات الثلاث، فهو مؤرخ العراق كمال الدين عبدالرزاق احمد بن محمد الشيباني البغدادي المعروف بابن الفوطي، وقـد افردت لترجمته، والبحث في سيرته، والتعريف بمصنفاته هذا الكتاب، ولم يكن ابن الفوطي مختاراً في تعلم تلك اللغات الى حـد

الأحاطة بها وبلهجاتها وخصائصها وآدابها ، وانما تعلمها بعد وقوعه أسيراً بأيدي المغول في واقعة بغداد فابعد عن العراق ، وخالط المغول فصار يرحل برحيلهم ، وينزل بنزولهم ويعيش في معسكراتهم او ثكناتهم ، ومعنى الأسر في تلك العصور لا يعدو الاستعباد ومعنى الأسير المستعبد المكدود .

هكذا بقي ابن الفوطي الاسير فترة من الزمان تعلم فيها المغولية والتركية . وكان قبل ذلك عارفاً بالفارسية، والظاهر أن المسلمين من رجال الديوان في الدولة الايلخانية المغولية فطنوا الى عناء الاسرى العراقيين المستعبدين في معسكرات المغول فعنوا بانقاذهم أو انقاذ من تمكنوا من انقاذه منهم ، وكان ابن الفوطي في جملتهم ، وحينما توسموا فيه الذكاء النادر والاجتهاد البالغ ألحقوه بمعاهدهم العلمية ، وكان لنصير الدين الطوسي اليد الطولى في تعليمه وتخريجه في العلوم والفنون الرياضية والفلسفية وفي اكبابه على التصنيف وانقطاعه للبحث والدراسة حتى خرج عنه عدد لا يستهان به من أنفس المؤلفات في التاريخ والأدب والفلسفة والفنون الرياضية والعلوم الشرعية خاصة علم الحديث ، وأشهر مصنفاته كتابه الذي سماه « مجمع الآداب » لخصه في نحو ستة اجزاء من أصل خمسين مجلداً وقع الينا منها جزءان نادران بخط المؤلف المذكور .

على ما وقع الينا من أجزاء هذا الكتاب عوّلنا في دراسة عصر المغول في العراق ومميزات العصر المذكور، فان ابن الفوطي رسم لنا صورة حيّة من تاريخ العراق واحواله الاجتماعية والثقافية والسياسية .

يترجم ابن الفوطي في معجمه لعـــدد من حذقة اللغات الاعجمية الثلاث منوّهاً ببراعتهم وحذقهم فيها ، واكثرهم من كبار رجال الديوان والاعمال في عصره ، وممن اسندت اليهم المناصب العليا في الدولة علميـة وادارية وسياسية وفيهم جماعة من العراقيين او نزلاء العراق من جوالي الترك والفرس والمغول .

كان ابن الفوطي نفسه يجيد التحدث والكتابة في اللغات الاعجمية المذكورة وخاصة اللغة الفارسية ، بل كان يعاني النظم في اللغة المذكورة وفي معجمه امثلة من نظمه في تلك اللغة ، وما من شك في انه كان يحسن التحدث باللغتين التركية والمغولية وشأنه في ذلك شأن استاذه ابن مهنا أن لم يزد عليه ، وفي معجمه مايدل على أن خبرته في هذا الشأن تناولت معرفة اللهجات المغولية والتركية على اختلافها وتعددها ، ومعنى ذلك أنه مارس المغول واندمج في بيئتهم ولولا أن ابن الفوطي وهب دقة الملاحظة ولطف النظر لما رأينا له تلك الخبرة في اللهجات المغولية ، والامثلة على ذلك غير قليلة في معجمه ، من ذلك ما قاله في ترجمة هزّال عراقي يتكلم المغولية وهذا نصه :

« جمال الدين أبو المحاسن أحمد يعرف بابن الشديدي له نظم حسن وكان يلبس القميص والقباء » ومعنى قوله هذا أن زيهم في مراغة واذربيجان كان زي المغول وهو السراويل والصدريات المتخذة من اللباد والفراء والصوف فلا قميص ولا قباء في بلاد المغول ومعنى ذلك ايضاً ان ابن الشديدي المذكور كان محافظاً على زيه القومي في ديار العجم . ويقول ابن الفوطي بعد ذلك عن ابن الشديدي هذا ما نصه : « وكان يتكلم المغولية بدون تفخيم الالفاظ من غير معرفة بها » ومعنى هذا القول أن منطق المغول يتميز بتفخيم الالفاظ ، ولا يلاحظ ذلك طبعاً الا من كانت له خبرة بلهجات المغول وفي آخر هذه الترجمة يقول ابن الفوطي : « ذكرته في التاريخ » وتوفي شهر ربيع الآخر سنة ٦٧٥ هـ .

ويقول أيضاً في ترجمة مظفر الدين فتلغ ابن ابراهيم يعرف بشحنة حربي نزيل بغداد التركي الأمير الترجمان ، شاب كيس وهو من أولاد الأمراء وهو الترجمان في الديوان يترجم الكلام التركي والايغوري والفارسي باللغة العربية الفصيحة والعبارات المترجمة الصحيحة رأيته وهو دمث الاخلاق .

وفي ترجمة فخر الدين محمود بن محمد الخوارزمي يقول ابن الفوطي كان من أعيان وزراء جنكيز خان وعليه مدار الملك في المشرق واليه تدبير ممالك تركستان وبلاد الخطا . ـ وقد تكتب الخنا بالتاء ـ وما وراء النهر وخوارزم وكان مع هذا الدهاء كاتباً سديداً يكتب بالمغولية والخوارزمية والتركية والفارسية الخطائية . (لهجة من لهجات تركستان) والهندية والعربية، وكان غاية في الفهم والذكاء والمعرفة ، وبتدبيره السديد انتظم للمغول ملكهم . وختم ابن الفوطي ترجمة هذا الوزير بالاشارة الى ذكر ولده برهان الدين [1] .

ابن الفوطي وآداب اللغة الفارسية

للعراقيين منذ القديم المام باللغة الفارسية أكثر من أي لغة شرقية أخرى والى رابطة الجوار وغيرها من الصلات الثقافية والاقتصادية مردّ عناية من عنى منهم باللغة المذكورة والواقع ان درس الفارسية في العراق قديم يرجع الى عصر الفتوح بل الى ابعد من ذلك أي الى عهد الساسانيين في العراق قبل الاسلام، وفي تاريخ المناذرة ملوك الحيرة وصلاتهم بالفرس شواهد كثيرة على ذلك ، ومن هذه الناحية نلاحظ ان عدد الالفاظ الفارسية المعربة تربو على عدد الالفاظ المعربة من الهندية والاغريقية والسريانية والعبرية والحبشية .

فلا عجب إذا شاع استعمال الفارسية اكثر من غيرها في عصر المغول ما بعده من العصور ، ولا بدع اذا ظهر من العراقيين نقله وتراجمه حذاق من اللغة الفارسية الى العربية وبالعكس، وهكذا قل في اللغتين التركية والمغولية في عصر المغول .

حذق ابن الفوطي لغة الفرس حذقاً تاماً واطلع على آدابها نظماً ونثراً كما يبدو

---

(١) راجع هامش الصفحة (١٩١) من الكتاب ، وورد ذكر فخر الدين (يلواج) هذا اكثر مرة في تاريخ مختصر الدول ، ولقب الصاحب المعظم ، وانه حاكم البلاد الشرقية من شاطيء جيحون الى منتهى بلاد الخطا وذلك في منتصف المائة السادسة انظر المختصر المذكور ٤٤٩ .

لنا ذلك واضحاً من مواضع كثيرة في معجمه ، فهو يذكر شعراء الفرس وادباءهم ويشير الى مميزات كل واحـد منهم وخصائص أدبه ويترجم لهم ويذكر أيضاً مفاوضته ومذاكرته لهم بالفارسية ، والأمثلة على ذلك كثيرة فيما وصل الينا من أجزاء معجمه ، من ذلك ما كتبه عن هبة الله بن همكر الوزير الشيرازي قائلا : « رأيته بحضرة مولانا نصير الدين أبي جعفر محمد بن محمد بن الحسن الطوسي ، وهو - يعني هبة الله الشيرازي - مليح الهيئة حسن الشكل خدم في ديوان اتابك صاحب شيراز ، وله ديوان حسن في جميع الفنون كتبت عنه بالرصد سـنة ٦٧٠ وسألته هل نظم شعراً بالعربية فقال : لا » [١] ومعنى هذا ان ديوان ابن همكر الذي اطلع عليه مما نظم باللغة الفارسية وان ابن الفوطي فاوض صاحبه باللغة المذكورة .

قرأ ابن الفوطي أضخم مجموعة شعرية من دواوين شعراء العجم المعروفة في عصره ورسائل المترسلين بالفارسية قلما قرأها غيره . ولا نستثني من ذلك كثيراً من أدباء الفرس أنفسهم وفي جملة هذه المجموعة الشعرية الضخمة دواوين لأشعر شعرائهم في عصور السامانيين والسلاجقـة وعصور المغول بعد ذلك ، وهو يعنى بذكر هذه الدواوين ديواناً ديواناً وكتاباً كتاباً .

وما أكثر الامثلة على ذلك في كتابه ، فهو يقول في ترجمة كريم الدين بن ابراهيم السروي من رؤساء أذربيجان [٢] ما يأتي : رأيته « بسراو » سنة ٦٧٢ وكان قدحصل لي بخدمته انس وحمل الي مـدة اقامتي بسراو دواوين العجم كديوان « المعزي » [٣]

---

(١) المعجم ٥ : مادة مجد الدين .

(٢) المعجم ٥ : مادة كريم الدين .

(٣) من شعراء ملك شاه السلجوقي ، وعدد أبيات ديوانه خمسة عشر الف بيت .

وديوان « المنصري » [1] وديوان « اللامعي » الى غير ذلك ، وهي دواوين ومجاميع شعرية معروفة في تاريخ آداب اللغة الفارسية اكبّ ابن الفوطي على قراءتها لما كان نزيل « سراو » من بلاد اذربيجان .

والخلاصة جاءت بحوث ابن الفوطي عن أولئك الشعراء وعن الأدب الفارسي بشكل عام متميزة بالدقة موسومة بالعمق والتحقيق ، فلا نبالغ إذا قلنا ان صاحبنا كان اماماً يرجع الى رأيه في آداب اللغة الفارسية .

هذا قليل من كثير من الشواهد الواردة في معجم ابن الفوطي الدالة على تضلعه في آداب تلك اللغات الاعجمية ، وفي وسعنا مضاعفة الشواهد المذكورة ولكنا نكتفي بهذا المقدار .

٣٨ — أحياء بغداد في الكتابين : تكرر ذكر « الخاتونية » في مجمع الآداب وفي كتاب الحوادث ، وهي محلة كان يسكنها آل الفوطي في بغداد قبل الواقعة [2] والجعفرية ايضاً محلة سكنها ابن الفوطي نفسه على ما جاء في معجمه لما عاد الى بغداد من مراغة سنة ٦٧٨ أو سنة ٦٧٩ ، ذكر ذلك غير مرة في تلخيص مجمع الآداب ، ولا نعرف مؤرخاً آخر سكن في ذلك العصر محلة الجعفرية وذكر حوادثها . قال في ترجمة قطب الدين الجيلي من احفاد الشيخ عبد القادر الجيلي مانصه « لما دخلت بغداد وسكنت بمشهد (البرمة) من محلّة الجعفرية كان يتردد الي وحصل لي به الانس التام » هذا ما قاله ابن الفوطي في

---

(١) المتوفى سنة ٤٥٠ له ديوان في نحو ثلاثين الف بيت .

(٢) كتاب الحوادث (٢٢٤) والخاتونية كما يظهر من معجم ابن الفوطي محلتان خاتونية داخلة وهي المحلة القديمة وخاتونية خارجة استجدت بعد ذلك ، والظاهر ان بعض محلات بغداد اتسعت في عصر المغول ، واضيفت اليها أقسام جديدة .

معجمه [1] ، وكان بهذه المحلة مدرسة كما يستفاد من بعض كتب التاريخ .

٣٩ — نصير الدين الطوسي واولاده في الكتابين : ينوه مؤلف كتاب الحوادث بذكر نصير الدين الطوسي وأولاده، ومما قاله في هذا الصدد عند فتح المغول لقلعة «الموت»: سنة ٦٥٤ « خرج الامام العلامة نصير الدين محمد بن محمد الطوسي وكان في خدمة علاء الدين محمد بن الحسن الاسماعيلي، وحضر بين يدي السلطان فحظي عنده وانعم عليه فعمل الرصد بمراغة سنة ٦٥٧ » [2] وورد في تلخيص مجمع الآداب مثل ذلك عن نصير الدين الطوسي وتردد ذكره كثيراً في هذا الكتاب .

يؤرخ مصنف الحوادث وفاة نصير الدين الطوسي سنة ٦٧٢ ويقول بعد ذلك في تأبينه : «كان فاضلا عالماً كريم الاخلاق حسن السيرة متواضعاً لا يضجر من سائل ولا يرد طالب حاجة ، كان مولده سنة ٥٩٧ ورثاه الشعراء ، ومن ذلك قول

(١) المعجم ٤ / مادة قطب الدين ، وراجع عن الجعفرية مادة (آجر) من مراصد الاطلاع وتكرر ذكرها فيه ، وورد ذكرها في كتاب الحوادث غير مرة . انظر (٣٠٤ ، ٤١٣) ، وتجد بحثاً عن محلة الجعفرية وغيرها من المحال في هامش الصفحة ٢٨ ، ٢٩ من هذا الكتاب . وهذه المحلة — اعني الجعفرية — ذكر في كامل التواريخ (١٢/٢٨٥) ومعجم ابن الفوطي (٤/٣٣٦) من النسخة المخطوطة ويرد كثيراً في الكتابين ذكر باب الظفرية والحلبة وهما من المحلات المعروفة في جهات باب الازج او باب الشيخ الآن .

(٢) تجد أخبار الطوسي في الصفحات الآتية من كتاب الحوادث (٣١٤ ، ٣٥٠ ، ٣٦٥ ، ٣٧٥) ومن ذلك خبر عن وصوله الى بغداد في ركاب السلطان أباقا بن هولاكو ، حيث تصفح احوال الوقوف وقرر القواعد في الوقف واصلحها بعد اختلالها . ويلاحظ ان النظر في امر الربط ومشيخة الصوفية وبعض المدارس من الامور المردودة الى نصير الدين في العصر المذكور ، وتجد أخباره أيضاً في الصفحات الآتية من المعجم ٥ : ق ٢ : ٢٦ ، ٧١ ، ١٠٩ ، ١١٦ ، ١٤٠ ، ١٥٢ ، ١٦٢ ، ٢٣٦ ، ٢٥٠ ، ٢٨٧ ، ٢٨٨ ، ٢٩٢ ، ٢٩٥ .

بهاء الدين ابن الفخر عيسى الاربلي المنشىء فيـــه وفي الملك عزالدين عبـد العزيز بن جعفر » (١) :

ولما قضى عبد العزيز بن جعفر	وأردفـــه رزء النصير محمـــــد
جزعت لفقدان الاخلاء وانبرت	شــؤوني كرفض الجمان المبدد
وجاشت اليّ النفس حزنـاً ولوعة	فقلت : تعزي واصبري فكأن قد (٢)

ومن المفيد ان نقول بهذه المناسبة : ان كثير من المؤرخين على الخواجه نصيرالدين الطوسي ومنهم أبو الفداء صاحب حماه في مختصره وذلك عند الاشارة الى سنة وفاته ، ويراجع عن اتصال نصيرالدين الطوسي بالاسماعيلية واسباب حقده على المستعصم ترجمته في كتاب مجالس المؤمنين للتستري (٣) .

انجب نصير الدين الطوسي عدة أولاد اصبحوا بعد وفاة أبيهم من رجال الدولة المغولية المعـدودين وتقلدوا المناصب التي تقلدها أبوهم قبل ذلك في أشهر الأقاليم التي كانت تابعة للمغول الايلخانيين ، ومن ذلك فارس واذربيجان واران والعراق ، ولم يفت صاحب الحوادث أيضاً ـ كابن الفوطي ـ سرد سيرتهم واحوالهم والاشارة الى تصرفهم وتقلبهم في المناصب الكبيرة في حوادث سنة ٦٨٣ وسنة ٦٨٧ ، من ذلك قوله : « ووصل بعد ذلك فخر الدين أحمد بن خواجا نصير الدين الطوسي ، وقـــد اعيد امر الوقوف بالممالك جميعها اليه ، وحذفت الحصة الديوانية في الوقوف ووفرت على اربابها (٤) » ويلي ذلك اشارة الى أشخاص قلدهم فخر الدين الطوسي ادارة شؤون الاوقاف نيابة عنه

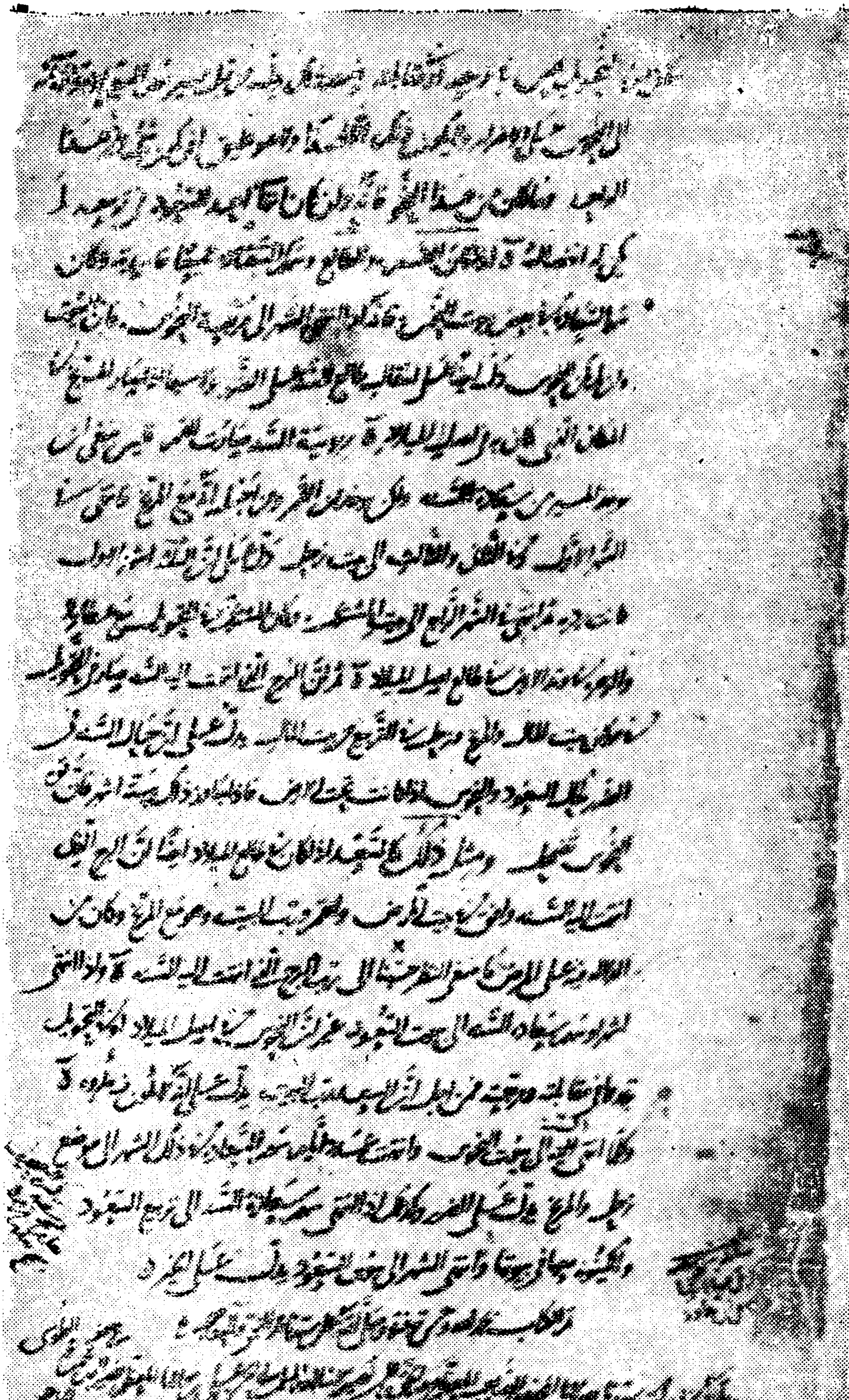
---

(١) المعجم (٤/مادة عز الدين) .

(٢) كتاب الحوادث (٣٨٠ ، ٣٨١) .

(٣) المجالس (٣٢٩) .

(٤) كتاب الحوادث (٤٤٣) .



« نموذج من خط ابن الفوطي »

في آخر نسخة من كتاب الأحكام نسخها المؤرخ بمنزله في محلة الخاتونية الخارجة من شرقي مدينة السلام سنة ٦٨٠ لخزانة ابي الحسن علي بن نصير الدين الطوسي .

في العراق ، هذا ولاولاد نصير الدين الطوسى ومنهم « فخر الدين » و « أصيل الدين » و « صدر الدين » اخبار في كتاب الحوادث[1] وتلخيص مجمع الآداب[2] على وجه يتضح منـه أن ابناء الطوسى كوالدهم كانوا معنيين بشؤون ابن الفوطي المؤرخ ، وكان هو وثيق الصلة بهم منقطعاً اليهم ينوه بمآثرهم ويخلع عليهم افخم الالقاب ولا يذكر منهم أصيل الدين الحسن أو فخر الدين أحمد إلا قال : « الصاحب » أو « الصدر » والامثلة على ذلك غير قليلة في معجمه ، منها ما جاء في ترجمة مؤدب كان وثيق الصلة به كتب عنه وفي آخر ترجمته يقول « حضر مجلس مولانا الصدر الصاحب المعظم فخر الدين أحمد بن مولانا نصير الدين سنة ٦٨٣ »[3] وقال في ترجمة سبطه مجد الدين الخراســاني المراغي المؤدب « له ذهن حاضر . وعلى ذكر اشياء من اللغة ، وأبو المجد سبطي ولد بمراغة سنة ٦٧٨ ، وورد بغداد واثبته (خواجا) فخر الدين أحمد فقيهاً بالمستنصرية ثم رجع الى مراغة[4] » ويستفاد من هذه الترجمة أمور منها أن ابنةً لابن الفوطي تزوجت في مراغة من رجل اعجمي او خراساني واولدها سبطه مجد الدين المذكور ، ومنها أيضاً أن فخر الدين أحمد بن نصير الدين كان كأبيه يشرف على مدارس بغــداد ومنها « المستنصرية » واليه تعيين الفقهاء والمدرسين في المدرسة المذكورة ، ويلاحظ ايضاً ان نصير الدين الطوســى واولاده هؤلاء حافظوا على مراكزهم في الدولة على اختلاف الاحزاب والفرق التي تولت ادارة شؤونها ، وعلى تباين أساليب حكام المغول واعوانهم

---

(١) كتاب الحوادث (٤٥٦) .

(٢) في المعجم ٤ : مادة فخر الدين ترجمة مبسوطة لفخر الدين احمد بن نصير الدين ذكر فيها قدومه الى العراق مع « ارغون » سنة ٦٨١ ومع « اروق » سنة ، ٦٨٣ وللزيارة الأولى ذكر فى حوادث السنة المذكورة من كتاب الحوادث الجامعة .

(٣) المعجم ٥ : القسم الأول ص ٧٧١ .

(٤) المعجم ٥ : مادة مجد الدين .

في تدبير امورها . ولم يصب هؤلاء الاعلام في الغالب ما أصاب غيرهم من المحنة خصوصاً في الانقلابات السياسية والثورات الداخلية التي اتفقت في الفترة الواقعة بين عصر اباقا وارغون، ونلاحظ كذلك ان مركز أولاد نصير الدين الطوسي لم يتأثر بهذه الاحداث، فظلوا مشرفين على النظر في شؤون الوقوف والمدارس والرصد وملحقاته وما الى ذلك في عهد الطاغية آرغون، كما كانوا من قبل على عهد سلفه اباقا بن هولاكو[1] هذا والى تجنب التحزب والاشتغال بالاعمال السياسية والتورط في الدسائس والتطلع الى مناصب الحكم مرد سلامة افراد هذه الاسرة في الدولة المغولية على اختلاف عصورها، والواقع أن نصير الدين الطوسي وكلاً من ابنائه صدر الدين علي وفخر الدين أحمد واصيل الدين الحسن الذي بالغ في الثناء عليه مصنف كتاب الانساب المسمى « غاية الاختصار » وقـــد ألفه بناء على رغبتـــه — كانوا منقطعين للعلم والبحث وانشاء المعاهد العلمية ودور الـكتب الضخمة معنيين باصلاح ما فسد من الاحوال الاجتماعية في ممالك المغول . وقد قتل من هؤلاء الاخوة فخر الدين احمد سنة ٧٠٠ بمدينة سيواس من بلاد الروم بأمر من السلطان غازان، ويدعي بعض المؤرخين انه اساء التصرف بعوائد الاوقاف، هذا ومن اكبر الادلة على أن شر المغول وغدرهم باصحابهم ورجال دولتهم غير مأمون مقتل فخر الدين احمد هذا، وهو عميد اسرة عنيت بخدمة الدولة الايلخانية من عصر هولاكو الى ايام غازان .

سيرة نصير الدين

ويلاحظ أن حظ الطوسي من النشاط كان موفوراً في عصر هولاكو لما كان هذا

---

(١) قال ابن الفوطي في ترجمة فخر الدين احمد « لما جلس ارغون على سرير المملكة اقرهم — يعني اولاد نصير الدين — على ما بأيديهم من الفرامين القديمة (٥ : مادة فخر الدين) وجاء في اخبار سنة ٦٨٧ في كتاب الحوادث « فيها كفت يد صدر الدين واخوته أولاد نصير الدين عن النظر في وقوف العراق ثم عاد الأمر اليهم سنة ثمان وثمانين » يعني انهم عزلوا سنة واحدة .

الطاغية على قيد الحياة ، فانه اكثر من الرحلات معه في جملة من الممالك الخاضعة للدولة الايلخانية . وزار العراق اكثر من مرة ، ويستفاد من بعض كتب التاريخ انه حضر واقعة بغداد مع هولاكو ثم عاد الى « مراغة » مقر اعماله ، وعني بانشاء الرصد ، وهذه الناحية تحتاج الى تحقيق ، ولا يخفى أن نصير الدين أنشأ رسالة في (فتح بغداد[1]) اجمل فيها حوادث الواقعة منذ كان هولاكو نازلا على قلاع الاسماعيلية سنة ٦٥٤ واشار الى الرسائل التي دارت بينه وبين المستعصم ، وتتضمن رسالة الطوسي هذه نبذة موجزة عن الحوادث بعد الاستيلاء على بغـــداد الى أن تقدم هولاكو بقتل الخليفة ونفراً من اهل بيته ، والرسالة محررة باسلوب لبق يستفاد منه أن مؤلفها رافق هولاكو الى العراق وان خلت رســـالته عن نص قاطع في هـــذا الشأن ؛ وعلى كل حال ثابر الطوسي على ارسال نوابه الى العراق والى جهات أخرى ، ويلاحظ أن بعض كتب التاريخ خلعت عليه لقب الوزارة ودعي وزيراً في بعض كتب التاريخ والاجازات ، من ذلك صورة اجازة للعلامة الحلي جاء فيها انه يروي جميع كتب السيد المرتضى عن الوزير العلامة نصير الدين محمد بن محمد بن الحسن الطوسي عن والد نصير الدين[2] ، ويستفاد من كتاب الحوادث أن هولاكو اتخذ من الطوسي مستشاراً للاستفادة من علمه وخبرته ، فهو لا يفارقه في حضره وسفره ، والامثلة على ذلك غير قليلة في هذا الـكتاب وغيره من كتب التاريخ ، من ذلك أن هولاكو لما كان بوطأة « حران » وقفت له جماعة من الفقراء « القلندرية » فقال لنصير الدين الطوسي ما هؤلاء ؟ قال : فضلة في العالم ، فأمر بقتلهم[3] ، وسأله عن معنى قوله « فضلة » فاجابه بجواب خلاصته : انهم كلٌّ على سواهم لا يأتون بخير ،

---

(١) نشرت هذه الرسالة ذيلا للجزء الثالث من كتاب (جهان كشا) للجويني ط ء طهران سنة ١٣٥٢

(٢) كتاب الاجازات من بحار الانوار للمجلسي (١٠٧ ، ١٠٨) .

(٣) كتاب الحوادث (٣٣٣) .

وكان الاحرى بالطوسي ـ اذا صحت الرواية ـ أن ينصح هولاكو بالابقاء على أولئك الفقراء ، فانهم لم يرتكبوا جرماً يستحقون عليه القتل ، وما كان وقوفهم لهولاكو إلا ضرباً من الترحيب بمقدمه ، فكافأهم بالقتل ، وليس ذلك بغريب من سيرة هولاكو ولا نظنه كان يأخذ برأي من ينصحه في استحياء أولئك الفقراء ، هذا ولا يخفى أن الجواسيس كانوا في ذلك العصر يتنكرون بأزياء الصوفية والفقراء والصلحاء وبأزياء التجار أحياناً فلعل هولاكو توهم ذلك في هؤلاء الفقراء القلندرية فقتلهم ، وقد جاء في رسالة بعث بها « احمد تكدار سلطان المغول الى البندقدار » ونقلها ابن العبري ما يأتي : « قد كان قرغولنا صادف جاسوساً في زي الفقراء فان عساكرنا طالما رأوهم ـ يعني الجواسيس ـ في زي الفقراء والنساك وأهل الصلاح فساءت ظنونهم في تلك الطوائف فقتلوا منهم من قتلوا[1] » هـذا ما ورد في تاريخ ابن العبري وقد تكون هذه اشارة من السلطان احمد المغولي الى حادثة القلندرية المذكورة .

يعنى صاحب الحوادث باخبار نصير الدين الطوسي ورحلاته بين اذربيجان والعراق ومن ذلك ما جاء في اخبار سنة ٦٦٢ عن وصوله الى بغداد وهذا نصه : « وفيها وصل نصير الدين محمد الطوسي الى بغداد لتصفح الاحوال والنظر في الوقوف والبحث عن الاجناد والمماليك ثم انحدر الى واسط والبصرة ، وجمع من العراق كتباً كثيرة لاجل الرصد[2] » ويستفاد من هذه الكلمة أن منصب الطوسي لم يكن قاصراً على النظر في الوقوف ، بل يتناول البحث عن الاجناد والمماليك وتصفح الأحوال من واسط والبصرة وبغداد ، فهو بمناصب الوزراء وكبار الحكام أشبه وان لم يتضح لنا تماماً غرضه من البحث عن الاجناد والمماليك ، أفكان المغول بحاجة الى استخدام جيش من المرتزقة

---

(١) تاريخ مختصر الدول لابن العبري : (٥٠٨ ، ٥٠٩) .

(٢) كتاب الحوادث (٣٥٠) .

أو المماليك ، أم انهم كانوا يلاحقون بقية السيوف من مماليك بني العباس ، وعلى كل كان نصير الدين بالاضافة الى هذه المهام يشهد بعض المحاكمات والمرافعات الكبرى للاطلاع على سير القضاء فيها ، أو للاستئناس بآرائه في هذا الشأن [1] الى ان تجرد للاعمال العلمية وانصب على الاشتغال بالرصد وملحقاته في مراغة .

الارصاد في التاريخ

اذا ذكر رصد مراغة ذكر الطوسي وبالعكس ، فلو سمي الرصد باسمه لما كان في ذلك شيء من الغلو ، فهومنشئه ومنشيء مكتبته وهو موجده ، عنى في اكثر مصنف من مصنفاته - ومن جملتها الزيج الايلخاني - بتاريخه ، وتاريخ « الارصاد الفلكية » قبل الاسلام وبعد ذلك ، وآخرها رصده المذكور قائلا جمعت له عدداً من الحكماء سماهم باسمائهم الى ان قال : ابتدأنا بالعمل سنة ٦٥٧ ومعنى هـذا القول انهم شرعوا بتأسيس الرصد بعد سقوط بغداد وانحلال الدولة العباسية بسنة واحدة ، ولا يخفى ان العالم كان مغموراً بطوفان من الدماء التي سفكها الغزاة ممتحناً بخراب ودمار شامل ، ونحن نعرف ان دور الانشاء يستدعي الطمأنينة ، ولا طمأنينة ولا هـدوء في الفترة المذكورة ، فكيف تسنى للقوم وهم يخوضون تلك الغمرات ، ويخربون العمران ويهلكون الحرث والنسل في كل مكان ، نقول كيف تسنى للقوم احداث الرصد وملحقاته وانشاء اقسام جديدة في مدينة مراغة وغيرها من المدن في اذربيجان ، لاشك انها قضية تستحق البحث والتحليل .

الرصد المحروس ، مكتبة الرصد

هام مؤرخنا ابن الفوطي بـدار الرصـد ، وشغف بها حباً ، وكان اذا ورد ذكرها في كتابه طاب له ان يقول : « الرصد المحروس » [2] وفي معجم ابن

---

(١) كتاب الحوادث (٣٥١) .

(٢) معجم ابن الفوطي او تلخيص مجمع الآداب » : مادة كريم الدين .

الفوطي مافيه من الدلالة على اكبار صاحبنا بهذه الدار ولما له من ذكريات حميدة فيها ولاعجب فانه سلخ شطراً من أحسن مراحل حياته في دار الرصد، وتقلد فيه شتى الاعمال ، فكان قيم الرصد مرة ، وكان خازن مكتبته طوراً ، ومدرساً في المعهد الملحق به تارة ، ولم يفته تسجيل زيارة من زار الرصد من مختلف الطبقات في تذكرة خاصـة سماها : (تذكرة الرصد) ، وعنى أيضاً عناية خاصة بترجمة العلماء والحكماء الذين اشتغلوا في دار الرصد ، وزاولوا اعمالهم العلمية فيها وترجم لجماعة منهم تراجم ممتعة ، ويلاحظ انهم خصصوا للمكتبة في الدار جناح كبير لكثرة عدد ما نقل اليها من الكتب حتى أوصل بعض المؤرخين هـذا العدد الى اربعمائة الف مجلد ، ولا يخلو هذا التقدير من مبالغة ولكنها على كل حال كانت مكتبة عامرة تحدث عنها كثير من المؤرخين ، وورد ذكرها كثيراً في تلخيص مجمع الآداب لابن الفوطي ، وكان مؤرخنا المذكور بحكم عمله في المكتبة خبيراً لا يجارى بشؤونها طالما تحدث عنها في معجمه وعن جملة من محتوياتها النادرة والمصنفات القيمة والكتب المصورة التي اهديت اليها او الى سلاطين المغول، وكثير من هذه النسخ المختارة بخطوط مؤلفيها او بخطوط مشاهير النساخ والخطاطين والوراقين ، وكان ابن الفوطي نفسه اماماً في فن الوراقة ، ولا يخامرنا ادنى شك في ان المكتبة احتوت على عدد من الكتب التي ورقها بخطه الجميل سواء أكانت من مصنفاته او مصنفات غيره ، ولا نشك كذلك ان هذه الصحف نقلت فيما نقل من كتب هذه المكتبة الى تبريز ثم احرقت فيما احرق من معاهدها في احداث معروفة حدثت في الحاضرة المذكورة ويلاحظ ان اسم هذه المكتبة « خزانة الرصد » في كتب المؤرخ المذكور .

خزانة الاسماعيلية وخزانة الرصد

شهد علاء الدين الجويني مـع هولاكو فتح قلاع الاسماعيلية التي خرج منها

نصير الدين سنة ٦٥٤، ومن أمنعها قلعة « الموت » [1] و « لم سر » وعني بوصف ما جرى هناك وصفاً تاريخاً ممتعاً في كتابه الذي ألفه بالفارسية، وسماه « جهان كشا » قائلا : كنت أعرف بان هناك خزانة كتب ثمينة طبقت شهرتها الآفاق، وقلت يحسن انتهاز هذه الفرصة للاطلاع على هذه الخزانة فوافق هولاكو فوراً وزرت الخزانة وانتقيت أنفس ما فيها من المصاحف والكتب واخرجتها كما « يخرج الحي من الميت » وحملت محتوياتها من آلات الرصد كذات الكرسي وذات الحلق الى أنواع من الاسطرلابات التامة والمنصفة وذات الشعاع، وأما الكتب المجردة في عقايد الاسماعيلية ودعوتهم فذهب طعمة للنيران، ثم أشار الى ما اشتملت عليه الخزانة من الذهب والفضة، وهي مقادير لا تحصى، هذا ومن النفائس التي ظفر بها علاء الدين الجويني في الخزانة كتاب في تاريخ الجبل والديلم ألف باسم فخر الدولة البويهي استفاد الجويني منه، ونقل نبذة عنه في تاريخ تلك الاصقاع، وفي آخر هذا البحث فصل عن كيفية ابادة سكانها والخلاصة : جوّد المؤلف في وصف تلك الحصون ومناعتها وجمال هندستها وما تضمنته من اسباب الترف والحضارة [2] ، ويلاحظ أن علاء الدين الجويني اكثر من التعريض بمذهب الاسماعيلية والطعن في عقائدهم واثنى ثناء بالغاً على منكوقان وهولاكو، وأجهد قريحته في صوغ عبارات الحمد وغالى مغالاة من يعتز بعظمة الدولة

---

(١) الموت على وزن ملكوت اكبر قلاع الاسماعيلية، تقع هذه القلاع الى الشمال الغربي من مدينة « قزوين » والذي يقصد قزوين من همدان يشاهد — اذا قارب قزوين — سلسلة جبال الديلم التي وجدت فيها قلاع الاسماعيلية ومنها (الموت) و (ميمون در) و (كردكوه) و (لم سر) وعدد هذه القلاع خمسون قلعة على ما يقول بعض المؤورخين، وتقع قلعة الموت على ستة فراخ من قزوين، قال القزويني هي قلعة على قلة جبل وحولها وهاد لا يمكن نصب المنجنيق عليها ولا النشاب يبلغها، ولما فتح هولاكو هذه القلعة سنة ٦٥٤ خضعت بقية القلاع فجعلها قاعاً صفصفاً، والموت كلمة فارسية معناها « وكر العقاب ».

(٢) تاريخ (جهان كشا) (٣/١٤٧ ، ١٥١) ط . طهران سنة ١٣٥٠ .

الايلخانية . فاستحال الكتاب الى قطعة أدبية وصفحة شعرية ، وهذا الضرب من الغلو في مدح السلاطين معروف عند مؤرخي العجم ، وحدث من الملق والدهان عند الوزراء ورجال الديوان ، والغالب أن علاء الدين الجويني كان يجهل في هذا الدور ما يبيته فريق من زعماء المغول لدعوة الاسلام وشريعة المسلمين .

معهد الدراسات الرياضية

احدث هذا المعهد العلمي الكبير في جوار المرصد وغير بعيد من خزانة الكتب وكان يعج بالطلاب والوافدين عليه من كل فج عميق ، وقد تميز صاحبه نصير الدين بحبه للطلبة واشتهر برعايته لهم ، ورفقه بهم، وتوفير اسباب البحث والدراسة لهم ، وكان بقاء المرصد والمعهد يستدعي تخصيص مبالغ طائلة من المال ، ذكر المؤرخون ان هولاكو بذلها لانفاقها على بناء المرصد في دور التأسيس على يد نصير الدين [1]، على أن اتساع كل من الرصد والمعهد والمكتبة على توالي الايام استنفد تلك المقادير العظيمة ، ولهذه العلة عني نصير الدين بايجاد موارد مالية جديدة ينفقونها على الدار ، وكان الاشراف على ادارة الاوقاف الاسلامية في جميع الممالك الايلخانية من خراسان الى العراق مردوداً اليه ، وكان ريع هذه الأوقاف جسيما ، فخصص الطوسي مقداراً كافياً منه لسد نفقات الرصد وملحقاته ، وهو على الغالب أول من أقدم على هذا العمل الجرىء ثم حذا حذوه أولاده وحكام آخرون بعد ذلك ، فكانوا ينفقون على هــذه الأرصاد الفلكية من عوائد الاوقاف .

حصة الارصاد من عوائد الاوقاف

وقد يعد هــذا الضرب من التصرّف في عوائد الأوقاف غريباً أو مخالفاً لشرط

---

(١) الوافي بالوفيات للصفدي ١/١٨٢ وكتاب فوات الوفيات لابن شاكر الكتبي ٢/١٤٩ ومصنفات أخرى في التاريخ .

الواقف أو لاحكام الشريعة ، ولكن اذا اتضح لنا حاجة الحاكم الشرعي أحياناً غير قليلة الى الاعمال التي يقوم بها الفلكيون والرصديون لم نجد في الأمر غرابة ، فما اكثر الأعمال الحسابية والفلكية بل الرصدية التي تمس الحاجة اليها في العبادات والمعاملات وفي حساب الفرائض وغير ذلك من المسائل الفقهية أو الواقعات التي تعم بها البلوى ، من ذلك مثلا حساب مواليد الأهلة عند من يعوّل على الرصد في ذلك ، ومن ذلك قياس حركة الشمس وارتفاعها وزوال الظل لضبط الأوقات الشرعية ، ومن هذا القبيل حساب مساحة الكرّ وكذلك تعيين سمت القبلة وعدد أيام الشهور والمواقيت وتحاويل الفصول وزيادة النهار ونقصانه وطول الليل وقصره ، وغير ذلك من الموضوعات التي تبحث في كل من علم الفلك وعلم الحساب ، هذا وقد تضاربت آراء الفقهاء في التعويل على الحساب اذا غمّ الهلال ، فمن قائل بجواز الاعتماد على الحساب ، ومن قائل بخلاف ذلك وينسب القول بالجواز الى بعض القدماء من الفقهاء ، وعلى كل حال شاع القول بجواز الاعتماد على الحساب والرصد في العصور الحديثة .

علم الفرائض وصلته بالرياضيات

ومن المسائل الفقهية التي يطبق فيها علم الرياضيات وفن المساحة المعاملات المدنية كالبيوع ومسح العقارات وحساب أنصبة الزكاة ، ومن أجل فروع علم العدد والحساب علم الفرائض ، وردت بفضل هذا العلم أخبار ، وقيل : إنه نصف العلم ، ولا يخلو هذا القول من مبالغة ، وعلم الفرائض في الواقع صناعة مركبة من الفقه والحساب ، فمن القسم الفقهي أحكام الوراثة من العول والاقرار والانكار والوصايا والفروض ، ومن القسم الحسابي تصحيح سهام ذوي الفروض وحسابها اذا تعددت بوفاة بعض الوراث أو اذا أضيفت سهامه الى آخرين أو اذا زادت السهام عند اجتماعها وترا كمها أو كان بين

الفريقين نزاع فيحتاج ذلك الى علم تحسب فيه السهام من كم تصح ، وسهام الورثة من كل بطن وحصرها ، ويستدعي ذلك أيضاً معرفة حساب الكسور والجذور ، والمعلوم والمجهول وتطبيق المسائل المذكورة على تلك الاحكام الفقهية [1] .

البحوث الرصدية في موازين الفقهاء

عني عدد من الأئمة والفقهاء بالبحوث الفلكية والرصدية لارتباطها بكثير من الأحكام الشرعية واستحسنوا درس الحساب وعلم الهيئة ، وزيف من زيف منهم آراء الجامدين من المتفقهة الذين استخفوا بتعلم هذه العلوم الجليلة بحجة أنها علوم الكهان والمنجمين ومنتحلي الكشف عن المغيبات مستندين الى جملة من الآيات الكريمة التي تدعو الى التفكر في خلق السماوات وأوضاع الاجرام السماوية وعجائبها وما استودعت من حكم عظيمة واسرار دقيقة ، وقال بعضهم : إن ذلك من أنضل طرق الاستدلال على حكمة موجد الاكوان .

من ذلك يتضح ان علم الرصد والفلك غير « صناعـة المنجمين » فصناعة النجوم ضرب من الحساب غايته حسـاب الطالع والتنبؤ أو التكهن باحـداث المستقبل بواسطة رصد حركات الكواكب ومواقيت قراناتها ، وكان القدماء يفرقون بين صناعة النجوم التعليمية وصناعة النجوم التجريبية ، فعلم النجوم عندهم غير علم الاحكام كما يستفادة من كتب المسعودي والبيروني وابن رشيد وغيرهم من قـدماء الباحثين في هذه العلوم .

يعتقد المنجمون وهم غير الفلكيين والرياضيين ان جميع الكوائن العظيمة مثل انتقال الملك والدولة من أمة الى أخرى وظهور الملل ونشوب الحروب وانتشار الأوبئة

---

(١) عقد ابن خلدون فصلا حسناً في علم الفرائض وعده فرعاً من علم العـدد والحساب ، انظر المقدمة (٣٣٧ ، ٣٤٠) .

والقحوط والمجاعات أمور تدل عليها قرانات الكواكب ويمكن التنبؤ بها بواسطة الحساب . هذا واستخراج الطالع طالع المولود وطالع السنة وطالع العالم من جملة أعمال اهل هذه الصناعة ، ولهم في استخراج الطالع طرق معروفة ولكن مداركها باطلة ونتائجها كاذبة انكرها العلماء والعقلاء اذا استثنينا عدداً قليلا من الناس ، وقد نتج عن الهوس بما يسمونه « علم الاحكام » و « استخراج الطالع » كوارث جمة وفواجع مهمة ، ومن أشهرها فاجعة « الغ بك » أمير سمرقند من الأسرة التيمورية وهو اكبر علماء الفلك بما وراء النهر في المائة التاسعة ، ومؤلف « الزيج » المعروف باسمه ، ويعد من أنفس الأزياج ، ومع ذلك كان لهذا الفلكي المشهور اعتقاد راسخ بصناعة التنجيم واستخراج الطالع حتى قاده هذا الاعتقاد الفاسد الى حتفه في قصة معروفة خلاصتها : أنه أخذ الطالع لنفسه فوجد أنه يقتل بيد اكبر أولاده فلم يهدأ وراح يسوم ولده سوء العذاب حتى قتل الولد أباه المذكور سنة ٨٥٤ .

لا شك أن العرب بعد اختلاطهم واتصالهم بالأمم الأعجمية القديمة بواسطة الفتوح كالفرس والهنود والروم والسريان تأثروا بجملة من عادات الأمم المذكورة المغلوبة ، وكانت صناعة التنجيم شائعة في هذه الأمم يعولون على احكامها قبل مباشرة كثير من الأعمال ، فتأثر من تأثر من المسلمين الفاتحين بذلك ، وعنوا بهذه الصناعة وباحكام ذويها أحياناً ، وفي كتب التاريخ روايات من قصة المنجم الذي تحدث اليه الحجاج في مرض موته ، ويستفاد من هذه الرواية ان الحجاج كان يثق باحكام المنجمين ، وقالوا أيضاً : كان مع عبد الملك بن مروان في حربه مع مصعب بن الزبير منجم نهاه عن مواقعة مصعب في يوم معين فخالفه أخوه ، والقصة معروفة في كتب التاريخ .

تضاعف الاقبال على صناعة النجوم في العصور العباسية ، وفي العصور المذكورة كما لا يخفى نقلت العلوم الدخيلة ، ومن جملتها صناعة النجوم الى العربية ، ويقول بعض

الباحثين : إن الطب والكيمياء والنجوم أول ما عني المسلمون بنقله من تلك العلوم في أواخر عصور الأمويين وأوائل عصور العباسيين ، ويتناقل المؤرخون ان المنصور كان يقرب بعض المنجمين ويستأنس باحكامهم وآرائهم حتى شهد جماعة منهم تأسيس مدينة بغداد مع من شهد ذلك من القواد والوزراء والأعيان ، وفي عهد المنصور نقلت جملة من الكتب الرياضية والفلكية ومنها كتاب « المجسطي » نقله الى العربية يحيى بن البطريق .

وعقد ابن خلدون فصلا عنوانه : « ابطال صناعة النجوم وضعف مداركها وفساد غايتها » لم يعرّف فيه هذه الصناعة تعريفاً واضحاً ، وفي هذا الفصل إشارة الى مذهب بطلميوس وغيره في قوى الكواكب وتأثيرها ، وقال بعد ذلك : « ومدرك بطلميوس في اثبات القوى للكواكب الخمسة مدرك ضعيف ، فقد بان لك بطلان هذه الصناعة من طريق الشرع ، وضعف مداركها من طريق العقل » وبالغ ابن خلدون بعد ذلك بمضار هذه الصناعة في العمران الانساني وما ينشأ عنها في الدول من القواطع ، قال : « وقد شاهدنا من ذلك كثيراً فينبغي ان تحظر هذه الصناعة لما ينشأ عنها من من المضار في الدين والدولة .

عزز ابن خلدون رأيه في مضار هذه الصناعة عمرانياً بالاشارة الى بعض وقايع عصره في تونس وذكر حادثاً يعوزه التفصيل والوضوح حدث في تونس مردّه الى بعض التكهنات والتنبؤات النجومية الباطلة وختم هذا الفصل بقصيدة لأبي القاسم الرحوي من شعراء تونس سخر فيها بصناعة النجوم والمنجمين [1] .

---

(١) من هذه القصيدة :

استغفر الله كل حين	قد ذهب العيش والهناء
أصبح في تونس وأمسي	والصبح لله والمساء
الخوف والجوع والمنايا	يحدثها الهرج والوباء

=

رأي ابن أبي الحديد

وحديث الامام علي مع بعض المنجمين الذين اشاروا عليه ان يتوقف في ساعة معينة عن السير الى حرب الخوارج مشهور ، انكر فيه احكامهم وزجر الناس عن العمل بموجبها ، ولابن أبي الحديد شارح نهج البلاغة بحث مشبع في هذا الموضوع [1] ، استعرض فيه آراء فريق من المتكلمين والحكماء والمنجمين بشأن صناعة النجوم نفياً واثباتاً قائلا إن الحكماء عولت في ابطال القول باحكام النجوم على وجه واحد ، وهو أن مبنى هذا العلم على التجربة فيما يدعيه ارباب علم النجوم ، ولم توجد التجربة ، فاما ابو البركات ابن ملكا [2] البغدادي صاحب كتاب «المعتبر» فانه ابطل احكام النجوم من وجه واثبتها من وجه : قائلا انا لا نتعلق من اقوالهم إلا باحكام يحكمون بها من غير دليل نحو القول بحرّ الكواكب وبردها ورطوبتها ويبوستها واعتدالها وما جانس ذلك مما لم يقل به العلماء الطبيعيون ، والقائلون بالاحكام ادعوا حصول علمهم بذلك من التجربة ، ولو كان في السماء شيء من طبايع الاضداد لكان الاولى ان تكون كلها حارة لان كواكبها كلها منيرة والذي يتضح من هذا العلم ويلتفت اليه العقلاء هي اشياء غير هذه الخرافات ، وقال ابن

الناس في مرية وحرب ... وما عسى ينفع المراء
يا راصدي الخنس الجواري ... ما فعلت هذه السماء
مطلتمونا وقد زعمتم ... انكم اليوم انبياء
مر خميس على خميس ... وجاء سبت وأربعاء
ولا نرى غير زور قول ... أذاك جهل أم ازدراء ؟
إنا الى الله ، قد علمنا ... ان ليس يستدفع القضاء
ما هذه الانجم السواري ... إلا عباديد أو إماء
الله ربي ولست ادري ... ما الجوهر الفرد والخلاء
ولا الهيولى التي تنادي ... ما لي عن صورة غناء
ولست ادري ما الكسب إلا ... ما جلب البيع والشراء

(١) شرح ابن أبي الحديد على نهج البلاغة (١/٢٠٣ و ٢/٧١ ، ٧٦) .

(٢) ويقال ابن ملكان بالنون في آخر الكلمة وبدونها اشهر ، وتجد لابن ملكا ترجمة مفصلة في عيون الانباء لابن أبي اصيبعة (١/٢٧٨ ، ٢٨٠) وفي نكت الهميان للصفدي ٣٠٤ .

أبي الحديد بعد ذلك : وقفت لابن جعفر محمد بن الحسين الصنماني المعروف بالخازن صاحب كتاب « زيج الصفائح » على كلام مختصر له سماه « كتاب العالمين » انا ذاكره في هذا الموضع على وجهه لانه كلام لا بأس به ، ثم اورد كلام الصنماني ، ورأيه وسط بين المكذبين القائلين بان صناعة النجوم ضرب من الزرق والاحتيال والخداع والتمويه والمصدقين الذاهبين الى القول بفائدة هذه الصناعة وصحة كثير من احكامها خصوصاً في الابحاث الطبيعية منها . الى وجوه كثيرة خاصة بأهل هذا الفن لا يمكن أن يعلم اكثرها الا بالحدس والتخمين ولطف الاستنباط وحسن القياس ، في كلام كثير للصنماني لا يخلو من غموض وابهام ، وفي ختام هذا الفصل من شرح نهج البلاغة حكم قاطع ببطلان العمل بالعلم المذكور وهذا نصه : « الا أن المعلوم ضرورة من دين رسول الله صلى الله عليه وآله ابطال حكم النجوم وتحريم الاعتقاد به ، والنهي والزجر عن تصديق المنجمين » .

رأي ابن ميثم

من شراح نهج البلاغة الشيخ ميثم بن علي بن ميثم البحراني ، فرغ من شرحه سنة ٦٧٧ واهداه لشمس الدين محمد الجويني صاحب الديوان، ويعد هذا الشرح من احسن شروح النهج وفيه بحث مبسوط في علم النجوم اورده في شرح حديث الامام مع صاحبه الذي اشار عليه بالتوقف عن المسير الى حرب الخوارج كما مرّ ؛ قال ابن ميثم (١) ويروى أن المشير عليه بذلك كان عفيف بن قيس اخا الاشعث بن قيس ، وكان يتعاطى علم النجوم ، ثم علل النهي عن تعلم هذا العلم بعلتين الاولى اشتغال متعلمها بها ، واعتماد كثير من الخلق السامعين لاحكامها يرجون ويخافون مع العلم ان ذلك يضاد مطلوب

(١) شرح النهج لابن ميثم ط العجم سنة ١٢٧٦ .

الشارع اذ كان غرضه دوام التفاف الخلق اليه وتذكرهم لمعبودهم بدوام خاصتهم اليه ، العلة الثانية التي علل بها ابن ميثم نهيهم عن تعلم هذا العلم ان الاحكام النجومية اخبارات عن امور ستكون ، فهي تشبه الاطلاع على الامور الغيبية ، واكثر الخلق من العوام والنساء والصبيان لا يميزون بينها وبين علم الغيب ، والاخبارية ، فكان تعلم تلك الاحكام والحكم بها سبباً في ضلال كثير من الخلق ، ثم ذكر بطلان مدرك هذه الصناعة من ناحية العقل مورداً آراء أهل النظر من متكلمين وحكماء على اختلاف مذاهبهم في ابطال الاحكام المذكورة سواء اكانت كلية أم جزئية ، وابطل دعواهم في التجربة كذلك .

الفنون الفلكية والحسابية

ويقول ابن ميثم بعد ذلك : اعلم ان الذي ذكرناه ليس إلا بيان أن الاصول التي يبنى عليها الاحكاميون ما يخبرون به في المستقبل اصول غير موثوق بها ، فلا يجوز الاعتماد عليها في تلك الاحكام والجزم بها ، وهذا لا ينافي كون تلك القواعد ممهدة لقسمة الزمان وحركة الفلك بالسنة والشهر واليوم مأخوذاً عنها حساب تبنى عليه مصالح دينية كمعرفة اوقات العبادات كالصوم والحج ونحوها ، أو دنيوية كآجال المداينات وسائر المعاملات ، وكمعرفة الفصول الاربعة ليعمل في كل منها ما يليق من الحراثة والسفر واسباب المعاش .

القول الفصل

تنقسم صناعة المنجمين في الواقع الى قسمين اولها القسم الطبيعي والرياضي ، وهو يتناول علم الحساب والبراهين الهندسية والبحوث الفلكية والاستدلال من حركات الاجرام والنجوم واختلاف مناظرها ومواقعها ، وانتقالها من برج الى آخر ، ودلالتها على ما يحدث في عالم الطبيعة من تعاقب الادوار والفصول والتحاويل والمواقيت وحساب

التقاويم والازياج . وهذه ولا شك فنون حسابية أو رياضية أو فلكية مفيدة أدخلت في هذا العلم وان كانت في الاصل ليست منه والقسم الثاني من صناعة المنجمين علم الاحكام أو ما يسمى كذلك ، وهو عبارة عن اطلاق الاحكام في الحوادث وعلى الاشخاص فتراهم يأخذون الطالع ويتكهنون بكوائن المستقبل واحداثه ويحكمون لارباب المواليد أو عليهم ، ويحكمون في اختيار السفر والاقامة والحرب والموادعة ، ويقولون هذا يصلح أو لا يصلح ، وهذا يقع أو لا يقع ، وهـذا ينجح وذاك يخيب ، الى احكام اخرى يطلقونها مستندين الى علل واهية ، واصول متناقضة . فالاشتغال بهذا القسم من هذه الصناعة اشتغال بالاباطيل ، وتصديق بالمحالات وتعويل على اوهام ما انزل الله بها من سلطان ، والخلاصة هذا هو القول الفصل في صناعة المنجمين :

آل الفوطي واخذ الطالع

يستفاد من معجم ابن الفوطي أن صاحبنا مؤلف المعجم وغير واحد من اهل بيته ومنهم والده ممن استخذى للاحكام واخذ الطالع وغير ذلك من اعمال المنجمين ، ولم يساورهم ادنى شك بصحة تلك الاحكام . فبماذا يعلل استخذاء من استخذى من مشاهير العلماء — ولا يستثنى من ذلك بعض الرياضيين والفلكيين — لصناعة التنجيم واحكام المنجمين ؟ ينبغي ان يقال في تعليل ذلك انها روح العصر الذي كانوا يعيشون فيه ، وغلبة القلق والأضطراب والتشاؤم فيه ، وفي مثل هذه العصور يندر العدل وتضييع الحقوق ويتشبث الناس بالأوهام والمحالات ، وقد يكون لوقوع ابن الفوطي في الأسر وما عاناه في ديار الغربة بعد الواقعة دخل في هذا الانقياد أو الاستخذاء . وجمل القول حفل معجم ابن الفوطي بالترجمة لهؤلاء المنجمين الاحكاميين المعنيين بحساب الطالع والمواليد المتكهنين بالاحداث ، ولصاحبنا مؤلف المعجم اسوة باشياخه ومعاصريه من العلماء والمتفلسفين ورجال الديوان في دولة المغول الذين تهوسوا بهذه الصناعة

اسرى المغول من آل الفوطي

نحن نجهل تفاصيل ما جرى لصاحبنا كمال الدين عبدالرزاق ابن الفوطي في الأسر بعد الواقعة سوى انه أسر وهو صغير ، وانه عانى ما يعانيه اسرى المغول من ارهاق واسترقاق ، وقاسى الاسقام ، ويخيل الينا ان جلّ اسرى الواقعة من العراقيين لم يتحملوا عناء الأسر هناك ، فمات منهم من مات ، وقتل من قتل ، ولم يكن صاحبنا الأسير الوحيد من « آل الفوطي » وانما أسر معه اخ له يسمى « عبد الوهاب » ويلقب بدر الدين ولما خلي سبيله اندفع بعاطفة الاخوة الى السعي للافراج عن اخيه المذكور وكان الفداء باهظاً لا قبل له به فأعانه عليه سري من اهل تبريز ، واليك ما قاله في ترجمة الرئيس التبريزي المذكور[1] «عز الدين ابو الفضل بيكلار بن مجدالدين بن عبدالمجيد التبريزي صاحب تبريز كان الى والده رياسة تبريز ، ولي عز الدين ما كان يتولاه ابوه وكان شاباً سرياً خفيف الروح اشتغل بالأدب على مولانا شمس الدين العبيدلي ، وكان كاتباً سديداً عالماً رأيته في حضرة (مولانا) السعيد نصير الدين أبي جعفر سنة ٦٦٤ ، ولما اشتريت – يعني افتديت – اخي بدر الدين عبد الوهاب ساعدني وانفذلي مائة دينار ، وكان ينفذلي الكسوات ، وكتبت له كتابا امرني به في وصف الشمعة » ، ومعنى ذلك ان الأسرى تباع وتشترى كالرقيق في العصور المذكورة .

هذا ما قاله ابن الفوطي ، ويستفاد منه ومن مواضع اخرى غير قليلة من الكتاب ان صاحبنا كان موضع عناية المسلمين من سراة اذربيجان وعطفهم ، وكان لنصير الدين الطوسي فيما نظن دخل في حصول ابن الفوطي على هذه الصلة المالية ولولاها لما تمكن من فداء اخيه ، وقلما ورد لاخيه هذا ذكر فيما وصل الينا من اجزاء معجمه غير هذه الكلمة ولا يبعد ان تكون له ترجمة في موضعها من تلخيص مجمع الآداب .

(١) المعجم ٤ : مادة عز الدين .

ومن الطريف ان يعنى ابن الفوطي بمكافأة هؤلاء السراة المحسنين مستعيناً على ذلك بشق قلمه فيهدي اليهم بعض ما يؤلفه أو يورقه من الكتب ، فانه اهدى لصاحبه التبريزي كتاباً كتبه في وصف الشمعة لا نبالغ اذا قلنا انه يعادل تلك الصلة المالية اضعافاً مضاعفة ، ومن كتبه اللطيفة كتاب سماه « الدر النظيم فيمن يسمى بعبد الكريم » الفه لخزانة النقيب غياث الدين عبد الكريم بن طاووس ، وكانت له بهذا النقيب صلة وثيقة وصحبة قديمة ، ولا شك ان ابن الفوطي اهدى جملة من مصنفاته لآل الجويني ولآل الطوسي كأنه يعمل بقول المتنبي :

لا خيل عندك تهديها ولا مال　　　فليسعد النطق ان لم تسعد الحال

منجم آل الفوطي

من ذلك ترجمته لمنجم بغدادي اخذ طالعه وطالع اخيه برغبة من والده ، وقد ادركه وهو حدث السن ، وفي هذه الترجمة يقول « مجد الدين محمد بن فخر الدين محمد بن بركة الموصلي البغدادي المنجم اشتغل بالنجوم واشتهر ، وقوّم التقاويم وعمل المواليد ، وتكلم في الاحكام فاصاب وبحث في علم الهندسة والمجسطي ، وهو الذي عمل مولدي ومولد اخي رأيته ، وتوفي سنة ٦٥٤ (١) .

هذا ما أورده ابن الفوطي في ترجمة المنجم الذي تكلم في المواليد فاصاب ، وعمل مولده ومولد اخيه ، ولم يعمل المنجم ذلك من تلقاء نفسه ، بل بطلب من والده ، فالوالد منقاد لاصحاب الاحكام ومثله في ذلك أولاده ، ولولا ان ابن الفوطي يثق بحساب الطالع والمولد لما تحدث عن اخذ مولده ومولد اخيه في كتابه . ويلاحظ انه

(١) المعجم ٥ : ق ١ : ص ٢٤٣ مادة مجد الدين ، وفي المعجم أيضاً (٥ : ق ٢ : ٦٥ ، ٦٦ مادة كرز الدين) ترجم لمنجم آخر من معاصري ابن الفوطي كان على ما يقول من اعلم الناس بعلم النجوم والحكم على المواليد والتقاويم وأسر في واقعة بغداد سنة ٦٥٦ ثم خلص منهم ورجع الى بغداد ، ولما قدمت من مراغة سنة ٦٧٩ كان يتردد الي وكنت انس به ، صنف كتاباً جامعاً ذكر فيه اخبار المتادبين والمنجمين سألته عن مولده فذكر انه ولد سنة ٦٠٨ وتوفي في ذي الحجة سنة ٦٨٠ ، والامثلة من هذا القبيل غير قليلة في المعجم المذكور .

لم يقل لنا شيئاً عن دلالة الطالع المذكور ، وهل دلّ الحساب على اسر ابن الفوطي في واقعة بغداد ، هذا واكثر العقلاء على ان المنجمين اذا اصابوا في بعض احكامهم فان مردّ ذلك الى الاتفاق .

اضغاث احلام

ومن قبيل تصديق ابن الفوطي باحكام المنجمين تعويله وهو غريب ممتحن بالأسر على الاحلام ، ومن البلدان التي اقام فيها وهو أسير في اذربيجان بلدة تسمى « اهر » وفي هذه البلدة اجتمع بصوفي يزاول مهنة الطب ، فبشره بالخلاص استناداً الى حلم رآه.

ترجم ابن الفوطي لهذا الصوفي، وتحدث عن ذلك الحلم الجميل ، وعن المستقبل الحسن الذي بشروه به ، وهو يومئذ صغير ، تحدث بذلك على شكل ينم عن وعي وحفظ ويثير ضرباً من العطف والرثاء ، ولا عجب فلابن الفوطي ذاكرة نـــادرة تعي جميع مرئياته ومسموعاته في عهد الحداثة فتستقر في عقله الباطن ، وهذا العقل الباطن بمثابة مستودع أو خزانة توافي صاحبها بمدد لا ينقطع ، ومعين لا ينضب مما يحتاج اليه في التأليف وتدوين التاريخ ، من ذلك مثلا ما قاله في ترجمة الصوفي المذكور وهذا نص الترجمة : « كمال الدين محمد ابن أبي الفضائل النخجواني الصوفي كان حكيما فاضلا له معرفة بالتدبير والعلاج قدم « اهر » الى خدمة مولانا قطب الدين الاهري ليشتغل عليه ، ولبس خرقة التصوف من « خدمته » واقام بزاويته ، واجتمعت (بخدمته) سنة ٦٥٨ ـ أي بعد أسره بسنتين ـ وكان قد رأى مناماً وانا يومئذ صغير السن أسير ، وبشرني بالخلاص وان يرتفع قدري فحصل لي ببركته ما رآه لي والحمد لله على افضاله [١] .

هذا ما تحدث به مؤرخنا المذكور عن « حلم الخلاص » ، ويعني ابن الفوطي بهذا

---

(١) المعجم ٥ : مادة كمال الدين .

القول ما قدر له من الالتحاق برئيسه ومخرّجه ومربيه الطوسي فور الافراج عنه وعمله باشرافه في الرصد وفي خزانة كتبه ومعهده الرياضي في مراغة ، ويعني اتصاله الوثيق بعدد ضخم من العلماء في كل فن وصناعة ممن كانوا يترددون على نصير الدين ويقرأون عليه ويعملون معه في الرصد وغيره من المعاهد العلمية ويعني ثقافته وحذقه لآداب اللغات الاعجمية من فارسية وتركية وخبرته باللغة المغولية ، ويعني بقوله المذكور أيضاً اتصاله في مراغة واذربيجان وفي المخيمات أو المعسكرات الكثيرة هناك بجملة من الأمراء والحكام كآل الجويني شمس الدين وعلاء الدين وابنائهم وذويهم ، ونوابهم ولم يحجب عن الوصول الى بيوت السلاطين وكبار الأمراء . ويقصد كذلك عودته بعد التخرج من مدرسة مراغة في العلوم الرياضية والفلسفية على يد نصير الدين واوبته الى بغداد برغبة من علاء الدين الجويني صاحب الديوان وكان ذلك سنة ٦٧٩ وهو يتحدث في معجمه عن هذا الحادث بغبطة بالغة . ويذكر سكناه في دار آل الفوطي الواقعة بدرب القواسين من محلة الخاتونية وفي محلة الجعفرية من محال بغداد ، حيث عهد اليه بوضع بعض المؤلفات في التاريخ ، والاشراف على خزانة كتب المستنصرية ، والعمل في بعض مصالح الاوقاف ، ويحفل معجمه بشواهد كثيرة على اتصاله وهو في بغداد بمن اتصل بهم من الفقهاء والمحدثين والشعراء والأدباء والصوفية والوراقين والمؤرخين وعددهم كبير جداً . والخلاصة : عرف بالدأب والعمل المتواصل والمثابرة على الافادة والاستفادة ، وطار ذكره الى جهات بعيدة وكوتب من الاقطار الشاسعة حتى بلغ عدد شيوخه خمسمائة ذكرهم في معجم خاص يعد من مؤلفاته النفيسة ، واخيراً حفلت معاجم التاريخ وكتب الطبقات بترجمته وتنافس المتنافسون على اقتناء مؤلفاته والاستفادة منها ، الى هذا وغيره مما ترك له ذكراً جميلا نامياً على ممر القرون والعصور ، هذا ما عناه ابن الفوطي بكلمته ولم يكن لحلم ذلك الشيخ الصوفي أثر فيما حصل عليه وان اعتقد هو بذلك ، بل هي الاقضية والمقادير .

ابن طاووس وعلم الاعظام

آل طاووس أسرة عراقية كبيرة اخرجت جملة من اعلام المائتين السابعة والثامنة ، تولوا شؤون النقابة وامارة الحج في اواخر عصور الدولة العباسية ثم في الدولة الايلخانية المغولية وعالجوا الكتابة والتأليف في علوم الدين والفقه والشريعة والانساب ، وعرفت لآل طاووس في منتصف المائة السابعة خزانة كتب غنية بالذخائر والنفائس مما لم يكن له وجود في خزانة أخرى غالباً ، وقد نظم بعض اعلام هذه الأسرة فهرساً خاصاً لخزانتهم سمي « الابانة عن كتب الخزانة » ويلاحظ أن مصنفات ابن طاووس هذا حافلة بذكر الامهات والمراجع وتعريفها وذكر المظان التي توجد فيها ، وخزائن الكتب التي زارها أو سمع بها ، ومن الطريف أن يعنى ابن طاووس هذا بتعريف النسخ النادرة التي يظفر بها ، أو ينقل عنها فتراه يحدد قطع الكتاب وحجمه ، ويعين تاريخه ومكانه ، ويسمي مؤلفه ، الى هذا ونحوه مما هو نادر غير معروف عن غيره في تلك العصور ، ومجمل القول : يتضح لمن يعنى بتصفح مصنفات رضي الدين بن طاووس هذا ، ومصنفات آخرين من اعلام هذه الاسرة كاخيه جمال الدين احمد بن موسى مصنف كتاب «البشرى» في الفقه ، وله كتاب سماه« بناء المقالة العلوية في نقض الرسالة العثمانية» رد به على الجاحظ في رسالته المذكورة ؛ وكابن اخيه غياث الدين عبد الكريم مؤلف كتاب« فرحة الغري» وفي كتابه هذا ينوه كثيراً بعمه رضي الدين هذا ، نقول يظهر لمن يعنى بتصفح مصنفات القوم ، أو النظر في دراساتهم أو التأمل في انقطاعهم للبحث والتأليف وتحقيق الكتب وانشاء المكتبات ، أن كل واحد منهم جدير بلقب «العالم المجمعي » ، ويلاحظ أن معجم ابن الفوطي حفيل بذكر اعلام هذه الأسرة واخبارهم ، بل كانت لمؤلف المعجم المذكور صلة وثيقة بجملة منهم ، نخص بالذكر منهم

ابناه جمال الدين أحمد ورضي الدين علي [١] ، ويبدو لنا مع ذلك ان بعض افراد هذه الأسرة كانوا عظاميين يرون أن الانساب الشريفة تغني عن المآثر المكتسبة ، ولا يخفى أن الاعتزاز بشرف النسب حسن على ان الاحسن ان يقترن مع ذلك بالاعمال الصالحة ، ويلاحظ أن رضى الدين بن طاووس يستهل بعض ما يرويه عن اجداده من ناحية الامهات بقوله : « قال جدي » : وهو يعني مرة الشيخ أبا جعفر الطوسي ، وتارة الشيخ ورام ابن أبي فراس صاحب « المجموع » ، وفي مصنفاته امثلة غير قليلة من هذا القبيل : « لا نبالغ اذا قلنا ان رضي الدين علياً اشهر اعلام هذه الأسرة له مكانته في العلم والتأليف ، وفي الزهد والتقوى ولي نقابة النقباء من قبل هولاكو [٢] ، ويستفاد من بعض كتبه أنه ألف كتاباً في مجلد بعث به الى السلطان هولاكو على يد علاء الدين الجويني صاحب الديوان ، وان لم نعرف موضوع الكتاب [٣] ، ومما يستدلون به على مكانته ومنزلته فتواه المعروفة بتفضيل السلطان الكافر اذا كان عادلا على السلطان المسلم اذا

---

(١) صرح ابن الفوطي في معجمه اكثر من مرة أنه صحب رضي الدين علي بن طاووس النقيب في رحلاته التي قام بها الى اذربيجان والسلطانية في مستهل المائة الثامنة ، ومنها رحلته اليها سنة ٧٠١ ورحلته الاخرى سنة ٧٠٤ وهو – أي ابن الفوطي – لا يعني النقيب المترجم له في هذا البحث فانه توفي سنة ٦٦٤ بل يقصد احد ابنائه فقد ظهر لنا بعد التحقيق أن احدهم ورث اسم ابيه ولقبه وكنيته ومنصبه على وجه لا يؤمن معه اللبس والخلط ، وهذا هو الذي يعنيه ابن الفوطي اذا ذكر رحلاته معه ، فان رضي الدين الكبير لم يخرج من العراق ، بل كان يتردد بين بغداد والحلة والمشهدين ولم يصحبه ابن الفوطي ، ولرضي الدين الصغير الذي صحبه أبن الفوطي في رحلاته الى اذربيجان ذكر في عمدة الطالب لابن عنبة ، ويقول ابن الفوطي : كان الغرض من هذه الرحلات ضبط الانساب ، ويذهب النسابة ابن عنبة الى القول بانقراض آل طاووس الا في احتمال ضعيف : راجع معجم ابن الفوطي ٤ : مادة عماد الدين ومادة فخر الدين ، وعمدة الطالب لابن عنبة ط النجف ص ١٨٠ .

(٢) كتاب الحوادث .

(٣) الملاحم والفتن لابن طاووس ط النجف ص ١٤٠ .

كان جائراً ، وقصة هذه الفتوى واردة في أول فصل من فصول كتاب (الآداب السلطانية) تأليف المؤرخ المعروف بابن الطقطقي ، وهو مؤرخ اعتاد أن يدعم آراءه في فلسفة التاريخ والاجتماع بشواهد من الحوادث والواقعات التاريخية ، ولنا أن نقول : ان ابن الطقطقي التفت الى هذا المعنى قبل ابن خلدون باكثر من مائة عام ، وفي الفصل المذكور من كتاب ابن الطقطقي كلمة عن العقل والعدل وانهما خير خصال الملوك استشهد بعدها هذا المؤرخ بالفتوى المذكورة فقال : « لما فتح السلطان هولاكو بغداد في سنة ٦٥٦ أمر أن يستفتى العلماء ايما أفضل السلطان الكافر العادل ، أو السلطان المسلم الجائر ، ثم جمع العلماء بالمستنصرية لذلك ، فلما وقفوا على الفتيا احجموا عن الجواب وكان رضي الدين علي بن طاووس حاضراً هذا المجلس ، وكان مقدماً محترماً ، فلما رأى احجامهم تناول الفتيا ، ووضع خطه فيها بتفضيل العادل الكافر على المسلم الجائر ، فوضع الناس خطوطهم بعده »[1] .

مناقشة الفتوى

هذه هي حكاية الفتوى كما وردت في « الآداب السلطانية » ، ولا يخفى أن المورد الذي تبحث امثال هذه المسألة فيه هو أصول العقائد ، وللباحثين في هذا الموضوع سلباً وايجاباً ادلتهم من عقلية ونقلية ، وقد وردت الفتوى في الكتاب مجردة عن الأدلة والمستندات وان لم يستحسن بعضهم ذكر الدليل في الفتوى مع ان جمال الفتوى وروحها هو الدليل ولا نظن هذه الفتوى في اصلها خالية عن بعض القيود والاحترازات .

من رأينا أن القضية ليست شخصية تدور على المفاضلة بين حكم شخصين احدهما مسلم جائر والثاني كافر عادل ، فالعدل جميل والجور قبيح في كل زمان ومكان لا شك في ذلك ، ولكنها في جوهرها واساسها قضية عامة لها خطرها وعلاقتها الوثيقة بالامة من

---

(١) الآداب السلطانية لابن الطقطقي طبع الرحمانية ص ١٢ .

حيث المجموع ، وبحقوقها الطبيعية العامة في السيادة والحرية والكرامة . فالمسألة لذلك جديرة بكثير من البحث والتمحيص ، وهي امور جديرة بكل متصد للفتوى في مثل هذه النازلة أن يعنى ببحثها ودراستها اكبر عناية ويلاحظ انها حادثة ليس فيها قول سابق لاحد العلماء على الظاهر فيجوز في مثلها الاجتهاد ، ولكن لا يجوز تحكيم العاطفة في هذه الامور ، كما يظهر من الاسلوب الذي عرضت فيه القضية في بعض كتب التاريخ ومنها كتاب الآداب السلطانية .

اقتضى جور السلطان في الدولة العباسية وفساد نظم الحكم والاخلاق في بعض عصورها ان تنحل وان تفجع بفقدان سيادتها واستقلالها على يد احفاد جنكيز خان ، ولكن ذلك لايسوغ اطلاق حكم عام في هذه الحادثة ، ولا يبيح التفريط بحقوق عامة .

لا يكفي في الاحتجاج لهذه الفتوى قول من يقول ان العدل أجمل خصلة من خصال الملوك ، وأن الجور ابشع صفة من صفات القوم ، فهناك مذهب معروف يدعو الى طاعة أولي الأمر من المسلمين والدعاء لهم وان كانوا غير عادلين لانهم حماة الثغور الذادة عن بيضة الاسلام .

هذا ولا ندري ماذا يقصدون بعدالة هولاكو ، وكل ما عنده من العدل حبه لقومه المغول الى حد الجنون ، وانه لم يدخر مالا بل كان ينفقه على جحافل كثيرة وقادة طغاة اشتهروا في التاريخ بضروب من التنكيل واستباحة البلاد المغلوبة واخذ البريء بذنب غيره ، ومحو معالم الحضارة ، ولم تقم الدولة الايلخانية في العراق وفارس على اساس من العدالة والرأفة وصيانة الحقوق والمصالح العامة إلا في فترة قصيرة جداً هي الفترة التي تحول فيها المغول من وثنيتهم الى الاسلام .

من بواعث الحيرة

رجل دين واعتقاد ، رجل تقوى وورع ، رجل علم وفقـــه وحديث ، مؤلف

مكثر ، كبير في قومه ، على أنه مع ذلك — وهذا من بواعث الحيرة — منقاد اشد الانقياد لاحكام نجومية هي ضرب من الرجم بالغيب ، فبماذا يعلل هذا الانقياد والاستخذاء استخذاء علماء من طبقة ابن طاووس وابن الفوطي « والغ بك » صاحب الزيج المشهور ، الى كثير غير هؤلاء ؟ وبماذا يفسر هـــذا الاندفاع والهوس في تصديق مقالات الاحكاميين ؟ يمكن أن نعلل ذلك بانه من مقتضيات بعض الامزجة والطباع ، أو أنه ضرب من الاضطراب في مركز من مراكز العصب الحساس منشؤه صدمة عنيفة أو خوف شديد أو أن أحدهم جرب في نفسه أو في غيره احكاماً أصاب فيها المنجمون اتفاقاً فذهب الى أن ذلك العلم علم صحيح في جميع الاحوال ، ويستفاد من اهتمام السيد رضي الدين بن طاووس بحساب مدة اجله ، واعتماده في هذا الحساب على المنجمين أن ضرباً من الهلع أو الخوف من الموت استولى عليه ، وتمكن منـــه ، فانقطع للعمل في تحويل مولده ، وغايته من ذلك معرفة اجله ، ولا ندري كيف كان وقع عمله هـــذا على اهله وصحبه لما حـــدد المنجمون اجله ، وعينوا الوقت الذي ينتقل فيه الى الرفيق الاعلى ، وماذا ادخل عليهم من الغم ونكد العيش ، ولا شك أن فيهم من لا يرى رأيه ، ولـكن حرمته ومكانته في عشيرته منعتهم من معارضته في الاقدام على العمل المذكور أما هو فقد كان ولا ريب على حالة نفسية شاذة تدور على التفكير في الموت وحـــده ، ويحوطها الغم والـكآبة . هذا ومن اماني الانسان العادي كما لا يخفى استبعاد الموت وان يعيش الى ما شاء الله .

انهمك ابن طاووس انهماكاً عجيباً بصناعة المنجمين وفي مقدمتها تحويل المواليد ومنها مولده نفسه ، وذلك عند جماعة من منجمي عصره على اختلاف طوائفهم وبلدانهم ، من ذلك اربعة من منجمي الموصل وغيرهم من منجمي الحلة عدا من حضر عنده . كل ذلك لينكشف له اليوم الذي يموت فيه ، ومن الطريف أن أكثر المنجمين اخبروا ابن طاووس ان عمره يتراوح بين اربع وسبعين أو خمس وسبعين سنة شمسية ، وقال اثنان انه يزيد على ثمانين ،

ولا يخفى أن الرجل من مواليد سنة ٥٨٩ وكانت وفاته سنة ٦٦٤ بالغاً من العمر ثلاثاً وسبعين سنة ، والغالب أنه راجع المنجمين بشأن تحويل مولده حوالي سنة ٦٥٠ ، وله من العمر ستون سنة أو نحو ذلك ، هـذا ولم يزل الرجل بعد حكم المنجمين واذعانه لهم على قدم التحرز والاستظهار حتى قال : « لولا وجوب التفويض الى مالك الاشياء لاحببت سؤاله عز وجل تعجيل مفارقة دار الفناء » وهذا القول صحيح لان من يصاب بمثل ما اصيب به الرجل قد يرى في الموت ومفارقة الحياة راحة ، فهل بعد هذا الوسواس من وسواس ، وهل يلام من يقول ان ابن طاووس في هذه الفترة من حياته كان يعاني علة أو ازمة نفسانية شديدة الوطأة ، وكيف اطمأن هـذا السيد الى اقوال المنجمين في حساب مدة حياته مع تضارب اقوالهم واختلافهم في الحساب ، وقد كان هذا الرجل ولا شك كثير التلاوة يقرأ في الكتاب قوله تعالى : « وما تدري نفس ماذا تكسب غداً وما تدري باي أرض تموت ، وقوله : والله اعلم بالغيب فلا يظهر على غيبه احداً » وفي هذا الضرب من الجهل والقصور ما فيه من المصلحة فكيف حاول العلم بامر استأثر الله به ، لا ريب أنها مسألة تبعث على الحيرة .

عقد ابن طاووس فصلا ممتعاً علل فيه اقدامه على حساب مولده وانهاكه بمعرفة الوقت الذي يتوفاه الله فيه ، ولا يخلو تلخيص هذا الفصل من فائدة ، وقد جاء فيه ما هذا لفظه : « يقول علي بن موسى بن جعفر بن محمد بن محمد الطاووسي لما رأيت بما وهبني الله جل جلاله من انوار عقل وابصار نقل انه لا يمتنع ان تكون للنجوم دلالات على الحادث ووجدت النقل الموافق للعقل ، كما قلنا قد ورد بجواز ذلك عمن أوجب الله طاعته ، والركون اليه ، ووجدت التحرز من الضرر المظنون واجباً في حكم أولي الالباب ، وارباب العقول تخاطر بنفسها في تحصيل نفع مظنون ، وتركب في تحصيله مطايا الاخطار ، وتحتمل لاجله اهوال الاسفار ، حولت مولدي عند اربعة من أهل الموصل بمشتغولدي

اليهم ، وعند من كان منسوباً اليهم من أهل البلاد الحلية ، وشافهت من حضرني منهم بما تدل عليه الاسرار الربانية ، ولم اقتصر على من كان منهم على عقيدة واحدة ، بل عند اصحاب العقائد المتباعدة ، وعند بعض أهل الذمة ، ورأيت ذلك من الامور المهمة لا كون على قدم الاستظهار للخروج من دار الاغترار ، ولقد جربت في عمري من صحة دلالات النجوم شيئاً كثيراً تصديقاً لما نقل في الروايات ، وما رأيت عقلي يوافقني على الاهمال ، والتغافل عما بين يدي من الاهوال ، مع التمكن من كشفها واستدراكها ، وقد قال اكثرهم — يعني اكثر اولئك المنجمين — ان عمري يتسع الى خمس وسبعين سنة ، وقال آخر الى اربع وسبعين ، وقال اثنان يزيد على ثمانين سنة ، وانا على قدم التحرز والاستظهار الزائد عند كل سنة بزيادة على عوائد الاستظهارات المألوفة .

هـذا ما قاله ابن طاووس وفيه ما فيه من دلالة قاطعة على انقياده لعلم الاحكام وصناعة النجوم ، وهذا الفصل منقول عن كتابه الذي سماه « فرج المهموم » [1] .

فرج المهموم

جرد رضي الدين بن طاووس كتاباً ضخماً في الدفاع عن صناعة المنجمين رد فيه على القائلين ببطلانها أو ضررها ، وسمى كتابه « فرج المهموم في معرفة الحلال من علم النجوم » [2] ومن هذا الاسم يستفاد ان شطراً من هذا العلم يحظر تعلمه والنظر فيه ، والمشهور انه « علم الاحكام » ، غير أن المؤلف دافع عن هـذه الصناعة ورد على القائلين ببطلانها في كتبه وخصوصاً هذا الكتاب ، ولا نعرف بعد ذلك ما هو المحظور في رأي ابن طاووس من الصناعة المذكورة .

---

(١) (٥٠ ، ٥١) من الكتاب .

(٢) نشر هذا الكتاب في اكثر من (٢٥٠) صفحة متوسطة في مدينة النجف عن نسخة حديثة ، وهذه الطبعة سقيمة كثيرة الاغلاط .

لا تخلو هذه النسخة من اضطراب وتحريف ، من ذلك أن المؤلف صرح في خاتمة الكتاب بفراغه من تأليفه سنة ٦٥٠ في المشهد الحائري مع انه ارخ انتقالهم الى بغداد سنة ٦٥٢ أي بعد ذلك بسنتين (١) . ومن رأينا أن الكتاب من جملة ما ألفه ابن طاووس بعد سقوط بغداد أو قريباً من هـذا التاريخ ، ويستند المؤلف في دعم اقواله الواردة في الكتاب عن علم النجوم الى احاديث غريبـة أو ضعيفة ، ويقول إن الامام علياً وابناءه كانوا يعرفون هذا العلم ، ويعملون به ، ويناقش في صحة ما يروى عن الامام من تكذيب المنجمين ، والنهي عن تعلم النجوم ، وذلك في مسيره الى حرب الخوارج ، ويرد على جملة من القائلين ببطلان هذه الصناعة ، ويلاحظ أنه جرد شطراً من كتابه في الرد على الشريف المرتضى واقواله في تزييف هذا العلم ، وسود صفحات غير قليلة في هذا المعنى (٢) ، ويلاحظ أيضاً أن المؤلف لم يصرح بمقصوده من كلمة « علم النجوم » ولم يعرفه تعريفاً شافياً . ولكن يستفاد من بحوثه انه يعني ما يتناول « الاحكاميات » يدلنا على ذلك اكثاره من ترجمة « الاحكاميين » والاحتجاج باقوالهم ، فالمؤلف يصحح ضرباً وهمياً من علم النجوم هو الكشف عن المستقبل وأخذ الطالع ، وتقويم ما يصلح وما لا يصلح من اعمال الناس وتعزيز ذلك بحكايات وروايات واهية ان دلت فانها لا تدل على تأثير النجوم واصابتها في دلائلها واحكام من يحكمون بموجبها وانما تدل على اضطراب في العقول وسـذاجة في النفوس وميل الى تصديق الاوهام والخرافات . وفي عصر ابن طاووس تكاثر عدد من يقول ان علم النجوم علم صحيح عليه المعول في كشف احداث المستقبل خلافاً لاكثر اهل العلم والنظر . وكان ابن طاووس هذا من القائلين بذلك ولو أنه صرح اكثر من مرة بان النجوم ليست

---

(١) انظر الصفحة (٤٧) من النسخة المطبوعة .

(٢) فرج المهموم (٤١ ، ٥٥) .

علة فاعلة أو موجبة ولكنها كائنات لها دلالتها على ذلك ، واكثر بحوثه في هذا الكتاب مقصورة على هذا المعنى على وجه يستفاد منه انه عني بدراسة علم النجوم حتى اصبح من الحذاق فيه فقد لاحظنا انه عني باخذ طالع ولده « محمد » الذي ألف له « كشف المحجة » وفي هذا الكتاب يخاطب ولده المذكور قائلا : « رأيت طالعك الميمون المبارك يتضمن انك تعلم ما يكتب بالاقلام ، يريدك الله في الالهام والافهام وارجو من عنايته تصديق ما رأيت » (١) على أن المؤلف قلما عرض للبحوث الفلكية أو الحسابية او الهندسية ، أو الى حركات الاجرام السماوية وما يترتب على ذلك ، والواقع ان جملة من كتب المؤلف الأخرى لا تخلو من البحث في علم النجوم والرد على القائلين ، ببطلانه ومن ذلك كتاب « الملاحم والفتن » وكتاب « كشف المحجة لثمرة المهجة » وهو من كتبه التي أعلن رأيه فيها بصحة هذا العلم على النحو الذي ورد في كتابه « فرج المهموم » (٢) والخلاصة : ان اخذ الطالع والمواليد وكشف الاحداث الى غير ذلك من الاحكام التي يصدرها المنجمون مستفاد من دلالة النجوم نفسها عندهم فهي التي تعلمهم ذلك على طريقتهم المعروفة في الحساب والاستخراج واستنباط « الزايجة » (٣) والاسطرلاب والبندق وما الى ذلك .

---

(١) كشف المحجة ١٣٧ .

(٢) المصدر نفسه ١٣٧ .

(٣) الزايجة في اصطلاح المنجمين صورة مربعة او مدورة تعمل لموضع الكواكب في الفلك يستفاد منها في حكم المولد ، نقل ذلك الزبيدي عن الشفاء ، ونقله الخفاجي صاحب الشفاء عن صاحب مفاتيح العلوم ، وقال الزبيدي أيضاً في التاج : الزيج خيط البناء (زنة شداد) وهو المطر ، وفي مفاتيح العلوم : الزيج كتاب يحسب سير الكواكب سنة سنة وهو بالفارسية (زه) وهو الوتر ثم عرب فقيل « زيج » وجمعوه على زيجه (كقرده) ، هذا ولاحظ الزبيدي على الفيروز ابادي أنه أورد الزيج في الواو — مادة زوج — اشارة الى أنه واوي ، وليس بذلك بل الاولى ذكرها في آخر المواد لكونها معربة ، فابقاؤها على ظاهر حروفها انسب ، وقال الاصمعي في الاخير : لست اعرف أهو — أي الزيج — عربي أم معرب .

سفر مفيد

ولا شك مع هذا بان « فرج المهموم » سفر تاريخي مفيد تضمن سيرة عدد من المعنيين بصناعة النجامة واحكام المنجمين مغمورين ومعروفين اسلاميين وغير اسلاميين ، مع النادر الطريف من اخبارهم وقصصهم ، وتهوس المتهوسين منهم في مذاهبهم ومعتقداتهم ، والكتاب في جملته خلاصة بحوث المؤلف في موضوعه ، ويستفاد منه أن صاحبه اطلع على مجموعة كبيرة من مصنفات الرياضيين والمنجمين والفلكيين والمؤرخين والعلماء والأدباء ، ووقف على اصول ومآخذ وفهارس كبيرة بعضها معروف لنا وبعضها غير معروف وبعضها مما وصل الينا ناقصاً ، من ذلك مثلا أنه يستند إلى اصول أو نسخ تامة من كتاب فهرست ابن النديم ، ومثلها من كتاب « نشوار المحاضرة » فان النسخة التي وجدت في خزانة آل طاووس[1] من هذا الكتاب تقع

(١) اشتملت خزانة رضي الدين بن طاووس مؤلف الكتاب على كتب نفيسة نادرة لانعرف عن اكثرها شيئاً اليوم وقد امكن تنظيم هذا الثبت بها نقلا عن كتابه فرج المهموم ، من ذلك كتاب (سيرة الفاطمي) وهو الناصر العلوي صاحب طبرستان ، ومؤلف هذا الكتاب على ما يقول المصنف اسفنديار بن مهرنوش النيسابوري ، وكانت عند المؤلف نسختان من هذا الكتاب قديمة وجديدة ، نقل نبذة عنه وعلق عليها (١٧٥ ، ١٧٦) ، مجموع عتيق « قالبه اكبر من الربع » نقل عنه كلمة عن معرفة الصاحب ابن عباد بالنجوم ، المدخل في علم النجوم لنصر بن حسن القمي ، الجوابات الحاضرة لأبي علي محمد بن عبدالعزيز الهاشمي ، تفسير كتاب الثمرة لاحمد بن يوسف المصري منجم آل طولون وقد نسب كتاب الثمرة الى بطلميوس ، ولكن الباحثين المتأخرين انكروا ذلك قائلين ان كتاب الثمرة تضمن آراء تخالف اقوال بطلميوس في كتبه الأخرى ومنها « المجسطي » والمقالات الاربع من كتبه المعروفة ، كتاب القرانات والدول لمحمد بن عبدالله البازيار ، رسالة الكندي في علم النجوم خمسة اجزاء ، اختيار رجال الكشي لجده أبي جعفر الطوسي بخطه املاه في المشهد الغروي سنة ٤٥٦ ، كتاب الآراء والديانات لابي محمد الحسن بن موسى النوبختي ، كتاب كبير يحتوي على علوم كثيرة ، قال المؤلف: « هذا الكتاب عندنا الآن » وقفت منه على معرفة بعلم النجوم ، وما اختاره وما رده على أهل الاديان ، ويلاحظ أن كتاب الآراء والديانات لابي محمد بن نوبخت من جملة الكتب التي اعتمدها ابن تيمية ونقل عنها في كتاب « الرد على المنطقيين » فانه أعني ابن تيمية عقد =

في اكثر من عشرة اجزاء[1] وكتاب الوزراء للجهشياري فان نسختهم من هـذا

= فصلا عنوانه « لمعرفة الحق طرق لا طريقة واحدة » (٣٣) جاء فيه « كنت علقت هذا الكلام على أهل المنطق في مجلس واحد بسرعة لسبب اقتضى ذلك ، ثم بعد مدة نظرت في كتاب الآراء والديانات لابي محمد الحسن بن موسى النوبختي ، فرأيته قد ذكر هذا المعنى عمن تقدم من متكلمي المسلمين فانه ذكر كلام ارسطو مختصراً ، وعاد ابن تيمية الى الاحتجاج بكلام النوبختي (٣٢٧) نقلا عن كتابه وذلك عند تغليط المنطقيين والرد عليهم في دعواهم ان القياس لا يبنى من مقدمة واحدة ، هذا ولكتاب الآراء والديانات ذكر في مروج الذهب للمسعودي (١ : ٣٢) قال صاحب المروج : « وقد رأيت أبا القاسم البلخي قد ذكر في كتاب عيون المسائل والجوابات ، وكذلك الحسن بن موسى النوبختي في كتابه المترجم بالآراء والديانات مذاهب الهند وآراءهم والعلة التي من اجلها احرقوا انفسهم في النيران ، وقطعوا اجسامهم بانواع العذاب » كتاب الرد على بطلميوس في قضية هيئة الفلك والأرض للنوبختي أيضاً ، كتاب ريحان المجالس وتحفة المؤانس تأليف احمد بن الحسين بن علي الرخجي ، ثم قال : عندنا الآن له تصنيف اسمه « انس الكريم » ، وكان الرخجي يروي عن المرتضى ، الجليس الصالح والانيس الناصح للمعافى بن زكريا ، كتاب لداعي الاسماعيلية أبي حنيفة النعمان نقل عنه ، كتاب الملح لابن خالويه ، قال المؤلف نسخة عتيقة يقتضي انها كتبت في حياته — يعني حياة ابن خالويه — احضرها الينا السيد حسن بن علي المدائني المعروف بابن بنت الكال كرهت شراءها لاجل مافيها من الهزل ، تاريخ الحاكم النيسابوري نقل عن الجزء السابع منه ، طرائف اللطائف في تاريخ السوالف لابي الفرج عبد الرحمن بن الجوزي ، كتاب التذييل لصدقة بن الحسن ، وهو من كتب التاريخ ، كتاب الوزراء تأليف علي بن الحارث ، كتاب الوزراء ليحيي بن محمد الصولي نقل عن الجزء الثالث منه ، كتب ثابت بن قره ومنها كتاب (الابصار) وكتاب (جراب البيت) في التاريخ ، كتاب الآثار المخبأة في الجو للحسن بن سيار المعروف بابي الخير ، كتاب الانواء لاحمد بن عبد الله الثقفي ، كتاب الشامي ويقصد الزيج الشامي لابي نصر بن عراق ، كتاب الموالي لمحمد بن معينة ، الزيج المأموني للحسين بن احمد الصوفي الكرماني ، كتاب المواليد لعمر بن فرحان الطبري ، كتاب الاختيارات لابي موسى القرشي ، كتاب المدخل للنقاش ، كتاب علم الاسطرلاب لعلي بن عيسى ، كتاب الانواء لابي حنيفة الدينوري ، الملخص للرازي ، مراتب العلوم لمسكويه ، زيج يحيي بن أبي منصور ، زيج عبدالله بن احمد بن أبي حبيش ، الزيج المخترع لحسين بن مصباح الحاجب ، الارشاد للبيروني ، كتاب المواليد لابي علي المعروف بابن الخياط ، المنار في علم مواقيت الليل والنهار للمبارك بن الحسين بن طراد المعروف بابن المنجم ، جوامع علوم النجوم واصول الحركات السماوية للفرغاني ثلاثون فصلا ، كتاب مكتوب عليه « جميع ما استخرجه من آراء العلماء في ممازجة الكواكب واعمالها » ، كتاب القرانات والكسوفات للبتاني ، علم الاسطرلاب لابي الحسين البزاز الاصفهاني كتاب ديوان النسب ، ولهذا الكتاب ذكر في كتابه كشف المحجة عرفه بقوله ديوان النسب ثلاث مجلدات ليس عند احد له نسخة يتضمن شيئاً عظيما من العجائب والمناقب والمثالب ، وقد اوصى المؤلف ولده ان لا يبذله لاحد غير اخوانه وخاصته ستراً لاعراض ذوي الارحام ، وان يمتنع عن اعارته الى غير ذلك مما يدل على خطر هذا الكتاب .

(١) فرج المهموم ١٥٤ وكتاب النشوار من اكبر مآخذ المؤلف في فرج المهموم .

الكتاب تقع في اربعة مجلدات [1] ، وكانت عنـــد آل طاووس نسخة كاملة من « معجم الأدباء » لياقوت ، ولا يخفى ان هذه الأصول وكثيراً غيرها وصلت الينا ناقصة أو مبتورة أو مشوهة مغلوطة ، وعلى هذا تكون خزانة كتب رضي الدين علي ابن موسى بن طاووس من اغنى خزائن الكتب العراقية في أواسط المائة السابعة الى أوائل الثامنة ، اضف الى ذلك أن المؤلف يتحدث في كتابه هذا عن جملة من خزائن الكتب الكبرى سواء أكانت داخل البلاد أم خارجها ، من امتعها حديث له عن خزانة « علي بن يحيي المنجم » [2] البلدي البغدادي ، وقد أنشأها في « القفص » [3]

(١) فرج المهموم ١٣٨ .

(٢) وردت اخبار آل المنجم ورويت سيرهم في الفن الثالث من المقالة الثالثة من كتاب الفهرست لابن النديم (١٤٠) والفصل المذكور معقود لاخبار العلماء واسماء ما صنفوه من الكتب ، ويحتوي على اخبار الندماء والجلساء والأدباء والمغنين والصفادمه والصفاعنة ، وفي هذه المقالة من فهرست ابن النديم ما يؤيد رواية ابن طاووس عن خزانـــة « علي بن يحيي المنجم » ويقال له ابن المنجم أيضاً ، وهو أشهر اعلام هذه الأسرة ، ومما جاء في الفهرست عنه انه اتصل بمحمد بن اسحق بن ابراهيم المصعبي ، ثم بالفتح بن خاقان ، وعمل له « خزانة حكمة » نقل اليها من كتبة وما استكتبه الفتح ابن خاقان اكثر ما اشتملت عليه خزانة حكمة ، ومن ذلك يستفاد ان هذه الجملة كانت تطلق على كل دار كتب كبرى في العصور المذكورة وان امثال هذه الخزائن لم تكن قليلة ، فكانت واحدة للمأمون واخرى للفتح بن خاقان وثالثة لابن المنجم انشأها في ضيعة له نفيسة ، وابن المنجم على ما يقول ابن النديم ممن نادم المتوكل ، وكان من خاصة ندمائه ومتقدميهم عنده ، خص به وبمن بعده من الخلفاء الى ايام المعتمد ، ثم تحـــدث ابن النديم عن أدب يحيي المنجم وروايته وكتبه ومصنفاته وان له « صنعة » أي خبرة في الالحان والغناء ، مقدم عند الخلفاء يجلس بين ايديهم ويفضون له بعد باسرارهم ، ويأمنونه على اخبارهم توفي سنة ٢٧٥ ودفن في سر من رأى ، وذكر بعد ذلك اولاده واحفاده على نسق مع ذكر مؤلفاتهم في الكلام والفقه والأدب ومن ذلك كتاب سمي « اللفظ المحيط » في نقص ما لفظه اللقيط ، يرد فيه على أبي الفرج الاصبهاني ، ومؤلفه من احفاد علي ابن يحيي بن المنجم واسمه « علي بن هارون بن علي بن يحيي » الى غير ذلك من اخبار القوم ، انظر فهرست ابن النديم ١٤٣ ، ١٤٤ .

(٣) اجتاز السمعاني في رحلته من الشرق الى العراق بالقفص وأورد عنها في كتاب الانساب =

يسميها « خزانة الحكمة » يقصدها الناس من كل بلد يقيمون فيها ويتعلمون صنوف العلم ، والكتب في ذلك مبذولة لهم ، والضيافة مشتملة عليهم ، والنفقة في ذلك من مال « علي بن المنجم » المذكورة .

في هذه الخزانة تعلم « أبو معشر الفلكي » وهو في الاصل من المحدثين قدم من خراسان يريد الحج ، فوصفت له الخزانة فهاله أمرها واقام فيها واعرض عن الحج ، قال ابن النديم : كان أبو معشر البلخي الفلكي يضاغن الكندي ، ويغري به العامة ، ويشنّع عليه بعلوم الفلاسفة ، فدس — أي الكندي — اليه من حسّن له النظر في علم الحساب والهندسة فدخل في ذلك فلم يكمل له فعدل الى « علم النجوم »(1) هـذا ما ورد في فهرست ابن النديم ونقله المؤلف في كتابه ، وليس من السهل فيما نرى

= نبذه لطيفة اشتملت على فوائد فاتت ياقوت الحموي كما فاتت مؤلف مراصد الاطلاع ، فقال أي السمعاني في مادة (القفصي) هذه النسبة الى القفص وهي قرية على دجلة من اعمال دجيل على ثلاثة فراسخ منها . وكانت من متنزهات بغداد اجتزت بها ، وانشدني عاصم بن الحسن الكرخي لنفسه :

يا صاحبي بالقفص لا صاحبي بأربع بالجزع ادراس
عرج على دن بقطربل وانزل بقديس وشماس
وذعذع الكاس فاني امرؤ يعجبني دغدغة الكاس

ثم سمى السمعاني جماعة من المحدثين ينسبون الى القفص ، والغالب أنه لقيهم ببغداد ، منهم محدث سكن باب المراتب ببغداد ومنهم من سماه علي بن الحسين بن ايوب ، اجتمع به وكان على ما يقول شيخاً صالحاً على زي الصوفية وتوفي ببغداد ، وضبط السمعاني كلمة القفص بضم القاف مع ان صاحب المراصد ضبطها بالفتح ، هـذا والمعول على كلام السمعاني في جميع ما يكتب عن القفص لانه رآها ، وقال : انها « قرية » على دجلة مع أن ياقوت الحموي عرفها تعريفاً يدل على أنه لم يرها فقال : « ناحية » ويستفاد من كلام هؤلاء البلدانيين ان موقع « القفص » فوق دجيل الحالية . هذا ومن القرى التي تذكر عند كلامهم عنها قطربل ، عكبرا ، الحظيرة ، حربي ، وعلى كل حال كانت قرية القفص من معاني اللهو ومعاهد التنزه في صدر الدولة العباسية لها ذكر في اشعار أبي نواس .

(1) فرج المهموم ١٥٧ ، ١٥٨ والرواية منقولة عن نسخة ابن طاووس من كتاب نشوار المحاضرة للتنوخي وفهرست ابن النديم .

التسليم بقصة المضاغنة بين أبي معشر والكندي كيف اتجه أبو معشر الى تعلم العلوم الرياضية بسببها ، فالمعروف ان أبا معشر تعلم النجوم على كبر ، وكان راغباً في تحصيل هذه العلوم ، وعلى كل حال يستفاد من هذه الرواية مبلغ عناية القوم بتوفير اسباب الطمأنينة وفي دور الحكمة لتجتذب اليها المطالعين والباحثين .

وجه آخر للرواية

ومن المؤلفين الذين عنوا بايراد قصة أبي معشر في تعلم النجوم نقلا عن نشوار المحاضرة للتنوخي ياقوت الحموي في معجم الأدباء [1] ، ولكن ياقوت نقلها عن نشوار التنوخي بشكل يختلف عن رواية ابن طاووس ، ويلاحظ أن ابن طاووس ترك جزءاً من الرواية يتعلق بانحراف أبي معشر الفلكي ، فان التنوخي ختم حديثه عن إقامة أبي معشر فيخزانةالحكمة بقوله : « تعلم فيها علم النجوم واغرق فيه حتى ألحد ، وكان ذلك آخر عهده بالحج والدين والاسلام » وهذه الجملة لا أثر لها في رواية ابن طاووس ، فان منهج ابن طاووس في كتابه يتحاشى غمز المنجمين بالمروق والالحاد بسبب تبحرهم في العلم المذكور .

شجرة أدب

هذا ما رواه المؤلف من اخبار « خزانة الحكمة » وصاحبها ، واذا كانت ناحية القفص – وهي تبعد مئات الاميال عن بغداد – تشتمل على مثل هذه الخزانة فكم من خزانة اشتملت عليها بغداد نفسها في العصر المذكور ، والواقع ان الطريق بين القفص وبغداد كانت زاهية زاخرة بالعمران تنعم بضرب من الأمن والطمأنينة والسعادة منقطع النظير، هذا ولايجمل بنا أن نمر بهذه الرواية أو بهذهالمأثرة وماتنطوي من مروة

---

(١) المعجم ج ٥ ط . مصر ص ٤٦٧ .

وسخاء وتقدير بالغ للعلم ، ورغبة صادقة في نشره ، أجل لايحسن بنا أن نمر برواية المؤلف هذه من دون تعليق ، فمن هو يا ترى « علي بن يحيى بن المنجم » وإلى أي بيت ينتمي وماذا كان ماضي سلفه وكم عـدد الذين اشتهروا وطار ذكرهم وعلت منزلتهم من افراد هذا السلف في دار الخلافة ومنازل الخلفاء ؟

عنينا كثيراً بطلب اخبار هذه الأسرة واحوالها الغامضة في كتب التاريخ والأدب وامضينا وقتاً غير قليل في البحث عن ذلك فاذا نحن امام اسرة عريقة في خدمة الدولة العباسية سلخت في ذلك مدة تقارب المائتي سنة بين عصر المأمون الى عصر الخليفة الراضي في مطلع المائة الرابعة ، وقد وجد جدّ هذه الاسرة في بغداد أولا وعاش مع بعض ابنائه فيها ثم انتقل من انتقل منهم الى سامراء في عصر المعتصم والمتوكل ثم عادوا الى بغداد بعد ذلك وكانوا معروفين في عصر الخليفة الراضي بامر الله .

نشأت خلال هذه المدة طبقات من اسرة آل المنجم المذكورة اشتهر عدد غير قليل من افرادها بتحصل فنون من العلم والأدب والثقافة ومنادمة الخلفاء وخدمتهم والاتصال بدار الخلافة ، وعلى الاجمال توفرت فيهم جميع الشروط المطلوبة في منادمة الخلفاء والاختلاط ببطانتهم ووزرائهم واعيان دولتهم وناهيك بقوم كان منهم ندماء للمأمون والمعتصم والمتوكل والمعتمد والراضي ثم لامثال « الفتح بن خاقان » وزير المتوكل المشهور .

ومن هذه الناحية حفلت كتب التاريخ والأدب باخبارهم ونوادرهم ، وعني المؤلفون بشؤونهم ، ومن اوائل المعنيين من المؤرخين والمؤلفين بذلك أبو بكر محمد بن يحيى بن العباس الصولي في مصنفاته ومن امتعها كتاب « الأوراق » ذكر فيـه جماعة من آل المنجم عاصروه وكانوا من انداده أدباً وظرفاً وشاعرية وحظوة عند عدد من خلفاء بني العباس ثم كتاب « اخبار البحتري له » .

عني أبو بكر الصولي بذكر طرف من اخبار آل المنجم مع الخليفـــة الراضي والمتقي ومنادمتهم له وملازمتهم لمجلسه وسجل نبذة من المحاورات والمداورات الأدبية التي كانت تجري في ذلك المجلس [1] ، على أن الصولي مهما ذكر من اخبارهم في كتاب الاوراق وغيره فان ذلك لا يعد شيئاً بالنسبة الى ما تحدث به من اخباره نفسه - اعني الصولي - مع الراضي ، ولم يصل الينا كتاب من كتب آل المنجم كما وصلت الينا بعض كتب الصولي ، ومن الجائز أن يكون لآل المنجم مع الخلفاء المذكورين اخبار لا تقل عما وصل الينا من اخبار الصولي معهم في كتاب الأوراق ، ولا يخفى أن مؤلفات آل المنجم في اللغة والأدب والتاريخ وفي علوم اخرى ضاعت فضاع بضياعها علم كثير .

عنى بعـــد ذلك ابن النديم في فهرسته بذكر آل المنجم طبقة طبقة بدأ بجـدهم الاعلى أبي منصور مولى المأمون ثم باولاده واحفاده على نسق كما رأيت ، وكان ابن النديم معاصراً لعدد من اعلام هذه الأسرة ، كما كان قريب العهد بعصر أبي بكر محمد بن يحيى الصولي ولذلك قال في مستهل ترجمته للصولي [2] « وعهده اقرب من ان نستقصيه ، وكان ألعب أهل زمانه بالشطرنج حسن المروة عاش الى سنة ثلاثين بعد الثلثمائة » ويعني ابن النديم بقوله هذا ان اخبار أبي بكر الصولي على افواه الناس في ذلك العصر فلا حاجة الى الاكثار منها في الكتاب لانها معروفة .

المرزباني وآل المنجم

جاء المرزباني وهو معاصر للمسعودي والصولي واطرى آل المنجم بالدين بل بالامامة ، في الدين مع ان آل المنجم يعدون في كتب الاخباريين والمؤرخين والمؤلفين في فنون الآداب من طبقة الندماء الاذكياء والوجهاء القريبين من الخلفاء ووزرائهم ، وفيهم

(١) اخبار الراضي والمتقي من كتاب الاوراق للصولي ط مطبعة الصاوي ٨ ، ٩ ، ٢١ ، ٣٧ ، ٥٥ ، ٥٩ ، ٦٠ ، ١١٥ ، ١٣٧ ، ١٤٩ ، ١٩٥ .

(٢) الفهرست : ١٥٠ — ١٥١ .

أيضاً بعض المجوّدين في الغناء ممن ديدنهم اللهو والقصف وادمان الشراب ، وفيهم من عني بالفقه والحديث ، وقد وفاهم المؤرخون حقهم ، وسموا لهم عدداً من المصنفات ، منهم المسعودي والصولي وابن النديم . كما رأيت على أنهم على كل حال لم يبلغوا درجة المنقطعين للبحوث أو المعارف الدينية ، وانما انفرد المرزباني[1] الاخباري المصنف المشهور المتوفى سنة ٣٧٨ بهذه الحكاية .

عاصر المرزباني على ما يبدو لنا طبقة من آل المنجم ، بل كانت لهذا الكاتب الأديب على ما يستفاد من كتابه الذي سماه « معجم الشعراء »[2] صلة وثيقة ورابطة اكيدة بهم ، فهو من الموالين لهم ، المعادين لخصومهم ، ولذلك مال في ترجمته لمن ترجم منهم الى الاكبار والاعظام ، وحرص على وصفهم بالديانة ، ولم يقتصر على ذلك بل وصفهم بالذود عن حياضها واعلاء كلمتها مع ان في القوم طبقات شتى ، منها البعيدة عن الدين القريبة من أهل الدنيا ، ولهذا الاطراء البالغ علل واسباب ستطلع عليها ، فهو — أي المرزباني — يقول في آخر ترجمته لعلي بن يحيى ابن أبي منصور

(١) عنى بترجمة ابى عبد الله محمد بن عمران المرزباني غير واحد من المؤلفين في التاريخ والطبقات ، ومن رأينا ان ابن النديم صاحب الفهرست بز جميع من عنى بترجمة المرزباني لانه عاصره بل شاهده واخذ عنه ، فهو في ترجمته له يصدر عن خبرة ، وقد وصفه بصدق اللهجة في الرواية وكثرة السماع قائلا في مستهل ترجمته : « آخر من رأينا من الاخباريين المصنفين مولده سنة ٢٩٧ ويحيا الى وقتنا هذا وهو سنة ٣٧٧ ونسأل الله العافية والبقاء » ، ولكن المرزباني توفي بعد ذلك بسنة واحدة وقد غلط ناشر كتابه « معجم الشعراء » في تاريخ وفاته ، هذا وقد نظم ابن النديم في فهرسته ثبتاً ضافياً بمصنفات المرزباني في التاريخ والاخبار وفنون الآداب ، ويستفاد من بعض كتبه انه كان خبيراً بعلم النجوم مؤلفاً فيه .

(٢) نشرت قطعة من معجم الشعراء للمرزباني في القاهرة سنة ١٩٥٤ ، مبدوءة بمن اسمه (عمرو) وهذه القطعة في تقديرنا لا تزيد على ثلث الكتاب ، فان المرزباني استوعب حروف المعجم كلها فيه ، قال ابن النديم في الفهرست : « كتاب المعجم ذكر فيه — يعني المرزباني — الشعراء على حروف المعجم ، بدأ بمن أول اسمه الف الى حرف الياء ، وفيه نحو خمسة آلاف منهم ، وفيه من شعر كل واحد منهم ابيات يسيرة » ويقع الكتاب على ما يقول ابن النديم في الف ورقة انظر الفهرست ١٣٢ .

صاحب خزانة الحكمة : « هو واهله وولده واولادهم من البيت الخطير في الدين والأدب والشعر والفضل ، ولا اعلم بيتاً اتصل فيه الى هـــذه الانواع الشريفة ما اتصل لهم وفيهم »[1]، وقال في ترجمة ابنه يحيى بن علي بن يحيى، وكنيته التي اشتهر بها « أبو أحمد » : « لا نعلم انه اتصل في بيت من بيوت الأدب في التمسك بالدين والمناضلة عنه والافتنان بالآداب والمثابرة عليها ما اتصل فيهم — يعني آل المنجم — قديمهم ومحدثهم »[2] ويقول في ترجمة أبي الحسن علي بن هارون بن علي بن يحيى ابن أبي منصور المنجم « من بيت الأدب ومعدنه ومباني الشعر وموطنه »[3] ويقول في ترجمة لهارون بن علي بن يحيى ابن أبي منصور : اديب قليل الشعر من اهل بيت الدين والفضل والأدب[4] .

هذا بعض ما قاله المرزباني في بني المنجم ، وهناك فيما نرى بواعث شتى حملت المرزباني على اطراء آل المنجم والحاقهم بأئمة الدين ، منها ان الأسرة تمت الى « ملوك فارس »[5] وانها

(١) معجم الشعراء : ٢٦٧ .

(٢) المصدر نفسه : ٥٠٣ .

(٣) المأخذ المذكور : ٢٩٦ .

(٤) المرجع ذاته : ٢٨٥ .

(٥) ينتسب آل المنجم الى « يزدجرد » آخر ملوك الفرس ، ساق نسبهم اليه غير واحـــد من المؤلفين من أقدمهم ابن النديم في الفهرست ، وعن ابن النديم نقله القاضي ابن خلكان (وفيات الأعيان ٢/٢٦٥ ، ١٣٦) في ترجمة « أحمد بن يحيى بن علي بن يحيى ابن أبي منصور » ، وفي آخر هذه الترجمة من كتاب الوفيات تعليق للمؤلف قال فيـــه : « تقـــدم ذكر والده علي واخيـــه هارون وابن اخيه علي ، ولم ارفع نسبهم إلا في هذه الترجمة ، لاني لم اظفر بالنسب الا لما وصلت الى هذا الموضع فنقلته كما وجدته ولم اضبط شيئاً من اسماء اجداده لاني لم اتحقق منها شيئاً فنقلتها كما وجدتها » هـــذا ما قاله ابن خلكان . وقال المرزباني (معجم المرزباني ٢٨٦) في ترجمة علي بن يحيى : نسبه يتصل في الفرس الى (ابن سام البزرج فرمذار) وكان وزير اردشير وصاحب أمره ، ويلاحظ ان بعض اعلام بني المنجم عني بوضع كتاب في تاريخ اجدادهم المذكورين .

حديثة عهد بالاسلام . أول من أسلم منهم على يد « المأمون » يحيى ابن أبي منصور ابان كما تشهد بذلك كتب التاريخ ، فكانوا يغمزون بماضيهم في المجوسية ، وقد هجاهم بعض المعاصرين لهم من الشعراء بذلك [1] ، فاراد صاحبهم المرزباني اضعاف حجة من طعن فيهم وغمزهم بالمجوسية . والواقع انجد آل المنجم اسلم على يد المأمون فحسن اسلام ذريته من بعده ، وفيهم من ألف كتباً ناضل فيها عن الدين الحنيف ، ومنهم من جرّد اسفاراً في الفقه والاصول وفي الحديث ، غير أنّ كتبهم ضاعت فلم يصل الينا منها إلا رسالة خفيفة ، والمرزباني صادق اللهجة بين الاخباريين والرواة كما يقول ابن النديم ، فهو لا يرسل الكلام على عواهنه ، ثم ان حداثة العهد بالاسلام لا تنا في التفاني في النضال عنه ، وما اكثر الأمثلة على ذلك في صدر الاسلام ، وفيمن أسلم بعد ذلك من مختلف الشعوب والاقوام ، وقد بولغ فيما نرى باطراء بني المنجم من هذه الناحية .

وقد يكون من جملة بواعث المرزباني على ذلك اختصاص جماعة من آل المنجم بخلفاء بني العباس ، وقربهم من وزرائهم طبقة بعد طبقة ، وقد توارثوا هذا الضرب من القرب والاختصاص ، فلم تخل دواوين الخلافة ومجالس الخلفاء والوزراء والقواد منهم خلال مدة ناهزت المائتي سنة ، ليس ذلك فحسب ، بل كانت طبقة من آل المنجم — وفي مقدمتها علي بن يحيى — من ذوي المروات ممدحين مطبوعين على محاسن الشيم معنيين بشؤون اهل الأدب محسنين اليهم ، منازلهم مألف للمتأدبين وخزائن كتبهم وقف على المطالعين والباحثين ، وعلى الاجمال كان آل المنجم هؤلاء

(١) ممن هجا علي بن يحيى المنجم وغمزه بالمجوسية مروان ابن أبي الجنوب في ابيات وردت في معجم الأدباء لياقوت الحموي منها :

أناس من الانباط اكثر فخرهم ... اذا فخر الأقوام بعض على بعض
تنحل أصلا في المجوس ودعوة ... اليهم نفاها من بحكمهم يقضي

انظر المعجم (٥/٤٦٧ ، ٤٦٨) .

من ابعد الناس عن الجشع والانانية ، وما اكثر الضعفة المحرومين من المنتسبين الى اهل العلم والأدب الذين توصلوا بسببهم الى الخلفاء ، والى كبار رجالهم أو الى رؤساء الدواوين فحصلوا على الصلات والجوائز السنية . بل حصلوا على اكثر من ذلك من الحقوق في الحريةوالكرامة ، فلا عجب اذا اشاد المرزبانيبذكرهم ، ولا بدع اذا رصع صفحات معجمه بعبارات الثناء عليهم [1] وخصوصاً اذا ادرك رغبة معاصريه من آل المنجم بذلك ، ولا يخفى ان المرزباني وان كان بغدادي المولد والمنشأ فانه خراساني الأصل ، هذا علاوة على الاتحاد بين آل المنجم وآل المرزباني في الأصول الاعتقادية .

يقول المرزباني : ان بني المنجم « شجرة الأدب الناضرة ، وانجمه الزاهرة » [2]

وقال الصاحب اسماعيل بن عباد [3] واحسن فيما قال :

لبني المنجم فطنة لهبيـــة ... ومحاسن عجمية عربيـــة

مازلت امدحهم وانشر فضلهم ... حتى عرفت بشدة العصبية

وممن اثنى عليهم المسعودي في معرض روايته عن احمد بن يحيى المنجم وأورد ما قاله فيهم الشاعر أبو هفان [4] . هذا الى اقوال أخرى نجدها في مصنفات الصولي والمرزباني والمسعودي وابن النديم وأبي بكر الخطيبالبغدادي والسمعاني وياقوت الحموي والقاضي ابن خلكان وغير هؤلاء ، وسيمر عليك بعض تلك الاقوال في الفصول الآتية .

---

(١) تضمن معجم الشعراء المرزباني ترجمة لعلي بن يحيى وابنه يحيى بن علي وهارون بن علي بن يحيى وابنهعلي بن هارون بنعلي المنجم ، ويحسن مراجعةالصفحات الآتية من المعجم المذكور : ٢٧٦ ، ٢٩٦ ، ٤٦١ ، ٤٨٥ ، ٥٠٢ ، ٣٠٦ .

(٢) معجم الشعراءالمرزباني ٥٠٢ ونشوار المحاضرة للتنوخي ، ونقل هذه الكلمة أبو بكر الخطيب في تاريخ بغداد ١٤ ، ٣٠ .

(٣) يتيمة الدهر للثعالبي ، ونقل البيتين ابن خلكان في وفيات الاعيان (١/٢٥٦) والأصل في ذلك كتاب للصاحب بن عباد سماه « الروزنامجه » .

(٤) مروج الذهب للمسعودي ط الأزهرية (٢ /٣٥٠) .

أشهر مشاهير بني المنجم

علي بن يحيي ابن أبي منصور ، يحيي بن علي بن يحيى ، هارون بن علي أبو أحمد ، احمد بن هارون ، علي بن هارون ، اسماء لمعت لمعان النجوم منذ منتصف المائة الثالثة الى منتصف المائة الخامسة في الدولة العباسية تاركة اثراً ظاهراً في كل ناحية من نواحي الحياة خاصة الناحيتين الثقافية والعلمية ، ولذلك حفلت صفحات التاريخ باخبارهم وآثارهم في تعضيد حركة الفكر والأدب ، وتشجيع الكتاب والمؤلفين مادة ومعنى ، وامدادهم بمعين لا ينقطع من الروايات ، تشهد بذلك مصنفات الصولي والمسعودي وأبي الفرج الاصفهاني[1] وابن النديم والصاحب ابن عباد والثعالبي ، ودواوين البحتري وابن الرومي وغيرهما من الشعراء .

كانت روايات بني المنجم ومصنفاتهم الضخمة التي فقدت فلم يصل الينا منها شيء من أحسن المآخذ واجود الأصول التي اعتمد عليها أولئك الباحثون ، لذلك كان لزاماً علينا تجريد هذا البحث في سيرتهم والتعريف بهم لان كل واحد منهم خليق بذلك .

علي بن يحيى المنجم

قضي على هذه الأمة في عصور غفلتها وتخلفها ، وفي فترة رقدتها وسباتها ـ ويالها من فترة طويلة ـ ان تنسى تاريخها وان تقصر في استبطان اسراره والتأمل في احداثه الملهمة وبحوثه الشائقة ، تاركة ذلك لفريق من الباحثين في ديار الفرنجة عنوا باثارة كوامن هذا التاريخ وإلا فبماذا نفسر جهلنا الأعمى بسيرة رجال من طراز « علي بن يحيى المنجم » نراها مغمورة في تضاعيف اسفار الأدب والتاريخ فلا يحفزنا حافز

---

(١) يراجع كتاب الأغاني لابي الفرج الأصفاني (١) ٧ ، (٢) ١٢٣ ، ١٩٥ ، ٣١٢ ، ٣٢١ ، ٣٦٩ ، ٤٢١ ، ٤٢٧ (٣) ١٩٦ ، ١٩٧ ، ١٩٩ ، ٢٠٦ (٤) ٢٧ ، ٣٣٠ ، ٣٣٢ (٥) ٢٧٠ ، ٢٧١ ، ٢٨٦ ، ٢٨٧ ، ٣٦٤ ، ٣٧٢ ، ٤١٠ .

لنفض غبار العصور عنها ، ولا يعوزنا للقيام بذلك إلا التشمير ، وإلا المضيّ في سبيل البحث والتنقيب ، وهكذا تفتر الهمم وتتراخى العزائم وتطغى الجهالات في عصور التخلف والغفلة .

اجمع الباحثون الذين عنوا بالكتابة عن « علي بن يحيي بن المنجم انه نديم الخلفاء من المتوكل الى المعتمد وانه موضع ثقتهم ومستودع اسرارهم ، وانه بلغ من قرب المحل اليهم ما لم يبلغه أحد ، ويلاحظ ضرب من الشذوذ والاضطراب فيما كتب عن هذا النديم الحكيم ، فبينما نجد اسمه مقروناً بكلمة « المغني المنجم » في بعض كتب التاريخ (١) إذ نرى جماعة من الشعراء والأدباء والمؤرخين يلحقونه بطبقة من شيوخ الدين المجاهدين ، والواقع أن علي بن يحيي كان خبيراً بالغناء وبالالحان وفنونها ، وعلى رواياته واقواله ، ثم على روايات ابنه « يحيي بن علي بن يحيي » واقواله من بعده ، عوّل الباحثون في موضوع « الاصوات المختارة » وعددها مائة صوت اختيرت لهارون الرشيد (٢) مع شعرها والتعريف بشعرائها ومعاني اشعارهم وشرحها وصانعي الحانها

(١) الخطيب البغدادي في تاريخ بغداد (١٢/١٢١ ، ١٢٢) .

(٢) في كتاب الأغاني لابي الفرج الأصفهاني فصول غير قليلة عن اختيار ذلك العدد من الأصوات والألحان وعن غربلتها بعد ذلك ، ومن يعنى بدراسة هذا الكتاب يتضح له أن مصنفه الاصفهاني استند في كثير من بحوثه في هذا الموضوع الى روايات بني المنجم واحاديثهم عن الشعراء وانسابهم واشعارهم ، وعن الالحان وصانعيها ، ويتخلل تلك الروايات المسندة الى « بني المنجم » كما نراها في كتاب الأغاني فوائد ادبية ولغوية وشوارد تاريخيـة وبحوث في معاني الشعر وعروضه على وجه يشهد لآل المنجم بتضلعهم في هذا الفن ، ويلاحظ ان احاديث أبي الفرج عنهم منوعة ، طوراً يتحدث عنهم مشافهة أو بالواسطة ، وتارة ينسخ من كتبهم ومصنفاتهم ، ومن الكلمات التي يستهل بها رواياته عنهم قوله مثلا « حدثني علي بن يحيي » أو « اخبرني يحيي بن علي بن المنجم » أو « نسخت من كتاب هارون » وما اكثر اعتماده على هذا الكتاب من كتب بني المنجم ، ويلاحظ أيضاً ان أبا الفرج يورد اسماء بني المنجم في معرض احاديثه عنهم مجردة عن النعوت والأوصاف ، ويبدو من ذلك ان اعلام بني المنجم شيوخ أبي الفرج في الفنون المذكورة ، راجع كتاب الاغاني لابي الفرج الاصفاني ط دار الكتب المصرية (١) ٧ ، ٩ ، ١١ (٢) ٧ ، ٨ ، ٢٣ ، ٩٥ ، ٢٤٠ ، ٣١٢ ، ٣٢٧ ، ٣٦٩ ، ٤٢١ .

ويتخلل ذلك نبذ من السـير والاخبار ، ومما لا شك فيه ان الخبرة في الغناء ومنادمة الاعيان والكبراء تجر الى الانغماس في الترف والاسترسال في المجون ومعاقرة المسكرات ، ثم ان بيت بني المنجم حديث عهد بالاسلام ، فابوه يحي ابن أبي منصور - واسم أبي منصور ابان - مولى المأمون أول من أسلم من أهل هذا البيت ، هذا ومها كانت منزلة المغنين والندماء من مجالس الخلفاء فان جل الفقهاء يشمئزون من أهل هذه المهنة ، وكثير منهم يحظر التكسب بها الا في أحوال معينة ، وكان علي بن يحي المنجم يتظاهر بكراهيته لهذه الحرفة والتنصل منها حاذياً حذو فريق من رؤساء المغنين وفي طليعتهم اسحاق بن ابراهيم الموصلي المغني المشهور .

لهذه العلل فيما نرى أحب ابن المنجم هذا الالتحاق بطبقة من شيوخ الدين ورجال الشريعة ، وأيده في ذلك وقام بنشر الدعوة له جماعة من الشعراء والأدباء والباحثين المتصلين به ، وعددهم غيرقليل ، ونوه من نوه منهم بمواقفه في الذود عن حياض الشرع والديانة ، ومن هؤلاء المرزباني الاخباري المشهور ، وابن الرومي الشاعر المفلق ، ويلاحظ ان الاخباريين والأدباء تحدثوا بمثل ذلك عن اسحق بن ابراهيم الموصلي ، ولهذه الاحاديث صلتها الظاهرة بالاخلاق قائلين : كان اسحاق اكره الناس للغناء واشدهم بغضاً لان يدعى اليه أو يسمى به ، وانه روى الحديث وتحمله عن شيوخ العراق والحجاز ، وفي ذلك ما فيه من الدلالة على ان كثيراً من فقهاء العراق وأئمة الشرع كانوا ينظرون شزراً الى شيوخ هذه الصنعة ، رأسها في ذلك العصر اسحاق بن ابراهيم الموصلي ، وكانت نظرتهم اليه تختلف عن نظرة المترفين من شباب العصر العباسي المذكور مها علت منزلته في قصور الخلفاء وامراء الدولة ، ومها كان تأثير فنه في النفوس ، والحقيقة ان تأثير فن الموصلي كان بالغاً في نفس المتوكل ومن بعده الواثق وغيرهما من خلفاء بني العباس ،

والواثق هو القائل : « ما غناني اسحق إلا ظننت انه قد زيد في ملكي » [1] الى غير ذلك من الاقوال .

تضمنت كتب الأدب والتاريخ جملة من الروايات يستفاد منها ان اسحق الموصلي عني كثيراً بان يحشر في زمرة العلماء لتعظم منزلته . وليدفع عن نفسه معرة الانغماس في الترف والمجون والادمان ، وفي كل ما ينغمس فيه المترفون والمغنون ، وقد استطاع اسحاق ان ينال بغيته وتمكن ان يثبت في ديوان العلماء ، ولذلك قصة لطيفة ذكرها المؤرخون خلاصتها : ان اسحاق طلب الى المأمون ان يكون دخوله اليه مع اهل العلم والأدب فاجيب الى ذلك ، ثم مضت مدة فطلب ان يدخل مع الفقهاء فاذن له ، ثم مضت مدة فسأل ان يأذن له في لبس السواد يوم الجمعة والصلوة معه في المقصورة ، والى هنا ضحك المأمون - كما يقول علي بن يحيى - قائلا : « لا كل هذا يا اسحاق !؟ قد اشتريت منك هذه المسألة بمائة الف درهم وأمر بدفعها له » .

ورد ذلك في رواية معروفة . ومن الطريف انها رواية « علي بن يحيى المنجم » نفسه تحدث بها جعفر بن قدامة الى أبي الفرج الاصفهاني وأوردها أبو الفرج في كتاب الأغاني وما اكثر رواياته عن بني المنجم في الكتاب المذكور [2] .

هـذا وفي كتاب الأغاني رواية أخرى اعظم شأناً من الرواية السابقة في دلالتها على تقدير المأمون لاسحاق الموصلي فانه - أي المأمون - قال : « لولا ما سبق على ألسنة الناس واشتهر به عندهم من الغناء لوليته القضاء » [3] ويلي ذلك كلمة أخرى في تزكية اسحاق ، وفي آخر هذا الحديث يقول الراوي : « هذا مع تحصيل

(١) كتاب الاغاني ط دار الكتب المصرية ٥ : ٢٨٥ ، ٢٨٦ وكان الواثق العباسي نفسه عارس الغناء والغالب انه تخرج على اسحاق المذكور .

(٢) المصدر ذاته ١٨٦ ، ١٨٧ ، ٢٩٥ .

(٣) المأخذ نفسه (٥/١٦٧ ، ٢٧٢ ، ٢٧٣) .

المأمون وعقله ومعرفته » ، ولنا ان نقول في التعليق على هذا التعليق ان ذلك يعزز رأي من رأى ان كثرة الفقهاء كانت تتجهم للمغنين في ذلك العصر ، وانهم لذلك يتظاهرون بالتنصل من الفن المذكور وحب الانتماء الى اهل الدين .

خلق رفيع

هكذا اجمع الاخباريون على كون « علي بن يحيى » نديماً للخلفاء اثيراً عندهم خليطاً بوزرائهم ، او انه واحد منهم ، وليس ذلك حسب ، بل نراهم مجمعين على مكانة ابن المنجم من الأدب وموضعه من العلم ، ومحله من الرواية ومنزلته من شتى الفنون ، وان صنعة الغناء اقل فنونه واصغر أوصافه . الى ذلك ونحوه مما عني به الباحثون ، ولكن هناك ناحية تعنينا من ابن المنجم اكثر من غيرها هي خلق رفيع عزز به علمه ، وسجية كريمة زين بها وجاهته ، وقد يفقد العلم قيمته اذا تجرد من الاخلاق النبيلة ، وللجاه زكاة وزكاته السعي في مصالح الناس وقضاء حوائجهم ، ولا معنى للشرف والجاه بدون ذلك . تخلق ابو الحسن علي بن يحيى باخلاق مرضية من هذا القبيل ، فكان معنياً بشوون الناس ، وخاصة شؤون المنتسبين الى العلم والأدب ، كانت منازله وخزائن كتبه المبثوثة في سامراء وبغداد ، وفي الأرياف الجميلة الواقعة بين سامراء وبغداد محط رحالهم ومأوى وفودهم ومثابة لمحصليهم ، وقد اعمل مواهبه كلها في خدمة هذه الطبقة ، فانه فطن الى ما يعوز ذوي الاذهان المكدودة ، والجهود العلمية المضنية من حاجة الى العيش الهادىء فاختار لهم الارياف والضياع البعيدة عن الضوضاء ، وفي هذه الضياع الخصبة انشأ دور الحكمة ، وزوّدها بكل ما يحتاج اليه المنقطعون للدراسة والتحصيل .

قال عبيد الله ابن ابي طاهر [1] كان علي بن يحيى مشتهراً بالأدب مائلا الى اهله

---

(١) معجم الأدباء لياقوت الحموي (٥/٤٥٩) ، وفي هذا الاسم تحريف والصواب « عبيدالله =

معتنياً بامورهم يوصل كثيراً منهم الى الخلفاء والأمراء ، ويستخرج لهم الصلات ، وان جرى على احد منهم حرمان وصله من ماله ، وكان يبلغ من عنايته بهم ، ورغبته في نفعهم انه ربما اهدى الى الخلفاء والأمراء عنهم الهدايا الطريفة ليستخرج لهم بذلك ما يحبون ، هذا الى قصص واحاديث اخرى شبيهة بهذه القصة تحدث بها عبيد الله بن طاهر وآخرون من بني المنجم ، منهم ولده يحيى بن علي وحفيده علي بن هارون بن علي واوردها الحموي في معجم الأدباء[1] وكلها تشهد ببر وشهامـــة ، وتشف عن رقة

= ابن طاهر » حفيد طاهر بن الحسين الخزاعي اشهر قواد المأمون واكبر اعوانه ، وهو اعني طاهر بن الحسين جد عبيدالله هذا القائد الذي حاصر بغداد سنة ١٩٥ وتغلب على الأمين وقتله ، ومن ثم بويع المأمون ، وكان حفيده عبيد الله بن عبد الله بن طاهر شاعر الطاهريين واديبهم ومحدثهم في عصره ، وللبحتري فيه وفي اخيه سليمان بن عبد الله قصائد مشهورة ، ولعبيد الله هذا قصيدة رد بها على البحتري (الديوان ١٢٩) واجابه البحتري عن قصيدته (الديوان ١٣٣) واشهر قصائد البحتري فيه قصيدة اولها :

لديك هوى النفس الالجوج وسولها   وفيك المنى لو ان وصلا تنيلها

واول قصيدة البحتري في اخيه سليمان :

هويناك من لوم على حب تكتما   وقصرك نستخبر ربوعاً وارسما

منها

وما ليلتي في « باطرنجا » ذميمة   اذا كان بعض العيش فيها مذمما

شفيعي امير المؤمنين وعمدتي   سليمان احيوه القريض المنمنما

من اقوال عبيد الله هذا (البصائر والذخائر للتوحيـــدي ٢٣) لا ينقضي عجبي من ثلاثة اشياء ، افلات عباس بن عمرو القرمطي وهلاك اصحابه ، ووقوع الصفار وافلات اصحابه ، وولاية ابي الحسن — ابن الفرات — وانا متعطل ، ومعنى اقوال عبيد الله هذه انه كان معنياً بدرس اسرار التاريخ ، واسرار الوقائع الحربية الحاسمة خاصة ، ولاعجب فان ذلك من مقتضيات بعض المناصب العسكرية التي اسندت اليه ، قال الصابي (تحفة الوزراء ٢٦٩) كان ابو العباس وابو الحسن ابنا الفرات يكرمان عبيد الله بن عبد الله بن طاهر ، ويعرفان حقه وقدمه .

ترجم لعبيدالله الطاهري ابو بكر الخطيب في تاريخ بغداد (١٠ / ٣٤٠ ، ٣٤٤) واورد في هذه الترجمة حكاية تدل على صلته بآل المنجم ، واحاديث لطيفة وشعراً ، وكانت وفاته ســـنة ٣٠٠ ، وله في وفيات الأعيان أيضاً (١ / ٣٨٣) ترجمة حسنة سمى ابن خلـكان له فيها عدة مؤلفات ، واورد نبذة من شعره ، وكان لعبيد الله هذا — على ما يقول ابن خلـكان — ديوان شعر ، هـــذا وفي الوفيات كذلك ترجمة لابيه عبد الله بن طاهر الخزاعي (١ / ٢٦٠ ، ٢٦١) وترجمة اخرى لجده طاهر بن الحسين (١ / ٢٣٥ ، ٢٣٧) وللطاهريين في كتب الأدب والشعر والتاريخ اخبار كثيرة و« باطرنجا » الواردة في بيت البحتري قرية قرب « القفص » من نواحي بغداد ، قال ابو نواس :

وباطرنجـــا فالقفص ثم الى قطربل مرجعي ومنقلبي

(١) معجم الأدباء للحموي (٥ / ٤٥٩ ، ٤٦٤) وتجـــد هناك اسماء بعض الشعراء واشعارهم في ابن المنجم المذكور .

ودمائة ، ويخيل اليك وانت تقرأ هذه الاحاديث انه لم يبق في العراق اديب او شاعر الا وفد على ابن المنجم هذا ، وانتفع بماله او بجاهه او بهما معاً ، كما يدل على ذلك كثرة في الشعر الذي قيل فيه ، وهذا لاشك ضرب من الخلق الرفيع يعزز به العلم، وتنمو به المعرفة .

شعراؤنا الفحول وابن المنجم

اذا ذكر الفحول من شعراء العربية المحدثين ، ذكر في الرعيل الأول ابو عبادة البحتري ، ولا يخفى ان العصر الذهبي في حياة البحتري هو عصر اقامته في العراق ناعم البال وافر الحرمة ذائع الصيت . ثم شاعر الطبيعة المبدع علي بن العباس بن جريج المعروف بابن الرومي الذي ميزته عن جملة الشعراء الفحول نظرات واقعية الى الحياة وتغلغل في اسرار الوجود، وشغف بجمال الطبيعة واحساس فني عميق :

لم يكن شعر هذين الشاعرين رخيصاً مبتذلا يطمع فيه كل احد ، فان البحتري جرد جانباً كبيراً من شعره في سبعة من خلفاء بغداد هم : المتوكل ، الواثق ، المعتز ، المنتصر ، المهتدي ، المعتمد، المستعين ، ولم يسلم خليفتان من هجائه هما المنتصر والمستعين ، وقد خص البحتري « الفتح بن خاقان » صاحب علي بن المنجم ، وطبقة الفتح المذكور من الوزراء والقادة العباسيين بقسط وافر من قصائده الرائعة، وديوان البحتري في الواقع ديوان احداث ووقائع تاريخية اتفقت في خلافة المتوكل على الاكثر ، ويلاحظ ان نصيب « علي بن يحيى المنجم » منشيء خزانة الحكمة في القفص لم يكن طفيفاً من شعر هذين الشاعرين :

تضمن ديوان البحتري قصائد ومقطعات عدة قالها في علي ابن المنجم ، منها مديح صرف ومنها مديح ممزوج بعتاب ، من ذلك ان البحتري كان يرتزق من ضيعة خصصها له الفتح بن خاقان، وقد عرف هذا الوزير بتقديره البالغ واكباره لهذا الشاعر ،

ولكن الشاعر لا يكتفي بهذه الضيعة ، فهو يطالب بحطّ الضريبة عنها ، وله في هذا المعنى قطعة رائعة وجه بها الى « علي بن يحيي » والظاهر ان النظر في بعض الشؤون المالية كان مردوداً اليه ، وأول القصيدة المذكورة [(١)] :

عذيري من واش بها لم اواله ... عليها ولم اخطر قلاهـــا بباله

منها

تركت ملاحاة اللئيم وانما ... نصيبي في جاه الكريم وماله

ولم ارض في رنق الصرى لي مورداً ... فحاولت ورد النيل عند احتفاله

حلفت بما يتلو المصلون في منى ... وما اعتقدوه في النبي وآله

ليمتسفن البيد همّ مشيّع ... عنوف بها في حله وارتحاله

الى فارغ من كل شأن يشينه ... فان يشتغل فالمجد عظم اشتغاله

علي بن يحيي انه انتسب الندى ... الى عمه عم الكرام وخاله

غريب السجايا ما تزال عقولنا ... مدلهة في خلة من خلاله

اذا معشر صانوا السماح تعسفت ... به همة مجنونة في ابتذاله

ومن الابيات المختارة في هذه القصيدة وهي تتضمن طلباً بتخفيف الخراج عنه .

وثقت بنعماه ولم تجتمع بها ... يدي ورأيت النجح قبل سؤاله

ونعلم ان السيف يكفيك اخذه ... مكاثرة الاخوان قبل استلاله

ابا حسن انشأت في افق الندى ... لنا كرماً ، آمالنا في ظلاله

وان خراجي للخفيف ولو غدا ... ثقيلا لما استحسنت غير احتماله

مضى منك وسمي لجد بوليه ... وعوّدت من نعماك فضلا فواله

(١) ديوان البحتري ط الجوائب (٢٤٥ ، ٢٤٦) .

ومن قصائده المشهورة فيه قصيدة أولها [1] :

شوق له بين الاضالع هاجس ... وتذكر للصـــدر منه وساوس

منها

ما انصفت بغـــداد حين توحشت ... لنزيلها وهي المحل الآنس
لم يرع لي حق القرابة طيء ... فيها ولا حق الصداقة فارس
أعليَّ من يأملك بعد مودة ... ضيمتها مني فاني آيس
أوعدتني يوم الخميس ؟ وقد مضى ... من بعد موعدك الخميس الخامس
قل للامير فانه القمر الذى ... ضحكت به الأيام وهي عوابس
قدمت قـــدامي رجالا كلهم ... متخلف عن غايتي متقاعس
وانا الذي اوضحت غير مدافع ... نهج القوافي وهي رسم دارس
وشهرت في شرق البلاد وغربها ... وكأنني في كل ناد جالس
هذي القصائد قد رفعت صباحها ... تهدى اليك كأنهن عرائس

في هذه القصيدة يطالب الشاعر بانصافه ويستنجز وعداً وعد به ، ويحتج على تقديم غيره عليه مدلا بشاعريته وشهرته الذائعة شرقاً وغرباً ، ويستفاد من هذه الأبيات انه انشأ قصائد عدة في ابن المنجم ووصفها بالصباحة أي انها قصائد مشرقة .

البحتري وصاحب قطربل [2]

صاحب «قطربل» وصاحب «القفص» واحد هو علي بن يحيى المنجم،على ما يستفاد من

---

(١) ديوان البحتري ط الجوائب (١٢٦ ، ١٢٧)

(٢) قال ياقوت في آخر كلمة كتبها عن قطربل « لقطربل اخبار وفيها اشعار ، ويسعنا ان نجمع كتاباً في اجلاد من اخبار الخلعاء ــ جمع خليع وقد حرفت الكلمة الى خلفاء جمع خليفة في نسخة المعجم المطبوعة ــ والمجان والشعراء والبطالين، ويستفاد مما ورد في معجم ياقوت ان قطربل اسم مشترك بين قطربل العراق وقرية من قرى ديار بكر ، إياها اراد — حسب رواية ياقوت — صديقه محمد بن جعفر الربعي الحلي الشاعر بقوله :
=

ابيات بعث بها البحتري اليه يستهدي بعض ما يحتاجه في حفلة دعا اليها زمرة من صفوة اصدقائه اقتصر على ذكر « دعبل الخزاعي » ، منهم لان مجرد ذكر هذا الشاعر الفحل الجرىء يعلي من شأن تلك الحفلة فقال :

ابلغ ابا حسن بآية جوده عندي ونعمته التي لا تجهل
اني بلوت له خلالا لم يرح في مثل صفراها الغمام المسبل
ماذا تقول ولم تزل ذا همة فضلى تقول بها الجميل وتفعل
في فتية بكروا علي تطرباً من اوجه شتى وفيهم دعبل
وعليك سقياهم لنا اذ لم يكن في نوبة إلا عليك معول
فاحق من وسع الندامى جوده بالراح من كانت له قطربل [1]

ولدينا شواهد غير قليلة على هذه الالفة والصداقة الاكيدة بين دعبل والبحتري ، قالوا [2] : لما مات دعبل سنة ٢٤٦ في بعض كور الاهواز ، وكان صديقاً للبحتري ، وكان ابو تمام قد مات قبله رثاهما البحتري بابيات منها :

قد زاد في كلفي واوقد لوعتي مثوى حبيب يوم مات ودعبل
اخوي لا تزل السماء مخيلة تغشا كما بسماء مزن مسبل
جدث على لأهواز يبعد دونه مسرى النعي ورمة بالموصل

= يقولون ها قطربل فوق دجلة عـدمتك الفاظاً بغير معان
اقلب طرفي لا ارى القفص دونها ولا النخل باد من قرى البردان

هذه هي رواية ياقوت ، وما انبل شعور هذا الشاعر العراقي المطبوع ، فانه ابى المقارنة بين قطربل العراق وقطربل اخرى بعيدة عنها ، وهكذا جبل ابناء العراق على التعلق ببلادهم ، والحنين اليها ، والاشادة بخصائصها من قديم الزمان .

(١) ديوان البحتري ط الجوائب ج (١٧٧/٢) .

(٢) الصولي في اخبار ابي تمام : ٢٧٣ وابن خلكان في وفيات الأعيان (١٨٠/١) وفي رواية الصولي زيادة بيتين .

يتدارسون شعر البحتري

إعتزّ آل المنجم بمدح البحتري لهم ، واشادته بذكرهم ، لا شك في ذلك ، بل كان يروق لبعضهم ان يقول – على ما في ذلك من غلو – انه شاعرهم ، وان الفتح بن خاقان الوزير لم يستأثر به . على انهم والحق يقال لم يقتصروا على ذلك الاعتزاز بمدح الشاعر وانما عنوا بدراسة شعره وحفظه وروايته اعجاباً به ، وتفضيلا له على غيره ، فاصبحت لهم خبرة لا تجارى في هـذا الشأن . وحسبنا ان ائمة الأدب ، واصحاب التصانيف في هذا الفن كابي بكر الصولي في كتاب الاوراق ، والمرزباني في الموشح الذي صنفه في مآخذ العلماء على الشعراء ، وابي الفرج الاصفهاني في الأغاني اعتمدوا على خبرة آل المنجم وآرائهم في الشعر والشعراء ، وتحدثوا في مصنفاتهم المذكورة عن اقوالهم في هـذا الموضوع ، وعولوا عليها ، فهم – اعني بني المنجم – من الطبقة التي يحتج علماء الأدب باقوالها ، ويعتمدون على روايتها في ذلك .

ابو الغوث ابن البحتري

كان للبحتري ولد يقال له « ابو الغوث يحيى » روى شعر والده وورث عن ابيه فنه وعالج المنظوم ، والظاهر ان ابا الغوث نشأ بعيداً عن العراق على انه حنّ بعد وفاة ابيه الى هذه البلاد وتذكر ذلك العصر الذهبي الذي نعم به ابوه في العيش ببغداد وسامراء . فالعراق هو البلد الذي اعلى ذكر البحتري ، ومن العراق طارت شهرته الى الخافقين ، وما ديوانه إلا سجل للاحداث الكبرى التي حدثت في العراق على ذلك العهد ، والبحتري كما لا يخفى شامي من اهل منبج بها ولد ونشأ ومات ، وكان خامل الذكر في بلده قبل ان يخرج الى العراق ، ولم يعرفه إلا القرويون واهل الأرياف ، قال صالح بن الاصبغ التنوخي المنبجي : « رأيت البحتري هاهنا قبل ان يخرج الى

العراق يجتاز في الجامع من هذا الباب الى هذا الباب ـ واومأ الى جنبتي المسجد ـ يمدح اصحاب البصل والباذنجان وينشد الشعر في ذهابه وايابه ، ثم كان منه ما كان »[1] أي انه خرج الى العراق ، فأكبر العراقيون ادبه ، وعرفوا منزلته وانقذوه من الخمول واوصلوه الى الخلفاء والرؤساء وانشأ فيهم قصائده السائرة .

هكذا قدم ابو الغوث الى سامراء ، ثم الى بغداد ، فاجتمع بمن اجتمع به من المكبرين لشاعرية ابيه المتعصبين له . ولقي ابو الغوث في هـــذه الزيارة آل المنجم ـ وكان ذلك من امانيه ـ ، فكان احتفاؤهم به بالغاً ، فانهم وصلوه واستخرجوا له صلة اخرى لا يستهان بها من بعض الوزراء ، وذكروه عند الاكابر ورجال الديوان .

كانت زيارة ابي الغوث غرة اهتبلها شباب بني المنجم لقراءة شعر ابيه عليه ، وروايته عنه بعد مقابلته على نسخ مختلفة من ديوانه كانت عندهم مبالغة في التحقيق والتصحيح ولم يحجموا خلال هذه القراءة عن النقد ، واعلان رأيهم في بعض نواحي الضعف التي لا يخلو منها شعر شاعر ولو كان البحتري وان كان ذلك قليلا ، ولـكن ابا الغوث كان صعب المراس شق عليه ان يمس « شعر الشيخ » فانه فيما عنده شعر لا يقبل التغيير ، وانه النص الذي لا يحتمل الاجتهاد ، والواقع ان ابا الغوث لم يقتصر على رواية شعر ابيه في بغداد وانما تحدث الى البغداديين في موضوعات جمة تتعلق بنسب ابيه وبتاريخ مولده وخروجـــه الى العراق واتصاله بالخلفاء والمقارنة بينه وبين ابي تمام ، تحـــدث ابو الغوث بذلك وبغيره الى ابي بكر الصولي والى بني المنجم ، والى ابن المعتز والفتح بن خاقان ، والى المبرد والى آخرين من العلماء والادباء وارباب الدواوين والقضاة ووجوه الـكتاب[2] .

---

(١) تاريخ بغداد للخطيب (١٣/٤٧٧) .

(٢) يراجع المصدر نفسه (١٣/٤٧٦ ، ٤٧٩) .

قال المرزباني [1] حدثني ابو الحسن علي بن هارون ، قال : كان ابن عمي ابو الحسن احمد بن يحيى - بن علي بن يحيى المنجم - يقرأ على ابي الغوث يحيى بن البحتري اشعار ابيه بحضرة عمي ابي احمد يحيى بن علي عند قدوم ابي الغوث على العباس بن الحسن [2]

---

(١) العباس بن الحسن هو وزير الخليفة المكتفي ، وزر له بعد وفاة القاسم بن عبيد الله بن وهب وباشارة منه ، وقد وصف العباس بن الحسن بالأدب وبالضعف والاهمال والانغماس في الملذات ، والى ذلك مرد استيزاره غالباً في هذه الفترة من تاريخ الدولة العباسية ، وهو القائل لنوابه : « انا اوقع اليكم ، وانتم افعلوا ما فيه المصلحة » ولما مات المكتفي اقره اخوه المقتدر على الوزارة الى ان ثار عليه فريق من رجال الدولة سنة ٢٩٥ فقتلوه ، واستوزر المقتدر بعده ابا الحسن علي بن الفرات ، ويعد ابن الفرات من ذوي الكفايات النادرة ، حفلت كتب التاريخ بالثناء عليه وزهت الدولة العباسية قليلا في ايامه ، ولذلك استوزره المقتدر ثلاث مرات ، وفي وزارة ابن الفرات الأولى وقعت الفتنة بين المقتدر وابن المعتز فخلع الأول ثم استظهر ، وكانت دولة المقتدر كما قال ابن الطقطقي المؤرخ (الآداب السلطانية ١٩٢ ، ١٩٣) دولة ذات تخليط لصغر سنه ، ولاستيلاء امه ونسائه وخدمه عليه وهو مشغول بلذته فخربت الدنيا فى ايامه ، وخلت بيوت الأموال ، واختلفت الكلمة فخلع ثم اعيد الى ان قتل سنة ٣٢٠ ، وللوقوف على تفاصيل هذه الاحداث يراجع التاريخ الكامل لابن الأثير (٨/٥ — ٧) ، ومن شعراء هذا العصر « ابن بسام » بالغ فى هجاء الوزراء والرؤساء ورجال الدولة كافة ، وله في هجاء العباس بن الحسن الوزير شعر كثير تجد في مروج الذهب للمسعودي نبذة منه (٢/٣٦١ وما يليها) قال ابن بسام :

لعن الله الذي قلد عباس الوزاره
لوزير سمج الوجه بطين كالغراره
وقفاً فيه سناماں ورأس كالخياره
لم يزل يعرف بالزفن قديماً والعياره

وله فيه

بنيت على دجلة مجلساً تباهي به فعل من قد مضى
فلا تفرحن فكم مثل ذا رأيناه ما تم حتى انقضى

وللصولي فى العباس بن الحسن — وكان معاصراً له — كلمة لطيفة نقلها ابن الطقطقي عنه ، وهذا المؤرخ كثير النقل عن الصولي ، والغالب انه ظفر بنسخة من كتابه (تاريخ الوزراء) وهو من جملة مآخذ ابن الطقطقي في الآداب السلطانية (١٩٠ ، ١٩١) .

(٢) الموشح (٣٣٣ ، ٣٣٦) .

ومدحه اياه بقصيدة دالية اوصلها عمي الى ابي العباس ، واسترسل المرزباني بعد ذلك في حديثه الى قراءة بعض شعر البحتري على ابنه ، فكان فيه بيت مختل الميزان فيما لاحظه ابو الحسن احمد ، وقد اعتبرت النسخ الحاضرة فكانت متفقة على انكسار ذلك البيت قائلا : « يا ابا الغوث ألا ترى هذا الغلط على ابي عبادة الذى لا يتهم بمثله ، وقد اجمعت النسخ عليه » ودار بعد ذلك نقاش بين ابن المنجم والبحتري ، وكان ابن المنجم يحاول اصلاح الشعر فيلقى معارضة شديدة من ابي الغوث قائلا « اغيّر شعر الشيخ » ! جرى ذلك في مجلس عميد بني المنجم في ذلك العصر « يحي بن علي » فقال : هذا - يعني البحتري - رجل وجب له علينا حق ، وسار له فينا مدح ، ويلزمنا تغيير هذا الكسر حتى لا يعاب عليه فغضب - يعني ابا الغوث - حتى ظهر الغضب في وجهه ، هذا ما رواه المرزباني عن هذا النقاش ، ومن رأينا ان ابا الغوث كان محقاً في غضبه وامتناعه عن اصلاح شعر ابيه على تلك الصورة ، لان ذلك ضرب من التصرف فيه .

تراث الآباء والاجداد

امسك ابن المنجم عن الكلام لما بان غضب ابي الغوث في وجهه موقناً ان لا فائدة من الحوار مع هذا الفتى الغيور ، فان هذا النوع من الغضب يدل على انفة وغيرة شديدة على تراث الآباء ، ولكن ابا الغوث لا يعتد في انفته بادبه ورواية شعر ابيه للبغداديين فقط ، بل هو يعتد باكثر من ذلك . فانه اصبح بفضل الخلافة العباسية ورعاية الامة العراقية لابيه ، وتقديرها البالغ لأدبه يتمتع برياسة كبيرة . ويرجع الى ثراء طائل واملاك واسعة في منبج ، والى كلمة نافذة في بلاد الشام باسرها هذا ومن ابناء ابي الغوث او احفاد البحتري عبيد الله واخوه ابو عبادة رؤساء سارت لابي الطيب المتنبي فيهم قصائد رائعة وصفهم فيها بالشجاعة والسخاء ، وكان المتنبي في الغالب يشد الرحال الى « منبج » وينزل على احفاد البحتري فيها ، وينعم هناك بحفاوة بالغة وصلات كبيرة تشف عن شعور

حميق بقيمة تلك الزمالة الأدبية بين ابي الطيب وابي عبادة ، وما هذه الحفاوة بالمتنبي خليفة البحتري في صناعة الشعر الا حفاوة بابيهم الراحل خليفة الشيخ ابي تمام في هذه الصناعة ، ولنا ان نقول : ان بلدة « منبج » واهلها الطائيين والتنوخيين من اكثر البلدان نصيباً في شعر المتنبي كما يستفاد ذلك من ديوانه ، ويقول البلدانيون في كلمة « السقيا » هي قرية على باب منبج ذات بســـاتين ، وقف على ولد البحتري الشاعر ذكرها في شعره ابو فراس [1] وعلى الاجمال كانت منازل احفاد البحتري في منبج تعج بالوفود من مختلف الطبقات وفي طليعتهم العلماء والشعراء الفحول .

تضمن ديوان المتنبي ثلاث قصائد مشهورة نظمها في مدح كل من عبيد الله واخيه ابي عبادة ولدي يحي ابي الغوث ابن البحتري ، منها قصيدة اولها [2] :

بكيت يا ربع حتى كدت ابكيكا وجدت بي وبدمعي في مغانيكا

منها

نجا امرؤ يا ابن يحي كنت بغيته وخاب ركب ركاب [3] لم يؤموكا

وله فيه قصيدة مشهورة اولها [4] :

اريقك ام ماء الغمامة ام خمر بفي برود وهو في كبدي جمر

منها

اليك ابن يحي ابن الوليد تجاوزت بي البيد عنس لحمها والدم الشعر

نضحت بذكراكم حرارة قلبها فسارت وطول الأرض في عينها شبر

---

(١) المشترك لياقوت الحموى ، وانظر وفيات الأعيان (٢/١٧٨) .

(٢) ديوان المتنبي ، اخراج جمعية التأليف والترجمة والنشر (٥٥) .

(٣) هكذا في نسخة الديوان ، والأصح وضع كلمة اناس مكان كلمة ركاب في البيت .

(٤) الديوان : ٥٦ .

ابا احمد ما الفخر إلا لاهله وما لامرىء لم يمس من « بحتر » نخر

ومن شعره قصيدة في ابي عبادة بن يحيي ابي الغوث اولها [1] :

ما الشوق مقتنعاً مني بذا الكمد حتى اكون بلا قلب ولا كبد

فاين من زفراتي من كلفت به واين منك ابن يحيي صولة الأسد

ما دار في خلد الأيام لي فرح ابا عبادة حتى درت في خلدي

قد كنت احسب ان المجد في مضر حتى « تبحتر » فهو اليوم في ادد

هكذا نشأ من صلب البحتري بيت نابه ، وهكذا رأس احفاد شاعر عاش معوزاً قبل خروجه الى العراق ، وقبل رعاية العراقيين له ، يعبر من باب الى آخر في جامع منبج ويمدح باعة البصل والباذنجان .

منفى ابي الغوث

ولكن ابا الغوث هذا جاء الى العراق في عصر عصيب هو عصر الاتراك قتلة المتوكل والفتح بن خاقان ، وفي هذا العصر سارت الخلافة في اتجاه خطير اضعف سلطانها وهيبتها ، فهو يختلف عن العصر السابق فان الاتراك كانوا يلاحقون الضالعين مع المتوكل واصحابه ، ولم يمكث ابو الغوث مدة في العراق حتى اتضح له ثقل ظله على الاتراك وعلى جميع رجال العهد الجديد لان ظهور ولد للبحتري في هذا العصر يروي شعر والده ويتهافت الشباب على قراءته عليه وروايته عنه مما لا يروق للاتراك المتغلبين على دار الخلافة ، فهو يعيد ذكرى ذلك العصر المندثر ويثير اشجاناً كثيرة وآلاماً عظيمة تتصل بمصير الخلافة ، ولا شك ان الاتراك واعوانهم ابدوا صفحتهم لابي الغوث وتبرموا بوجوده فلم تطب له الاقامة في بغداد ونفي عنها ، والغالب انهم اعادوه الى دمشق لما

---

(١) ديوان المتنبي : ٥٨ .

توسموا فيه من جرأة وحنين وصبوة الى ذلك العصر الزاهي في بغداد [1] .

ابن الرومي والبحتري

اكثر علي بن العباس المعروف بابن الرومي من النظم في « علي بن يحيى » واربى على البحتري في ذلك ، وقد نجد له قصيدة واحدة في صاحبنا المذكور تعادل جميع ما نظمه البحتري فيه ، على ان هناك فرقاً ظاهراً بين اسلوب الشاعرين فان البحتري اكثر اعتدالا واقل غلواً واستجداء او استخذاء من ابن الرومي ، ومرد ذلك الى ما ظفر به البحتري من تقدم ورخاء في العيش ومكانة عند الحكام وارباب الدواوين ، وفي المحافل الادبية .

كان للبحتري دخل لا يستهان به من صلات الخلفاء والوزراء لم يحلم به ابن الرومي ، وقد اقطعه الفتح بن خاقان ضيعة أو ضياعاً من املاكه الخاصة ، لانه شاعر الخلافة والخلفاء ، وشاعر وزيرهم الفتح بن خاقان ، وقد حرم ابن الرومي حرماناً شديداً فلم يحصل على بعض ما حصل عليه البحتري من ذلك

مني ابن الرومي بضرب من نكد العيش ومن الاقلال لا نظير له ، وربما كان يطوي الليالي والايام وليس في بيته ما يسد به رمق ذويه ، وقد مات له ثلاثة اولاد

---

(١) لابي الغوث يحيى بن البحتري ترجمة موجزة في معجم الشعراء للمرزباني (٥٠٢) يستفاد منها انه قدم الى بغداد قبل الثلاثمائة ، وسمع منه وجوه اهلها وعلمائها اشعار ابيه ، ثم اورد له ابياتاً ، وهذه الترجمة منقولة بنصها في كتاب تاريخ بغداد للخطيب (١٤/٢٢٨ ، ٢٢٩) وقال الخطيب مضافاً الى ذلك روى عنه ـ يعني ابا الغوث ـ ابو بكر الصولي وابو سهل بن زياد .

هذه خلاصة ما ورد عن ابي الغوث في كتاب الموشح وتاريخ بغداد ، وفي الترجمة كلمة تحتاج الى تحقيق فقد جاء في كتاب الموشح عن ابي الغوث انه (بقي بعد ذلك) ولكن هذه الكلمة تغيرت في تاريخ بغداد فصارت (نفي بعد ذلك) والفرق بينهما بعيد ونحن نميل الى تصحيح النص الذي ورد في تاريخ بغداد .

وماتت امهم ، ولا سبب لذلك في الغالب الا نكد العيش ومرارة الحياة .

القصيدة المفجعة

لذلك رأينا ابن الرومي يستصرخ حكام عصره ، ويطالب أولي الأمر وارباب الدواوين بالانصاف ، ويستعطفهم بل يستعطف الانسانية كلها بلهجة تفتت الاكباد ، وله قطع نفيسة صور فيها ذلك العناء ، وتساءل في بعضها : أليس فيه خصلة تؤهله للعيش؟ ألا يليق ان يكون معلماً أو مكتباً[1] للصبيان ؟ أو مستخدماً في الديوان ؟ ولكن ما من مجيب ، من ذلك قصيدة بليغة خاطب بها « القاسم » والغالب انه ابو الحسين القاسم بن عبيد الله بن سليمان بن وهب وزير المعتضد ، وبعض المؤرخين يتهم هذا الوزير بدس السم لابن الرومي لخوفه من هجوه وسلاطته[2] واول هذه القصيدة المفجعة الباكية[3] :

ايا غرة العليا ويا عينها اليمنى ويا صفوة الدنيا ويا حاصل المعنى

منها

أقاسم لو نوفيك ما انت اهله لاصبحت لا تسمى لدنيا ولا تكنى
وان كنت مأمولا تناسى حفاظه نصيبي وقد اغنى سواي وقد اقنى
نعم انا ممنوع الذي لست كفؤه اتمنعني قوتي من العرض الادنى
لشدتكم ان تظلموني وتسكنوا جوى الحقد اضلاعاً على حبكم تحنى
أذو آلة ؟ فاستخدموني لآلتي بقوتي وإلا فارزقوني مع الزمنى
ألا يا عباد الله ما بال حاجة اعالجها تدوي بادوية المضنى

---

(١) المكتب على وزن مؤدب من يمتهن تعليم الكتابة والقراءة وتحفيظ القرآن وتأديب الصبيان .

(٢) لقصة هذا الوزير مع ابن الرومي ذكر في مروج الذهب للمسعودي (٢/٣٠١) واوردها ابن خلكان في ترجمة ابن الرومي من الوفيات (١/٣٥٠ ، ٣٥٢) .

(٣) ديوان ابن الرومي ج ١ ط الهلال : ٩٤ ، ٩٧ .

أ أشقى بمن لو قلت يا خيرمن مشى	على الارض مااستثنى ضميري مستثني
هبوني امرأ لا حظ فيه لمجتن	امافي اصطناع العرف مكرمة تبنى!
عفاء على الدنيا اذا ساء رأيكم	فما هي بالدار الدميثة للسكنى

مقارنة بين الشاعرين

عقد ابو عبد الله المرزباني فصلا لطيفاً قارن فيه بين ابن الرومي والبحتري في فن الهجاء ، ويستفاد من هذا الفصل ان المرزباني يفضل ابن الرومي على صاحبه ويتحدث عن تفوقه في التوليد والاختراع ، فهو يقول « ان كثيراً من اهل الأدب ينكر خبث لسان ابن الرومي ، ويطعن فيه بكثرة هجائه حتى جعلوه في ذلك اوحـــد لا نظير له ، ويضربون عن اضافة البحتري اليه ، والحاقه به فان البحتري لم يبلغه في دقة معانيه ، وجودة الفاظه وبدائع اختراعاته في الهجاء خاصة » [1] وقال المرزباني بعد ذلك في نقـــده للبحتري « هجا اربعين رئيساً ممن مـــدحـــه منهم خليفتان هم المنتصر والمستعين ، وساق بعدهما الوزراء ورؤساء القواد ومن جرى مجراهم من جلة الـكتاب والعمال ووجوه القضاة والـكبراء بعد أن مدحهم واخذ جوائزهم . وحاله تنبيء عن سوء العهد وخبث الطريقة ، ومما قبح فيه أيضاً وعدل به عن طريقة الشعراء المحمودة اني وجدته قد نقل نحواً من عشرين قصيدة من مدائحه لجماعة توفر حظه منهم عليها الى غيرهم ، وامات اسماء من مدحه اولا مع سعة ذرعه بقول الشعر واقتداره على التوسع فيه » هذا ما اخذه المرزباني على البحتري ، وهو يدل على عناية بالغة بدراسة البحتري وادبه وشعره ، وفي آخر هذا الفصل نفى ان يكون ما قاله تعصباً على البحتري فقال : « لم اذكر ذلك على طريق التحامل مع اعتقادي فضله وتقديمه ، ولـكنني احببت ان

---

(١) الموشح في مآخذ العلماء على الشعراء للمرزباني ٣٣٦ .

ابن امه لمن لعله الستر عليه ، وحسبنا الله ونعم الوكيل »[1]، واذا كان لنا ان نؤاخذ المرزباني في هذه الاقوال فهو زعمه ان ابن الرومي اجود الفاظاً واحسن تأليفاً من البحتري مع ان الحق خلاف ذلك .

ابن الرومي وابن المنجم

يغلو ابن الرومي في مدح بعض من يرعى حقه ، ويقذع غاية الاقذاع في هجو من يزعجه أو يؤذيه ، ويستفاد من بعض قصائده انه كان منقطعاً لعلي بن يحي بن المنجم وكان ابن المنجم كثير البر به والرعاية لحقه معنياً بصلته وعطائه ، ومن اجل ذلك نجد ابن الرومي يثني على سخائه ومروءته جداً ، ويلاحظ ان هذا الشاعر مع قدرته على التوليد والابداع لا يحجم عن الاسترفاد بشعره على اسلوب من الاستجداء يترفع عنه البحتري ، وهذا من جملة الفوارق بين الشاعرين .

انشأ ابن الرومي شطراً من شعره في صاحبه علي بن يحي ، وقدتضمن الجزء الاول من ديوانه [2] قطعتين وقصيدة مطولة فيه واولى القطعتين تهنئة بالمهرجان مطلعها .

لم يله في المهرجان اولى ... باللهو فيه من ابن يحي

والمقطوعة الثانية تهنئة بعيد الفطر اولها [3] :

يهنأ بالافطار قوم لانهم ... تأتى لهم قبل العشاء غذاء
واما علي ذو العلى فلانــه ... اطاع له الاطعام كيف يشاء

اما القصيدة المطولة فاولها :

شاب راسي ولات حين مشيب ... وعجيب الزمان غير عجيب

---

(١) الموشح ٣٣٦ .
(٢) الجزء الأول من ديوان ابن الرومي ط الهلال ، ويشتمل على حرف الهمزة وحرف الباء وعنوان هذه القصيدة « قال في علي بن يحي ابن ابي منصور » .
(٣) ديوان ابن الرومي : ٨

وعدة ابيات هذه القصيدة (١١٨) بيتاً فهي من اطول قصائد هذا الشاعر الذي بزّ في طول نفسه جميع الشعراء .

وقد تضاربت آراء المعنيين بنقد شعر ابن الرومي من هذه الناحية ، فذهب بعضهم الى ان تطويله يمل في كثير من الاحيان ، ومن رأي ابن خلكان [١] ان ذلك ضرب من استيفاء المعاني واستيعاب المقاصد الشعرية حتى لا تبقى منها بقية ، وقد تعلل هذه الظاهرة في قصائد ابن الرومي بفراغه وبطالته وانقطاعه لانشاء الاشعار ، ولننظر بعد ذلك في اعتذار الشاعر نفسه عن الاطالة في منظوماته بابيات تعد من عيون شعره المستجاد قال [٢] :

كل امرىء مدح امرأ لنواله ... فاطال فيه فقد اراد هجاءه

لو لم يقدر فيه بعد المستقى ... عند الورود لما اطال رشاءه

غيري فاني لا اطيل مدائحي ... إلا لأوفي من مدحت ثناءه

واعد ظلماً ان اقلّ مديحه ... عمداً واسخط ان اقل عطاءه

ذم ابن الرومي تطويل القصيدة في المدح وعده هجاء ، واستثنى نفسه من ذلك فانه لا يطيل الا لاستيفاء اغراضه في الثناء ، ويستفاد من هذه الابيات ايضاً ان ابن الرومي يرى الشعر مكسباً فيه حساب وفيه اخذ وعطاء ، وقد شبه الممدوح بالقليب والقصيدة بالرشاء والشاعر بالماتح ، ومن رأينا ان ابن الرومي قصد نفسه في هذه الابيات فهي اكثر انطباقاً على اساليبه الشعرية من اساليب غيره من الشعراء .

جدل في الاصول

يسترعي الانتباه في قصيدة ابن الرومي المطولة التي قالها في ابن المنجم اشادة بالغة

---

(١) وفيات الأعيان (١/٣٥١) .

(٢) ديوان ابن الرومي (ج١/٩٧ ، ٩٨) .

بسداد رأيه وحسن تدبيره وبعد نظره واعتماد الخلفاء عليه، وله في هذا المعنى بيت سائر هو بيت القصيدة.

المعي يرى باول ظن آخر الأمر من وراء المغيب

ومن اقوال ابن الرومي في هذه القصيدة:

مدره الدين والخلافة والنضح عن الحوزتين والتذبيب

وصف الشاعر ابن المنجم بانه مدره الدين يعني لسان الشريعة، وساعد الخلافة الأيمن في الذب عنها، وهذه غاية ندر من يرقى اليها من رجال الدولة العباسية في العصور المذكورة، فاذا يعني ابن الرومي بذلك: هل كان ابن المنجم المغني النديم اماماً في الدين؟ هل كان مجتهداً له اتباع او مقلدون كلا؟ فالمعروف ان فريقاً من آل المنجم مالوا الى مذهب ابي جعفر الطبري في الفقه والحديث، والحقيقة هي ان عصر ابن الرومي - وهو عصر علي ابن يحيي المنجم - كان من عصور الجدل العنيف بين المعتزلة والاشاعرة هذا الى فرق اخرى من المتكلمين والمعنيين بالبحث في الاصول والمتفلسفين، ولا شك - فيما نرى - ان ابن المنجم كان يرى رأي المعتزلة بل كان متفانياً في الدفاع عنهم او في مناهضة آراء الاشاعرة، وكان الجدل في بعض المسائل الاصولية العويصة مثل مسألة خلق القرآن وخلق الافعال والوعد والوعيد، ومسألة العدل والتوحيد قائماً في اقطار الخلافة منذ عصر المأمون الى عصر الواثق، وهو عصر ابن الرومي، وكان للمأمون رأيه المشهور في هـذه المسائل، عني بجمع المتكلمين للمناظرة، واطلق لهم حرية المناقشة، وكتب بهذا الشأن كتباً مشهورة الى ولاة الدولة العباسية غمز فيها كثيراً من المعارضين في خلق القرآن، فاصبح مذهب المعتزلة مذهب الدولة العباسية في المسائل المذكورة الى عصر الواثق والمعتصم، وكان بنو المنجم من انصار هذا المذهب لا شك في ذلك (١)

(١) في شرح نهج البلاغة لابن ابي الحديد (١/٢٦٢، ٢٦٣) فصل في اخبار الشاعر علي بن =

ويقول المسعودي [1] في احمد بن المنجم المعروف بابن النديم «كان من حذاق اهل النظر والبحث واهل الرئاسة من اهل التوحيد والعدل ، وفي ابنه علي بن يحيي يقول ابو هفان » :

لربيع الزمان في الحول وقت ... وابن يحيي في كل وقت ربيع

رهذه الكلمة من المسعودي صريحة بانه يضلع مع المعتزلة . وهي تؤيد ما قاله المؤرخون عنه ، وكانت له خبرة بآل المنجم ومذهبهم في العدل والتوحيد ، وللمعتزلة كلام طويل في شرح هذه المصطلحات وبينهم وبين الاشاعرة في ذلك جدل وبحوث كثيرة .

شاعر يمدح ويعتذر

وقد تمدح ابن الرومي في آخر قصيدته هذه بجودة شعره فيها لفظاً ومعنى فقال :

ها كها مدحة تغني بها الركبان ... ما ارزمت روائم نيب
نظم الفكر درّها غير مثقوب ... اذا الدر شين بالتثقيب

واعتذر بعد ذلك عن الاطالة وانها ليست من قبل اطالة الرشاء لبعد القليب واشار

= الجهم ونبذه من اشعاره ، من ذلك قوله لما حبسه المتوكل من قصيدة ، وكان يضلع مع الاشاعرة .

تضافرت الروافض والنصارى ... واهل الاعتزال على هجائي

قال ابن ابي الحديد : اراد بالروافض نجاح بن سلمة وبالنصارى بختيشوع ، وباهل الاعتزال علي بن يحيي وقال ابن المعتز في طبقات الشعراء (١٥١) : انما عنى بالروافض الطاهريين ، وباهل الاعتزال بني داود ، وبالنصارى بختيسوع ضبطت كلمة داود هنا بضم الدال وفتح الواو وبعد الألف دال ثانية ويغلط كثيرون فيقرأون الكلمة بفتح الدال ، وقال صاحب الأغاني يعني باهل الاعتزال علي بن يحيي المنجم ، اما الطاهريون فهم بنو طاهر بن الحسين بن مصعب الخزاعي امير خراسان ، ولهؤلاء الطاهريين اخبار كثيرة في كتب الأدب والتاريخ ، من ذلك تاريخ بغداد لابن طيفور وتاريخ الطبري وتاريخ بغداد للخطيب والكامل لابن الأثير وقد استوفى ابن خلكان تراجم الأمراء الطاهريين في وفيات الأعيان ، وللطاهريين ذكر في موضع آخر من هذا الكتاب ، وجدهم كما لا يخفى ممدوح ابي تمام ، ومن اقوال المأمون لعبدالله بن طاهر : «ليس فيك عيب إلا انك تحب الشعر واهله » اورده ابن طيفور في تاريخه (١٦٤ ط القاهرة) .

(١) مروج الذهب (٢/٣٠٠) وفي عبارة المروج عن احمد بن يحيي وعلي بن يحيي من آل المنجم اضطراب .

الى ابياته السابقة قائلا :

لم اطلها كما اطـــال رشاء ماتح ســـاء ظنه بقليب
حاش لله ليس مثلي تغلى ظن سوء بمستقاك القريب

هدية الى ابن المنجم . وصف شائق لها

قال ابو علي القالي [1] انشدني بعض اصحابنا لعلي بن العباس الرومي واهدى قدحاً الى يحي بن المنجم ، وهي ابيات اولها :

وبديع من البدائع يسبي كل عقل ويطبي كل ظرف

منها

دق في الحسن والملاحة حتى ما يوفيــه واصف حق وصف
تنفذ العين فيه حتى تراها اخطأته من دقة المستشف
وسط القدر لم يكبر لجرع متوال ولم يصغر لرشف
فيــه لوز مقرب عطفته حكماء القيون احسن عطف

وقال القالي أيضاً انشدني ابن المنجم :

ومستطيل على الصهباء باكرها في فتية باصطباح الراح حذاق
فكل كف رآها ظنها قدحاً وكل شخص رآه ظنه الساقي

شعر علي بن يحيى

قال ابو علي القالي [2] انشدني علي بن هارون لعلي بن يحي المنجم ، وهذه الانشادة عبارة عن بيتين اولها :

بابي والله من طرقا كابتسام البرق اذ خفقا

---

(١) امالي القالي (١/٢٨٠) .

(٢) الامالي (١/٢٢٩) .

ويلاحظ ان روايات ابي علي القالي في الامالي عن احمد بن علي بن يحيي وعلي بن هارون واحمد بن يحيي ليست بقليلة .

الدولة العباسية وآل المنجم في شعر ابن بابك

لا نكاد نقلب ديوان شعر لشاعر لخل من شعراء اواسط المائة الثالثة الى اواسط المائة الرابعة إلا وجدنا فيه ذكراً لواحد او اكثر من اعلام آل المنجم، وخاصة ابا الحسن علي بن يحيي ابن ابي منصور او يحيي بن علي ابنه ، وليس ذلك حسب بل هذه اسفار الأدب والتاريخ المصنفة خلال تلك الحقبة لا نجد منها سفراً خالياً من اخبارهم ، وقد اطلعنا على بعض ما ورد في ديوان البحتري وديوان ابن الرومي من هذا القبيل ، وعنّ لنا ان نتصفح ديوان ابن بابك فاذا هو كغيره لا يخلو من ذكر لاعلام البيت المذكور .

عبد الصمد بن بابك شاعر مكثر [1] من شعراء دولة بني بويه وشعره وسط فيه غث غير قليل ، تردد هذا الشاعر بين فارس والعراق في عصر بهاء الدولة والصاحب ابن عباد ، هذا وابن بابك كاكثر شعراء تلك العصور ممن سدت في وجوههم سبل العيش فلا مناص لهم من الاسترفاد بشعرهم ، ولا مفر لهم من بيع عقائلهم وبنات افكارهم ولو بابخس الأثمان .

كان ابن بابك يشد الرحال من قطر الى آخر لانشاد قصائده على صورة لا تخلو من الاسفاف وله هجاء خبيث ، ويلاحظ انه كابن الرومي يجوّد في فن الهجاء اكثر من غيره ويتخلل هجاءه فحش وبذاء كثير . وكان وهو في العراق يختلف الى « بني المنجم » ويستفاد من شعره انه زار « القفص » السعيد و « عكبرا » الخصبة الخضراء ، ونعم فيمن نعم من الشعراء والعلماء في الاقامة بتلك الربوع ، وقد استوحاها في جملة من

---

(١) في خزانة مؤلف الكتاب نسخة مخطوطة من ديوان عبد الصمد بن بابك في مجلدين ضخمين وهي بخط الشيخ السعيد والده رحمه الله ، ويلاحظ ان كثيراً من القصائد في هـذه النسخة مغفلة لم تذكر فيها المناسبات .

قصائده ، من ذلك ابيات لطيفة يذكر فيها خراباً المّ بكورة « عكبرا » من جراء العسف وثقل الخراج في الغالب ، وفي هذه الابيات يصور الشاعر ضعف الدولة وطغيان الترك وتغلب الديلم عليها ، واول تلك الابيات :

صكوا على مال « عكبرا » صكوا ... فليس في اليأس منكم شك

منها

فاستدركوا رأيكم ورايتكم ... فما لكم هيبة ولا ملك

قد طمع الجند في دياركم ... والديلم المقطعون والترك

وانتشر الأمر والفساد كما ... اسلم نظم القلادة السلك

واقفرت « عكبرا » ودمنتها ... فاستوقفوا الركب عندها وابكوا

وما لكم غير عصر اعينكم ... وحكها ان شفاكم الحك

عاصر ابن بابك جماعة من ادباء العراق وفارس منهم آل التنوخي وابن فورجة أديب همدان وغيرهم ، ولكنهم كانوا معرضين عنه اخذوا عليه اغلاطاً لغوية ونحوية فلاحاهم وتناولهم في شعرهم اكثر من مرة ، وكاتب هذا الشاعر وهو في بلاد فارس بني المنجم ، وله مقطوعة ارسلها الى ابي الحسن بن المنجم جواباً عن ابيات له في اخراج بيت عماه عليه وكتب الى جرجان :

بابي محاسن زرتني ... وبدائع سلت [1] مراحي

وخلائق كالنور ... باح بسره نفس الصباح

لبني المنجم نشوة ... بين الفصاحة والسماح

ومباسم معسولة ... تطوى على صبر وراح

مهلا ابا الحسن اتئد ... فالبحث داعية التلاحي

(١) لا وجه لكلمة « سلت » هنا والغالب انها محرفة

محل الرجل من الرواية

تعني كلمة الرواية هنا رواية الشعر واخبار الشعراء وايام الناس ، وتعني رواية اقوال العلماء في نقد الشعر وشرحه ، وما اخذوه على ذويه ، ورواية اللغة والغريب وما الى ذلك ، فأن علي بن يحيي ابن ابي منصور انقطع لهذا الضرب من العلم ، بل كان عالي الكعب في هذا النوع من الرواية ، ولم يكن علي بن يحيي - وهو خريج مدرسة اسحاق الموصلي وصاحب اخباره - من رواة الحديث لا من قريب ولا من بعيد ، وان سمع من بعض المحدثين احاديث معدودة ، وما يقال عن علي بن يحيي يقال عن ولده « يحيي ابن علي » المعروف بالنديم مؤلف « رسالة النغم » ، فانه لم يكن في طبقة رواة الاثر واكثر احاديثه التي رواها عنه المرزباني والصولي والتنوخي وابو علي القالي وغيرهم تتصل بالأدب والشعر واللغة واخبار الشعراء ونقد شعرهم وايام الناس ، وهو يروى ذلك عن ابيه عن اسحاق الموصلي على الاكثر . ولا بد لنا من القول مع ذلك ان قد ظهر من احفاد « علي بن يحيي » طبقة عنيت بالنظر في الحديث وعلومه . وصنفت في الفقه طبقاً للمنهج الفقهي المعروف عن الطبري مثل هارون بن علي . ويعد من اتباع الطبري في منهجه المذكور ، ومنهم طبقة عنيت بالنظر في اصول الدين والعقيدة ، وصنفت في ذلك مثل احمد بن يحيي الى آخرين من هذه الطبقة ، والطبقة التي تليها ، وقد عقد السمعاني فصلا تحت عنوان « المنجم » سمى فيه اعلام هذه الأسرة طبقة بعد اخرى ، وعد جماعة منهم في المحدثين ، وفيما كتب السمعاني عن آل المنجم فوائد لا نجدها في كتاب آخر فانه سمى فروعهم من اولاد « علي بن هارون » وذكر منهم اربعة ، وان كان هذا الفصل لا يخلو من الاختلال والاضطراب - كما جاء في نسخة الكتاب - من قبيل تقديم طبقة متأخرة وبالعكس ، وهذا نص ما قاله السمعاني في الانساب .

« المنجم » لمن يعرف علم النجوم وفيهم كثرة ، ومن المحدثين ابو الفتح احمد بن

علي من اهل بغداد حدث عن ابيه علي بن هارون المنجم ، روى عنه القاضي ابو القاسم التنوخي ، وفي عبارة الانساب بعد ذلك اضطراب فانها تتحدث عن « يحيى بن على ابن ابي منصور » منجم المأمون الذي اسلم على يده وكأنه من اولاد « احمد بن علي » وهذا خلط ، لا نعلم منشأه بالضبط ، والمرجح انه خلط من الناسخ ، ويعود السمعاني بعد ذلك فيقول : « كان علي بن هارون مشهوراً بالفضل والأدب وخدمة الخلفاء » وابنه ابو الفتح كان ثقة وهم جماعة اخوة ابو الفتح احمد ، وابو القاسم المحسن ، وابو محمد الحسن وابو منصور الفضل بنو على بن هارون المنجم ، ويلى ذلك كلمة قال السمعاني فيها : « وابو احمد يحيى بن على المنجم من اهل بغداد حدث عن ابيه والزبير بن بكار واحمد بن الحرث واسحق الموصلي روى عنه ابنه يوسف وابن اخيه على بن هارون ، وكان اديباً شاعراً مات سنة ٣٠٠ ، وسنه ثمان وخمسون سنة ، هـــذا ما ورد في مادة « المنجم » من كتاب الانساب للسمعاني ، ويستفاد منها ان المؤلف خص بني المنجم بالمادة المذكورة .

ويلاحظ ان جل احاديث على بن يحيى بن المنجم على ما يستفاد من كتاب الأغاني وكتاب الموشح المرزباني وكتب الصولي ومنها كتاب الاوراق واخبار ابي تمـــام واخبار البحتري له مروية عن اسحاق بن ابراهيم الموصلي ، وفي هـــذه الاحاديث مادة ادبية غزيرة . واسحاق كما لا يخفى احد الافذاذ المتضلعين في العلم بالشعر واللغة والغريب واخبار الشعراء وايام العرب ، روى من ذلك وما اليه جملة حسنة ، وفي جملة من تحدث عنهم الاصمعي وابو عبيدة وابن الاعرابي ، ولا يخفى ان اسحاق لا يمت بنسبه الى العرب ، ومع ذلك فان ثقافته عربية بحتة حتى اخذ عليه شيء من الغلو في تفضيل الجاهلي القديم ، وما انشأ من الشعر في صدر الاسلام على شعر الشعراء بعد ذلك ، ولم يكن يعجبه شعر الطبقة الاولى من شعراء الدولة العباسية مثل ابى نواس وبشار بن

برد ، وقد تحدث المرزباني وابو الفرج الاصفهاني عن نقاش دار بينه وبين علي بن يحيي وغيره من كبار الأدباء في هذا الشأن .

قال المرزباني : حدثنا يحيي بن علي بن يحيي - بن المنجم - قال : حدثنا ابي قال : كان اسحاق بن ابراهيم الموصلي يتعصب على ابي نواس ، ويقول : هو يخطي . وكان اسحاق في كل اقواله ينصر الاوائل ، فكنت انشده جيد قوله فلا يحفل به فانشدته :

وخيمة ناطور براس منيفة تهم يدا من نالها بزليل

فكان على امره فقلت له : والله لو كانت لبعض اعراب هذيل لجعلتها افضل شيء سمعته قط[1] وتحدث للمرزباني عنه حفيده ابو الحسن علي بن هارون بن علي بن المنجم عن اختيار « احمد بن ابي طاهر »[2] شعر امرىء القيس فقال ابو الحسن علي بن يحيي لابن ابي طاهر : اما تستحي من هذا القول ! اي مرذول في شعر امرىء القيس حتى يحتاج الى اختيار ؟ واتسع القول بينهما الى ان قال ابو عبد الله هارون بن علي لابيه ابي الحسن : صدقت يا سيدي في وصف شعر امرىء القيس ولكن فيه ما يفضل بعضه بعضاً ، ثم استشهد بابيات ركيكة لامرىء القيس ، فامسك ابو الحسن . ويعني هذا الامساك اذعان الأب لرأي الابن لاتزانه وتوسطه بين التفريط والافراط ، ومن هذا

(١) الموشح للمرزباني ٢٦٣ ، وتكرر هذا الحديث في (٢٦٤) من الكتاب .

(٢) احمد بن ابي طاهر طيفور صاحب هذا الحديث مع ابن المنجم ويعرف «بابن طيفور» - وتعني الكلمة طائراً يطفر - مؤرخ عراقي خراساني الأصل مصنف مكثر وله شعر ، ومن مصنفاته تاريخ بغداد في اخبار الخلفاء والأمراء وايامهم نشر الجزء السادس منه منذ اكثر من اربعين سنة مطبوعاً على الحجر بخط مستشرق الماني عن نسخة مخطوطة في المتحف البريطاني ، وهذا الجزء يتضمن « اخبار المأمون » منذ دخوله بغداد سنة ٢٠٤ الى سنوات اخرى بعد ذلك ، وطبع هذا الجزء ايضاً في القاهرة سنة ١٣٦٨ (١٩٤٩) ولا يعرف شيء عن بقيه اجزاء هذا الكتاب . وفي هذا الجزء من تاريخ ابن طيفور - عدا التاريخ والاخبار - فوائد ادبية ومناقشات علمية لا توجد في مصدر آخر ، ويعد الكتاب من مآخذ المؤرخين المتأخرين ، ولابنه عبيدالله بن احمد ذيل على تاريخ بغداد لابيه المذكور ، ومن مصنفات ابن طيفور صاحب التاريخ كتاب آخر عنوانه « المنظوم والمنثور » يقع على =

الباب ما روي عن مطاعن اسحاق في شعر بشار بن برد ، وما دار من نقاش بينه وبين ابن المنجم ـ وهو من الضالعين مع بشار ـ قال ابو الفرج الاصفهاني [1] اخبرني يحيى ابن علي قال حدثني ابي قال : كان اسحاق الموصلي يطعن على شعر بشار ويضع منه ، ويذكر ان كلامه مختلف لا يشبه بعضه بعضاً فقلنا : اتقول هذا لمن يقول :

اذا كنت في كل الامور معاتباً صديقك لم تلق الذي لا تعاتبه

وهي ثلاثة ابيات من عيون شعر بشار ، فلم يستطع اسحاق انكار جودة الشعر ، ولكنه حاول الاعتراض على نسبتها الى هذا الشاعر بادلة ضعيفة فندها ابن المنجم ، وفي ختام هذا الحديث قال الراوي : لم يعثر على بشار انه سرق شعراً قط جاهلياً ولا اسلامياً

= ما يقول ابن النديم في اربعة عشر جزءاً ، والذي بيد الناس ـ على حد قول ابن النديم ـ ثلاثة عشر جزءاً ، ويوجد من كتاب المنظوم والمنثور في المتحف البريطاني ايضاً جزءان هما الحادي عشر والثاني عشر ، والأول منهما في بلاغات النساء طبع في القاهرة سنة ١٣٢٦ ، وممن تحدث عن ابن طيفور ابنه احمد والمرزباني وجحظة البرمكي ، وتحدث هو عن المبرد واسحاق الموصلي واتهمه جعفر بن احمد صاحب كتاب الباهر بالضعف والجهل فقال : كان « احمد بن ابي طاهر » مؤدب كتاب عامياً ثم تخصص وجلس في سوق الوراقين في الجانب الشرقي ، ولم ار ممن شهر بمثل ما شهر به من التصنيف للكتب وقول الشعر اكثر تصحيفاً ولا ابله علما ولا الحن ، وكان اسرق الناس لنصف بيت وثلث بيت قال وكذا قال لي البحتري ، وكان مع هذا جميل الاخلاق ظريف المعاشرة (معجم الأدباء ١ / ١٥٣) وفي اخبار ابن طيفور ما يدل على انه كان محارفاً أي قليل الحظ من المال ، وممن تحدث عن احمد بن طيفور الكاتب ابو عبد الله محمد بن داود بن الجراح في كتاب الورقة (٩ ، ١٨ ، ٣٣ ، ٤٥ ، ٤٦ ، ٦١) وفي بعض هذه الاحاديث نوادر ونكت جميلة ، ويستفاد من مجموع ما جاء عنه في كتب الطبقات والتاريخ واسفار الأدب انه كان من طبقة الجمهور ، وكانت منزلته دون منزلة علي بن يحيى المنجم وطبقته ، وفي حواره معه بشأن اختيار شعر امرىء القيس ما يدل على ذلك ، مات ابن طيفور سنة ٢٨٠ وله ترجمة في فهرست ابن النديم (١٤٦) سمى فيها تصانيفه ، وترجم له الخطيب في تاريخ بغداد (٤ / ٢١١) وياقوت في معجم الأدباء (١ / ١٥٢ ، ١٥٦) وله ذكر في الأغاني لابي الفرج الاصفهاني وفي جملة من كتب الأدب والتاريخ ،

(١) الأغاني الطبعة الحديثة (٣ / ١٩٦ ، ١٩٩) .

فلم يرد - يعني اسحاق - على ذلك بشيء . هذا ويلاحظ ان ابن المنجم لم يأخذ على اسحاق زعمه ان شعر بشار مختلف ، وانه لا يشبه بعضه بعضاً ، فاي شاعر لا يختلف شعره ولا يتفاوت ، واي شاعر خلا شعره من ضعف او اسفاف ؟

هـــذه امثلة من تعصب اسحاق الموصلي للقديم ، وسوء رأيه في الحديث ، وهي محاولة من محاولات غير قليلة له اراد التنصل بها من فنه الذي اشتهر به وما يستدعيه هذا الفن من الانغماس في حمأة الترف والملاذ وهيهات :

لا ينكر ان اسحاق كان دؤوباً مجتهداً رسم لنفسه منهجاً يومياً في الدراسة التزم بموجبه ان يتردد الى نفر من اهل العلم بينهم المحدثون والفقهاء والمقرؤون ، ولم يفته في الوقت عينه التردد على رهط من المغنين والملحنين والقيان للاخذ عنهم ، وفي حديث لاسحاق عن هذا المنهج رواه يحيى بن علي عن ابيه يقول [1] : « بقيت دهراً اغلس كل يوم الى « هشيم » [2] فاسمع منــه ، ثم اصير الى الكسائي والفراء وابن غزالة فاقرأ جزءاً من القرآن ، وفي حديث آخر يستفاد منه ان الفضل بن الربيع الوزير اوصى به سفيان بن عيينة فسمع عليه عدداً من الاحاديث ، واجاز له ان يروي ما سمع عنه [3] ولم يكن اسحاق - فيما نرى - جاداً الجد كله في هذا الضرب من السماع ، فانه لم يعن

(١) الأغاني ط دار الكتب (٥/٢٧١ ، ٢٧٢) ومهـــذب تاريخ دمشق (٢/٤١٦) ، ومعجم الأدباء .

(٢) هشيم بن بشير السلمي الواسطي من محدثي اواخر المائة الثانية اثنى عليـــه اصحاب الطبقات ، ووصف بالحفظ والورع والديانة ، تجرد للرواية وعاصر سفيان بن عيينة ووصف بانه احفظ للحديث منه ، انتقل الى بغدقد وسكنها وفيها مات سنة ١٨٤ ترجم له الخطيب في تاريخ بغداد ترجمة واسعة فيها تكرار كثير من التراجم الواردة في هذا التاريخ وامثاله من المصنفات القديمة ، وقد تضاربت الآراء في هشيم تبعاً لتضارب النزعات ، هذا وفي اخذ اسحاق الموصلي عن « هشيم » هذا وامثاله من المحدثين دليل على ان هذه الطبقة من المحدثين ما كانت ترى حرجاً في سماع اسحاق وامثاله عن الطبقة المذكورة .

(٣) الاغاني (٥/٢٧٣) وفي رواية اخرى جاءت في الكتاب نفسه ان الحديث كان مع يحيى =

بالأسناد ، تعجبه رواية الأحاديث المرسلة ، قال الصولي كان اسحاق يقول : « الاسناد قيد الحديث » فتحدث مرة بحديث لا اسناد له فسئل عن اسناده فقال : « هذا من المرسلات عرفاً »[1] وهـــذه الـكلمة تعني انه لم يكن جاداً في الرواية ، على ان الرجل كان منصباً على المطالعة صاحب كتب لا يستغني عن حملها حضراً وسفراً ، وروى عنه في ذلك حكايات ، من ذلك ان الاصمعي سأله ـ وهما يريدان السفر الى الرقة مع الرشيد ـ كم حملت معك من كتبك . فقال : خففت فحملت ثمانيـــة عشر صندوقاً فقال الاصمعي او هذا تخفيف ؟[2] هذا نهاية التثقيل ! والواقع ان اسحاق كان وثيق الصلة بالاصمعي عني بالأخذ والحديث عنه كثيراً ، وكانا يتذاكران في فنون الشعر والأدب واللغة ويتناشدان ويتناقشان[3] ، قال عمرو بن شبه : سألت اسحاق عما عنده من الـكتب فقال : عندي مائة قمطر[4] ، وقال احمد بن يحيى النحوي (ثعلب) رأيت لاسحاق الموصلي الف جزء من كتب اللغة سماعه ، ومارأيت اللغة في منزل احد قط اكثر منها في منزل اسحاق ، ثم في منزل ابن الاعرابي[5] .

اسحاق يتظلم

كان اسحاق الموصلي نديم الخلفاء وجليس الرؤساء وصاحب العلماء تكاملت فيه

= ابن خالد البرمكي بدلا من الفضل بن الربيع انظر الأغاني (٦/٣٣٩) ، ولاحظ الاختلاف في متن الروايات ، وانظر كذلك مهذب تاريخ دمشق لابن عساكر (٢/٤١٤) فان ابن عساكر تابع الرواية الثانية .

(١) الاغاني (٥/٣٩٢) .

(٢) راجع عن حديث الـكتب هذه الأغاني وانباه الرواة للقفطي (١/٢١٧) .

(٣) الأغاني (٥/٣٩٦ ، ٣٩٧) .

(٤) انباه الرواة : ٢١٧ .

(٥) المصدر المذكور : ٣١٦ .

آلة المنادمة ، وفي مقدمتها ظرف وادب يشمل ادب الدرس وادب النفس ومشاركة حسنة في رواية الأشعار والسير والاخبار وتضلع في اللغة ومعرفة بالغريب الى فنون اخرى ، وكان الرجل لا يحجب عن مجلس من مجالس القوم ، وانما يقابل بالترحاب ، وهو يسمع في جملة ما يسمعه اطراءاً بالغاً وثناءاً جماً عليه ، فمن قائل ان الغناء اصغر علومه وادنى ما يوصف به ، ولو تغلب عليه . هذا وقد تحدث الاخباريون باحاديث عجيبة عن تزكيته والثناء عليه ، ووصفوه بالعدالة ، وانه احق من القضاة بولاية القضاء ، وعللوا ذلك بانه ـ اي اسحاق ـ اصدق تديناً وامانة واعف منهم ، وقد نسب الاخباريون كلمة بهذا المعنى الى المأمون ، ومن رأينا ان هذا الخليفة اكثر حصافة وابعد عن الغلو واطلاق مثل هذا القول في اطراء اسحاق . فهو قول لا يخلو من تزيد الاخباريين والقصصيين واصحاب الاسمار ، ويلاحظ ان كثيراً من كتب التاريخ والأدب التي عنيت بسيرة اسحاق الموصلي خلت من هذه الجملة المنسوبة الى المأمون ومن هذه الكتب كتاب الفهرست لابن النديم . وكتاب اخبار المأمون من تاريخ ابن طيفور ، ومنها تاريخ بغداد ، وانساب السمعاني وتاريخ دمشق لابن عساكر ، وانباه الرواة للقفطي ، هذا الى كتب تاريخية وادبية اخرى خلت من هذه الكلمة او هذه التزكية ، واول الاصول التي وردت فيها هذه الكلمة منسوبة الى المأمون كتاب الاغاني لابي الفرج الاصفهاني ، وعن هذا الكتاب في الغالب نقلها من نقلها من المعنيين بالتصنيف في علم الأدب او في طبقات الأدباء وما الى ذلك ومن هؤلاء الناقلين ياقوت الحموي في معجم الأدباء وابن خلكان في الوفيات ، ومن الطرائف ان القاضي ابن خلكان استساغ نقل هذه الكلمة مع انها لا تخلو من غمز القضاة في عدالتهم ومن تفضيل طبقة من المغنين والندماء على القوم .

من اجل ذلك كان اسحاق الموصلي ـ على ما يقول هؤلاء الأخباريون ـ كثير

الشكوى والتظلم ، بل كان يتساءل لماذا لا يشتهر بفن من تلك الفنون التي حذقها ، فيكون محدثاً حافظاً مع الحفاظ من المحدثين ومتكلما مع العلماء بالكلام وفقيهاً مع الفقهاء زاعماً انه يحسن تلك العلوم وغيرها فهو شاعر مجيد ولغوي ضليع وهو اخباري نسابة كتب الحديث وانه لا يستكثر عليه ان يدعى بواحد منها[1] ولاسحاق في تظلمه وتظاهره بكراهيته للغناء اخبار وحكايات ، والحق ان الرجل كان مطبوعاً على الغناء ورث ذلك عن ابيه ، فليس من السهل تصديق كل ما حكي عنه من مقت للغناء ، وهو هو الرأس الذي لا يجارى في هذا الفن ، بل هو اصل شهرته ومكانته وقربه من الخلفاء والرؤساء .

ألفت في سيرة اسحاق وفي ألحانه واخباره كتب غير قليلة ، واذا لاحظنا ثبت مؤلفاته ظهر لنا انها تناولت فنون الغناء والالحان والنغم والايقاع واخبار المغنين والقيان والندماء على اختلاف الاعصار والامصار ، وينسب اليه كتاب مشهور عنوانه « الأغاني الكبير »[2] ولم يكن في عصر اسحاق من يدانيه في خبرته باخلاق الملوك

(١) اثنى السمعاني على اسحاق الموصلي ، وقال في مادة « الموصلي » واما من ينتسب اليها – يعني الموصل – من غير اهلها فهو ابو اسحاق بن ماهان الموصلي ، وهو من ارجان ثم ذكر سبب نسبته الى الموصل مع انه من غير اهلها ، وقال السمعاني بعد ذلك : واما ابنه ابو محمد اسحاق بن ابراهيم الموصلي كان فاضلا كتب الحديث عن ابن عيينة وهشيم بن بشير وابي معوية الضرير ، واخذ الأدب عن الاصمعي وابي عبيدة ، وهو الذي جمع الكتاب وسماه « الأغاني » روى عنه الزبير بن بكار قاضي مكة وابو العيناء وميمون بن هارون وتوفي سنة ٢٣٤ .

(٢) بين الكتب التي نسبت الى اسحاق الموصلي كتاب عنوانه « الاغاني الكبير » وفي تصحيح هذه النسبة وخلافها اقوال ، وقد تناول هذا الموضوع جماعة من الأدباء منهم محمد بن اسحاق المعروف بابن النديم وابو الفرج الاصفهاني وحماد بن اسحاق الموصلي ، وكان يقول ما الف ابي هذا الكتاب ولا رآه ، وانما وضعه وراق كان لابي بعد وفاته سوى الرخصة التي من اول الكتاب فان ابي الفها ، الا ان اخباره كلها من روايتنا قال : واخبرني جحظة انه يعرف الوراق الذي وضعه ، وكان يسمى « سندي بن علي » وحانوته في « طاق الزبل » وكان يورق لاسحاق فاتفق هو وشريك له على وضع الكتاب ، وهذا الكتاب يعرف في القديم بكتاب السراة ، وهو احد عشر جزءاً ، ولكل جزء اول يعرف به فالجزء الأول من =

والرؤساء واوضاعهم وعاداتهم المتبعة في مجالس لهوهم وغنائهم وشرابهم لا فرق بين المتقدمين والمتأخرين منهم ، فكان الأدباء والاخباريون يرجعون اليه ويسألونه عن عادات كل امير من امراء بني امية وكل خليفة من خلفاء بني العباس ممن لا يرى حرجاً في اللهو والشرب ، وكانوا يسألونه عن عادات غيرهم من الملوك في ذلك فكان يجيب بما يشفي غليل السائلين ، بل كان قوله في ذلك فصل الخطاب [1] ومع ذلك يتحدث غير واحد من المصنفين في الأدب والأخبار بان اسحاق كان يكره الغناء ، ويلاحظ انهم عنوا بايراد حكايات طويلة عن حذقه للعلوم والفنون التي حذقها ، وعنوا كذلك باحاديثه في تظلمه وشكواه من خموله بين طوائف الفقهاء والمحدثين والمتكلمين وشهرته بفنه المعروف فقط ، بل كان كثير التظلم والشكوى الى الخلفاء والرؤساء في هذا الشأن حتى نوظر والخم في المناظرة في قصة معروفة .

في هذه الاحاديث والحكايات كثرة ولكنها لا تخلو من تزيد وتزويق وبعضها

= الكتاب الرخصة من تأليف اسحاق لا شك فيه (فهرست ابن النديم ومعجم الأدباء لياقوت (٥/٥٦ ، ٥٨ من الطبعة الأخيرة) فعلى هذا يكون الكتاب المذكور من تأليف وراق لاسحاق لا من تأليف اسحاق نفسه ، ولكن اسحاق عني بالتأليف في الأغاني لا شك في ذلك ، وله في هذا الشأن قول صريح ورد في رسالته الشهورة التي كتب بها الى صاحبه « علي بن هشام القائد » وهي رسالة مطولة مشهورة بنفاستها وملحها ولها ذكر في ثبت مصنفاته ، وهذه الرسالة من رواية « علي بن يحيى المنجم » وقد جاء فيها : وبعد فانا — جعلت فداك — في صنعة كتاب طريف مليح فيه تسمية القوم ونسبهم وبلادهم وازمنتهم وما اختلفوا فيه من غنائهم وبعض احاديثهم واحاديث قيان الحجاز والكوفة ، وقد بعثت اليك بنموذج منه فان كان كما قال القائل « قبح الله كل دن اوله دردي » لم تتجشم اتمامه ، وان كان كما قال العربي « ان الجواد عينه فراره » اعلمتنا فاتممناه مسرورين بحسن رأيك فيه » هذا ما جاء في رواية علي بن يحيى بن المنجم لرسالة الموصلي التي بعث بها من البصرة الى صاحبه علي بن هشام ، وكان اسحاق يألف علياً واحمد بن هشام وسائر اهلهم الفاً شديداً ثم وقعت بينهم نبوة (معجم الأدباء ط الأخيرة (ج ٥/ ٤٩ ، ٥٠) .

(١) انظر كتاب التاج المنسوب الى الجاحظ (٣١ ، ٤٢) .

منحول او موضوع ليس من السهل الاطمئنان اليه ، وعلى كل حال لا بد من عرض بعض الامثلة من هذا القبيل .

من ذلك رواية جاءت في غير كتاب من كتب الأدب والأخبار على اختلاف في بعض العبارات والالفاظ الواردة في متن الرواية . ولكنهم اتفقوا على أن الراوي شخص يقال له « العطوي » وهو شاعر معتزلي من معتزلة البصرة ناقش اسحاق في مجلس يحيى بن اكثم وافحمه وزيف دعواه في تظلمه وتطلعه الى المنزلة الرفيعة التي يتمتع بها ائمة الفقه والحديث مع ان المنيين بسيرته لم يقولوا اكثر من انه « كتب الحديث » وهذه الجملة لا تعني انه كان من اصحاب الحديث ، كما ان مشاركته في الكلام والنحو والعربية لا تعني انه اصبح في عداد العلماء المنقطعين لهذه الشؤون .

حدث المرزباني عن محمد بن عطية الشاعر قال : كنت عند يحيى بن اكثم في مجلس له يجتمع فيه اهل العلم وحضره اسحاق فجعل يناظر اهل الكلام حتى انتصف منهم ، ثم تكلم في الفقه فاحسن واحتج ، ثم تكلم في الشعر واللغة ففاق من حضر فاقبل على يحيى بن اكثم ، وقال : اعز الله القاضي افي شيء مما ناظرت تقصير ؟ قال لا قال : فما بالي اقوم بسائر العلوم قيام اهلها وانسب الى فن واحدقد اقتصر الناس عليه .

هكذا سأل اسحاق يحيى بن اكثم ، ولاحظ هذا القاضي العالم الذكي شيئاً من الحرج في الجواب فانه اذا مال في جوابه الى جانب اسحق اسخط العلماء والفقهاء ، واذا رده وناقشه جرحه وآذاه وهو له صديق ، بل كان يحيى بن اكثم يجل اسحاق الموصلي ويعجب بفضله وادبه وسعة اطلاعه ويجنح الى تفضيله على كثير من اعلام العصر المذكور ، ولذلك التفت يحيى بن اكثم الى العطوي ، وكان العطوي من اهل الجدل والكلام [1] واحال اسحاق عليه .

---

(١) في مادة « العطوي » من كتاب الانساب للسمعاني ترجمة لطيفة لهذا الشاعر نلخصها فيما =

اصاب ابن أكثم شاكلة الصواب في اختيار العطوي للمناظرة فهو نموذج في

= يلي : قال السمعاني هذه النسبة الى عطية وهو جد المنتسب اليه ، والمشهور بهذه النسبة الشاعر ابو عبد الرحمن محمد بن عطية العطوي من اهل البصرة ، ويعد من متكلمي المعتزلة، قدم بغداد ايام احمد بن ابي داود فاتصل به ، واقام بسر من رأى مدة ، وشعره يستحسن وللمبرد منه اختيارات ، حكى عن ابي العباس المبرد انه قال : كان العطوي لا ينطق بالشعر معنا بالبصرة ، ثم ورد علينا شعره لما صار الى سر من رأى وكان ظاهر الدماثة منهوماً بالنبيذ ، وله فيه وفي الصبوح وذكر الندامى والمجالس احسن قول ، وليس له شيء يسقط ، هذا ما ورد عن العطوي في كتاب الانساب ، ولا يخلو ما ورد في النسخة من اغلاط في الكلام المنقول عن المبرد ، وفي الكتاب بعد ذلك قصيدة لهذا الشاعر في معنى الموعظة وذم اللهو والغفلة اولها :

يأمل للمرء ابعد الآمال وهو رهن باقرب الآجال

وترجمة العطوي في انساب السمعاني منقولة بحذافيرها من تاريخ بغداد للخطيب (٣/١٣٧ ، ١٣٨) هذا وله شعر غير قليل الا انه متفرق في كتب الأدب غالباً ، نجد قطعاً صالحة منه في الكامل للمبرد (٢/ ط الأولى ، ٤٩ اربعة ابيات في الغزل) وامالي ابي علي القالي (١/ ط الثانية ٣٢ ٢/١٣٢ ، ١٣٥) والمقابسات لابي حيان التوحيدي (١/ ط الأولى) والوساطة للجرجاني (ط العرفان ١٤٩) ويستفاد مما قرأنا من مجموع شعر العطوي انه كان فقيراً مملقاً ، والى ذلك مرد انتقاله من البصرة الى بغداد واقامته في كنف احمد بن ابي دؤاد مؤئل المعتزلة والاعتزال وكان ابن ابي دؤاد بالاضافة الى ذلك مؤالفاً لاهل الأدب من أي بلد كانوا ، ضم اليه جماعة منهم يمولهم ويمونهم الى غير ذلك ، وطبقة الشاعر وسط ، وقد يجود في الهجاء والرثاء ، ولا يخلو شعره من مصطلحات الفلاسفة والمتكلمين ومن شعره السائر في الهجاء .

لا يليق الغنى بوجه ابي يعلى ولا نور بهجة الاسلام

نعم الله لا تعاب ولكن ربما استقبحت على اقوام

وقد عني فريق من علماء الأدب بنقد بعض اشعاره ، قال القاضي الجرجاني في كتاب الوساطة : اخذ العطوي قول ابن مناذر (محمد بن مناذر شاعر مجيد واديب معدود من فصحاء البصريين اشتهر بالهجاء مات سنة ١٩٨) .

رضينا قسمة الجبار فينا لنا ادب وللثقفي مال

ففرقه ــ يعني العطوي ــ في اربعة ابيات اولها : =

قوة المعارضة ووفاء الحجة ، وكان الاسكافي يقول : العطوي احد المتكلمين المتقدمين . واذا حضر مجلساً غلب عليه ببراعته وفصاحته (طبقات الشعراء لابن المعتز : ١٨٧) وهكذا انتزع العطوي الاعتراف من خصمه بان المسألة ليست مجرد الالمام او مشاركة بعلم من العلوم ، وانما هو التخصص ، فاذا شارك اسـحاق في العربية او في الفقه او الحديث او علم الكلام فلا يعني ذلك تطاوله الى رتبة العلماء المتخصصين في هذه العلوم . فما كان اسحاق كالاصمعي وابي عبيدة في اللغة ، وما كان كاساتذته الذين اخذ

= رضينا بحكم الله بين عباده رضا علماء لا تسخط جهال

هذا ما قاله الجرجاني وقد اصاب في قوله ، وقال ابو حيان التوحيدي فى المقابسات انشدنا ابو بكر القومسي الفيلسوف الى العطوي :

من رماه الأله بالاقتار وطلاب الغنى من الاسفار

وهي قصيدة في (١٦) بيتاً وصف فيها ما يعانيه من الضر والفقر والعوز ، والغالب انه كان يعاني شيئاً فظيعاً من هذا القبيل ، وقال ابو حيان في آخر هذا الفصل : سألته – يعني القومسي – هل تعرف في هذا المعنى قصيدة اخرى قال نعم : قصيدة الحراني صاحب المأمون ، ومما اورده ابو علي القالي من شعر العطوي قصيدة ينتصر فيها لجماعة من المعتزلة ، ويرد على مناوئيهم اولها :

جل رب الاعراض والاجسام عن صفات الأعراض والاجسام

منها

جل ربي عن كل ما اكتنفته لحظات الابصار والاوهام

كم شديد العناد للاسلام بين ابناء ملة الاسلام

وفى امالي القالي ايضاً (١/٣٢) انشدنا الاخفش للعطوي يرثي اخاه وهي ابيات اولها :

امن بعد ان لاقى المنية احمد تطيب لنا الدنيا وتصفو المنازل

ويلاحظ ان القالي روى شعر العطوي عن علي بن سليمان الاخفش ، وهو كالعطوي من البصرة ، هذا ويراجع عن بعض اقوال العطوي المتكلم كتاب الفصل لابن حزم (٣/٢٢) ومقالات الاسلاميين واختلاف المصلين للاشعري (ج٢/٤٠٠) ، واختار ابن المعتز في ترجمته له (طبقات الشعراء : ١٨٧ ، ١٨٨) ابياتاً من شعره من احسنها قوله :

وما لبس العشاق ثوباً من الهوى ولا خلعوا الا الثياب التي ابلي

ولا شربوا كأساً من الحب حلوة ولا مرة الا وشربهم فضلي

عنهم في الفقه والحديث ، وما كان كالنظام وابي الهذيل في الكلام ، على اننا نستثني الغناء فاسحاق منقطع النظير فيه لا شك في ذلك .

من ههنا نسب الموصلي الى ما نسب اليه لانه لا نظير له فيه ومن ههنا لم ينسب الى غيره من تلك الفنون لان نظراءه بل شيوخه واساتذته كثيرون ، ويلاحظ ان اسحاق انقطع في هذه المناظرة ، ولم يرد على العطوي ، ثم غادر مجلس القاضي وهو يضحك ضحك المغبون ، ويستفاد من اقوال الاخباريين ان القاضي يحيى بن اكثم كان ممتعضاً بعض الشيء من انقطاع اسحاق في مجلسه ؛ فانه يجله ويكبره ومن رأيه انه قليل النظير في ذلك الزمان ، وان العطوي غمط حقه في بعض اقواله ، ولذلك وجه اليه هذا القاضي على ما يقول الاخباريون كلمة جامعة بين التأنيب والتقدير [1] .

بطل في قصة

غلب علي بن المنجم على المتوكل بادبه وافتنانه وحسن تصرفه في كل ما يعجب الملوك وبلغ من ثقة هذا الخليفة به مبلغاً فاق به جميع الندماء والمقربين فكان لا يصبر عنه حتى اراد ان يدخل معه الى « الحريم » لخلوة ممن يأنس به ، ويستريح اليه ، وهـذا ولا شك ضرب من الغلو في الحب ، ونوع من الضعف الكامن في نفس هذا الخليفة من شأنه ان يؤدي الى الظلم والتحاسد والاجحاف بحقوق الآخرين - ومنهم سكان ذلك الحريم انفسهم - على ان ابن المنجم النديم كان منصفاً فانه فطن الى مساوىء هذا الضرب من الاتصال فاعتذر ، وكان حكيما في اعتذاره اكثر من صاحبه الفتح بن خاقان الذي

(١) تجد قصة هذه المناظرة بين اسحاق الموصلي والعطوي الشاعر في الأغاني وتاريخ دمشق لابن عساكر ومعجم الأدباء لياقوت الحموي وطبقات الادباء للانباري (٢٣٩) وكتاب انباه الرواة للقفطي ولاحظ شيئاً من الاختلاف والزيادة والنقصان في متن الرواية فهي في بعض كتب الاخبار مقتضبة ، وهي كذلك في كتاب انباه الرواة للقفطي والرواية في كتاب الأغاني وسط بين التفصيل والاجمال ، وانظر عن كثرة فنون اسحاق الموصلي ذيل الامالي والنوادر لابي علي القالي (٨٨) .

نصحه بالنزول على رأي الخليفة ، وتعلق هــذه النزوة من نزواته التي لا تؤمن بوائقها، والغالب ان ابن المنجم اتعظ بعبر التاريخ وحوادث الماضي القريب وبمصير البرامكة وامثالهم من وزراء الخلفاء وندمائهم ، وكان لدوران الخمرة في الرؤوس وعبثها في العقول وغير ذلك مما يجري في تلك الخلوات والمجالس اللاهيــة اثره البعيد في افساد المودّات ، واثارة العداوات ، فكم من صديق صار عدواً ، وكم من جليس هادىء انقلب وحشاً ضارياً بسبب الخمرة فهي أم الخبائث لا شك في ذلك .

دار بين الخليفة ووزيره الفتح بن خاقان وابن المنجم حوار لطيف بشأن ذلك الأمر الذي ندب اليه ، وكان الفتح هو الذي عرّف المتوكل بابن المنجم ، وبما يتحلى به من مواهب وكفايات لخبرته بشؤون صاحبه فانه ـ اي ابن المنجم ـ كان قريباً من هذا الوزير خصيصاً به قبل ذلك ، بل كان آنس خلق الله به واغلبهم عليه ، وله فيه شعر غير قليل [1] ، كان يحبب اليه الأدب واهله والعلم وطلابه وقد جرى ذلك الحوار على الصورة التالية :

المتوكل ـ عزمت ان ادخل علي بن يحيى الى الحريم لآنس به .

الفتح بن خاقان ـ لا يصلح لذلك غيره .

ابن المنجم ـ لا افعل

الفتح بن خاقان ـ هذا الذي ندبك اليه الخليفة منزلة ليس فوقها منزلة

ابن المنجم ـ قد علمت وشكرت ولكن ارجو ان يتفضل باعفائي منه

الفتح بن خاقان ـ ما السبب في هذا الاعتذار

---

(١) للمعنيين بنقد الشعر آراء مختلفة في شعر علي بن يحيى المنجم هذا ، ولم يكن ياقوت الحموي يستجيد شعره كثيراً ، قال ياقوت في آخر ترجمته له : توفي آخر ايام المعتضد سنة ٢٧٥ ودفن بسامراء وشعره كثير مشهور رأيت العلماء القدماء يكثرون العجب به ، وليس عندي كذلك فلذلك اقللت من الاتيان به الا ما كان ضمن خبر (معجم الأدباء ٥/٤٧٦) .

ابن المنجم – قد علمت ان الخليفة اشد الناس غيرةً ، وان النبيذ ربما اسرع اليه ولست آمن في بعض هذه الاحوال ان ينسى عند غلبة النبيذ ما كان منه فيقول : ما يصنع هذا عند حرمي ؟ فيعجل علي بشيء لا يستدرك .

المتوكل – تخلصت يا علي مني بالطف حيلة .

بهذه الحيلة اللطيفة تخلص ابن المنجم من تلك الورطة التي وقع فيها البرامكة وغيرهم من وزراء الدولة العباسية ، وقد انتزع هذا النديم حيلته من صميم الواقع فالسكران اذا غاب وعيه ورشده اعترته احوال متناقضة ، فتارةً ينسى اشياء كانت على ذكره في حال صحوه ، وطوراً يتذكر اشياء كانت نسياً منسياً قبل ذلك ، ولذلك كان ابن المنجم محقاً في تخوفه ان يثور الخليفه عليه ، وان يستنكر حصوله في حريم داره ناسياً انه هو الذي اراده على ذلك ، ولو لاقى حتفه في حالة من تلك الحالات لكان هو الملوم ، هذا وفي حوادث التاريخ عبر وامثلة غير قليلة من هذا القبيل تشهد لابن المنجم باصالة الرأي وصواب ما ذهب اليه هذا النديم المحسود .

– غلب ابن المنجم على المتوكل والمعتمد والمستعين والمعتز وعلى وزراء مشهورين منهم الفتح ابن خاقان ، وما ظنك برجل يغلب على هذه الطبقة ؟ الا يغلب على الرؤساء ورجال الدواوين ؟ ومن ذلك انه تقلد شؤون « الدهقنة » في املاك الدولة واملاك الخلفاء ، وتقلد النظر في اعمال « الحضرة » كلها من عمارات ومستغلات ومرمات وحظائر وكل ما على شاطىء دجلة الى البطحية ، وعرف هو واهل بيته كيف يتقدمون ، وكيف يثرون ، وكيف يتصيدون المال الطائل والضياع النفيسة من الخلفاء والوزراء ، وكيف يصطنعون الصنائع عند الناس .

من اجل ذلك كثر حساد بني المنجم وخاصة علي بن يحيى هذا ، وحاول من حاول محاكاته في قرب محله من الخلفاء ومنادمته لهم فلم يفلحوا ، وفي سيرة الرجل

قصص يبدو لنا فيها حذقه ونبوغه وارتفاع محله الذي حسد من اجله ومنها قصه طريفة رواها لنا الأديب الفكه المشهور جحظة البرمكي عن الشاعر يزيد بن محمد المهلبي وكلاهما من معاصري هذه الطبقة من بني المنجم المذكورين .

تعني هـــذه القصة حسب رواية جحظة لها عن يزيد بن محمد المهلبي الشاعر تنويهاً بالغاً بمواهب ابن المنجم هذا وبالكفايات النادرة التي من اجلها استظرفه الخلفاء فنادمهم واحداً بعد آخر ، هذا من جهة وتعني القصة من جهة اخرى وصف مظاهر الترف وآلة الحضارة في دار الخلافة العباسية او في قصور سامراء وفي طليعتها قصور المتوكل والمستعين ، وتعني كذلك وصف المآدب والحفلات الانيقة والمطاعم والمشارب وآداب الموائد في تلك العصور . ولا يخلو هذا الوصف كما نجده في القصة من تهويل اهل القصص وتزويقهم او تنميقهم ، وهو ينطبق على سيرة جحظة البرمكي ومنهجه في الحياة اذ كان - على فقره - منغمساً بالترف منهوماً مدمناً مخلداً الى الحياة الناعمة ، وكان المقتدر يدعوه في جملة الندماء والمطربين احياناً فيسترسل بحضرة المقتدر الى السماع والشراب حتى وبخه احد ندماء الخليفة (١) .

جحظة البرمكي في سيرته وأماليه

احمد بن جعفر البرمكي النديم الملقب « جحظة » راوي هذه القصة مغن مشهور وشاعر مطبوع ساخر شاك مغامر واسع الرواية يتحدث في شعره كثيراً عن فقره واضاقته ويذم الأثرياء الموسرين من اهل زمانه ويقذع في هجو بعضهم ، وفي شعر جحظة حنين كثير الى مغاني اللهو وحانات الخمر وما يجري فيها من قصف وخلاعـة

---

(١) الأغاني ط دار الكتب (٥/٢٢٢) .

(٢) للقاضي الفقيه ابي سعيد عبد الكريم بن محمد بن المنصور التميمي السمعاني طرائف غير قليلة في كتاب الانساب،من ذلك ترجمة لجحظة البرمكي منوهاً بادبه وفضله وسعة روايته كما فعل بترجمته لابراهيم=

ومجون وغناء ومعاشرة القيان والطنبورين والخمارين ، والخلاصة كان جحظة النديم

= الموصلي وابنه اسحاق هذا مع اجماع المعنيين بسيرة جحظة على خلاعته واسترسـاله في المجون وانه طنبوري حاذق لا يجارى في فنه ، ويقول السمعاني في مادة « البرمكي » بعد أن ذكر هذه النسبة لجماعة من اولاد ابي علي يحيى بن برمك وفيهم كثرة قال : ومنهم ابو الحسن احمد بن جعفر النديم المعروف بجحظة البرمكي كان حسن الأدب كثير الرواية متصرفاً في فنون جمة من العلوم عارفاً بصناعة النجوم حافظاً لاطراف من النحو واللغة مليح الشعر مقبول الالفاظ ، واما صنعته في الغناء فلم يلحقه فيها احد ، بهذا اكتفى السمعاني من اخبار جحظة ، ولم يعن بالاشارة الى اخباره المشهورة في الخلاعة والمجون ، ولم يذكر الا تقدمه في الغناء ، ويستفاد من هذا ان القاضي السمعاني لا يستسيغ نقل اخبار الندماء كلها وانه يستثني الغناء من ذلك . ومن طرائف السمعاني في انسابه اقواله في ترجمة كل من ابي بكر الصولي وابي عبد الله محمد بن عمران المرزباني ، ويستفاد من المقارنة من اقواله بشأن هذين العالمين الاخباريين المصنفين ان القاضي السمعاني يتعزب احياناً ويعوزه شيء من التحقيق فقد رايناه يغمز المرزباني في روايته قائلا بعد أن اثنى على حسن تنسيقه لما يجمعه « ان اكثر كتبه لم تكن سماعاً له بل كان يرويها بالاجازة وكان يشرب النبيذ وبكتب كثيراً فسأله « عدوله » عن حاله فقال كيف من هو بين قاروتين يعني المجرة وقدح النبيذ » وختم السمعاني هذه الترجمة بقوله : » ولـكنه كان معتزلياً صنف كتاباً جمع فيه اخبار المعتزلة ، وكان فيه يشيع » هذا ما قاله السمعاني ونلاحظ ان مصنفات المرزباني كانت من اجل مآخذ السمعاني في كتاب الأنساب ، اما الصولي صاحب كتاب الاوراق نديم الخليفة الراضي واستاذه في الأدب وهو الذي لم ينكر شربه للخمر والنبيذ فيما كتبه عن نفسه في كتاب الأوراق غير اننا لاحظنا تزكية السمعاني له واغفاله الاشارة الى ما كان يتفق له في مجالس الراضي بامر الله من معاقرة الخمرة وكل ما يستدعيه منادمة الملوك ، واكثر كتب الصولي تشهد بذلك ومن اشهرها كتاب الأوراق ، وفي تزكية الصولي يقول السمعاني : « كان – يعني ابا بكر الصولي – حسن المعرفة باخبار الملوك والخلفاء ومآثر الاشراف وطبقات الشعراء نادم عدة من الخلفاء وصنف في اخبارهم وكان حاذقاً في تصنيف الـكتب ووضع الاشياء في مواضعها ، حسن الاخلاق جميل الطريقة مقبول القول وله ابوة حسنة » هذا هو رأي السمعاني في الصولي ، وفي آخر هذه الترجمة يقول : « كتبت جزأين ضخمين من اماليه الحسنة عن شيخنا ابي منصور الجواليقي ببغداد » ومما لا شك فيه ان الصولي تميز على المرزباني في قربه من مجالس الخلفاء ومنادمة الوزراء ، ولم يكن المرزباني كذلك ، غير أن المعنيين بالبحث في سيرته ومنهم السمعاني نفسه اجمعوا على ان منزله كان مجمعاً علمياً بكل ما في هذه الـكلمة من معنى ، وقد هيأه ليبيت فيه عدد يقدر بالمآت من العلماء ، وهو – اي المرزباني – الذي يقول : « في داري خمسون – وفي قول مائة وخمسون – ما بين لحاف ودواج معدة لاهل العلم الذين يبيتون عندي » وكان =

لا يرى من الدنيا الا جانب الامتاع والملذات . وفي اسلوبه شيء غير قليل من التخنث والضعف ، ومع ذلك كانت لجحظة في الأدب مدرسة يتهافت عليها الطلاب [٢] ، وله تصانيف من اشهرها « الامالي » ويلاحظ ان امالي جحظة من مآخذ ابي الفرج الاصفهاني في الاغاني ، وممن عوّل على هذا الكتاب من كتب جحظة ونقل عنه كثيراً ياقوت الحموي في كل من معجم البلدان [١] ومعجم الادباء ، والغالب ان الحموي ظفر بنسخة من هذا الكتاب .

= اهل الأدب الذين يروي عنهم ويسمع منهم في داره ، وكان يقول أيضاً «سودت عشرة آلاف ورقة » ومما جاء في الكتب المعنية بسيرته ان عضد الدولة البويهي اذا اجتاز بباب داره وقف حتى يخرج المرزباني ليسلم عليه ، ويسايله عن حالته هذا ولا شك ان احتفال المرزباني بالعلماء في منزله دلالة على ثروة طائلة ونفقات كبيرة ، ولا ريب انه حذا في ذلك حذو رؤسائه بني المنجم الذين اعدوا بيوتهم لمثل ذلك وهم الذين كانوا يتعهدونه بصلات مالية جزيلة .

(١) عني ياقوت الحموي بالنقل كثيراً عن امالي جحظة في معجم البلدان ، ويستفاد من ذلك ان هذا الكتاب تضمن مغامرات صاحبه في ارتياد معاهد اللهو والبطالة والمتنزهات القريبة من بغداد او الواقعة بينها وبين سامراء في ذلك العصر وليس لها اثر ولا عين هذا اليوم ، وله – اي لجحظة – في كل قرية ينزلها ووصف ما يجري فيها من المجون شعر عني ياقوت بايراده ، وما هو بالشعر الجزل المستجاد فيما نراه غالباً ، ومن المتنزهات التي ورد ذكرها في امالي جحظة حسبما جاء في معجم البلدان البردان ، بزوغي ، قطربل ، القاطول ، القادسية ، دجيل ، العلث ، القبيصة ، كركين من قرى بغداد قرب البردان ، الجويث ، دير الرهبان موضع بين بغداد واوانا فيه شعر لجحظة يذكر حاناتها وحانات الحظيرة وما يقع من المجون هناك ، اوانا ، بخطرة ، داو شرشير ، دير الزندرود ، دير العذارى ، غما ، عكبرا ، راجع عن ذلك معجم البلدان لياقوت ط لا يبسك (٥٥٣/١ ، ٦٠٦ ، ٦٠٧) (١٦٣/٢ ، ٥٢١ ، ٥٦٥ ، ٦٧٩ ، ٦٢١) (٦٧٧/٣ ، ٨٠٩ ،) (٩/٤ ، ٩٦ ، ٣٤ ، ١٣٣ ، و ١٣ ، ٢٦٣ .

هذا وقد جاء في المعجم (٢٦٣/٤) ما نصه : ذكر في اماليه قال : كتب علي بن يحيى المنجم الى الحسن بن مخلد – وزير المعتمد بن المتوكل ومن مشاهير الكتاب – في يوم مهرجان :

ليت شعري مهرجت بادهقان ... وقديماً ما مهرج الفتيان
لم ازل احمل الزجاجة حتى ... كان مني ما يفعل السكران

المهلبي في سند الرواية

جاء في سند رواية هذه القصة ، ـ قصة ابن المنجم ـ عن تقدمه في منادمة الخلفاء واستظراف هؤلاء الخلفاء له اسم « يزيد بن محمد المهلبي » نقل جحظة عنه هذه القصة ، وسيرة هـذا المهلبي الشاعر مجملة واخباره ليست كثيرة ، وتتضارب آراء المؤلفين في الطبقات بمنشأه ، فيقول لنا ابن المعتز [1] كان ينزل الشام ثم انتقل الى مدينة السلام ، ويقول ابو بكر الخطيب [2] هو بصري قدم بغداد ، ولا يخفى ان القادة المغاوير من المهالبة بصريون ، وللشاعر قطعة لطيفة يذكر فيها البصرة [3] وحرب الزنج ومآتي سلفه في اقصاء الخوارج عنها ، ومع ذلك لا يصح الاحتجاج بهذه القصيدة على ان قائلها يقيم في البصرة ، وابن المعتز كما لا يخفى اقدم عصراً من الخطيب البغدادي ، والمهلبي معاصر له فهو من اكثر المصنفين خبرة باحواله ، هذا ولم تستغرق ترجمة المهلبي في فهرست ابن النديم اكثر من سطرين يستفاد منها ان المهلبي عني بالتأليف فالف كتاباً في سيرة المهلب واخباره واخبار اهله [4] وعلى كل حال فان يزيد بن محمد المهلبي شاعر مجيد ، والمهالبة الاولون اسرة عربية من اشهر الأسر الحاكمة لها خبرة منقطعة النظير في الحرب وقد ظفر المهلب بن ابي صفرة امير خراسان واولاده من بعده في جميع الملاحم التي خاضوا غمارها في الشرق والغرب ، وكانوا قادة جيوش الدولتين الاموية والعباسية ، هذا من جهة ، وتاريخ آل المهلب وتراثهم من جهة ثانية واقوالهم منثورة ومنظومة وما قالوه هم او قيل فيهم من الشعر مدرسة جامعة في الأدب والبلاغة

(١) طبقات الشعراء لابن المعتز : ١٤٨ .

(٢) تاريخ بغداد (٣٤٨/١٤) ، وجاء في سياق نسبه يزيد بن محمد بن المغيرة بن حرب بن المهلب بن المغيرة .

(٣) الكامل للمبرد (٤٥/٢) .

(٤) فهرست ابن النديم (١٤٠) .

والبيان [1].

ترك المهلبي

لم يرث يزيد بن محمد المهلبي عن اهله سجية من سجاياهم الحربية قط ، وهذا غريب وانما ورث مواهبهم الأدبيـــة او الشعرية ، افرد ابن المعتز لترجمته فصلا في طبقات الشعراء عنوانه : « اخبار ابي خالد المهلبي » قال فيه اسمه يزيد بن محمد من ولد المهلب بن ابي صفرة سكن الشام ثم انتقل الى مدينة السلام ، قال ابو العباس - يعني المبرد - كان ابو خالد من فحولة المحدثين ومجيديهم ، وشعره قليل جـــداً ثم اورد بعض الاشعار له :

للمهلبي مثله الأعلى في العيش ، وهو مثل شاعر او فيلسوف يؤثر الدعة والعافية ويتجافى عن العنف والخشونة ، فهو يريد العيش في كفاف لا تزدهيه امارة او ثروة ولا يعنيه انغماس في حمأة المادة ، حسبه من الحياة سكن هادىء ولو على بســاط ذهبي من الرمل وقرينة صالحة ، وآلة صيد ، وروضة تتغنى فيها العنادل والاطيار .

---

(١) تجـــد في امهات كتب التاريخ للطبري والمسعودي وابن عساكر وابن الأثير ووفيات الاعيان ، اخبار المهلب بن ابي صفرة اميرخراسان واولاده ، وتجد نتفاً من اقوالهم وادبهم منظوماً ومنثوراً في كتب الأدب الآتية : البيان والتبيين للجاحظ : ط الحديثة (ج ١) ٧٤ ، ٢١١ ٢٩٨ ، (ج ٢) ٣٣ ، ٥١ ، ٦٦ ، ١١١ ، ١٣٧ ، ١٥٤ ، ١٧٦ ، ١٨٥ ، ١٩٢ ، ١٩٤ ، ١٩٨ ، ٢٤٦ ، ٢٤٧ ، ٢٤٨ ، ٢٥٢ وراجع عن يزيد بن المهلب (ج ١) ١٣٦ ، ١٣٧ ، ٢٤٠ ، ٢٩٠ ، ٢٩٨ ، ٣٠٣ ، ٣١١ ، (ج ٢) ١٤ ، ٥١ ، ٥٢ ٠٦٠ ، ٦٤ ، ٦٩ ، ٧٥ ، ١٢٣ ، ١٤٨ ، ١٨٦ ، ١٨٩ ، ١٩٢ (ج ٣) ١٦٣ ، العقد الفريد لابن عبد الله (ج ١) ٣٨ ، ٢٣٣ ، ٢٣٤ ، ٢٣٥ ، ٢٣٦ (٢) ٢١ ، ٢٤ ٦١ ، ٣٢٨ (٤) ١١٦ ، ١٣١ ، ٢١٢ (٥) ١٩٠ ، ١٩١ ، ٢٩٢ ، ٢٠٥ ، ٢٠٦ ، ٣٣٨ ، وراجع عن عدد آخر من اعلام آل المهلب مواضع اخرى من هذا الكتاب ، ومن كتب الأدب التي عنى مؤلفوها باخبار القوم كتاب المعارف لابن قتيبة و الكامل المبرد وطبقات الشعراء للجمحي وغير ذلك .

وللمهلبي قصيدة صور فيها المثل الذي يتطلع اليه في الحياة وهذه القصيدة هي احسن ما رواه له صاحب طبقات الشعراء [1] :

قالوا تمن فقلت العيش في دعة ... ببطن مرة لا وحل ولا سهك

بطن اذا افترش المسكين تربته ... رأيت انظف فرش يفرش الملك

وحرة من عباد الله صالحة ... لا الجار تؤذي ولا الاسلام تنتهك

والصقر والكلب اما كنت ذا جلد ... وان ضعفت [2] والشبك

وطائرات على برج مطوقة ... كانما ريشها السمور والفنك

في منزل لم يكن من مكسب سحت ... ولا يخاف به من عامل درك

تسلم النسك للنساك خلوته ... ويستر الفتك من قوم اذا فتكوا

يا منزلا لم يساعدني الزمان به ... ولم يرد لي بان احيا به الفلك

لقد تمنيت عيشاً ليس يعرفه ... الا بصير بطيب العيش محتنك

كان المهلبي خبيراً بالالحان وفنون الغناء والشعر والأدب ، ومن اجل ذلك تسنى له ان يكون نديم ثلاثة من خلفاء بني العباس : الواثق بن المعتصم والمتوكل وابنه المنتصر وهو ممن يرجع الى رأيهم في الفنون المذكورة . وقد روى ـ اي المهلبي ـ نقاشاً في موضوع بعض الالحان وصنعتها دار في مجلس من مجالس الواثق بالقاطول ، وكان هذا الخليفة قد خرج يتصيد وهو فيمن خرج معه من الندماء [3] ونقل عنه ابن النديم بعض اخبار اسحاق بن ابراهيم الموصلي [4] ، ويلاحظ انه اختص بكل من الواثق والمتوكل اكثر من غيرها ، ويقال انه كان مختصاً بالمنتصر خلال ولايته عهد ابيه ، ومن

---

(١) طبقات ابن المعتز : ١٤٩ .

(٢) في الاصل كلمة محرفة غير مفهومة .

(٣) الأغاني ط دار الكتب (٣٤١/٥ ، ٣٩٤ ، ٣٩٦ ، ٤٥٧) .

(٤) ابن النديم في الفهرست : ١٩٠ .

شعره قصيدة طويلة في خروج المتوكل الى الشام ، قال المسعودي[1] اخترت منها قوله:

اظن الشام تشمت بالعراق اذا عزم الامام على انطلاق
فان تدع العراق وساكنيها فقــــد تبلى المليحة بالطلاق

ومن لطائفه السائرة قوله في اسحاق بن ابراهيم المصعبي[2] :

ان اكن مهدياً لك الشعر اني لابن بيت تهدى له الاشعار
غير اني اراك من اهل بيت ما على المرء ان يسودوه عار

ويعد من اجود شعره ومن احسن ما قيل في الرثاء قصيدة مشهورة رثى بها المتوكل افرغ فيها هذا الشاعر النديم بثه وحزنه وحسرته على ما فقد من عيش رغيد في خلافة سيده وولي نعمته ، فهي نفثة مصدور ، رواها كثيرون من اقدمهم المبرد[3] ، ومما تتميز به هذه القصيدة مؤاخذة بعض بني العباس على سياستهم الخرقاء في اصطناع الموالي من الاتراك والاعاجم ، واستبعاد ذوي القربى وابناء العشيرة .

ادت هذه السياسة القاضية باقصاء العرب مع اصطناع الموالي الى طغيان الاتراك وجرأتهم البالغة حتى قتلوا من قتلوا وحجروا من حجروا عليه من خلفاء بني العباس وافضى تناحرهم وتطاحن احزابهم الى مفاسد كثيرة ، وتلت ذلك فترة انحلال تجزأت فيها بلاد الخلافة ، واستقل غير واحد من حكام الاطراف بما عنده ، وفي هــــذه الفترة نشأت دولة السامانيين ودولة آل سبكتكين ودول اخرى في الشرق والغرب كانت تابعة في الأصل للدولة العباسية .

تعاقبت هذه الادوار على الخلافة العباسية مؤذنة باحداث ادهى وأمر من ذلك ألا

---

(١) المسعودي في مروج الذهب (٢/٢٣٥)

(٢) المبرد في الكامل (٢/٢٠) .

(٣) الكامل للمبرد ط الاولى (٢/٣١١ ، ٣١٣) .

وهي أجتياح الديلم ومن بعدهم السلاجقة للديار العراقية ، وفي ايام الديالمة والسلاجقة جرّد الخلفاء من سيادتهم وسلطانهم السياسي اطلاقاً ، ولم يبق لهم الا ضرب من السلطة الروحية ، ويعني ذلك ان العرب في هـــذه الحقبة وما بعدها اصبحوا تابعين لا متبوعين تضاءل الوعي القومي فيهم على ممر الايام وابتعدوا عن ممارســــة مهام السياسة والرياسة .

لو انقرض العرب ، واضمحلت لغتهم خلال تلك العصور العصيبة وما بعدها لما كان ذلك عجباً ، ولـكنه الدين ، ولـكنها عقيدة الاسلام ، ومعجزة القرآن ، فلم يسع تلك الدول الاعجمية ان تتخلى عن دينها ، وليس ذلك فقط بل نشأ من بينها قوم تفانوا في غيرتهم على الاسلام والدفاع عن حوزته وابلوا بلاء حسناً في حفظ الثقافة الاسلامية واللغة التي دونت فيها وما هي الا لغة الضاد ، وبذلك اصبحت البلاد بلادهم والدين جامعتهم الـكبرى واعظم بها من جامعة .

وفي هذه القصيدة ـ قصيدة المهلبي ـ اشارة الى تخبط الدولة ، وتحكم رجالها في الفوضى بعد تلك الحادثة ، والمهلبي كما لا يخفى من الشعراء المقلين ، وقصائده في الغالب قصيرة غير أن هذه المرثية من منظوماته المطولة ، وحسبنا ان ما اورد المبرد في الـكامل انما هو مختارات منها ومع ذلك لا يسعنا ايراد جميع ما اختاره المبرد فاخترنا الابيات التالية من ذلك المختار .

لا حزن الا اراه دون ما اجد ... وهل كمن فقدت عيناي مفتقد
لا يبعدن هالك كانت منيته ... كما هوى عن غطاء الزبية الاسد

الفوضى بعد الغائلة

لا يدفع الناس ضيماً بعد ليلتهم ... إذ لا تمد الى الجاني عليك يد
حانت منيته والعين هاجعـــة ... فهل اتته المنايا والقنا قصد

فأصبح الناس فوضى يعجبون له ليثاً صريعاً تنزى حوله النقد
جاؤا عظيما لدنياً يسعدون بها فقد شقوا بالذي جاؤا وما سعدوا

العظة البالغة

ضجت نساؤك بعد العز حين رأت خداً كريماً عليه قارت جسد
اضحى شهيد بني العباس موعظة لـكل ذي عزة في رأسه صيد

الطعنة النجلاء

كم في اديمك من فوهاء هادرة من الجوائف يغلي فوقها الزبد
اذا بكيت فان الدمع منهمل وان رثيت فان القول مطرد

الشاعر وعلم الاقتصاد

قد كنت اسرف في مالي فتخلف لي فعلمتني الليالي كيف اقتصد

السياسة الخرقاء

لما اعتقدتم اناساً لا حلوم لهم ضعتم وضيعتم من كان يعتقد
قوم هم الجذم والانساب تجمعهم والمجد والدين والارحام والبلد

مقارنة بين مرثيتين

اكثر شعراء العراق من القول في هذا الحادث ، والقصيدتان اللتان حازتا قصب السبق في هذا المضمار قصيدة المهلبي وقد مر ذكرها ، وقصيدة للبحتري تعد من عيون شعره ، ويفضلها النقدة على قصيدة المهلبي ، وفيها يقول المبرد : « ما قيلت هاشمية احسن منها » وقد تناول البحتري في قصيدته ناحية لها اثرها البالغ في النفوس ، وهي وصف « الجعفري [1] » وهو قصر باذخ من اشهر قصور المتوكل في سامراء ، سمي باسمه وفيه قتل هذا الخليفة وقد وصف الشاعر مظاهر الوحشة والخشوع وما حل بساحة القصر وباهله وذويه في تلك

(١) نوه البحتري في غير قصيدة من قصائده بالقصر « الجعفري » وتغنى بوصفه يراجع عن ذلك ديوانه ط بيروت ٣٢ ، ٤٢ ، ٤٠٨ ، ولابي العيناء كلمة في الجعفري (معجم الأدباء ٧ : ٦٢) وراجع هذه المادة في معجم البلدان لياقوت .

الليلة فسرعان ما اقفرت عرصاته وزايله ساكنوه وتغيرت معالمه وهي ناحية لم يتناولها المهلبي في مرثيته ، وهناك ناحية اخرى تميزت بها مرثية البحتري ، وهي جرأة الشاعر ومجاهرته بنسبة الغدر الى المنتصر بن المتوكل ، وقد تضمنت القصيدة ايضاً كلمة في الدعاء على المنتصر وان لا يهنأ بصيرورة الخلافة اليه ، وما يقال في قصيدة البحتري هذه من ناحية المعنى يقال ايضاً في ناحيــة المبنى ، فأنى للمهلبي مجاراة صاحبه في جمال الديباجة واختيار الالفاظ المهذبة وجودة الطبع في البيان والبلاغة ، قال البحتري .

تغير حسن « الجعفري » وانسه — وقوض بادي الجعفري وحاضره

تحمل عنه ساكنوه فجآءة — فآضت سواءً دوره ومقابره

ولم ار مثل «القصر» إذ ريع سربه — وإذ ذعرت اطلاؤه وجآذره

اذا نحن زرناه اجد لنا الأسى — وقد كان قبل اليوم يبهج زائره

مصرع العميد

فاين عميد الناس في كل نوبة — تنوب وناهي الناس فيهم وآمره

تخفّى له مغتاله تحت غرة — واولى لمن يغتاله لو يجاهره

صريع تقاضاه السيوف حشاشة — يجود بها والموت حمر اظافره

حرام علي الراح بعدك او ارى — دماً بدم يجري على الأرض مائره

ولي العهد

اكان ولي العهد اضمر غدرة — فوا عجباً ان ولي الأمر غادره

وهل يرتجى ان يطلب الدم طالب — مدى الدهر والموتور بالدم واتره

فلا ملي الباقي تراث الذي مضى — ولا حملت ذاك الدعاء منابره

الاقوال غير الاعمال

حضر هذان الشاعران ـ على ما يقول بعض المؤرخين ـ واقعة الجعفري المذكورة فاما احدهما فانه اختفى طيء الباب واما الآخر ففي قناة الشاذروان ، وقد يظن بعض من يقرأ هاتين المرثيتين ان هذين الشاعرين الفحلين لم يرجعا عما قالاه ، والواقع غير ذلك فان البحتري عاد الى مدح « المنتصر » في اكثر من قصيدة ومثله المهلبي ، وكان المهلبي كأهله وذويه من المهالبة يضلع مع العلويين والطالبيين في رأيه ، فقال وهو يشيد بعطف المنتصر عليهم واطلاق اوقافهم ويذكر محنتهم في خلافة ابيه [١] .

ولقد بررت الطالبية بعدما ... ذموا زماناً بعدها وزمانا
ورددت الفة هاشم فرأيتهم ... بعد المداوة بينهم اخوانا

وللبحتري في هذا المعنى قصيدة رائعة اولها :

تبسّمُ عن واضح ذي اشر ... وتنظر من فاتر ذي حور

منها

تلافي البرية من فتنة ... اطلهم ليلها المعتكر
ولما ادلهمت دياجيرها ... تبلج فيها مكان القمر
رددت المظالم واسترجعت ... بذاك الحقوق لمن قد قهر
وآل ابي طالب بعدما ... اذيع بسربهم فابذعر
ونالت ادانيهم جفوة ... تكاد السماء لها تنفطر
قرابتكم واشقاؤكم ... واخوانكم دون هذا البشر
وان علياً لاولى بكم ... وازكى يداً عندكم من عمر

(١) مروج الذهب (٢/٢٨٥) .

وكلٌ له فضله والحجول يوم التراهن غير الغرر

ومن لطايف المهلبي في اسحاق بن ابراهيم المصعبي الامير [1] :

ان اكن مهدياً لك الشعر اني … لابن بيت تهدى له الاشعار

غير اني اراك من اهل بيت … ما على المرء ان يسودوه عار

وله في الهجاء [2] :

نبئت كلباً هاب رميي له … ينبحني من موضع نائي

لو كنت من شيء هجوناك او … لو بنت للسامع والرائي

فمد عن شتمي فاني امرؤ … حلمني قلة اكفائي

وصف « الزو » ومواكب اللهو

كان المتوكل معنياً جداً بأسباب اللهو والمرح واختيار ندمائه ودعوتهم الى حفلاته بكثير من اللطف والرعاية ، وقد بلغ من التأنق في ذلك مبلغاً بعيداً حتى امر بصنع سفينة تحاكي بضخامتها قصراً او صرحاً مشيداً اطلق عليها اسم « الزّو » لتقام فيها حفلات اللهو والانس وكانت تمخر عباب الماء في دجلة والقاطول .

كان يزيد بن محمد المهلبي والبحتري الشاعر في مقدمة من يدعى الى ركوب « الزو » ويقول بعضهم ان السفينة لم تصنع الا من اجل اجتذاب البحتري الى تلك الرحلات الشائقة ، والواقع ان المتوكل ما كان يفارق البحتري حضراً وسفراً ، ولما خرج هذا الخليفة من العراق الى الشام كان البحتري معه ، ولهذا الشاعر في هذه الرحلة

(١) الكامل للمبرد (٢ / ٢٠) .

(٢) اخبار ابي تمام للصولي (٤٥) وهذه الأبيات في الكامل للمبرد غير منسوبة .

الشامية قصائد معروفة [1] كان يحثه في بعضها على زيارة الشام منوهاً بمحاسنها وخصائصها واعتدال مناخها وطيب هوائها قائلا في بعض قصائده الرائعة ان صيفها مثل شتاء العراق .

---

(١) من قصائد البحتري الشامية قصيدة اولها :

مخلف في الذي وعد — سبل وصلا فلم يجد

منها

قد رحلنا عن العراق — وعن قيظها النكد

حبذا العيش في دمشق — اذا ليلها برد

حيث يستقبل الزمان — ويستحسن البلد

وقوله في قصيدة ذكر فيها رحلة المتوكل الى الموصل .

تمت امور الدين بعد تزيل — بالقائم المستخلف المتوكل

منها قوله في دعوته الى زيارة منبج او دمشق :

لو كنت احسد او انافس معشراً — لحسدت او نافست اهل الموصل

غشي الربيع ديارهم وغشيتها — وكلاهما ذو عارض متهلل

فمتى تخيم بالشآم فيكتسي — « بلدي » نباتاً من نداك المسبل

ومن ارق قصائد البحتري في هذا المعنى قصيدة في المتوكل اولها :

ان رق لي قلبك مما الاق — من فرط تعذيب وطول اشتياق

منها

ان دمشقاً اصبحت جنة — مخضرة الروض عذاة البراق

هواؤها الفضفاض غض الندى — وماؤها السلسال عذب المذاق

والدهر طلق بين اكنافها — والعيش فيها ذو حواش رقاق

ناظرة نحوك مشتاقة — منك الى القرب ووشك التلاق

وكيف لا تؤثرها بالهوى — وصيفها مثل شتاء العراق

ارض عذاة طيبة وقد اضيفت اليها كلمة (البراق) والغالب ان كلمة البراق في البيت محرفة وان اصل الجملة « عذاة المراق » اي طيبة المشارف والمرتفعات .

احسن البحتري ما شاء في اطراء صيف الشام بقوله : وصيفها مثل شتاء العراق ، (وراجع من ديوانه الصفحات التالية ١١ ، ١٢ ، ٢٤ ، ٢٦ ، ١٣٥) .

وهذه الدعوة الملحة الى الخروج من العراق ، والاتجاه الى الشام مبيّتة في الغالب بين المتوكل وشاعره تتضمن تهديداً للموالي المتعسفين من قادة الجيش ، ولها علاقة بذلك الاضطراب السياسي الناجم في قلب العراق ، وهو اضطراب لا منشأ له الا تدخل رجال الجيش فيما لا يعنيهم من شؤون الخلافة والدولة ، وهكذا اتجه المتوكل الى دمشق وهو يظن ان مواليه - وقد هددهم بالرحيل - سيرعوون ويخلدون الى الطاعة ولكنهم لم يأبهوا لهذا التهديد والوعيد فاضطر الى القفول من دمشق من الى سامراء ليلقى مصرعه كما رأيت .

لم يتخلف البحتري في الشام ، بل قفل مع الركب الى العراق ليشهد مصرع الخليفة في سامراء ومشهد الاحداث الخطيرة التي تواترت بعد ذلك ومنها بيعة المنتصر ، على ان الاحداث كانت تتواتر في سامراء وفي بلاد الخلافة كلها على غير ما يهواه البحتري وراح يشعر هو ومن معه من ذويه وافراد اسرته بحرج او وحشة بالغة من جراء مكثه في العراق ، فان حساده واعداءه في بغداد وسامراء غير قليلين ، ولا يوجد في هذه الفترة وازع يحميه او يدفع الضيم عنه كما كان يفعل المتوكل والفتح بن خاقان فصمم على مغادرة العراق الى غير رجعة ، وهناك رواية تدل على حرج موقف البحتري في هذه الفترة العصيبة وتألب فريق من الاعداء عليه ، وتحين الفرص للوقيعة به رواها لنا المرزباني [1] قائلا حدثني احمد بن محمد بن زياد قال : سألت ابا الغوث - يعني ابن البحتري - عن السبب في خروج ابيه من بغداد فقال لي : كان ابي قال في قصيدته التي رثى فيها ابا عيسى بن صاعد ابياتاً وجد فيها بعض اعدائه مقالا يشنع عليه فيه انه « ثنوي » ودارت في الناس ، وكانت العامة حينئذ غالبة فخافهم على نفسه فقال لي : يا بني قم بنا حتى نطفىء عنا هذه النائرة بخرجة نلم فيها ببلدنا ونعود ، قال : فخرجنا

(١) الموشح للمرزباني (٣٤٢ ، ٣٤٣) .

واقام فلم يعد قال : والابيات [1] :

اخيّ متى خاصمت نفسك فاحتشد ... لها ومتى حدثت نفسك فاصدق

ارى علل الاشياء شتى ولا ارى ... التجمع الا علة للتفرق

فلا تسئل الماضي سؤالك لم مضى ... وعرج على الباقي فسائله لم بقي

ولم ار كالدنيا خليلة وامق ... محب متى تحسن بعينيه تطلق

نراها عياناً وهي صنعة واحد ... فنحسبها صنعي حكيم واخرق

هذا ما تحدث به ابو الغوث يحيى بن البحتري ورواه المرزباني ، واذا نظرنا الى هذه الابيات نظرة صادقة لا نجـــد فيها حجة لمذهب الثنويـّة بل نجدها ادل على مذهب الموحدين المتألهين .

هكذا فارق ابو عبادة معقل عزه ودار كرامته ومغاني حبه ولهوه ، غادر بلداً شحذ فكره وارهف حده وصقل طبعه وبوأه اسمى مكانة بين المجددين الخالدين من الشعراء ولا شك ان هذا الشاعر غادر العراق كارهاً مقهوراً تحت ضغط الحوادث والانكى من ذلك انه لم يجد مشجعاً له على العودة الى سامراء لان الدولة كانت تنتقل الى مرحلة مزعجة من مراحل الجمود تلتها مرحلة افظع منها هي مرحلة التقهقر ، ومما يدل على تغلغل الجمود في حياة الامة اذ ذاك جملة وردت في كلمة ابي الغوث التي رواها المرزباني ، وهي قوله : « كانت العامة غالبة حينئذ نخافها على نفسه » ومن حق هذا الشاعر الذي لا يطمئن عقله الى الخرافات والخزعبلات ان يخاف العوام والجهلة وان يخشى هوسهم في الحجر على حرية الرأي والبحث في تلك الفترة ، ولـكن العامة هي العامة من قبل ومن بعد . والعبرة بسيرة الحـكام وسياسة ارباب الدولة ، ولا يخفى ان مهابة المتوكل ونفاذ كلمته اصبحت اثراً بعد عين في الفترة المذكورة ، وعلى كل حال ظلت شخوص سامراء الباسمة تراود خيال البحتري

(١) لا توجد هذه القصيدة في ديوان البحتري المطبوع .

بعد خروجه من العراق الى ان مات أليس هو القائل [1] وقد مل الاقامة في الشام بل ملّ العيش والحياة هناك :

تلفت من عليا دمشق ودوننا | لبنان هضب كالغمام المعلق
الى الحيرة البيضاء والكرخ بعدما | ذممت مقامي بين بصرى وجلّق
الى معقلي عزي وداري اقامتي | وقصد التقائي في الهوى وتعلقي
مقاصير ملك اقبلت بوجوهها | على منظر من عرض دجلة مونق

تغنى شعراء المتوكل وندماؤه في وصف الزو ، وصفه يزيد بن محمد المهلبي بارجوزة طويلة [2] منها قوله :

حتى اذا السرب انبرى واجتهدا | حطت عليهن البزاة مــددا
تجمع منها كل ما تبددا | تصيد بحراً وتصيد جددا
من كل ما احببت ان تصيدا | سمكة او طائراً او اســدا

اما البحتري فانه انشأ في وصف هذا المركب اكثر من مقطوعة ، من ذلك ما جاء في قصيدة اولها :

الا هل اتاها بالمغيب سلامي | وهل خبرت وجدي بها وغرامي

منها

ابى يومنا يا زَو الا تحسناً | لنا بسماع طيّب ومــدام
غدينا على قصر يسير بفتية | قعود على ارجائه وقيام
تظل البزاة البيض تخطف حولنا | جآجيء طير في السماء سوام
تحدر بالدراج من كل شاهق | مخضبة اظفارهن دوام

(١) ديوان البحتري ط الاستانة (٤٩) .
(٢) الموشح للمرزباني (٣٤٣) .

فلم ار كالقاطول يحمل ماؤه تدفق بحر بالسماحة طام
ولا جبلا كالزّو [1] يوقف تارة وينقاد اما قــدته بزمام

ومن قصيدة في المعتز يصف الشاعر فيها الزّو

تعجبت من فرعون اذ ظن انه الـٰه لان النيل من تحته يجري
ولو شهد الدنيا وجامع ملـكها لقل لديه ما تكثر من مصر
ولو بصرت عيناه بالزو لازدرى حقير الذي نالت يداه من الأمر
اذاً لرأى قصراً على ظهر لجة يروح ويغدو فوق امواجها يجري

الخليفة الثائر

ويستفاد من بعض كتب الأدب والتاريخ ان المنتصر كان غاضباً على يزيد المهلبي ، وعلل هذا الغضب بان المهلبي كان قبل اتصاله بالمتوكل نديماً للمنتصر ابنه ، ولما اعجب به ابوه اخذه اليه ، وليست هذه العلة ـ فيما نرى ـ وجيهة ، والواقع ان المنتصر كان ثائراً غاضباً في تلك الايام المصيبة ، تنكر لجملة من الأمراء الهاشميين ورجال الدواوين ووجوه الـكتاب والندماء والشعراء ، ولـكل من كان يضلع مع ابيه او يتصل به لسبب

---

(١) الزو في اصل اللغة الزوج ضد الفرد ، يقال جاءا زواً أي جاءا معاً ، وقد اطلقت كلمة « الزو » على سفينة صنعت للمتوكل ، وللغالب انها سفينة مزدوجة او مركبة من سفينتين ، وقد جرى بشأن هذه الـكلمة نقاش لغوي لطيف ، قال الزبيدي في التاج : الزو سفينة عملها المتوكل العباسي نادم فيها البحتري لا اسم جبل ، ووهم الجوهري ، وانما غره قول البحتري « ولا جبلا كالزو » ولا حظ الزبيدي على تخطئة الجوهري قائلا : سبق بهذه التخطئة الامام ابو زكريا التبريزي فانه وجد بخطه على هامش الصحاح « ليس في العراق جبل اسمه زو » وهذه التخطئة غير واردة على الجوهري ذ لم يثبت انه اخذها من شعر البحتري ، هذه خلاصة ما جاء في التاج لمصنفه الزبيدي ، ولا داعي لتمحل الدفاع عن الجوهري ، فالغالب انه اخطأ ولم يدرك قصد الشاعر كما قال التبريزي والفيروز ابادي ، هذا ونلاحظ ان حروف « الزو » هي بعينها حروف كلمة « الزوج » ما عدا الحرف الاخير ، وربما كانت لغة قديمة او لهجة في الزوج .

من الاسباب ، فان احاديث القوم كانت منصبة على استعظام الحادث ، ولم يحجم كثيرون عن استعظام الواقعة ، ومن اول من تنكر لهم هذا الخليفة الشاب الذي بويع وليس له من العمر اكثر من خمس وعشرين سنة اخواه المعتز وابراهيم حيث خلعها من ولاية العهد سنة ٢٤٨ ، ولولاية عهد المتوكل هذه ولولاة عهده الثلاثة حديث مبسوط في كتب التاريخ[١] والخلاصة اضطرب فيمن اضطرب بعد هذا الانقلاب فريق من الشعراء والندماء الضالعين مع المتوكل ايما اضطراب ، وكان في مقدمتهم يزيد المهلبي هذا فانه اراد الدخول على الخليفة الثائر فحجبه اولا ثم اذن له فانشد قصيدة اعتذر فيها اليه اولها :

الا يا قوم قد برح الخفاء وبان الصبر عني والعزاء

والقصيدة فاترة في معناها ، والتهنئة فيها باردة ، وفي ذلك دلالة على تراخي المودة بين الخليفة الجديد وهذا الشاعر فهي مودة مصطنعة :

كان البحتري الشاعر اشد قلقاً وخوفاً من زميله المهلبي ، بل كان لا يأمن من بطش المنتصر فانه كان يستشيط غضباً على بعض ندماء ابيه وفي مقدمتهم البحتري لولا وساطة وزير يدعى « احمد بن الخصيب » وزر المنتصر مدة خلافته ونكب في خلافة « المستعين » بعد أن وزر له مدة شهرين ، وقد استطاع هذا الوزير مع جهله وغبائه ان يصلح ذات البين بين المنتصر والبحتري ، وما كان هذا الاصلاح بالشيء القليل[٢] حيث نجا البحتري بجلده من خطر لا شك فيه ، ولكن الاخباريين واهل الرواية يتحدثون في هذا الباب عن اخلاق البحتري في قلة وفائه وخبث طريقته ، وارائهم في

(١) مروج الذهب للمسعودي (٧ ط باريس / ٣٠٤ ، ٣٠٧) .

(٢) احمد بن الخصيب وزير المنتصر الخليفة الثائر ، وزر له سنة ٢٤٨ ومات المنتصر وهو وزيره=

هذه الاحاديث تشبه آراء المرزباني في الشاعر المذكور[1] فهذا احمـد بن ابي طاهر طيفور مصنف تاريخ بغداد وهو من الاخباريين والرواة المعدودين ، ويعد ايضاً في الشعراء ، وله تصانيف غير قليلة في التاريخ والشعر والأدب ، وهو والبحتري متعاصران التقيا في بغـداد وفي سامراء : لا ندري لماذا كان من رأي بعض علماء الأدب المعنيين بالطعن في رواية احمد بن ابي طاهر ونقد كتبه ، وفريق منهم طعن فيه حسداً على الاكثر ، واذا جاز لهم مؤاخذته في عيوب وردت في شعره او في بعض منقولاته فانه فوق مستوى الشبهات في سعة روايته اذ انه كان عظيما في الرواية وفي عدد التصانيف ، وقد عوّل على النقل عن كتبه والاعتماد على روايته كثير من ائمة الأدب

= ثم وزر بعد ذلك للمستعين الخليفة الضعيف وفي ضعفه يقول الشاعر :

خليفة في قفص بين وصيف وبغا
يقول ما قالا له كما تقول الببغا

يقول المسعودي في اخبار المنتصر (المروج ط باريس ٧/٢٩٦ ، ٢٩٧) استوزر احمد بن الخصيب وندم على ذلك ، وذلك انه قتل متظلماً فانه ركله بالركاب ، وفي ذلك قال الشاعر :

قل للخليفة يا ابن عم محمد اشكل وزيرك انه ركال
اشكله عن ركل الرجال فان ترد مالا فعند وزيرك الاموال

والمسعودي تعليق لطيف على هذا الحادث ، ومن رأيه ان هذا الوزير قليل الخير كثير الشر شديد الجهل ، نفاه المستعين الى اقريطش (كريت) ولهـذا الوزير ايضاً قصة وصف فيها المنتصر بانه « متفلسف حكيم » ، ويلاحظ ان المسعودي بالغ في الثناء على المنتصر ، ونوه بمكارم اخلاقه جداً ، يراجع عن المنتصر وابن الخصيب مروج الذهب للمسعودي (٧/٣١٤ ، ٣١٨) ويراجع ايضاً الآداب السلطانية لابن الطقطقي (ط الرحمانية ١٧٧ ، ١٧٩) فانه لخص ما اورده المسعودي عن هذا الوزير ، وكانت لاحمد ابن الخصيب دار عظيمة في سامراء انزل فيها المعتمد لما منع من دخول دار الخلافة بامر ولي عهده الموفق سنة ٢٣٩ ويقول ياقوت في الحير ــ بالفتح كأنه منقوص من الحاير ــ قصر كان بسامراء انفق على عمارته المتوكل اربعة آلاف ألف درهم ثم وهب المستعين انقاضه لوزيره احمد بن الخصيب فيما وهب له .

(١) راجع ذيل الصفحة (٢٧٧) من هذا الكتاب

من طبقته او من طبقات تعاقبت بعد ذلك ، ومن اشد علماء الأدب طعناً فيه ابو بكر الصولي مع انه يعنى بالنقل عن كتبه ويعتمد على روايته خصوصاً في كتابه « اخبار ابي تمام » .

كانت سخرية البحتري باحمد بن ابي طاهر مدعاة لثورته على هذا الشاعر فانه عني بهجائه وطعن - في بعض كتبه واحاديثه - باخلاق البحتري وقلة وفائه وانقلابه على اصحابه واصدقائه ، والف كتاباً في سرقاته الشعرية (١) ، يقول ابن ابي طاهر : ما رأيت اقل وفاء من البحتري ولا اسقط ، ثم تحدث بحديث طويل من مشاهدته للبحتري منشداً وهو قائم قصيدة مدح بها « احمد بن الخصيب » الوزير ، فخلف عليه ليجلسن ثم وصله واسترضى المنتصر له ، واوصل له مديحاً اليه واخذ منه مالا له ثم نكب احمد بن الخصيب في خلافة المستعين فلمهدي به ينشد :

لابن الخصيب الويل كيف انبرى بافكه المردي وابطـــاله

---

(١) عقد الآمدي في كتاب الموازنة (ط القاهرة ٣٣١ ، ١٥٢) فصلا مطولا في سرقات البحتري الشعرية من شعراء مختلفين ثم اتبعه بفصل ضمنه سرقات البحتري من شعر ابي تمام خاصة قال : حكى ابو عبد الله محمد بن داود الجراح في كتابه - لم يرد في هذه الحـكاية اسم كتاب ابن الجراح فلعله غير كتاب الورقة لان كتاب الورقة خال من هذه الرواية - ان ابن ابي طاهر اعلمه انه اخرج للبحتري ستمائة بيت مسروق ، منها ما اخذه من ابي تمام خاصة مائة بيت ، هذا ما نقله الآمدي عن سرقات البحتري من كتاب محمد بن الجراح ، ولـكنه علق عليه بقوله : قدمت القول في ان من ادركته من اهل العلم بالشعر لم يكونوا يرون سرقات المعاني من كبير مساوىء الشعراء وخاصة المعاصرين اذ كان هـــذا باباً ما تعرى منه متقدم ولا متأخر ، فاما مساوىء البحتري في غير السرقات فقد دققت واجتهدت ان اظفر له بشيء يكون بازاء ما اخرجت من مساوىء ابي تمام وفي سائر الانواع التي ذكرتها فلم اجد في شعره الا ابياتاً يسيرة ، هذا ويراجع مما اخذه البحتري من شعر ابي تمام ، وعن مآخذ العلماء على شعره كتاب الموشح للمرزباني ٣٣٠ — ٣٣٢، ٣٣٨ ، ٣٣٩ ، ٣٤٢ وفي هـــذا الفصل يقول المرزباني : سرقات البحتري من ابي تمام كثيرة نحو خمسمائة بيت ، وانما ذكرنا في هـــذا الموضع ما قصر فيه البحتري عن مدى ابي تمام او شاركه في عيبه .

الى ابيات قال ابن طيفور : كلها طعن في ابن الخصيب [1] وختم البحتري قصيدته بقوله :

والرأي كل الرأي في قتله   بالسيف واستصفاء امواله

قال ابن طيفور : كان ابن الملجة فقيهاً يفتي الخلفاء في قتل الناس .

عقب المهلبي الشاعر

اعقب يزيد بن محمد المهلبي ولداً اديباً راوية يقال له : « ابو جعفر احمد بن يزيد » رويت عنه احاديث مفيدة في الشعر والأدب من جملتها رواية اخبار ابي تمام عن ابيه « يزيد » وعن احمد بن ابي طيفور الشاعر الراوية الذي مر بنا ذكره ، فهو اعني احمد ابن يزيد اسبق من الصولي الى تناول هذا الموضوع ، ولا يخفى ان ابا بكر الصولي صنف كتاباً حسناً في اخبار ابي تمام [2] والمصنف يروي جملة صالحة من هذه الاخبار عن احمد بن يزيد المهلبي يستفاد منها انه سبق غيره في رواية الاخبار المذكوره ، وان من عنوا من الرواة او الأدباء بجمع تلك الاخبار كانوا عيالا عليه ، ومع ذلك نلاحظ ان هذا المهلبي الأديب الراوية كان خامل الذكر ، وقد تصفحنا كثيراً من كتب الطبقات والتراجم فلم نظفر له بترجمة اذا استثنينا معجم الأدباء [3] فان الحموي ترجم له في كلمات معدودة قائلا : « اديب راوية له قصيدة مدح بها الموفق وهنأه

---

(١) ديوان البحتري ٦٥ ، ٦٦ وانظر عن طعنهم باخلاق البحتري في مدحه بعد هجائه وبالعكس وعن هجائه لابن الخصيب الوزير كتاب الموشح المرزباني ٣٣٢ ، ٣٣٥ ، ٣٣٦ ، ٣٣٧ .

(٢) نشر كتاب اخبار ابي تمام للصولي في القاهرة سنة ١٣٥٦ (١٩٣٧) .

(٣) معجم الأدباء (١٠٢/٥) ، ويعني ياقوت بالموفق الذي هنأه الشاعر بفتح مصر الأمير طلحة ابن المتوكل ولي عهد المعتمد ولم يل الخلافة ومات سنة ٢٧١ بيد انه كان غالباً على امور اخيه المعتمد ، وهو الذي استأصل الزنج واعاد البصرة الى حظيرة الخلافة العباسية ، والموفق مع بني طولون حكام مصر وقائع معروفة .

بفتح مصر » هذا كل ما قاله الحموي في ترجمة اديب يعد من اساتذة الصولي . والغالب ان الحموي لم يظفر ببعض كتب ابي بكر الصولي التي جمع فيها اخبار ابي تمام ناقلا لها عن احمد بن يزيد ، وقد عني السمعاني[1] بذكر جماعة من ذراري المهلب بن ابي صفرة ـ ويقال انه قد سقط الى الأرض من اعقاب المهلب اكثر من ثلاثمائة ـ بيد انه لم يذكر في جملة من ذكر يزيد وابنه احمد مع انهما من احق اعلام الطبقة المتأخرة من آل المهلب بالترجمة والتعريف .

عرفنا فيما مر من هو يزيد بن محمد المهلبي ، واما ابنه هذا فانه على كل حال اديب راوية تحدث عن ابيه وعن احمد بن ابي طيفور ويتحدث عنه المرزباني[2] ويلاحظ ان جملة صالحة من اخبار ابي تمام التي جمعها ابو بكر الصولي كانت من روايته عن ابيه او عن احمد بن ابي طاهر ، وان احمد بن ابي طاهر يتحدث عن ابي تمام رأساً ، ويستفاد من تلك الاحاديث ان احمد بن يزيد صنف كتاباً في اخبار ابي تمام نقل عنه الصولي في كتابه[3] ومن هذه الاخبار ما يتصل بتفضيل ابي تمام على غيره من الشعراء ولا يستثنى البحتري على رأي احمد بن ابي طاهر ، وقد يكون ذلك من جملة بواعث الهجاء والملاحاة بين البحتري ، واحمد بن ابي طاهر ، وهي ملاحاة مشهورة .

ما من شك ان احمد بن ابي طاهر من أئمة الأدب الذين تميزوا بخفة الروح ، وحرارة النكتة ، وحسبنا انه هجا المبرد لا لشيء الا لان النكتة حضرته فقال :

ويوم كحر الشوق في صدر عاشق ... على انه منه احر واومد

(١) مادة المهلبي من كتاب الانساب للسمعاني .

(٢) الموشح للمرزباني (٢٥٨ ، ٢٩٢ ، ٣٣٣) .

(٣) كتاب اخبار ابي تمام للصولي ـ وروايتها عن احمد بن يزيد المهلبي ـ (٦٥ ، ١٠٤ ، ٢٥٠ ، ٢٥٢ ، ٢٥٩ ، ٢٦٣ ، ٢٦٤ ، ٢٧٦) ويلاحظ انها أي احاديث احمد بن يزيـد المهلبي مليئة بالفائدة والامتاع .

حللت به عند المبرد قائلا فما زلت في ألفاظه اتبرّد

ويقول رواة هذه الابيات [1] ان المبرد قال له : قد كان يسمك اذا لم تحمد الا تذم ، ومالك عندي جزاء الا اخراجك ، ومن هـــذا القبيل ابياته في زيارة دير السوسن [2] بالقرب من سامراء ، وحسبنا ايضاً في الاستدلال على صحة روايته ما نقله عنه ابو جعفر احمد يزيد المهلبي من اخبار ابي تمام واعتمد عليه الصولي في كتابه الذي جرده في هذا المعنى ، ولا ندري بعد هذا كيف ينكر الصولي فضل احمـــد بن ابي طاهر طيفور ، وينسب اليه كثرة الاغلاط في التاريخ والأدب واللغة ـ وجلّ من لا يقع في خطأ او غلط ـ ومما اخذه الصولي على ابن ابي طاهر خبر نسبه في كتابه المسمى تاريخ بغداد الى المأمون مع انه من اخبار هشام بن عبد الملك ، قال الصولي [3] : رويناه باسانيد الثقاة من غير وجه فنسبه الى المأمون بغير رواية .

هذا ما قاله الصولي ، ويلي ذلك كلمة له كلها طعن وتجريح في رواية ابن ابي طاهر قال فيها : هو صحفي حاطب ليل يشترط في كتبه اختيار الشعر الجيد ويأتي بالردي ، ويزعم انه يقلل فيحسن فيكثر ويسيء ثم يحكي الكذب ويخطيء في التاريخ وفي نسب الشعر ، فاذا كان احمد بن ابي طيفور حاطب ليل فكيف يروي اخبار ابي تمام وغيرها باسنادها الى هذا الأديب .

لم يكن احمد بن ابي طيفور غنياً بل كان فقيراً ، ولم يكن صالحاً لمنادمة الخلفاء والوزراء كالبحتري والصولي والمهلبي اذ لم يجتمع له ما اجتمع لهم من آلة المنادمة ، بل

---

(١) راجع القصة في معجم الأدباء لياقوت (١/١٥٦) .

(٢) في كتاب الديارات للشابشتي (٩٦) « دير السوسي » منسوباً الى صاحبه من اهل السوس وهو الاصح ، ويراجع عن هذا الدير معجم البلدان (٢/٦٧٢) .

(٣) كتاب الاوراق للصولي ـ قسم اخبار الشعراء ـ (٢١٠) ، وفي هذا الصدد نقول : =

كان معنياً بهجاء هذه الطبقة . لذلك هان عليهم امره فاوسعوه طعناً ونقداً وسخرية ، ومن تصفح كتب الأدب بعناية اتضح له كثرة ما اخذه العلماء واهل الرواية على الائمة والاعلام من شعراء وادباء ، ولم يسلم من ذلك ابو تمام والبحتري والصولي ، وهذا ابن النديم نقـــد الصولي في « الفهرست » ونسب اليه الانتحال والفضيحة بالسطو على مؤلفات بعض المصنفين .

صور نادرة

نعود الى رواية جحظة في اماليه عن خصال ابن المنجم التي استظرفها الخلفاء فيه والرواية مسندة الى يزيد بن محمد المهلبي وهو ـ كما لا يخفى ـ من ندماء الواثق والمتوكل وان كان دون ابن المنجم في المنزلة ، وفي هـــذا الحديث ـ ومصدره جحظة ـ نوادر وصور غريبة يساورنا ضرب من الشك في صحتها ، فاذا كان جحظة صادقاً في روايتها عن المهلبي ـ وهذا بعيد ـ فقد اغرب الرجل في الرواية ، وان كان الحديث من وضع جحظة البرمكي ، او انه زاد وتصرف فيه فهو شيء آخر ، وعلى كل ففي الحديث صور ونوادر غريبة عن قواعد المنادمة وادب السلوك وخصال الندماء وفنونهم ، ومنها على الارجح قواعد وآداب او خصال واخلاق دخيلة في حياة العباسيين او مقتبسة من

= نشر جزآن من كتاب الاوراق للصولي احدهما في اخبار الراضي والثاني في اخبار الشعراء والمرجح ان قوام الكتاب اكثر من خمسة اجزاء يدل على ذلك نبذ منقولة عن الكتاب في بعض المصنفات لا وجود لها فيما نشر منه ، وكانت عند الفقيه المشهور محمد بن ادريس العجلي الحلي نسخة من كتاب الاوراق ، فقـــد جاء في باب « بيع الصرف واحكامه » من كتاب « السرائر » للفقيه المذكور ما نصه قال الصولي في كتاب الاوراق « عرض مخلد لشاعر للخليفة المعتمد لما دخل الموصل بمدح ، وحلف ان يسمعه ، فاحضره وسمع مدحه ثم قال انشدني من هجائك لاهل الموصل فانشده :

. . . فانتقوا لهم نسباً يجوز بعد العشاء في العجب
حتى اذا ما الصباح لاح لهم بين « ستوقهم » من الذهب
والناس قد اصبحوا صيارفة اعلم شيء ببهرج النسب

آداب بعض الامم الاعجمية ومواضعاتها فالرواية ترسم لنا صورة مجلس من مجالس المتوكل وكأنما هو مجلس متوّج من الاكاسرة او القياصرة يبدو فيه علي بن يحيي النديم قائماً كأنه تمثال بين يدي الخليفة متأهباً لتلقي اوامره ، او للاجابة عن كل ما يسأل وقد يكون السؤال عن طبيعة الخمرة وعن معالجتها بالمزاح او عدمه وعن مذاهب الشعراء واذواقهم المختلفة في هذه الناحية . فعلى النديم ان يكون واسع الرواية في هذا الباب من الشعر وايراد شواهده ومناقشتها ، وهكذا كان ابن المنجم ، وقد يكون لاعداد الطعام ـ طعام السراة ـ نصيب من تلك المجالس ولذلك نرى ابن النديم من مهرة الطهاة ، وما يقال عن الطعام والشراب يقال عن الغناء وعن النغم والالحان واصحابها وعن الشعر الملحن والفكاهة والنجامة ، الى شتى الفنون والثقافات التي تليق بندماء الخلفاء والملوك ، هـــذا وفي الرواية امثلة واضحة من المصطلحات والعادات الاعجمية ، وكان الراوي على ما يبدو من حديثه يجل تلك العادات والمواضعات ويكبرها ، ولا يخفى حـــذق جحظة البرمكي بهذا الضرب من الآداب والثقافات على وجه يعزز رأينا بان القصة لا تخلو من الدس والوضع ، وان جحظة متهم بذلك .

يقول الراوي ان ابن المنجم النديم اختار للمتوكل ان يشرب في يوم دجن بعينه اطبق فيـــه الغيم على الشمس فزهت خضرة البســاتين ، وظهر رونقها مضافـــاً الى انه — كما ورد في الروايــة — « يوم تعظمـــه الفرس ، وتشرب فيـــه لانه « هرمز روز » وهـــذا قول يـــدل على اجلال تلك العادات الغريبـــة واكبارها ، وهـذه العبارة فارســـية مادةً وتركيباً تعني « يوم هرمز » وهرمز علم من اعلام العجم او اسم ملك من ملوكهم ، فهو من الايام التي كانت تميز بها الفرس وتكبرها ، وتكبره ايضاً الاكرة والدهـــاقين

اكرة المتوكل ودهاقينه ، وكان ابن المنجم احد اولئك الدهاقين لا ريب في ذلك ، ولا نظن ان ابن المنجم يجرأ على تعظيم تلك العادات والدعوة الى الاخــذ بها بحضرة المتوكل ، والغالب انها من جملة ما دسه جحظة في متن الرواية .

تخلص الراوي بعد ذلك الى اعداد المائدة السرية ، وانتقل بعد الفراغ منها الى ذكر مجلس الغناء فغنى المغنون وعزفت القيان ، وتخلل ذلك نقاش في الشعر وقائليه والالحان واصحابها ، ويلاحظ ان ابن المنجم النــديم كان مغنياً مع المغنين وشاعراً مع الشعراء ومنجماً مع المنجمين وعالماً مع العلماء الى ان حل وقت الزوال . ويلي ذلك فصل من فصول هذه الرواية لا يخلو من تزويق الراوي ، وذلك ان المتوكل يسأل في نهاية هــذه المتعة قائلا : اين نحن من وقت الصلوة ؟ وقد يبدو هذا السؤال غريباً فان تحديد الظهيرة من اسهل الامور ، ولـكن ابن المنجم النديم نهض وفي يــده اسطرلاب من فضة فقاس الشمس واخبر عن الارتفاع وعن الطالع وعن الوقت ، هذا ما جاء في متن الحديث ولا نظن في معرفة الوقت غموضاً يحتاج الى اسطرلات والى قياس ارتفاع الشمس بهذه الآلة ولـكنه من تزويق الراوي وتنميقه ، والغرض منه بل من هذه القصة برمتها لا يعدو الاشادة بكفايات ابن المنجم ، وان استظراف من استظرفه من الخلفاء لم يكن عبثاً ، بل لما تميز به من خصال ، فهو نديم وطبيب وشاعر ومغن ومنجم واديب ما ترك شيئاً من آلة المنادمة الا احتوى عليه ، وقد عني الراوي عناية خاصة برسم صورة تحكي العادات والاوضاع الدخيلة او التي يطيب للراوي ادخالها في حياة الدولة العباسية ، وما كان هذا الراوي في الواقع الا من اصحاب القصص والاسمار [1] .

---

(١) انفرد يافوت الحموي بايراد هذه القصة ، ولا يسعنا نحن ايرادها برمتها بيد اننا نلخصها في الـكلمة الآتية نقلا عن معجم الأدباء (٥/٤٦٨ ، ٤٧٠) ، قال جحظة في اماليه حدثت عن يزيد بن محمد المهلبي قال : كنت ارى علي بن يحي المنجم فارى صورته وصغر خلقته ودقة وجهه وعينيه ، واسمع بجملا من =

= الواثق والمتوكل فاعجب من ذلك واقول : باي سبب يستظرفه الخليفة ، والفرد اماجمنه ، وتحدث الراوي بعد ذلك عن مجالسة المهلبي المتوكل ودخول ابن المنجم عليه فشاهد حذق هـذا النديم وحسن تصرفه في مجلس الخليفة ، وقيامه بمفرده بمهام لا ينهض بها الا جماعة من ذوي الكفايات ، فانه اضطلع بما يضطلع به الطبيب والأديب والمنجم والشاعر والراوية وغير ذلك ، وكان المهلبي يرقبـه في مجلس المتوكل ، وفي آخر هـذا الحديث يقول : « لم يزل يعظم في عيني حتى صـار كالجبل وصارت مقابح وجهه محاسن فقلت : لامر ما قدمت ، فيك الف خصلة ، ما تركت شيئاً مما يحتاج اليه الملوك الا ملكته ، وبهذا القدر نكتفي من القصة المذكورة ، هذا وقد صنف المرزباني كتاب « الموشح » في مآخذ العلماء على الشعراء ذكر فيه عيوبهم التي نبه عليها اهل العلم واوضحوا الغلط فيها والتناقض وهلهلة النسج قديمهم ومحدثهم سوى عيوبهم في اجسامهم وانفسهم واخلاقهم وطبايعهم وانسابهم ودياناتهم وغير هذه الخصال من معايبهم ، ويقصد المرزباني فيمن يقصده باهل العلم بني المنجم علي بن يحيى بن ابي منصور ويحيى بن علي وهارون ويوسف ابني علي واحمد بن هارون فانه – اي المرزباني – اكثر من الرواية عنهم وخاصة عن ابي الحسن علي بن يحيى كما يتضح من مراجعة ارقام الصفحات الآتية من الكتاب المذكور ٣٧ ، ٣٨ ، ٥٠ ، ٥٦ ، ٥٩ ، ٦٠ ، ٦٢ ، ٦٦ ، ٧٢ ، ٧٧ ، ١٢١ ، ١٢٦ ، ١٣٠ ، ١٤١ ، ١٤٢ ، ١٥٠ ، ١٦٢ ، ١٧٣ ، ١٧٨ ، ١٩٠ ، ١٩٤ ، ١٩٧ ، ٢٠٢ ، ٢١٦ ، ٢٢٧ ، ٢٣٠ ، ٢٥٣ ، ٢٦٣ ، ٢٦٤ ، ٢٩٦ ، ٣٢١ ، ٣٢٧ ، ٣٥٩ ، ٣٧٧ ، ٣٧٨ وراجع من كتاب اخبار ابي تمام للصولي الصفحات الآتية : ٤٢ ، ٤٤ ، ٢٢١ .

... ...
... ...
... ...

آخر القسم الاول من الجزء الثاني من كتاب مؤرخ العراق ابن الفوطي ويليه القسم الثاني من هذا الجزء في بقية اصول البحث من الكتاب .

فهارس عامة

فهرس محتويات الكتاب

فهرس الاعلام

« الألف »

« ب »

« ت ـ ث »

« ج »

« ح »

« خ »

« د ـ ذ »

ــ

« ر ـ ز »

« ع »

فهرس

القبائل والفرق والجماعات

« ب »

« ت »

« ح ــ خ »

فهرس

البلدان والامكنة والبقاع

« ت ـ ث »

« ش »

« ص — ط »

—

« ع — غ »

—

« ف — ق »

—

« ك — ل »

—

« ن »

« هـ — و — ي »

فهرس

الكتب والمراجع

« الألف »

فهرس المستدركات (١)

الخطأ	الصواب	الصفحة	السطر
هذه	هذا	١٢	٢ من الهامش
محمدابن نصر	محمد بن نصر	٢٨	١٠ «
كمال الدين ابن	كمال الدين بن	٣٠	٢
٤	٢	٣	٣
٢	حذف هذا الرقم	٣	٢
ثمان عشرة	ثمانية عشر	٣٢	٢
لها	عليها	٣٥	١٣
بالنسبة	النسبة	٣٦	١٥
بجزئين	بجزءين	٤٤	٣
الرفري	الرمزى	٥٠	١ من الهامش
وأما	وما	٦٩	١٥
لقائهوعزاءه	لقائه وعزائه	٧٠	٣
هى	هنا	٧٠	١٦
لا تحردين	لا تحردي	٧٣	٤ من الهامش
مكتوب	مكتوباً	٧٦	٥
ع	الحوادث الجامعة	٨٠	١ من الهامش
لقاءه	لقائهم	٨١	٧
تفاءله	تفاؤله	٨١	٩
للاسماء	بالاسماء	٨٢	٢
وتعكن	تمكن	٨٣	٧
والقراءة	والقراء	٨٥	٨
مرات	مرائي	٨٦	٣
كانت	كان	٨٨	٤
تنهي	تنهى	٨٨	١٣
الدلس	الدس	٩٠	٧
حمل	عمل	٩١	٧
الطالبين	الطالبيين	٩١	٧
وفهم	وفيهم	٩٢	٣ من الهامش
وخلطاءه	وخلطائه	٩٢	٤ «

(١) في هذا الجدول عنينا بتصحيح الاغلاط المطبعية المهمة دون غيرها ، ومرد وقوع هذا الضرب من الاغلاط غالباً الى السكون خارج البلاد اكثر من مرة خلال طبع الكتاب .

وهناك بعض الاخطاء الطفيفة لم ننبه عليها في هذا الجدول ، نظراً لوضوحها كزيادة نقطة او نقصانها ، ووقعت اخطاء فى همزة « ابن » فبعضاً أثبتت مع ان القاعدة حذفها ، وبعضاً حذفت مع ان اللازم ذكرها ، تركنا التنبيه عليها كذلك .

الخطأ	الصواب	الصفحة	السطر
بقراء	بقراءة	٩٢	٦ من الهامش
الى	التي	٩٢	٨ «
قصة	قصه	٩٣	٢ «
كثيراً	كثير	٩٤	الأخير من الهامش
بانشاءها	بانشائها	٩٧	٤ «
ثمانيةعشرة	ثمانية عشر	٩٩	١٦
الدر	الدرر	٩٩	٦
بر	بن	١٠٠	٢
نصرة	نصرت	١٠٢	١٣
علي	على	١٠٥	٤
وهل كان	أكان	١٠٥	٨
يعني	يعنى	١٠٩	١٥
من	عن	١٠٩	١ من الهامش
الآخر	الآخرة	١١٢	١
(٢)	(١)	١١٨	١
(١)	حذف هذا الرقم	١١٨	٥
فسخنا	فسحنا	١١٩	٥ من الهامش
ابن	لابن	١٢٠	١٠
تعنوا	تعنو	١٢١	١٢
بن	ابن	١٢٩	١٤
بن كمونة	ابن كمونة	١٢٤	١٦
انشاءه لا منشئها	انشائه لا منشؤها	١٢٥	٢
ونسخة	ونسخه	١٢٨	٢
الصفات	بالصفات	١٢٨	٥
رستان	لرستان	١٢٨	٢ من الهامش
البرواته	اي البروانة	١٢٩	٢
مؤلفها	مؤلفيها	١٣٠	١١
عبد القادر	عبد القاهر	١٣١	١٣ من الهامش
كتاب انظر	انظر كتاب	١٣٣	٤ «
الذي	التي	١٣٥	١
رباطة	رباطه	١٣٥	١٢
المستنزهات	المتنزهات	١٣٨	٣
شقيقات	قريبات	١٣٩	١٨
جوزي	جو	١٤٢	١٢
ويعتبر	ويعتبر فيها	١٤٣	٨ من الهامش
موعضة	موعظة	١٤٥	٦ «
دعاوي	دعاوى	١٥٧	٩
قسى	قسا	١٥٨	٨
توليه	تولية	١٦١	٣
لو	لا	١٦١	٤
ثورتهم	ثروتهم	١٦١	٦
بعد عبد	بعد	١٦٢	١٠
هاهنا	ههنا	١٦٤	الأخير من الهامش
سفراءه	سفرائه	١٦٦	٧
خمس عشرة	خمسة عشر	١٧٥	٥
فهم	منهم	١٧٨	١٨
ذكره	الذي ذكره	١٨٤	٢
ثلاث عشرة	ثلاثة عشر	١٨٦	١١ من الهامش
تنويه	تنبيه	١٨٨	٣
منشأها	منشؤها	٢٠٠	٣
ما بعده	وما بعده	٢٠٤	١٦
اكثر	اكثر من	٢٠٤	١ من الهامش

الخطأ	الصواب	الصفحة	السطر
منشئه	منشؤه	٢١٣	٧
انهم خصصوا	أنه خصص	٢١٤	٧
فذهب	فذهبت	٢١٥	٨
فراخ	فراسخ	٢١٥	٤ من الهامش
من	عن	٢١٦	٢
بطلميوس	بطليموس	٢٢٠	٩
الهيول	الهيولى	٢٢١	٩ من الهامش
بريدك	يزيدك	٢٣٧	٥
كتبة	كتبه	٢٤٠	٧ من الهامش
المذكورة	المذكور	٢٤١	٣
دغدغة	ذعذعة	٢٤١	٦ من الهامش
كيف	وكيف	٢٤٢	١
وفي	في	٢٤٢	٤
١٨٦	٢٨٦	٢٥٢	٣ من الهامش
٢٦٧	حذف هذا الرقم	٢٥٢	٤ »
الفتح	ابن الفتح	٢٦٠	١٨
(١)	(٢)	٢٦١	١ من الهامش
(٢)	(١)	٢٦١	الأخير من الهامش
البحتري	ابن البحتري	٢٦٢	٥
كفؤه	كفءه	٢٦٦	١٤
هم	هما	٢٦٧	١١
ابن النديم	النديم	٢٧١	١
داود	دؤاد	١٧١	٤ من الهامش
شعرهم	شعره	٢٧٤	١٣
العمل	الفصل	٢٨٦	
لحلوة	لحلوه	٢٨٧	١٣
زورتي	زورني	٢٨٧	١٦
المجرة	المحبرة	٢٩١	١٢ من الهامش
المعنيين بالطعن	الطعن	٣٠٨	٥
المزاح	المزاج	٣١٤	٤
صفي	صفي الدين	٣٥٦	من الفهرست

آخر فهارس الكتاب